جـامعة عمار ثليـجي بالأغـواط



دراســــــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد: 70
سبتمبر 2018

ISSN 1112-4652

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلة دراسات العدد: 70 - سبتمبر 2018

مجلة دراسات العدد : 70 - سبتمبر 2018

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية للباحث (نموذج معتمد لدى المجلة).

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم الباحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك (نموذج معتمد لدى المجلة).

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة (أي في حدود 4000 كلمة)، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.

7- **البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط لا تؤخذ بعين الاعتبار.**

8- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

9- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

10- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.

- **قواعد التوثيق: تتبع إحدى الطريقتين:** 1-عندما يشار إلى المراجع في المتن، يذكر الاسم الأخير للمؤلّف وسنة النشر بين قوسين، مثل (القوصي،1985)، وعند الاقتباس يوضع النص المقتبس بين قوسين صغيرين " " وتذكر أرقام الصفحات المقتبس منها مثل: (القوصي، 1985: 43)

2- عندما يشار إلى المراجع في الهامش، يشار إليها بأرقام متسلسلة، -استعمال التهميش الآلي- وتكون في أسفل الصفحة نفسها، وتذكر المعلومات حسب المتعارف عليه منهجيًا.

3- في كلتا الطريقتين، تجمع المراجع في نهاية البحث وترتّب ترتيبًا ألفبائيًا حسب الاسم الأخير للمؤلف، وتكون كالآتي:

- اسم المؤلِّف (سنة النشر) عنوان المؤلَّف، (رقم الطبعة)، اسم البلد، اسم الناشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلّة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها, ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلّة أو الجامعة.

مجلة دراسات العدد : 70 - سبتمبر 2018

مجلة دراسات العدد : 70 - سبتمبر 2018

فهرس المحتويات

السنن الإلهية في القرآن الكريم:

أهمّيتها وخصائصها

أ.د.داود بورقيبة
جامعة الأغواط

الملخّص:

إنّ التأمّل في سنن الله والتدبّر فيها يدعو الإنسان إلى حسْن الاستفادة منها في الإتيان بما يرضي الله وفي تجنّب غضب الله ونزول عقابه.

ولقد تضمّن القرآن الكريم سننًا كثيرة، توجّه النّاس وتقودهم إلى اختيار النهج القويم في الحياة.

وإنّ إدراك السنن الإلهية يقود إلى اليقين بأنّ للعالَم الإنساني نظامًا ثابتًا، وسننًا محدّدة. قال الله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران: 137-138].

وفي بحثنا هذا نبيّن معنى السنّة لغة واصطلاحًا، ونقف عند بعض استعمالات القرآن الكريم للفظة سنّة، ونبيّن أهمّية دراسة السنن الإلهية في القرآن الكريم وكذا بعض خصائص السنن الإلهية في القرآن الكريم. ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحية: السنّة الإلهية- القرآن الكريم- الأهمّية- الخصائص.

Abstract :

The reflection and thinking of God ‘s method led human to benefit from it in order to satisfy God and to avoid His anger and punishment .

The Holy Qur’an contains many methods that guide people and led them to the right approach of life.

The recognition of God’s methods to people led to certainty that human world has a fixed system and specific method.

In our research we point out the linguistic and terminological meaning of method and we stand at some uses of the term method in the Holly Qur’an. We also clarify the importance of studing God’s method in the Holly Qur’an, beside some method's characteristics in Qur’an.

We ask God success.

The key words : the God’s Sunna – the Holly Qur’an –the importance- characteristics.

Methods: means the way God treats humain beings and how He guide and control thier life .

أولى القرآن الكريم موضوع السنن الإلهية المساحة الأكبر ضمن مجموع الآيات والسور، وذلك لأهمّيتها كفلسفة في توجيه حركة الحياة، ومن هنا نجد سمة الخطاب القرآني في بنيته العميقة خطاب سُننيّ بامتياز، فكلّ شيء يرتبط بالسنن ارتباطًا موضوعيًا وموضعيًا، ولذلك نجد القرآن الكريم يذكّر بتلك العلامة

البارزة حين يقول في أكثر من موضع: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سورة فاطر: 43]، وهذا إرشاد وتوجيه إلهيّ صريحٌ على عِلْميتها وصَرَامتها، إلاّ أنّ المشكلة تكمنُ في المخاطَب والمتلقّي لا الخطاب، فقد كثّف القرآنُ من أدوات التأصيل، وأقام الدليل على حجّية السنن وقانونيتها، ومع ذلك لا تزال الإنسانية دون المستوى المطلوب في استثمار هذه السنن فهمًا واكتشافًا، أو توظيفًا وتسخيرًا.

- تعريف السنّة:

تعدّدت أوجه استعمال لفظ: "سنّة" في اللسان العربي بين الطريقة والعادة المطّردة، والسيرة حسنة كانت أو قبيحة[1]...

وجاء في التعريفات: السنّة **لغة** هي: "**الطريقة، مرضية كانت أو غير مرضية**"[2].

وقال ابن الكمال: "السنّة **لغة**: الطريقة مرضية كانت أو لا. وشرعًا الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب".

واصطلاحًا، قال المناوي: "السنّة بالضمّ: طريقة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم التي كان يتحرّاها، وسنّة الله طريقة حكمته وطريقة طاعته، ذكره الراغب"[3].

ولعلّ التعريف الذي يناسب بحثنا هذا، هو تعريف زيدان الذي ينصّ على أنّ السنن الإلهية هي: "**الطريقة المتّبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتّب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة**"[4].

فسنن الله -تعالى- هي طرائقه، وعادته في خلقه، في تدبير شؤونهم، وفي تسيير الكون، وأحوال الحياة، وإجراء القدر على وفق ما تقضيه حكمته في هذه السنن.

- استعمال لفظة "سنّة" و"سنن" في القرآن الكريم:

إنّ القرآن الكريم حين يخاطبنا بلفظ "سنن" كأوّل استعمال يدلّ على نواميس الله تعالى، فإنّه يقلّب هذا اللفظ والمفردة في تشكيلات اشتقاقية متنوّعة، وصيغ صرفية مختلفة جمعًا وإفرادًا، مضافًا تارة، ومجرّدًا عن الإضافة تارة أخرى، مبسوطة التاء في مواطن، ومربوطة في مواطن أخرى.

وقد رسمت التاء مبسوطة في خمسة مواضع تكون بمعنى الإهلاك والانتقام[5]، منها قوله تعالى:﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنفال: 38]، ويدلّ على أنّها من الانتقام قوله تعالى قبلها: ﴿قُل لِّلَّذِينَ

---

[1]- عيساوي عادل بن بوزيد، **فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة ط:1، 2012، ص:25.

[2]- علي بن محمّد الجرجاني، **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط:1، 1983م، ص:122

[3]- محمّد المناوي، **التوقيف على مهمّات التعاريف**، تح: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط:1، 1410هـ، 415/1

[4]- عبد الكريم زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1، 2004، ص: 27

[5]- علي فهمي النزهي، **الكنوز الربّانية في تدبّر الآيات القرآنية**، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط:1، 1436هـ-2015م، ص:402

كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ ، وقوله تعالى بعدها: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾[سورة الأنفال: 39]

- وقال الله تعالى: ﴿ استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ [سورة فاطر: 43]. ويدلّ على أنّها بمعنى الانتقام قوله تعالى في الآية: ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ﴾، وسياق ما بعدها قوله تعالى: ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ﴾ [سورة فاطر: 44]

- وقال الله تعالى: ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ [سورة غافر: 85]. وتدلّ على أنّها بمعنى الانتقام ما قبلها: ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (82) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (83) فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾[سورة غافر: 82 – 84].

أمّا إذا كانت "السنّة" بالتاء المربوطة، فالكلمة بمعنى الشريعة أو الطريقة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴾[سورة الأحزاب: 38].

- وقال الله تعالى: ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ [سورة الإسراء: 77].

وقد وردت لفظة: "سنّة" ومشتقّاتها ثماني عشرة مرّة في القرآن الكريم، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين ﴾ [سورة الأنفال: 38]، وقد جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن الكافرين وموقفهم من الإسلام، وإنفاقهم أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله، وأنّهم سينفقونها، ثمّ تكون عليهم حسرة، ثمّ يُغْلبون، فأتت هذه الآية الكريمة لتبيّن لهم إن انتهوا فإنّ الله بحلمه وفضله ورحمته سيغفر لهم، وإن يعودوا لما درجوا عليه، ويصدّوا عن الإسلام بأفعالهم السابقة، فقد خلت سنّة الله تعالى في الأمم الماضية، وسيجري عليهم ما جرى على من سبقهم، والتي عبّر الله تعالى عنها في آيات، مثل قوله تعالى: ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم

ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ [سورة غافر: 51]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [سورة المجادلة: 20 - 21]

ومن الآيات الكريمة التي وردت فيها لفظة: "سنّة" قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[سورة الحجر: 11 – 13]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: 76 - 77]. فهذه الآيات الكريمات تقدّم صورًا من صور الصراع بين الحقّ والباطل.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾ [سورة الكهف: 54 - 59]

وقال الله تعالى: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: 137 -141]

وبإجمال جاءت كلمة "سنّة" في القرآن الكريم بأشكال متعدّدة[1]، فجاءت مفردة، وجاءت جمعًا، وجاءت مجرّدة من الإضافة، وجاءت مضافة، تارة إلى الله جلّ ثناؤه، وتارة إلى الأنبياء، وتارة إلى الأوّلين والسابقين، وهذا له مقاصد قرآنية بليغة يمكن إجمال بعضها فيما يأتي:

[1]- عيساوي عادل بن بوزيد، **فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة ط:1، 2012، ص:41

- **المقصد الأوّل**: إنّ إضافة "**السنّة**" إلى لفظ الجلالة هو تنبيه إلى أنّها من صنع الله وإرادته، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** ﴾ [سورة الفتح: 23]، وفي ذلك إشارة إلى أنّه لا يضمن ثباتها أحدٌ إلاّ الله.

- **المقصد الثاني**: إنّ إضافة السنن إلى الأنبياء والسابقين، فلأنّها صدًى لأفعالهم، أي أنّها تنسحبُ على أفعالهم سلبًا وإيجابًا وفق إرادتهم، قال الله تعالى:﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [سورة النساء: 26]

- أهمّية دراسة السنن الإلهية:

إنّ النظر في السنن الإلهية فريضة وضرورة، فهو فريضة للآيات الكريمة التي تحثّ على النظر والسير والاعتبار بمن خَلَوْا، فالسعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ من وُعِظَ بنفسه.

وتظهر أهمّية دراسة السنن الإلهية في الجوانب الآتية:

1- إنّ دراسة السنن الإلهية فريضة شرعية وضرورة واقعية:

فقد أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب، وبيّن فيه ما لم يبيّنه في غيره. فقد بيّن فيه كثيرًا من أحوال الخلق وطبائعهم، والسنن الإلهية في البشر، فقصّ علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسنّته فيها، فلا بدّ للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم، ومناشئ اختلاف أحوالهم، من قوّة وضعف، وعزّ وذلّ، وعلم وجهل، وإيمان وكفر، ومن العلم بأحوال العالم الكبير علويّه وسفليّه، ويحتاج في هذا إلى فنون كثيرة من أهمّها التاريخ بأنواعه.

وقد أجمل القرآن الكلام عن الأمم، وعن السنن الإلهية، وعن آياته في السماوات والأرض، وفي الآفاق والأنفس، وهو إجمال صادر عمّن أحاط بكلّ شيء علمًا، وأمرنا بالنظر والتفكّر، والسير في الأرض لنفهم إجماله بالتفصيل الذي يزيدنا ارتقاء وكمالا، ولو اكتفينا من علم الكون بنظرة في ظاهره، لكنّا كمن يعتبر الكتاب بلون جلده لا بما حواه من علم وحكمة.

إنّ إرشاد الله إيّانا إلى أنّ له في خلقه سننًا؛ يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علمًا من العلوم المدوّنة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمّة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبيّنون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وقد بيّنها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه. والعلمُ بسنن الله تعالى من أهمّ العلوم وأنفعها، والقرآن سجّل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلّنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها.

2- إنّ دراسة السنن الإلهية يزيد إيمان المؤمنين:

إنّ العلم ب "السنن الإلهية" يُحقّق الاعتبار لأولي الأبصار، فيزداد الإيمان، فلما نتأمّل فيها، ونقارن، ونحلّل وتقيس، ونعتبر، يزداد إيماننا.

لماذا أمرنا الله -عز وجل- بالسير في الأرض؟ لماذا أمرنا بالنظر في العواقب؟ لماذا أمرنا بالنظر في ما حصل للأمم السابقة؟ لماذا أمرنا أن نستقصي أخبارهم، وأن ننظر في أحوالهم، وأن نتدبّر في العواقب التي حصلت لهم؟ لماذا؟

في سنن لله في الأفراد، في المجتمعات، في البلدان، هناك عادات لله في خلقه: قد خلت من قبلنا أمم، المثلات، أيّام الله، ما مضى من النعم والنقم: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة آل عمران: 137]. ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [سورة الروم: 42].

3- إنّ دراسة السنن الإلهية تساعدنا في فهم التاريخ وتحليل الأحداث:

إنّه لا يمكن أن نفهم التاريخ ونحلّل الأحداث، بدون معرفة "السنن الإلهية"؛ فإذا كان هنالك علم اسمه: "علم استشراف المستقبل" فإنّ من أهمّ مبادئ "علم استشراف المستقبل": "السنن الإلهية."

والمتدبّرون للقرآن الكريم يعرفون هذا العلم جيّداً، ويحللون الأحداث بناء على "السنن الإلهية" فيكون تحليلهم أقوم سبيلا، وأسدّ في النتيجة، وأصحّ في الخلاصة﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[سورة الأنعام: 11]

فمن خلال "السنن الإلهية": نفهم الذي يدور في الواقع، لماذا يدور؟ كيف يدور؟ ما هي التوقّعات القادمة؟ -طبعاً- فالناس لا يعرفون الغيب، لكن يستطيعون أن يعرفوا في الجملة، ما هي التوقّعات القادمة؟ عوامل البناء والأمن والاستقرار، والبقاء والهدم، والخوف والسقوط والتدمير؟﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة غافر: 85].

فالعرب يقولون: "ما أشبه الليلة بالبارحة"، والغرب يقولون: "التاريخ يعيد نفسه"؛ والله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[سورة آل عمران: 140]. و "التاريخ لا يعيد نفسه" إنّما يعيده الله -عزّ وجلّ-

4- إنّ دراسة السنن الإلهية يساعد على معرفة عواقب الأمور ونتائج الأحداث:

إنّ من وعى السنن، استطاع أن يستدلّ على عواقب الأمور، ونتائج الأحداث، ففي قصّة قارون لما خرج على قومه في زينته، قال السُذج:﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القصص: 79]. أمّا العالمون بسنن الله، قالوا: ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [سورة القصص: 80]. فماذا كانت النتيجة؟ ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [سورة القصص: 81].

ومؤمن آل فرعون أطلق تحذيراً مهمّاً جدّاً لقومه: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [سورة غافر: 30- 31]

هو قال لهم: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ [سورة غافر: 29]

فهذا الرجل استدلّ على مصير قومه بما حدث للأقوام التي شابهت حالهم من الماضين، وفعلاً وقع ما حذّر هذا الرجل منه.

5- إنّ دراسة السنن الإلهية يفيد في الاتّعاظ والاعتبار بأحوال الماضين:

لقد قصّ الله علينا قصصًا كثيرة؛ لنعتبر، وقد مضت القرون من قبلنا، وكل موضع في الأرض أمر الله بالسير فيه حساً بالأقدام، ومعنى بالتفكّر والاعتبار.

فالذي يدرس موضوع "السنن الإلهية": لا يغترّ بالمترفين، ولا المنعّمين، ولن يسلك طريقهم، خشية أن يصيبه ما أصابهم.

والعلم بالسنن: يساعد على فهم القرآن والسنّة، وتوجيه الأنظار إلى الاعتبار والاسترشاد، ومعرفة مواطن القوّة، ومواطن الضَّعف، مواطن الهزيمة، ومواطن الانتصار، أسباب السعادة، وأسباب الشقاء.

6- إنّ دراسة السنن الإلهية يفيد في تثبيت قلوب المؤمنين للاعتزاز بالإسلام:

قال الله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة هود: 120].

فبدراسة السنن الإلهية سيكون للمؤمنين من اليقين، والتفاؤل النفسي، ما يثبتون به ويستمرون به أمام أعدائهم: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة النور: 55]

فقد قصّ الله علينا قصصًا كثيرة في التثبيت، طالوت وجالوت، وقصة غلام الأخدود، وأصحاب الأخدود.

إنّ "السنن الإلهية" تفيدنا في الاعتزاز بالإسلام، وعدم الاغترار بغيره: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿196﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [سورة آل عمران: 196- 197]

- خصائص السنن الإلهية:

تتميّز السنن الإلهية بأنّها من عند الله تعالى، ولأنّ الأمر كذلك، فإنّ هذه السنن تختصّ بخصائص تتناسب مع كونها من عند الله تعالى:

- الخاصّية الأولى: الثبات والاستمرار:

إنّ قانون تمدّد المعادن في الحرارة وتقلّصها قانون فيزيائي ثابت سواء آمن به المهندس أو لم يؤمن، فإنّه إذا لم يدع مسافات في الجسور لهذا التمدّد والتقلّص -تسمّى فواصل تمدّد- فإنّ البناء سيتصدّع بلا ريب. فالقانون لا يحابي ولا يتغيّر ولا يتخلّف.

وقانون الجاذبية الأرضية، سواء آمن به المرء أم لم يؤمن، فإنّه إذا فكّر أن يرميَ نفسه من شاهق ظاناً أنّه يستطيع التفلّت من قانون الجاذبية فإنّه سيقع أرضاً ويحطّم رأسه.

إنّ من أبرز خصائص السنن الإلهية الثبات، أي عدم التبدّل أو التحوّل أو التغيّر، ويدلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [سورة الأحزاب: 62]، وقوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [سورة فاطر: 43]

إنّ من كمال العدل وعظمة التشريع أن تكون السنن ثابتة يمكن القياس على نتائجها بالنظر إلى مقدّماتها، فالمسلم مطالبٌ بإعمال بصره وبصيرته في سيَر الأوّلين لتكون له عبرة، وهو مطمئنٌّ لثبات تلك السنن، وأنّه يمكن له أن يستفيد منها حالاً ومستَقْبَلاً.

وقوله تعالى: ﴿لَنْ﴾ تفيد النفي مع التأبيد، فيما يعني بالضرورة الثبات لهذه السنن، وليكون في ذلك زيادة في التأكيد.

ويقول ابن عاشور: "لن تجد لسنن الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلا. وبهذا العموم الذي أفاده وقوع النكرة في سياق النفي تأهّلت الجملة لأن تكون تذييلا"[1].

– الخاصّية الثّانية: حتمية النفاذ والاطّراد: إنّ سنن الله نافذة لا تتخلّف، فأينما وُجدت الظروف المناسبة، مكانًا وزمانًا وأشخاصًا تكرّرت، قال الله تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [سورة فاطر: 43]، فحيث ما وُجِدت مقدّمات الأمر، كانت النتيجة متلازمة معه، قال الله تعالى: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة الروم: 6]، ولذلك قصّ الله تعالى علينا أخبار الأمم السابقة، لتكون لنا عبرة.

وقد بيّن الله تعالى لنا في أكثر من موضع أنّ من يعْمل سوءًا يُجْزَ به، ومن يعمل خيْرًا يُلاقيه، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ (7) وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ [سورة الزلزلة: 7 – 8].

- الخاصّية الثالثة: الشمولية :

وتعني هذه الخاصّية أنّ السنن الإلهية شاملة لكلّ البشر، فهي لا تُحابي أحدًا مهما كان، ولا تستثني أمّة، قال الله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا (123) وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ [سورة النساء: 123 - 124]

والشمولية من مقتضى عدل الله وحكمته، فلو انخرمت سنّة من السنن لقوم دون غيرهم، لكان ذلك مدعاة لعدم الاطمئنان إليها.

[1]- محمّد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984، 112/22

فهذه السنن حاكمة على جميع الأفراد والأمم والمجتمعات، فإذا وقفنا عند قانون من قوانين الله تعالى كقانون النصر، نعلم أنّ له ضوابط ومعالم تنسحب على الجميع دون مجاملة ولا محاباة.

وإذا نظرنا في حياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، نجد هذا المعنى واضحًا، فعندما أخذ الصحابة بسنّة الله في النصر، تحقّق لهم النصر، وعندما خالفوا أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لم تتغيّر لهم هذه السنّة، بل حكمت عليهم وفيهم أفضل خلق الله، الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

- الخاصّية الرابعة: الصدق:

إنّ صدق سنن الله يعني وقوع مضمونها من حيث كونه خبرًا لسبق علم الله به، ومضت كلمات الله التامّات لا تُحابي أحدًا، ولا تميّز بين رفيعٍ ووضيعٍ، ولا بين طويل وقصير، ولا أبيض وأسود، ولا بين غنيّ وفقير إلاّ بالتقوى[1].

قال الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء: 87]

وقال الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [سورة النساء: 122]

ويظهر هذا الصدق جليًّا في الوعود القرآنية، قال الله تعالى لنبيّه الكريم:﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [سورة القصص: 85]، وتمضي الأيّام ويتحقّق الوعد القرآني بعد بضع سنين من نزول الآية، فيعود النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى مكّة فاتحًا منصورًا بعدما خرج منها مهاجرًا إلى المدينة المنوّرة، قال الله تعالى:﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [سورة الفتح: 20]

فتحقّق الوعد القرآني بفتح مكّة، وهي الغنيمة المعجّلة، ويبقى الوعد مفتوحا إلى قيام الساعة، ويدخل في: **﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ كلّ الغنائم التي سيغنمها المسلمون إلى يوم القيامة.**

– الخاصّية الخامسة: العدل:

إنّ الذين يضعون القوانين البشرية ليس بمقدورهم أن ينسلخوا من طبائعهم البشرية، فلذلك نجدهم يميلون ويحيفون أحيانًا، أمّا سنن الله وناموسه الكوني ليس من وضع البشر، بل هي سنن وضعها الله تعالى الذي يصف نفسه بالعدل التامّ، قال الله تعالى:﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف: 49]، فسنن الله مصطبغة بالعدل اصطباغًا تامًّا، قال الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة المائدة: 50].

[1]- أحمد محمد المومني، **مجمل السنن الإلهية في القرآن الكريم**، دار مجدلاوي للنشر، عمّان، ط:1، 2014، ص: 14

فسنن الله وقوانينه عدل كلّها، وإنصافٌ للجميع، قال الله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة الأنعام: 115].

وهكذا يكون عدل الله بالمرصاد للطغاة، ولنا في قصّة يوسف عليه السلام خير دليل على ذلك، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [سورة يوسف: 51]، فأظهر الله الحقّ، وأبطل كيد الظالمين.

- الخاصّية السادسة: العلوّ والرفعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: 40]

فسنن الله هي الظاهرة والعالية فوق كلّ قانون، ولمّا كانت كلمة الله هي العليا، فإنّ من سار على منهاجها، اتّصف بصفاتها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: 139]

– الخاصّية السابعة: الرّبانية:

إنّ أهمّ خصائص السنن في القرآن الكريم هي خاصّية الربّانية، أي ربّانية السنن الكونية والاجتماعية، فهي مرتبطة بالله سبحانه وتعالى خلْقًا وإيجادًا وتقديرًا، وليس ذلك لأحد من الناس، ولذلك ورد لفظ السنّة في القرآن الكريم بإضافتها إلى الله تعالى في مواضع من القرآن الكريم، منها: قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿22﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الفتح: 22 - 23]

إنّ التوكيد على مصدر السنن الذي هو البارئ سبحانه وتعالى، هو الذي يعطيه قيمته الرئيسية، وميزته الكبرى، فهو وحده مناط الثقة في أنّه المنهج المبرّأ من الجهل والهوى والانحراف.

– الخاصّية الثّامنة: العموم والشمول:

تتميّز السنن الإلهية بالعموم والشمول، فهي تنطبق على الناس جميعًا، دون تمييز ودون استثناء، فالجزاء فيها من جنس العمل، والنتائج بمقدّماتها بغضّ النظر عن الجنس واللون والأصل، فالكلّ في ميزانها سواء، قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء: 123]

فأيّ مجتمع أخطأ أو انحرف، لقي جزاء خطئه أو انحرافه، وحسبنا في هذا ما دفعه الصحابة ثمنًا لخطئهم في غزوة أحد، فلم يسوّغ القرآن عملهم، ولمّا قالوا حين أصابهم ما أصابهم أنّى هذا؟، أجابهم القرآن بوضوح: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[سورة آل عمران: 165]

- **الخاتمة:**

احتوى كتاب الله تعالى سننًا إلهية كثيرة، ودراسة ومعرفة هذه السنن يحتاج إليها المربّي والمصلح والداعية والمفكّر، فهي لهم جميعًا مشكاة يستضيئون بها في عملهم، ودراستهم، وأبحاثهم.

وتتميّز السنن الإلهية بخصائص هامّة نظرًا لطبيعتها الإلهية.

المصادر والمراجع:

- أحمد محمد المومني، **مجمل السنن الإلهية في القرآن الكريم**، دار مجدلاوي للنشر، عمّان، ط:1، 2014

- عبد الكريم زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1، 2004

- علي بن محمّد الجرجاني، **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط:1، 1983م

- علي فهمي النزهي، **الكنوز الربانية في تدبر الآيات القرآنية**، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط:1، 1436هـ-2015م.

- عيساوي عادل بن بوزيد. ، **فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة ط:1، 2012.

- محمّد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984

- محمّد المناوي، **التوقيف على مهمّات التعاريف**، تح: د.محمّد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط:1، 1410هـ

وسائل تضييق الطلاق في القرآن الكريم

د. علي مهوبي
جامعة الأمير عبدالقادر-قسنطينة

الملخص:

يعتبر موضوع البحث عن وسائل تضييق الطلاق في القرآن الكريم ذا أهمية كبيرة، بحيث طرق الموضوع أهم الوسائل الشرعية في القرآن التي تحمي الأسرة من التفكك، وقد وجدت أن هذه الوسائل سبع، منها ما هو مقدمات لما قبل الزواج، فهي من باب التأسيس لأسرة سليمة كالوسيلة الأولى، ومنها ما هو تربية للزوجين لما بعد الزواج لحفظ كيان الأسرة كالوسيلة الثانية، والثالثة، والرابعة، ومنها ما هو علاج للمشاكل الزوجية بعد وقوعها، فهي تهدف إلى رأب الصدع بعد الوقوع، وإصلاح ما يمكن إصلاحه، وهي الوسيلة الخامسة، والسادسة، والسابعة.

وخلصت في الأخير: إلى أن الإسلام أحاط الأسرة بسياج يحفظها من الوقوع في المشاكل، ويقيها منها بعد أن تقع، وذلك كله وفق نظام عادل يراعي حق الزوجين.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم- الطلاق- الأسرة

ABSTRACT:

Fetching ways to constrict and narrow down divorce in the Holly Qur'an is an issue of great importance. This study found seven of the most significant and legitimate ways in Qur'an that would protect family from disintegration. Some of these are preambles for marriage as the first way. Others as the second, the third, and the fourth means are for educating the spouses about what comes after marriage to secure the family entity. Other ways are a therapy for the spousal problems after their occurrence. These ways, therefore, seek to fix the crack within the family after happening and repairing anything capable of being fixed. These are the fifth, sixth, and seventh ways.

Finally, the search came to the result that Islam has surrounded the family with a fence to protect it from falling in the problems and to save it in case these problems occur. All of these are based on a fair system that takes the right of both spouses into consideration

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على أشرف المرسلين، محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

وبعد: يعتبر التراث الفقهي الإسلامي أساسا لعلاج مشاكل الناس الجماعية والفردية، الدينية والدنيوية، وهذا الفقه يمثل النموذج الصحيح الذي ينبغي للمسلم اتباعه، وهو الميزان الذي توزن به أفعال الناس وأقوالهم، فيتبدى صحيحها من سقيمها.

ومن المشكلات الأسرية العويصة التي عالجها القرآن الكريم في أحكامه الفقهية مشكلة الطلاق.

أسباب الاختيار:

لقد دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب أهمها:

أ. تفشي ظاهرة الطلاق في المجتمع المسلم لأتفه الأسباب؛ بحيث أدت إلى تشتيت الأزواج والأطفال.

ب. جهل كثير من الناس بالوسائل الشرعية القادرة على علاج مشاكلهم الدينية والدنيوية مما يستدعي البحث فيها.

الأهداف: لقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أهداف، أهمها:

أ. إظهار قدرة الشريعة على علاج كل المشاكل التي يعاني منها البشر، ومنها الطلاق.

ب. المساهمة في إيجاد حلول شرعية لمشكل كبير يعاني منه المجتمع المسلم.

ج. إظهار الواقعية والتسامح والعدل في علاج القضايا والمشاكل البشرية، ومنها مشكل الطلاق.

المنهج المتبع: لقد اتبعت في هذا البحث المنهج التالي:

أ. توظيف النصوص القرآنية وتفسيرها لاستنباط الوسائل الشرعية التي تحد من استفحال ظاهرة الطلاق.

ب. استقراء فروع الفقه وكلياته في باب الطلاق لجمع أهم الوسائل التي وضعها الشارع من خلال القرآن الكريم للحد من الطلاق وآثاره.

ج. إعمال القواعد، والمقاصد الشرعية في دراسة قضايا الطلاق للتضييق من هوته؛ لأن الحفاظ على الأسرة مقصد شرعي عظيم.

د. ربط الأحكام الشرعية بمقاصدها وعللها بحيث لا تبدو مجردة.

هـ. العمل بالآراء الفقهية التي تقلل من وقوع الطلاق اعتمادا على الأدلة الشرعية.

أسال الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم.

من خلال استقراء فروع الفقه وكلياته من آي القرآن الكريم في باب الطلاق وجدت أن أهم الوسائل التي شرع لها القرآن الكريم للحد من الطلاق وآثاره سبع، وهي:

الوسيلة الأولى: حسن اختيار أحد الزوجين للآخر:

الفرع الأول: أهمية حسن الاختيار: وقد بين القرآن الكريم في عدة مواضع قيمة الزوجة الصالحة ومكانتها في الأسرة والمجتمع والأمة، ومن هذه المواضع:

قول الله تعالى: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور:26].

والمراد بالخبث: خبث الصفات الإنسانية كالفواحش. وكذلك المراد بالطيب: زكاء الصفات الإنسانية من الفضائل المعروفة في البشر[1].

---

[1] التحرير والتنوير، لا بن عاشور:195/194/18

وقد وردت في السنة النبوية عدة نصوص تدعو إلى التزوج بالمرأة الصالحة، والنهي عمن سواها.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء:34]. قال ابن عاشور: وصف الله الصالحات منهن وصفا يفيد رضاه تعالى، فهو في معنى التشريع[1].

ولذا لابد من التريث جيدا قبل الاختيار للزوجين، بالبحث والسؤال والدعاء حتى يحصل اليقين عند أهل الزوجة، أو أهل الزوج.

وقد ضرب القرآن الكريم نماذج للمرأة الصالحة، كـ: زوجة فرعون، ومريم ابنة عمران، ونساء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفرع الثاني: خطورة سوء الاختيار: والذي ينتج عن سوء الاختيار أحد أمرين:

الأول: الاضطراب الأسري: فكثيرا ما يفضي سوء الاختيار إلى تفشي المشاكل الأسرية التي تنتقل عدواها إلى الأطفال.

والثاني: الطلاق: ربما أفضت المشاكل الأسرية إلى وقوع الطلاق وربما تَكَرُّرُهُ، وكل ذلك شر يأباه الزوجان غالبا ويرفضانه أصالة، لكنهما يقعان فيه لاحقا بسبب سوء الاختيار، وما ارتفاع نسب الطلاق في البلدان العربية إلا بسبب ذلك.

الوسيلة الثانية: تطبيق الأحكام الشرعية في تنظيم العلاقة الأسرية: الأصل في حياة المسلم أن تكون منتظمة بقانون الشرع، قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

قال محمد الأمين الشنقيطي:" أقسم الله تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يُؤْمِنُ أحد حتى يحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرا وباطنا، ويسلمه تسليما كليا من غير ممانعة، ولا مدافعة، ولا منازعة"[2].

فتحكيم الشرع في النزاعات الكبرى والصغرى غالبا ما يفضي إلى لَمِّ شمل الأسرة؛ لأن الله تعالى شرع من الوسائل ما يكفل حفظ الأسرة لا تَفَرُّقَهَا.

وقد بين الله تعالى هذا المقصد بقوله:﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:19]. يعني: فتثبتوا، ولا تعجلوا بالطلاق.

وهذه حكمة عظيمة، إذ قد تكره النفوس ما في عاقبته خير، فبعضه يمكن التوصل إلى معرفة ما فيه من الخير عند غوص الرأي، وبعضه قد علم الله أن فيه خيرا لكنه لم يظهر للناس[3].

ولذا نبه الله تعالى في القرآن الكريم على مواضع الخطر التي تعترض الأسرة، وبين كيفية علاجها، وأخطرها هو النشوز من أحد الزوجين، وهو لا يخلو من أن يكون من الزوجة، أو من الزوج:

---

[1] التحرير والتنوير:40/5

[2] أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي:246/1

[3] التحرير والتنوير:287/286/4

أولا: نشوز الزوجة: قال الله تعالى﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء:35].

قال جمهور الفقهاء: النشوز عصيان المرأة زوجها والترفّع عليه، وإظهار كراهية لم تكن معتادة منها بعد أن عاشرته[1].

ثانيا: نشوز الزوج: قال الله تعالى:﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء:128].

قال ابن عاشور: المقصود إثبات أن ماهية الصلح خير للناس، فهو تذييل للأمر بالصلح والترغيب فيه[2].

فلا بد من تحكيم الشرع في إصلاح نشوز ما بين الزوجين من نشوز.

ومن الوسائل المعينة على فض النزاعات الزوجية: التذكير بفضل أحد الزوجين على الآخر: يدل لذلك قوله سبحانه ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[البقرة:237].

فالمراد بالفضل المودة والصلة، والعفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق؛ لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوى، والسماحة لين يَزَعُهُ عن المظالم والقساوة، فتكون التقوى أقرب إليه لكثرة أسبابها فيه[3].

الوسيلة الثالثة: جعل عصمة النكاح بيد الرجل: وقد بين الله تعالى هذا الحكم في القرآن الكريم في كثير من نصوصه، منها قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق:1]. قال ابن العربي معناها: يأيها النبي إذا طلقت أنت والمخْبَرون الذين أخبرتهم بذلك النساء فليكن طلاقهن كذا[4].

وقال ابن حزم: إن الله تعالى لم يجعل قط أمر امرأة بيدها إلا المعتقة ولها زوج فقط، بل جعل أمر النساء إلى الرجال وبأيديهم، فقال تعالى:﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء:34]، وجعل الطلاق إلى الرجال لا إلى النساء[5].

والحكمة من جعل الطلاق بيد الزوج: أن العصمة لو جعلت بيد الزوجين جميعا لأفضى ذلك إلى كثرة حالات الطلاق؛ لأن ذلك يتناسب طرديا مع فرص فك العصمة الزوجية، وقد اقتضت الحكمة الإلهية جعله بيد أحدهما فقط للتقليل من فرص الفرقة؛ ولأن إبقاء العصمة مقصد تشريعي والفرقة ليست كذلك.

---

[1] التحرير والتنوير:47/46/43/42/41/5، بتصرف

[2] التحرير والتنوير:216/215/214/5، بتصرف

[3] المصدر نفسه:465/464/2

[4] أحكام القرآن لابن العربي:1824/4

[5] الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم:602/5

والزوج هو الذي يملك الطلاق؛ لأنه أقدر من المرأة على الصبر، ولأن طبيعة المرأة الخلقية هي سرعة انفعالها بحكم غلبة العاطفة عندها على العقل، فقد تُطَلِّقُ لأتفه الأسباب، وما نلحظه اليوم[1] من الإكثار من حالات الفراق بسبب الخلع خير دليل على ذلك.

قال وهبة الزحيلي: فالزوج أولى من المرأة بإعطائه حق التطليق لما يستتبع الطلاق من أمور مالية من دفع مؤجل المهر، ونفقة العدة والمتعة، وهذه التكاليف المالية من شأنها حمل الرجل على التروي في إيقاع الطلاق، فيكون من الخير والمصلحة جعله في يد من هو أحرص على الزوجية. وأما المرأة فلا تتضرر ماليا بالطلاق، فلا تتروى في إيقاعه بسبب سرعة تأثرها وانفعالها[2].

الوسيلة الرابعة: الحد من عدد حالات الطلاق: شرع الإسلام للزوج الطلاق ثلاثا، وشرع له مراجعة زوجته في الأولين منها، أما الثالثة فلا يراجعها إلا بعد أن تتزوج زوجا غيره ويطلقها، قال تعالى:﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾[البقرة:229].

روى مالك في الموطأ قال: عمد رجل إلى امرأته فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها راجعها، ثم طلقها، ثم قال: والله لا آويك، ولا تحلين أبدا. فأنزل الله تعالى:﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾[البقرة:229]، فاستقبل الناس الطلاق جديدا من يومئذ من كان طلق منهم أو لم يطلق[3].

وقد أخبر الله تعالى عن الطلاق بأنه مرتان، فعلم أن التقدير: حق الزوج في إيقاع التطليق الرجعي مرتان، فأما الطلقة الثالثة فليست برجعية.

قال ابن عاشور مبينا المقصد التشريعي من تحديد الطلاق بثلاث: وحكمة هذا التشريع العظيم ردع الأزواج عن الاستخفاف بحقوق أزواجهم، وجعلهن لعبا في بيوتهم، فجعل للزوج الطلقة الأولى هفوة، والثانية تجربة، والثالثة فراقا.

والفراق عقاب للأزواج المستخفين بحقوق المرأة إذا تكرر منهم ذلك ثلاثا، بعقوبة ترجع إلى إيلام الوجدان، لما ارتكز في النفوس من شدة النفرة من اقتران امرأته برجل آخر، وقد علم السامعون أن اشتراط نكاح زوج آخر هو تربية للمطلقين[4].

الوسيلة الخامسة: تشريع الرجعة، والأحكام المتعلقة بها:

الفرع الأول: تشريع الرجعة: أجمع المسلمون على أن الزوج يملك رجعة الزوجة في الطلاق الرجعي ما دامت في العدة دون اعتبار رضاها[5].

---

[1] عندنا في الجزائر مثلا صار الخلع يقع لأتفه الأسباب كامتناع الزوج من حلق شاربه، أو لأنه يشخر في الليل، أو لأنه يرفض لبس نوع معين من الألبسة، وغيرها كثير.

[2] الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي:361/360/7، وانظر أيضا: التحرير والتنوير:459/2

[3] الموطأ للإمام مالك: كتاب الطلاق، باب جامع الطلاق: 215/4، برقم:1075

[4] التحرير والتنوير:416/415/2، وسيأتي الكلام على من طلق أكثر من مرة في وقت واحد في الوسيلة السابعة.

[5] بداية المجتهد، لابن رشد:104/3

والرجعة من الطلاق الرجعي تقع بأيسر الوسائل، تكون بالقول: كقوله: ارتجعتك، أو ما أشبه ذلك، وتكون بالفعل، وهو أن يستمتع منها بالوطء فما دونه[1].

والرجعة تثبت فيما دون الثلاث، ما لم يكن معه فداء، إذا كانت الزوجة مدخولا بها، ما دامت في عدتها.أما الرجعة في الطلاق البائن: وهو ما دون الثلاث؛ فذلك يقع في غير المدخول بها بلا خلاف، وفي المختلعة باختلاف.

وحكم الرجعة بعد هذا الطلاق حكم ابتداء النكاح؛ يعني: في اشتراط الصداق، والولي، والرضا، إلا أنه لا يعتبر فيه انقضاء العدة عند الجمهور[2].

وقد ثبتت مشروعية الرجعة في القرآن الكريم في عدة نصوص، منها:

قوله تعالى:﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ﴾[البقرة:228] قال ابن عاشور:" وعندي أن هذا ليس مجرد تشريع للمراجعة، بل الآية جامعة لأمرين: حكم المراجعة، وتحضيض المطلقين على مراجعة المطلقات"[3].

فالأزواج أولى برجعتهن في حالة العدة، وذلك في الطلاق الرجعي.

أما المطلقة طلاقا بائنا ببينونة صغرى فيراجعها الزوج أيضا، لكن بعقد ومهر جديدين، واشتراط رضاها.

قوله تعالى:﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ ﴾ [البقرة:231]. فهو تشريع للرجعة، لقصد زيادة الوصاة بحسن المعاملة في الاجتماع والفرقة[4].

قوله تعالى:﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:232].

والمراد من هذه الآية مخاطبة أولياء النساء بألا يمنعوهن من مراجعة أزواجهن، بعد أن أمر المفارقين بإمساكهن بمعروف وَرَغَّبَهُمْ في ذلك[5].

الفرع الثاني: الأحكام المتعلقة بالرجعة: ومن الأحكام الشرعية المترتبة على الرجعة:

أ- **الإشهاد على الطلاق، وعلى الرجعة:** وفيه ثلاثة مذاهب:

أحدهما: أن الإشهاد مندوب إليه في المذاهب الأربعة، منعا للتجاحد، وعدم الاتهام في الإمساك، وعدم التذرع بثبوت الزوجية للإرث بعد الموت[6].

---

[1] القوانين الفقهية لابن جزي:155

[2] بداية المجتهد:106/3، القوانين الفقهية:155، الشرح الكبير للدردير مع حاشية الدسوقي:416/2

[3] المصدر نفسه:322/2

[4] المصدر السابق:422/421/2

[5] التحرير والتنوير:425/2

[6] أحكام القرآن لابن العربي:391/7، التحرير والتنوير:147/15، التفسير المنير لوهبة الزحيلي:276/28

والثاني: أن الإشهاد واجب، وهو قول ابن عباس، وهو ما مال إليه ابن عاشور، وأخذ به يحيى بن بُكير من المالكية[1]، والشافعي، وابن حنبل، وروي عن عمران بن حصين، وطَاوس، وإبراهيم، وأبي قلابة، وعطاء[2]، والشيعة الإمامية[3]، والظاهرية[4].

والثالث: أن الأمر للوجوب في المراجعة دون الفرقة، وهو أحد قولي الشافعي، وأحمد، ونسبه القاضي إسماعيل من فقهاء المالكية ببغداد إلى مالك، وهو ظاهر مذهب ابنِ بكير[5].

وهذه الآراء الثلاثة كلها تخدم وسيلة التضييق على الطلاق؛ لأن الزوج المطلق إذا حوصر بوسيلة الإشهاد تهيب إيقاعه مما يحقق مقصد الحفاظ على الأسرة[6].

لكن مع ملاحظة أن الجميع اتفقوا على أن هذا الإشهاد ليس شرطا في صحة المراجعة أو المفارقة، وأن المراد بالفراق المذكور في الآية إنما هو تركها حتى تنقضي عدتها وأن الفرقة تصح وإن لم يقع الإشهاد عليها ويشهد بعد ذلك[7].

لأنه ـ كما قال الشيخ ابن عاشور ـ إنما شرع الإشهاد احتياطا لحقهما، وتجنبا لنوازل الخصومات خوفا من أن يموت فتدعي أنها زوجة لم تطلق، أو أن تموت هي فيدعي هو ذلك، وكأنهم بنوه على أن الأمر لا يقتضي الفور[8].

ب- **تشريع حق السكنى، والنفقة للمعتدة، وحرمة إخراجها من بيت الزوجية:** وقد دل على هذا الحق عدة نصوص، منها:

قوله تعالى:﴿ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ ﴾ [الطلاق:6].

وقد قال جمهور أهل العلم بوجوب السكنى لهن جميعا[9].

وقوله تعالى:﴿ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ [الطلاق:1]. قال ابن العربي: جعل الله للمطلقة المعتدة السكنى فرضا واجبا وحقا لازما هو لله سبحانه وتعالى، لا يجوز للزوج أن يمسكه عنها، ولا يجوز لها أن تسقطه عن الزوج[10].

والمقصد من تشريع هذا الحق هو قوله تعالى:﴿ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ وهو أمران:

---

[1] قال ابن عاشور:" وظاهر دلالة الأمر على الوجوب. التحرير والتنوير:14/15.

[2] أحكام القرآن لابن العربي:391/7، التحرير والتنوير:147/15

[3] المختصر النافع في فقه الإمامية لأبي القاسم الحلي:222

[4] المحلى لابن حزم:396/9

[5] التحرير والتنوير:147/15

[6] وقد ذهب الشيخ أحمد شاكر رحمه الله إلى ترجيح القول بالوجوب. نظام الطلاق في الإسلام:82/81/80

[7] أحكام القرآن للجصاص:609/3، التحرير والتنوير:147/15

[8] التحرير والتنوير:147/15

[9] بداية المجتهد:71/2، التحرير والتنوير:159/15

[10] أحكام القرآن لابن العربي:1829/4

الأول: ترغيب الزوج في المراجعة لما يجدها في بيته فقد تحن نفسه إليها.

والثاني: الضغط على الزوج في الجانب المالي، لمراجعة حساباته المالية.

ج: **تطويل العدة في الطلاق، وجعلها ثلاثة أشهر، أو ثلاثة قروء:** أي ثلاث حيض، أو ثلاثة أطهار على الخلاف في معنى القرء.

قال الله تعالى مبينا هذا الحكم في عدة مواضع في القرآن الكريم، سأذكر منها موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالى:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة:228]. وواضح من الآية أن كل مطلقة ذات أقراء تعتد بثلاثة.

الموضع الثاني قوله تعالى: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ [الطلاق:4]، وغير ذات الحيض كالصغيرة، والآيس تعتد بثلاثة أشهر[1].

الوسيلة السادسة: إباحة كل ما يوافق مقاصد الزواج، ومنع كل ما يخالفها: والموافقة والمخالفة لا تخلو من أن تكون في:

أولا: المقاصد: والمقصد الأساس من الزواج هو التأبيد لما يترتب على ذلك من المصالح؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:21].

قال ابن عاشور: هذه آية ثانية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج، وكينونة العائلة[2].

ولذا فكل ما خالف عقد الزواج في مقصد التأبيد كالتأقيت في الزواج، ونكاح المتعة[3] فهما ممنوعان شرعا؛ لما يترتب على ذلك من مفسدة كثرة وقوع الطلاق، وغيرها من المفاسد.

وقد صاغ الفقهاء رحمهم الله معنى عاما وضابطا كليا للعقود كلها يبين ما يجوز منها وما لا يجوز، وهي قولهم: العبرة في العقود للمقاصد والمعاني، لا للألفاظ والمباني.

وقد قال محمد رشيد رضا في بيان حكم النكاح المؤقت: إن تشديد علماء السلف والخلف في منع " المتعة " يقتضي منع الزواج بنية الطلاق، وهو أجدر بالبطلان من العقد الذي يشترط فيه التوقيت الذي يكون بالتراضي بين الزوج والمرأة ووليها، ولا يكون فيه من المفسدة إلا العبث بهذه الرابطة العظيمة التي هي أعظم الروابط البشرية[4].

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي:1832/4

[2] التحرير والتنوير:71/21

[3] ومن أحسن ما كتب في المتعة هو فتوى محمود شلتوت حيث قال:" وإن الشريعة التي تبيح للمرأة أن تتزوج في السنة الواحدة أحد عشر رجلا، وتبيح للرجل أن يتزوج كل يوم ما تمكن من النساء دون تحميله شيئا من تبعات الزواج، إن شريعة تبيح هذا لا يمكن أن تكون شريعة رب العالمين، ولا شريعة الإحصان والإعفاف". فتاوى شلتوت:157/.../160.

[4] تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا:15/5

ثانيا: الوسائل: وأهمها في هذا الباب الشروط: والقاعدة فيها: أن كل ما هو في مصلحة الزوجين ولم يناقض نصوص الشرع ولا مقاصده فهو مقبول شرعا، وتجب التوفية به، وكل ما ليس منها في مصلحة الزوجين، أو خالف الشرع في نصوصه، أو مقاصده فهو باطل ومردود.

والمقصد من هذا: تحقيق ما فيه مصلحة الزوجين بما يكفل بقاء الزوجية واستمرارها.

يقول عبد الرحمن السعدي مبينا الأصل في الشروط: الأصل في الشروط هو اللزوم والصحة، إلا ما حلل حراما أو حرم حلالا، سواء كان في العبادات أو في المعاملات[1].

الوسيلة السابعة: إعمال قاعدة مراعاة الخلاف[2] في التضييق من حالات وقوع الطلاق:

والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:78]، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:6]، وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:6/5]؛ فهذه النصوص هي معان كلية صاغ الفقهاء رحمهم الله منها ومن غيرها قاعدة فقهية كبيرة وهي قولهم: **المشقة تجلب التيسير**.

وهي من الناحية الأصولية ترجع إلى قاعدة الاستحسان، والذي من معانيه الأصولية التي عرفه بها الإمام السرخسي رحمه الله هو قوله: **ترك القياس، والأخذ بما هو أرفق للناس**[3].

وقد قال الإمام مالك رحمه الله: **تسعة أعشار العلم الاستحسان**[4].

وقال: **إن المغرق في القياس يكاد يفارق السنة**[5].

والاستحسان في هذا معناه: **الأخذ بمصلحة جزئية في مقابل قاعدة عامة، أو دليل كلي**. ومدار هذا على اعتبار مراعاة المآل.

والاستحسان المقصود هنا الاستحسان بمراعاة خلاف العلماء؛ وأصل هذا النوع من الاستحسان كما ذكر ذلك الشاطبي: يكون فيما إذا ورد في المسألة قولان: أحدهما: راجح والآخر مرجوح، وكان إجراء حكم المسألة على القول الراجح، والتفريع عليه يؤدي إلى مفسدة أو ضرر يساوي مفسدة النهي الأصل أو أكثر منها، فإن المجتهد في هذه الحالة يعدل بحكم المسألة عن القول الراجح إلى القول المرجوح خوفا من حدوث مفسدة أعظم من مصلحة ذلك المطلوب؛ لأنه لا يليق في الشريعة الإسلامية أن تكون الممنوعات إذا وقعت سببا في الحيف على المكلف بزائد على ما شرع له من الزواجر التي شرعت لردعه[6].

---

[1] منظومة القواعد الفقهية للسعدي:129/128/8

[2] وقد عرفها المشاط فقال هو: عبارة عن إعمال المجتهد لدليل خصمه المخالف في لازم مدلوله الذي أعمل في نقيضه دليل آخر. الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة للنجم ابن شاس:235

[3] المبسوط للسرخسي:145/10، والتعريفات للشريف الجرجاني:13

[4] الموافقات للشاطبي:198/5

[5] الفروق للقرافي:382/7

[6] الموافقات:203/4

وعملا بهذه القاعدة في باب الطلاق ينبغي إعمال رأي المخالف إذا أدى إلى التضييق من حالات وقوع الطلاق؛ لأن في وقوعه مشقة وحرجا كبيرين جدا يعودان على الزوجين، والأطفال، وأقاربهم، وعلى جميع فئات المجتمع، ولذا وجب شرعا رفع هذه المشقة والحرج الواقعين أو المتوقع حصولهما.

وإذن فمن أهم الوسائل الشرعية التي تحقق مقصد بقاء الرباط الشرعي بين الزوجين قائما هي إعمال قاعدة مراعاة الخلاف.

وفي نظري أن ذلك لا يخلو من أربع صور:

أولا: الطلاق المعلق: والطلاق المعلق، أو اليمين بالطلاق؛ كأن يعلق الزوج طلاق زوجته على أمر المستقبل، ويوجد المعلق عليه، مثل: إن دخلت الدار فأنت طالق، ونحوها.

وقد اختلف الفقهاء فيه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قال أئمة المذاهب الأربعة: يقع الطلاق المعلق متى وجد المعلق عليه، سواء أكان فعلا لأحد الزوجين، أم كان أَمْرًا سماويا، وسواء أكان التعليق قَسَمِيًّا: وهو الحث على فعل شيء، أو تركه، أو تأكيد الخبر، أم شرطيا يقصد به حصول الجزاء عند حصول الشرط[1].

كقول الزوج لزوجته: إن خرجت بغير إذني فأنت طالق، فخرجت بغير إذنه طلقت عليه في الحال.

القول الثاني: قال ابن تيمية، وابن القيم بالتفصيل: فإن كان التعليق قَسَمِيًّا أو على وجه اليمين ووجد المعلق عليه لا يقع، ويجزيه عند ابن تيمية كفارة يمين إن حنث في يمينه، ولا كفارة عليه عند ابن القيم، وأما إن كان التعليق شرطيا أو على غير وجه اليمين، فيقع الطلاق عند حصول الشرط[2].

القول الثالث: قال الظاهرية، والشيعة الإمامية: اليمين بالطلاق، أو الطلاق المعلق إذا وجد المعلق عليه لا يقع أصلا، سواء أكان على وجه اليمين: وهو ما قصد به الحث على فعل شيء أو تركه، أو تأكيد الخبر، أم لم يكن على وجه اليمين: وهو ما قصد به وقوع الطلاق عند حصول المعلق عليه[3].

وبعد التأمل في المذاهب الثلاثة نجد أن المذهب الثاني أوسطها، والثالث أضيقها[4]، فيمكن أن يعمل بالمذهب الثاني في الحالات العادية، ويعمل بالمذهب الثالث في الحالات العسيرة التي أفضى الحال فيها إلى الفراق النهائي.

وهذان المذهبان يسيران مع التيسير الذي راعاه الشارع في كثير من نصوصه، وهو يتفق مع مقاصد الشريعة التي راعاها الشارع في تشريعه في باب الزواج، وفي غيره.

ومن أهم هذه المقاصد هو ديمومة الأسرة، والحفاظ على تماسكها بالوسائل المشروعة.

---

[1] المبسوط للسرخسي:259/10، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير:366/2، المجموع شرح المهذب للنووي:189/17، كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي:235/5

[2] حاشية ابن عابدين:427/2، زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم:447/7

[3] الفقه الإسلامي وأدلته:447/7، المحلى:518/9، المختصر النافع في فقه الإمامية للحلي:225

[4] وهو مذهب الظاهرية، والشيعة الإمامية، وهو الذي رجحه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فقال:" الطلاق المعلق أو الحلف بالطلاق كله غير صحيح، ولا واقع؛ لأنه ليس من الطلاق المأذون فيه، والرجل لا يملك من الطلاق إلا ما أذنه به الله سبحانه وتعالى". نظام الطلاق في الإسلام:77

ثانيا: طلاق الغضبان وقد اتفق الفقهاء رحمهم الله على قسمين منه، فالشديد لا يقع، واليسير يقع، والمتوسط مختلف فيه إلى مذهبين:

القول الأول: يقع طلاقه؛ لأن له قصدا صحيحا، وهو يشعر بما يقول، ويعلم المرأة التي أوقع عليها الطلاق، فلا عذر له، وهو قول جمهور الفقهاء[1].

القول الثاني: لا طلاق عليه؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول:" لا طلاق، ولا عتاق في إغلاق"[2]، وهذا لا شك أنه مغلق عليه، فكأن أحدا أكرهه حتى طلق، وعلى هذا فيكون الطلاق غير واقع. وهو الذي رجحه ابن عابدين رحمه الله من الحنفية[3].

وهو قول القاضي إسماعيل المالكي، وعلي، وابن عباس، وغيرهما من الصحابة: أن الأيمان المنعقدة كلها في حال الغضب لا تلزم.

وفي سنن الدارقطني بإسناد فيه لين من حديث ابن عباس يرفعه:" لا يمين في غضب، ولا عتاق فيما لا يملك"[4]، وهو وإن لم يثبت رفعه فهو قول ابن عباس، وقد فسر الشافعي:" **لا طلاق في إغلاق**" بالغضب، وفسره به مسروق؛ فهذا من أحسن التفسير؛ لأن الغضبان غلق عليه باب القصد بشدة غضبه، وهو كالمكره، بل الغضبان أولى[5].

وهو الذي رجحه من الحنابلة المعاصرين ابن عثيمين بقوله: وهذا هو الصحيح[6].

وبعد التأمل في المذهبين السابقين يظهر أن المذهب الثاني هو الذي ينبغي أن يعول عليه في الفتوى، وهو القول بالعفو على هذا النوع من الغضب المتوسط، وعدم وقوع الطلاق به، سواء في الطلقة الأولى، أو الثانية، أو في الثالثة؛ إيثارا لمبدأ ظهور القصد في العقود، ومعذرة بما عذرت به الأدلة الشرعية التي رفعت الحرج عن المخطئ، والناسي، والمجنون، والمكره، وهكذا يلحق بهم كل من تأثرت إرادته بموانع التكليف وأشباهها.

وهذا ما أخذت به عدة مجمعات فقهية للإفتاء، منها: دار الإفتاء المصرية، مجلس الإفتاء والبحوث والدراسات الإسلامية بالأردن.

---

[1] حاشية ابن عابدين:489/10، حاشية الدسوقي:65/9، تحفة المحتاج بشرح المنهاج للهيتمي:32/8، الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين:28/13

[2] والحديث أخرجه: أبو داود: كتاب الطلاق، باب في الطلاق على غلط:107/6، برقم:1874، ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي:218/6، برقم:2036

[3] حاشية ابن عابدين:489/10

[4] والحديث بتمامه برواية ابن عباس:" لا نذر إلا فيما أطيع الله فيه، ولا يمين في قطيعة رحم، ولا عتاق، ولا طلاق فيما لا يملك". سنن الدارقطني، باب الطلاق والخلع والإيلاء:214/9، برقم:4366

[5] إعلام الموقعين لابن القيم:52/3

[6] الشرح الممتع على زاد المستقنع:29/13

ثالثا: الطلاق بغير اللفظ الصريح: لا يخلو الطلاق إما أن يكون بالصريح، وإما أن يكون بالكناية، **والصريح**: ما كان ظاهر المراد لغلبة الاستعمال، ولذلك يقع الطلاق به إجماعا، **والكناية**: ما كان اللفظ مستتر المراد فيحتاج فيه إلى النية[1].

واختلف في تفصيلهما إلى ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: قال المالكية[2]، والحنفية[3]، وابن حامد، وابن قدامة من الحنابلة[4]: الصريح هو لفظ الطلاق فقط، وما عدا ذلك كناية.

المذهب الثاني: قال الشافعية[5]، والحنابلة[6]: ألفاظ الطلاق الصريحة ثلاثة: الطلاق، والفراق، والسراح، وهي المذكورة في القرآن، وما عداها كناية.

ففي هذين المذهبين يقع الطلاق بالصريح مطلقا، ويُنَوَّى في الكناية غير الظاهرة.

المذهب الثالث: قال أهل الظاهر: لا يقع طلاق إلا بهذه الألفاظ الثلاثة: الطلاق، والفراق، والسراح[7].

وأضيق المذاهب في هذا هو مذهب الظاهرية، وهو الذي يعد سدا لذريعة الطلاق التي خربت الكثير جدا من البيوت بالطلاق غير الصريح، عملا بقاعدة مراعاة الخلاف؛ لأن العمل بالمذهبين الأول والثاني يفضي إلى انتشار دائرة الطلاق، فتخرب البيوت، وهو حرج شديد واقع على المسلمين لابد من رفعه، فوجب المصير إلى القول الثالث الذي به يتحقق مقصد التشريع وهو ديمومة الأسرة.

رابعا: الطلاق البدعي[8]: وأما الطلاق البدعي، فله صور عديدة، وبعضها وقع فيه الخلاف إن كان سنيا أو بدعيا، ولكن المقصود هنا هو أن نضيق دائرة وقوع البدعي، ونراعي خلاف القائلين بعدم إيقاعه.

ومناط أنواع الطلاق البدعي إما الوقت، أو العدد:

أ- فأما بدعية الطلاق بسبب الوقت: فيعني وقوع الطلقة الواحدة الرجعية على غير الوصف المطلوب شرعا كوقوعه في زمن الحيض، أو في نفاس، أو في طهر مسها فيه.

أما عن وقوع طلاق البدعة، فقد اختلف الفقهاء فيه على قولين:

أحدهما: لجمهور الفقهاء من: الحنفية[9]، والشافعية[10]، والمالكية[1]، والحنابلة[2]، وهو: أنه يقع الطلاق، وكان المطلق عاصيا.

---

[1] تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي:197/2

[2] الشرح الكبير للدردير:378/2

[3] لأن هذه الألفاظ يراد بها الطلاق، وتستعمل فيه لا في غيره فكانت صريحا. تبيين الحقائق:197/2

[4] المغني لابن قدامة:356/10

[5] الحاوي في فقه الشافعي للماوردي:32/10

[6] المغني لابن قدامة:355/10

[7] المحلى لابن حزم:437/9

[8] وسمي الطلاق سنيا بمعنى الطريقة الشرعية التي تطلق في مقابل البدعة، لا أنه ورد في السنة دون القرآن الكريم، فقد ورد فيهما. حاشية الدسوقي:38/9

[9] بدائع الصنائع للكاساني:3/96

[10] المجموع شرح المهذب للنووي:78/17

الثاني: يرى بعض الفقهاء، منهم: الظاهرية[3]، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية من الحنابلة[4]، وهشام بن عبد الحكم، وابن علية من المالكية[5]، والشوكاني من الزيدية، وهو مروي عن ابن عمر، وطاووس، وخلاس بن عمرو: أن الطلاق المحرم لا يقع[6].

ورجحه الشيخ أحمد شاكر نتيجة ترجيحه رواية عدم وقوع الطلاق في الحيض على غيرها، وهي رواية عبد الله بن لهيعة التي فيها:" **ليراجعها فإنها امرأته**"[7]؛ لأنها رواية صحيحة، ولموافقتها لظاهر القرآن الكريم، وللقواعد الشرعية الصحيحة؛ فإن الله أمر بالطلاق لاستقبال العدة، فالمطلق في الحيض مخالف لهذا الأمر، فكان عمله غير صحيح، ولا أثر له[8].

أ- **وأما بدعية الطلاق بسبب العدد**: فيعني وقوعه مخالفا للعدد المطلوب شرعا في الطلاق، فإن طلقها في طهر واحدة فهو للسنة، وإن خالف ذلك بأن طلقها اثنتين أو ثلاثا متفرقات أو مجتمعات، أو في طهر مسها فيه فهو للبدعة.

وقد اختلف الفقهاء رحمهم الله فيمن طلق اثنتين أو ثلاثا متفرقات أو مجتمعات إلى مذهبين:

المذهب الأول: للجمهور منهم أئمة المذاهب الأربعة: يقع به ثلاث طلقات، وهو منقول عن أكثر الصحابة، ومنهم الخلفاء الراشدون غير أبي بكر، والعبادلة الأربعة (ابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وابن مسعود)، وأبي هريرة، وغيرهم، ومنقول عن أكثر التابعين[9].

المذهب الثاني: لبعض الظاهرية[10]، وابن تيمية، وابن القيم: يقع به واحدة، ولا تأثير للفظ فيه[11].

وأخذت به معظم القوانين العربية في مصر، وسورية، والجزائر، وغيرها.

وقد رجحه أيضا أحمد شاكر وقال: إنه لا وقوع له أصالة[12]؛ لأنه مخالف لظاهر القرآن الكريم، وللقواعد الشرعية العامة في العقود، والفسوخ.

---

1 منح الجليل شرح مختصر خليل لعليش:36/4

2 المغني:327/10

3 المحلى:363/9

4 زاد المعاد:218/5/.../223، المغني:327/10

5 عيون المجالس للقاضي عبد الوهاب:1214/1213/3

6 فقه السنة لسيد سابق:266/2

7 وهذه الرواية أخرجها الإمام أحمد في مسنده:347/23، برقم:15150، وهي من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير. وقد ذكره الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:229/2، وقال: ورجاله رجال الصحيح، خلا ابن لهيعة، وحديثه حسن.

8 نظام الطلاق في الإسلام:17/.../22

9 بداية المجتهد:61/2، القوانين الفقهية لابن جزي:150، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني:80/2، تبيين الحقائق:198/2، المغني:330/10، الفقه الإسلامي وأدلته:383/9

10 يبدو أن هذا الرأي ليس لابن حزم رحمه الله، فما في المحلى أنه يقع ثلاثا. المحلى:406/405/9

11 بداية المجتهد:61/2، الفقه الإسلامي وأدلته:384/9

12 لأن العقود كالبيع، والنكاح، والفسوخ ـ كالإقالة، والطلاق ـ حقائق معنوية، لا وجود لها في الخارج إلا بإيجادها بالدلالة عليها بالألفاظ التي وضعت لها في العرف اللغوي، والعرف الشرعي، فهذه الحقائق توجد عند النطق بالألفاظ الموضوعة لها بشروطها، لا قبله. نظام الطلاق في الإسلام:31

وذكر أن الأساس الذي بنى عليه المتقدمون رأيهم في الطلاق الثلاث، وفي التَّنْوِيَةِ في الطلاق غير الصريح هو الاحتياط في الحل والحرمة، ولكنهم تغالوا فيه فأوقعوا الطلاق ولو بالشبهة[1].

وهو مخرج على قاعدة السياسة الشرعية في النظر في المصالح مما جعل الله للحكام بعد استشارة أولي الأمر وهم العلماء[2].

وبعد هذا العرض المفصل عن الطلاق البدعي فإن الذي ينبغي أن يعول عليه هنا هو العمل بالتضييق في إيقاع طلاق البدعة، وذلك بالعمل بالرأي الثاني المضيق للطلاق مراعاة للخلاف؛ لأن العمل بالرأي الراجح إذا أفضى إلى لحوق الحرج أو المشقة بالمكلف وجب رفعهما شرعا، وذلك بالعدول عن الرأي الراجح إلى الرأي المرجوح الذي يتحقق به رفع الحرج والمشقة عن المكلف فيصير راجحا.

الخاتمة: وفي نهاية هذا البحث نذكر أهم النتائج المتوصل إليها، وهي:

- أن الشريعة الإسلامية ربانية، فيجب أن يرجع المسلمون في علاج مشاكلهم إليها، لا أن يعزفوا عنها، فذلك ممنوع شرعا.
- قدرة الشارع على علاج المشكلات الواقعة أو المتوقعة في حياة الإنسان كلها عملا بالأدلة الشرعية ومقاصدها.
- أعمل الشارع كل الوسائل المشروعة للحد من الطلاق وتضييق وقوعه، بحيث لا تبين المطلقة إلا في حالتين، وهما: الخروج من العدة، لكن تراجع بعقد ومهر جديدين، وأن يطلقها ثلاثا متفرقات. **والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد**

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

كتب التفسير

2. أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
3. أحكام القرآن للجصاص الحنفي، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1415 هـ /1994م
4. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة: 1415 هـ - 1995 م
5. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، دار تونس للطباعة والنشر
6. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م
7. التفسير المنير للدكتور: وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2: 1418هـ

كتب الحديث

[1] المصدر نفسه:12/11

[2] المصدر نفسه:54

8. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر

9. **سنن الدارقطني لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني، المدني، دار المعرفة، بيروت، 1386 هـ 1966 م**

10. **صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، تحقيق الدكتور مصطفى ذيب البغا، الطبعة الثالثة، 1407 هـ. 1987 م**

11. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان

12. مسند الإمام أحمد، تحقق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1 :1421 هـ /2001م

13. الموطأ للإمام مالك، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

كتب الفقه وأصوله

14. الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، إخراج الشيخ أحمد محمد شاكر، وقدم له الأستاذ الدكتور: إحسان عباس، منشورات دار الأوقاف الجديدة، بيروت

15. **إعلام الموقعين لابن القيم، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973م**

16. الفروق للقرافي، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية: أ.د علي جمعة محمد، أ.د محمد أحمد سراج، دار السلام، ط1 1421 هـ. 2001 م

17. منظومة القواعد الفقهية للسعدي، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، ط1:1431 هـ/2010م

18. الموافقات للشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م

كتب الفقه:

19. **بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد ابن رشد، دار الفكر، بيروت**

20. بدائع الصنائع للكاساني، دار الكتب العلمية، ط2: 1406 هـ/1968م

21. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي، الطبعة الأميرية، بولاق القاهرة، ط1: 1313هـ

22. تحفة المحتاج بشرح المنهاج للهيتمي، المكتبة التجارية بمصر، بدون، 1357 هـ/1983م

23. **الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة للنجم ابن شاس، لجلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1423 هـ. 2003م، تحقيق: الدكتور حميد بن محمد لحمر**

24. حاشية ابن عابدين، لمحمد أمين بن عابدين، الطبعة الثانية، 1386 هـ، دار الفكر، بيروت

25. **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، دار الفكر، بيروت، لبنان**

26. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ت يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، بدون، 1414هـ/1994م

27. الحاوي في فقه الشافعي للماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1414هـ/1994م

28. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، الطبعة الرابعة عشر، 1407 – 1986، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط
29. الشرح الكبير للدردير، دار الفكر، بيروت
30. الشرح الممتع على زاد المستقنع لفضيلة العلامة محمد الصالح بن عثيمين، دار ابن الجوزي، ط1: 1422هـ
31. عيون المجالس للقاضي عبد الوهاب البغدادي، تحقيق ودراسة:امباي بن كيباكاه، محمد الرشد، الرياض، ط1: 1421هـ/2000م
32. فتاوى الشيخ محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ط18: 1424هـ/2004م
33. الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور: وهبة الزحيلي، **دار** الفكر، دمشق، سورية
34. فقه السنة لسيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان
35. القوانين الفقهية لابن جزي، بدون طبع
36. كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي، تحقيق محمد أمين الضناوي، عالم الكتب
37. المبسوط للسرخسي، دار المعرفة، بيروت
38. المجموع شرح المهذب للنووي، دار الفكر
39. المحلى لابن حزم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
40. المختصر النافع في فقه الإمامية لأبي القاسم الحلي، دار الأضواء، بيروت، لبنان
41. المغني لابن قدامة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض
42. منح الجليل شرح مختصر خليل لعليش، دار الفكر بيروت، بدون، 1409هـ/1989م
43. نظام الطلاق في الإسلام للعلامة أحمد شاكر، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة

كتب عامة:

44. كتاب التعريفات، للشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة 1985م

أثر القياس في الفقه الجنائي عند المالكية

أ. ياسين باهي
جامعة غرداية

ملخص الدراسة:

تأتي هذه الدراسة الموسومة بـ: **"أثر القياس في الفقه الجنائي عند المالكية (مباحث مختارة)"** لتجيب عن إشكالين رئيسين هما: هل لمباحث القياس أثر في الفقه الجنائي الذي يغلب عنه التعبّد؟ وهل أعمل المالكيّة مباحث القياس في الفقه الجنائي كغيره من الأبواب الفقهية؟ ولأجل الوصول إلى شيء من المؤمّل منها قُسّمت الدراسة على تسعة مطالب في مباحث مختارة من مباحث القياس, وقد خلصت إلى نتائج أهمها أنّه للقياس أثر بالغ جدا في فروع الفقه الجنائي عند المالكية, كما أوصت بتوصيات أهمها ضرورة توسيع دائرة البحث لتشمل كلّ المباحث الأصولية وأثرها في الفقه الجنائي عند المالكية, وضرورة تدريس أصول الفقه مرتبطا بفروع الفقه، حتى يؤدي دوره الذي أُنيط به.

كلمات دلاليّة: القياس – الفقه الجنائي – المالكية.

Abstract:

This study is titled: "The Impact of Measurement in Criminal Jurisprudence at the Maalikis (Selected Investigations)" to answer two major problems: Are measurement measures having an impact on criminal jurisprudence, which is predominantly worship? And do the Maalikis conduct measurement investigations in criminal jurisprudence like other sections of jurisprudence? In order to arrive at some of the hoped for, the study was divided into nine demands in selected subjects of measurement. It concluded that the measurement has a very significant effect in the branches of criminal jurisprudence at the Maalikis, and recommended the expansion of the research to include all fundamentalist scholars and their impact. The criminal jurisprudence of the Maalikis, and the need to teach the fundamentals of jurisprudence linked to branches of jurisprudence, so as to perform the role entrusted to him.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، أما بعد:

لقد عُني علماء الإسلام بتأصيل الفقه عناية فائقة تدلّ على العقلية الإسلاميّة الجبّارة, وكان من مباحث علم أصول الفقه التي نالت حظّها من الأخذ والردّ: القياسُ, بكل تفاصيله ابتداءً من حجّيّته وانتهاءً بجزئيّاته الدقيقة, كما أنّ علماءَنا عُنُوا بربط الفروع الفقهية بأصولها, إمّا تمثيلا أو تخريجا, وإنّي أحببتُ أن أسهم في هذا بشيء يسير عسى أن يكون لبنة في بناء علميّ متين, مكتفيا بما جاء في أبواب الفقه الجنائي عند المالكية, فجاءت هذه الدراسة موسومة بما يأتي: **"أثر القياس في الفقه الجنائي عند المالكية (مباحث مختارة)"**, ولعل الإشكالين الرئيسين الذين يرجى الإجابة عنها في هذه الدراسة كالآتي:

- هل لمباحث القياس أثر في الفقه الجنائي الذي يغلُبُ عنه التعبّد؟
- هل أعمل المالكيّة مباحث القياس في الفقه الجنائي كغيره من أبواب الفقه؟

ومن أجل تحقيق شيء من المراد, فقد جاءت خطة البحث كالآتي:

المطلب الأول: الإلحاق بنفي الفارق

المطلب الثاني: قياس العلة

المطلب الثالث: قياس الشبه

المطلب الرابع: عدم اختصاص الأصل بالحكم من شروط القياس

المطلب الخامس: ترتيب الحكم على الوصف بالفاء يقتضي العلية

المطلب السادس: جريان القياس في اللغات

المطلب السابع: جريان القياس في الأسباب

المطلب الثامن: جريان القياس في الحدود

المطلب التاسع: فساد الاعتبار من قوادح القياس

المطلب الأول: الإلحاق بنفي الفارق

الفرع الأول: التعريف بالقاعدة

إلحاق المسكوت عنه بالمنطوق به بنفي الفارق بينهما لا يكاد ينكره إلا مكابر، وهو نوع من القياس الجلي، ويسميه الشافعيُّ القياسَ في معنى الأصل، وأكثر أهل الأصول لا يطلقون عليه اسم القياس، مع أنه إلحاق مسكوت عنه بمنطوق به؛ لعدم الفرق بينهما؛ أعني: الفرق المؤثر في الحكم، والإلحاق بنفي الفارق لا يُحتاج فيه إلى وصف جامع بين الأصل والفرع؛ والذي هو العلة؛ بل يقال فيه: لم يوجد بين هذا المنطوق به وهذا المسكوت عنه فرق، يؤثر في الحكم البتّة؛ فهو مثله في الحكم، وأقسامه أربعة: المسكوت عنه إما أن يكون مساويا للمنطوق به في الحكم، أو أَولى به منه، وفي كلٍّ منهما إما أن يكون نفي الفارق بينهما مقطوعا به أو مظنونا[1].

ومثاله: إلحاق العبد بالأمة في حد الزنا، حيث قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [سورة النساء: 26]، **ووجه الدلالة من الآية** أنّ إلحاق العبد بالأمة في تشطير حدّ الزنى بالرقّ; لأنّ مناط التشطير الرقّ بلا شكّ; لأن الذكورة والأنوثة بالنسبة إلى الحدود وصفان طرديان، لا يترتب عليهما حكم[2].

الفرع الثاني: أثر القاعدة في المسائل الفقهية

لقد ظهر أثر هذه القاعدة الأصولية على عدد من الفروع الفقهيّة منها ما يأتي:

أولا- مطالبة الأولياء بدم الجاني بعد موت المجروح المعفو عنه منها:

إذا عفا المجروح عن الجراحات، فمات منها هل للأولياء أن يطالبوا بدمه أم لا؟

---

[1] ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، 175/4-176؛ ومذكرة في أصول الفقه، ص298-300.

[2] ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، 367/5.

مذهب مالك أنّ لولاته أن يقسموا في العمد ويقتلوا، وفي الخطأ يأخذون الدية من العاقلة، ويردون ما أخذ وليهم في الصلح، إلا أن يقول المجروح عفوت عن الجراحات وعما تؤول إليه؛ لأنه إذا كان عفوه عن الدم لا يسقط حق الولي في الدية، **فأحرى** أن لا يسقط عفوه عن الجرح[1]. **وهذا من قياس الأولى.**

ثانيا- توجّه القذف للمرأة وللرجل:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 4]، ذكر حدّ القذف فيهن، ولم يذكره في قاذف الحرّ المحصن، فلم يكن ما خصّ بالذكر يرفع الحدّ عن من لم يذكر، من قاذف الرجل، قال: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور: 8]، ولم يذكر العذاب في نكول الرجل، فَنَاب ذِكره في المرأة عن من لم يذكر من الرجل إذا نكل[2]، و"هذا من الحكم المسكوت عنه بحكم ما يشبهه من المذكور"[3].

ثالثا- قتل المرأة المرتدة

قال سحنون: "قول النبي ﷺ: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»[4] عامٌّ، وقد روي عنه ﷺ في امرأة ارتدت الاستتابةُ. واستتاب أبوبكر ﷺ أم فرقد، ونهى النبي ﷺ عن قتل النساء في دار الحرب؛ لأنّهنّ لا شوكة لهن، ألا ترى لو قاتلت لقُتلت، وقد **ساوى** الله - عز وجل - في حدّ الزنى في الإحصان بين الرجل والمرأة في القتل، وكذلك في الكفر الذي هو **أعظم**.

وقول من قال إن قول النبي ﷺ «**من بدّل دينه فاقتلوه**»، إنّما هو فيمن حكم النبي ﷺ فيه لو كان كافرا أو حربيا يلزمه أن يقول في الأعمى والمُقعد يرتدّان لا يقتل؛ لأنه لو كان كافرا لم يُقتل، فهذا غير مقول"[5].

المطلب الثاني: قياس العلة

الفرع الأول: التعريف بالقاعدة

قياس العلة هو أن يكون الجمع بين الفرع والأصل بنفس علّة الحكم، فالجمع بين النبيذ والخمر بنفس العلة التي هي الإسكار، والقصد مطلق التمثيل؛ لأنّ قياس النبيذ على الخمر لا يصحّ؛ لوجود النصّ على أنّ كلّ مسكر خمر، وأنّ ما أسكر كثيره فقليله حرام، والقياس لا يصح مع التنصيص على أنّ حكم الفرع المذكور كحكم الأصل، إلا أن المثال يصحّ بالتقدير والفرض، ومطلق الاحتمال[6].

الفرع الثاني: أثر القاعدة في الفروع الفقهية

لقد ظهر أثر هذه القاعدة الأصولية على عدد من الفروع الفقهيّة منها ما يأتي:

---

[1] ينظر: ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، 89/14؛ وابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 186/4.

[2] ينظر: ابن أبي زيد القيرواني، الذب عن مذهب الإمام مالك، 463/2؛ ومحمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، ص414.

[3] ابن يونس، الجامع لمسائل المدونة، 441/22.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، حديث رقم: 6922، 15/9.

[5] ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، 495/14.

[6] ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، 178/4.

أولا- حدّ العبد الزاني:

اتفق الأئمة الأربعة أن العبد الزاني يجلد خمسين جلدة كالأمة[1]، ومما استدلوا به قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [سورة النساء: 25]، **ووجه الدلالة من الآية** أنّ العبد في حدوده على النصف من حدود الأحرار، وهو كذلك فيما لحقه مما يشبه الحدّ؛ لأنّ حرمته أخفض من حرمة الحر، والعبد في معنى الأمة بجامع الرّق[2].

المطلب الثالث: قياس الشَّبَه

الفرع الأول: التعريف بالقاعدة

قياس الشَّبَه "هو تردّد الفرع بين أصلين، ويكون شَبَهُه بأحدهما أكثَرَ؛ فنلحق الفرع بأكثرهما شبها"[3]، وهو على ضربين شَبَه خَلْقي وشَبَه حُكْمي، فأمّا الشبه الخلقي فكإجماع الصحابة على جزاء الحمامة بالشاة والنعامة بالبدنة؛ لما بينهما من تشابه الخِلقة، وأمّا الشبه الحكمي كقول علمائنا في الدليل على أن الوضوء يفتقر إلى النية؛ لأنه طهارة حُكْمية فافتقرت إلى النية كالتيمم, وقد اختلف الناس في قياس الشبه: فمنهم من نَفَاه, ومنهم من أثبته, ومنهم من فصَّله[4].

الفرع الثاني: أثر القاعدة في الفروع الفقهية

لقد ظهر أثر هذه القاعدة الأصولية على عدد من الفروع الفقهيّة منها ما يأتي:

أولا- قتلُ الحرِّ العبدَ خطأً:

اتفق الأئمة الأربعة على وجوب القيمة في قتل الحر للعبد خطأً إذا كان قليل القيمة، بأن كانت قيمتُه أقلَّ من دية الحر، فإنه تجب قيمته بالغة ما بلغت[5]، ولكن اختلفوا إن كانت كَدِية الحر، أو زادت على ذلك, ومذهب مالك على أنّه تجب فيه القيمة بالغة ما بلغت، وإن زادت على دية الحر؛ لأنّه مملوك فوجب أن يُضمن في إتلافه بكمال قيمته كالبهائم والسِّلع، ولأنّه نسب يضمن به العبد، فوجب أن يضمن بكمال قيمته, أصلُه اليد والعين[6].

ثانيا- على من يجب قيمة العبد في الدية؟

إذا قتل الحرُّ عبدا، فوجبت فيه القيمة، فعلى من تجب، على القاتل أو على عاقلته؟

(1) محمد بن الحسن، الأصل، 178/7؛ وابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة، 170/2؛ والنووي، المجموع شرح المهذب، 14/20؛ والخرقي، مختصر الخرقي، ص133.

(2) ينظر: ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، 763/2؛ ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح الموطأ، 241/4؛

(3) عبد الكريم النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، 1627/4.

(4) ينظر: ابن العربي، المحصول في أصول الفقه، ص127.

(5) ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، 198/7؛ والقاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، 1338/3؛ والماوردي، الإقناع في الفقه الشافعي، ص166؛ والخرقي، مختصر الخرقي، ص124.

(6) ينظر: القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، 1338/3.

بُنيت هذه المسألة على القاعدة من جهة تردد العبد بين المالية والآدمية، فاختلفوا فيها على قولين، ومذهب المالكية أنّ الواجب في العبد من قيمةٍ على القاتل نفسِه[1]، وعمدتهم في ذلك تشبيهُ العبد بالمال، من كونه يجوز بيعه، ورهنه، وإجارته، وإرثه[2].

ثالثا- جراح العبيد وقطع أعضائهم:

اختلف العلماء في جراح العبيد وقطع أعضائهم بناءً على اختلافهم كذلك في تردد العبد بين المالية والآدمية على أقوال، ومذهب المالكيّة أنّه يُعتبر "في كل جناية على العبد فيما دون النفس ما نقص عن قيمته، إلا في الشجاج الأربع: المُوضِحة والمنقولة والمأمومة والجائفة[3]، ففي كل واحدة من هذه بقيمته بقدر ما في الحر من ديته، ففي موضحة العبد نصف عشر قيمته وفي منقلته عشر ونصف عشر قيمته، وفي مأمومته ثلث قيمته، وكذلك للجائفة...لأنّها جناية على مملوك أتلف جزءًا منه، وأثّرت نقصا فيه، فوجب أن يكون فيها بقدر ما نقص من قيمتها، أصلُه البهائم، فأما الشجاج الأربع، فإنما قلنا إنّ فيها بقدر ما في الحرّ من ديته؛ لأنّها قد تبرأ على غير نقص، فلو لم يجعل فيها بقدر ما في دية الحرّ من قيمة العبد؛ لأدّى ذلك إلى بطلانها؛ لأنّه ليس هنالك نقص من القيمة يرجع إليه، وسائر الجراح بخلافها؛ لأنّها تؤثّر نقصا لا محالة[4].

المطلب الرابع: عدم اختصاص الأصل بالحكم من شروط القياس

الفرع الأول: التعريف بالقاعدة

من شروط حكم الأصل في القياس "أن لا يكون حكم الأصل معدولا به عن سَنَن القياس، أي لا يكون على خلاف قاعدة مستقرة في الشرع، ولا يكون مما لا يُعقل حكمته، كقبول شهادة خزيمة وحده والحكم به، فإنّه على خلاف قاعدة الشهادة التي استقرت في الشرع، ولم يعقل حكمته، وكأعداد الركعات، ومقادير الحدود والكفارات, فإنها وإن لم تكن على خلاف قاعدة مستقرة في الشرع، لكنّها لا تعقل حكمتها"[5].

الفرع الثاني: أثر القاعدة في المسائل الفقهية

لقد ظهر أثر هذه القاعدة الأصولية على عدد من الفروع الفقهيّة منها ما يأتي:

أولا- ابتداء المدّعين بالأيمان في القسامة:

---

[1] ينظر: سحنون، المدونة، 180/4

[2] ينظر: القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، 1338/3؛ وابن رشد الجد، المقدمات الممهدات، 296/3.

[3] **المُوَضِّحَة:** هي من شجاج الرأس والوجه، وتصل إلى العظم، وسُمِّيت موضحة لأنها أبدت وَضَحَ العظم، وهو بياضه، وفيها خمس من الإبل، **والمُنَقِّلة:** هي التي تكسر العظام وتُزيلها عن مواضعها، فيحتاج إلى نقل العظم ليلتئم، وفيها خمس عشرة من الإبل، **والمَأْمُومَة:** هي الجراحة الواصلة إلى أمّ الدماغ، وهي جلدة فيها الدماغ؛ سمّيت أمَّ الدماغ؛ لأنها تحوطه وتجمعه، وأرشها ثلث الدية، **والجائفة:** جراح يصل إلى الجوف. ينظر: ابن الجلاب، التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس، 202/2؛ وابن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك، 45/7.

[4] القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، 1338/3.

[5] أبو الثناء الأصبهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، 19/3.

ذهب القائلون بابتداء المدّعين بالأيمان في القسامة، إلى أنّه لا يُقاس على القسامة حكم آخر فيُبدأ فيه بأيمان المُدَّعِين؛ لأنّ من شروط القياس أن لا يكون الأصل مخصوصا بالحكم، وهنا قد خُصَّت القسامة بالحكم، فلا يُقاس عليها غيرها؛ لانعدام النظير[1].

ثانيا- قتل الصبيان:

نهى رسول الله ﷺ عن قتل الصبيان، وأوصى بها جيوشه، فورد في صحيح مسلم: "وإنّ رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان، إلا أن تكون تعلم ما علم الخضر من الصبي الذي قتل"[2]، يريد أنّ الله -سبحانه- أعلمه أنّه كافر، وقتْلُه إنما يكون بإذن الله -تعالى- فلا يُقاس عليه غيره, وقد قال -سبحانه وتعالى- حاكيا عن الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: 82][3].

المطلب الخامس: ترتيب الحكم على الوصف بالفاء يقتضي العِلّيّة

الفرع الأول: التعريف بالقاعدة

مِن أضرب إثبات العلّة بالنقل: الإيماءُ والتنبيهُ، وهو أن يقرن الحكم بوصف على وجه لو لم يكن علّة لكان الكلام معيبا عند العقلاء، ومن أنواعه أن يذكر الحكم عقب وصف بالفاء فيدلّ على أنّ ذلك الوصف علّة لذلك الحكم، وهو على وجهين:

الأول: أن تدخل الفاء على كلام الشارع، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [سورة المائدة: 38]، حيث جاء الوصف وهو السرقة، ثم جاء بعده الحكم مقرونا بالفاء وهو القطع، فدلّ على أنّ السرقة علّة القطع.

والثاني: أن تدخل على رواية الراوي، كقول الراوي: « **أن النبيَّ ﷺ صلَّى بهم، فسها فسجد سجدتين، ثم تشهّد، ثم سَلَّم** »[4]، و«**زنى ماعز فرجم**»[5]، ولا فرق بين أن يكون الراوي فقيها أو غيره; لأنّ الظاهر من حال الراوي العدل أنّه لو لم يفهم كون الوصف علّة، لم يقله[6].

الفرع الثاني: أثر القاعدة في المسائل الفقهية

لقد ظهر أثر هذه القاعدة الأصولية على عدد من الفروع الفقهيّة منها ما يأتي:

أولا- ضمان الراجعين عن الشهادة في الرجم:

---

[1] ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 57/8؛ والبابرتي الحنفي، الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، 468/2.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم، والنهي عن قتل صبيان أهل الحرب، حديث رقم: 1812، 1445/3.

[3] ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 207/6-208.

[4] أخرجه أبو داود في سننه, كتاب الصلاة, باب سجدتي السهو فيهما تشهُّدٌ وتسليم, حديث رقم: 1039, 272/2. قال محققاه شعيب الأرنؤوط ومحمد كامِل قره بللي: "إسناده صحيح".

[5] لم أعثر عليه بهذا اللفظ.

[6] ينظر: أبو الثناء الأصبهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، 91/3-92؛ ومحمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، ص302.

إن شهد أربعة بالزنى، واثنان بالإحصان على شخص, فرُجم، ثم رجع جميعهم عن الشهادة، حُدَّ شهود الزنى دون شهود الإحصان، واختُلف في الدية على ثلاثة أقوال، والمعتمد في المذهب قول ابن القاسم وهو أنّ الدية على شهود الزنى، ولا شيء على شاهدي الإحصان، رجعا بانفرادهما، أو رجع معهما شهود الزنى[1]؛ لأنّ الزنا علَّة الرجم، لحديث: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل زنى، وهو محصن فرجم...**»[2]، وحُكْم الرجم قد أتى بعد وصف الزنا مقرونا بالفاء.

المطلب السادس: جريان القياس في اللغات

الفرع الأول: التعريف بالقاعدة

سيكون بيانُ معنى القاعدة من خلال تحرير محل النزاع فيها:

أولا- أسماء الأعلام كمحمد وزيد قد أجمع العلماء على أنّه لا يجري القياس فيها؛ لأنها غير موضوعة لمعان موجبة لها، وليست معقولة المعاني.

ثانيا- أسماء الصفات كالعالم والقادر، فقد أجمع العلماء على أنه لا يجري القياس فيها؛ لأنها واجبة الاطراد؛ نظرا إلى تحقق معنى الاسم؛ لأن مسمى العالم - مثلا- من قام به العلم، وهو متحقّق في حقّ كلّ من قام به العلم، فكان إطلاق اسم العالم عليه ثابتا بالوضع، لا بالقياس؛ لأنّه ليس قياس أحد الجزأين المتماثلين في المسمّى على الآخر أوْلى من العكس.

ثالثا- أسماء الأجناس والأنواع الموضوعة على مسمّياتها مستلزمة لمعان في محالّها وجودا وعدما قد اختلف العلماء فيها هل يجري فيها القياس؟ مثل إطلاق اسم (السارق) على النباش بواسطة مشاركته للسارقين من الأحياء في أخذ المال على سبيل الحقيقة، ومثل: إطلاق اسم (الخمر) على النبيذ بواسطة مشاركته للمعتصر من العنب في الشدة المطربة المخمرة على العقل[3].

وقد اختلف العلماء في ذلك على مذهبين:

المذهب الأول: يجوز إثبات اللغة بالقياس، فيجوز أن يُسمَّى النباش سارقا، والنبيذ خمرا، وذهب إلى ذلك بعض المالكية كابن القصار[4].

المذهب الثاني: لا يجوز إثبات اللغة بالقياس، فلا يجوز أن يُسمَّى النبيذ خمرا، وذهب إلى ذلك بعض المالكية كالباقلاني[5].

وفائدة الخلاف:

---

[1] ينظر: اللخمي، التبصرة، 6170/13؛ والقرافي، الذخيرة، 304/10؛ والدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، 207/4.

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الحدود، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث، حديث رقم: 2533، 573/3. قال محققه شعيب الأرنؤوط: "صحيح".

[3] ينظر: عبد الكريم النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، 1045/3-1047.

[4] ينظر: ابن القصار، مقدمة في أصول الفقه، ص199-200.

[5] ينظر: الباقلاني، التقريب والإرشاد، 361/1؛ وأبو زكريا الرهوني، تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السول، 386/1.

أن المثبت للقياس في اللغة يستغني عن القياس الشرعي، فيكون إيجاب الحدّ على شارب النبيذ، والقطع على النباش بالنصّ، ومن أنكر القياس في اللغة جعل ثبوت ذلك بالشرع[1].

الفرع الثاني: أثر القاعدة في المسائل الفقهية

لقد ظهر أثر هذه القاعدة الأصولية على عدد من الفروع الفقهيّة منها ما يأتي:

أولا- حكم من عَمِلَ عَمَل قوم لوط:

أجمع أهل العلم على تحريم اللواط[2]، وقد ورد ذمّه في القرآن الكريم، فقال الله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [سورة الأعراف: 80- 81].

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أن قال: «**لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط**»[3].

وقد اختلف العلماء في عقوبة اللواط على أقوال، ومذهب المالكية أنّه يقتل الفاعل والمفعول به مطلقا، سواءً كانا محصنين أم لا[4]، ومما استدلوا به حديث: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»[5]، وهو إيلاجٌ في فرج آدمي، فكان الرجم متعلّقا به كالمرأة، ولأنّه فرجٌ يقصد الالتذاذ به غالبا كالقُبُل، ولأنّ الحدّ في الزنا إنّما وضع ردعا وزجرا؛ لئلا يعود إلى مثله، ووجدنا الطباع تميل إلى الالتذاذ بإصابة هذا الفرج كمَيْلها إلى القُبُل، فوجب أن يتعلّق به من الردع ما يتعلق بالقُبُل، ولأنّ هذا أشدّ وأغلظ، ولأنَّ استباحته لا تؤثر فيه على وجه لحرمته، والقُبُل يتعلّق به الاستباحة، فإذا وجب الحدّ في القُبُل كان هذا أَولى، ولا يُراعَى فيه الإحصان لعموم الخبر، ولأنّ الإحصان يُعْتَبَر في الزنا، وهذا ليس بزنا، بدليل أنّ العرب لا تسمّي إتيان الرجل للرجل زنىً، ولأنّ محلّ الزنا عندهم محلُّ الحلال، وإنّما سمّي زنا لأنّه على غير الوجه المباح، وما لا يمكن محلّا للحلال على وجه، فلا يسمّى زنا، كفرج البهيمة إذا أُتيت أنّه ليس بزنا لم يعتبر فيه الإحصان[6]، وهذا القول مخرّج على منع إجراء القياس في اللغات.

ثانيا- حدّ النباش:

اختلف العلماء في من ينبش قبور الموتى لأخذ أكفانهم، هل هو سارق فتقطع يده أو لا؟ وذلك بناءً على اختلافهم في مسألة جريان القياس في اللغات، فمن قال بجريان القياس في اللغات، قال بأنّ النباش سارق،

---

[1] ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، ص208.

[2] ينظر: ابن بزيزة، روضة المستبين في شرح كتاب التلقين، 1286/2.

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم: 2814، 250/3. قال محققه شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

[4] الخرشي، شرح مختصر خليل، 82/8.

[5] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، 510/6. قال الألباني: " صحيح". **ينظر:** إرواء الغليل، 17/8.

[6] ينظر: القاضي عبد الوهاب، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، 862/2-863.

فتُقْطع يده، ومن قال بعدم جريان القياس في اللغات، قال بأنّ النباش ليس بسارق، فلا يقام عليه حدّ السرقة. قال الجمهور حدّ النباش هو القطع، خلافا لأبي حنيفة ومحمد بن الحسن[1]، ومما استدلوا به: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة المائدة: 38]

ووجه الاستدلال: أنّ النباش سارق بدليل أنّ السّرقة أخذ الشيء على طريق الاستخفاء، وهذا قد وُجد، وإذا ثبت بما ذكرناه كونه سارقا يتناوله عموم الآية، ولأنّ كلّ حكم تعلّق بسرقة مال الحي جاز أن يتعلّق بسرقة إخراج كفن الميت من القبر، أصلُه الضمان، ولأنّه سارق لمال مقدّر من حرز مثلِه مع ارتفاع الشبهة عنه، فلزمه القطع إذا كان من أهله كسائر السراق، ويتبيّن أنّ القبر حرز للكفن, وأنّ حرز كلّ شيء على حسب العرف فيه، والحرز في إحراز الكفن أن يكون على الميت في القبر[2].

المطلب السابع: جريان القياس في الأسباب

الفرع الأول: التعريف بالقاعدة

القياس في الأسباب هو أن يجعل الشارع وصفا سببا لحكم، فيُقاس عليه وصف آخر، فُيحكم بكونه سببا أيضا، فالنبي ﷺ جعل الغضب سببا لمنع الحكم من القضاء، فيقاس على الغضب الجوع والحزن مثلا، فتُجعل أسبابا لمنع القضاة أيضا.

واعلم أن أكثر الأصوليين على منع القياس في الأسباب والشروط والموانع، وجعلوا المثال الذي ذكرناه ونحوه من تنقيح المناط، وهو مفهوم الموافقة، والأكثرون على أنه ليس قياسا، وعلّلوا بأن القياس في الأسباب يُفضي إلى ما لا ينبغي, فلا يحسُن قياس طلوع الشمس على غروبها في كونه سببا لوجوب الصلاة مثلا، وعللوا منعه في الأسباب أيضا بكونه يُخرجها عن أن تكون أسبابا؛ لاستلزام القياس نفي السببية عن خصوص الأصل المقيس عليه، فيكون السببُ المقيس عليه بالقياس غيرَ سبب مستقلّ، وهكذا في المانع والشرط[3].

وحجّة القائلين بالجواز[4]: أنّ السببية حكمٌ شرعيٌّ, فجاز القياس فيها كسائر الأحكام، ولأنّ السبب إنما يكون سببا لأجل الحكمة التي اشتمل عليها، فإذا وُجدت في غيره وجب أن يكون سببا تكثيرا لتلك الحكمة[5].

الفرع الثاني: أثر القاعدة في المسائل الفقهية

لقد ظهر أثر هذه القاعدة الأصولية على عدد من الفروع الفقهيّة منها ما يأتي:

أولا- شهود القصاص إذا رجعوا وقالوا تعمدنا شهادة الزور:

---

[1] ينظر: السرخسي، المبسوط، 159/9، وسحنون، المدونة، 537/4؛ والمزني، مختصر المزني، 370/8؛ والخرقي، مختصر الخرقي، ص135.

[2] ينظر: القاضي عبد الوهاب، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، 949/2.

[3] ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، ص337.

[4] كابن رشيق. ينظر: ابن رشيق، لباب المحصول في علم الأصول، 671/2.

[5] ينظر: القرافي، شرح تنقيح الفصول، ص414.

إذا شهد اثنان على ثالث بأنّه قاتلٌ لفلانٍ من الناس، فحكم القاضي بالقصاص من القاتل، وبعد تنفيذ حكم القصاص في القاتل، قال الشهود: تعمّدنا شهادة الزور، ولم يكن هو القاتل، ففي هذه المسألة اختلف العلماء على قولين:

القول الأول: يُقتصّ من الشهود، وهو قول أشهب، وأكثر أصحاب مالك، وإن لم يكن هو المعتمد[(1)]؛ لأنّهم كالجابرين للإمام بشهادتهم، فلا فرق بين أن يَلُوا ذلك بأيديهم وبين شهادتهم زورا[(2)]. جاء في الإشراف على نكت مسائل الخلاف: "فوجه القول الأول بأنّهم يقتلون، ما روي أن عليّا عليه السّلام جاءه شاهدان فقالا له: نشهد أنّ هذا سرق، فقطعه، ثم جاءا بآخر فقالا: غلطنا، إنما هو ذا، فردَّ قولهما الثاني؛ وقال: لو أعلمكما تعمَّدتما قطْعه لقطعتكما، ولم نحفظ عن أحد خلافا عليه، ولأنّهما ألجآ الحاكم إلى القتل والقطع، فلزمهما القَوَد، كالمكرِه لغيره"[(3)].

يلاحظ أنّ هذا قياس للشهادة الباطلة على الإكراه بجامع السبب المؤدّي إلى القتل في كلٍّ، وهذا القول مُخَرَّجٌ على القول بإجراء القياس في الأسباب.

القول الثاني: لا يُقْتَصُ منهم، ويُضَمَّنُوا الدية، وهو قول ابن القاسم، وهو المعتمد في المذهب[(4)]؛ لأنّ "السبب والمباشرة إذا اجتمعا سقط حكم السبب، وشهادة الشهود سبب وليست بمباشرة، ولأنّ الشهادة لا يتعلّق بها حكم ما لم ينضمّ إليها حكم الحاكم، فصار وجوب القصاص موقوفا على حكم الحاكم من غير فعلهما"[(5)]، أمّا دعوى الإلجاء التي ذكرها أصحاب القول الأول فرُدّت بكون الشهادة غيرَ ملجئة؛ لأنّ الحاكم قد كان يمكنه أن ينعزل فلا يحكم[(6)].

المطلب الثامن: جريان القياس في الحدود

الفرع الأول: التعريف بالقاعدة

مذهب جمهور العلماء دخول القياس في الحدود؛ لعموم أدلّة القياس بالنصّ والإجماع السكوتي، ولم يَرِدْ ما يخصِّصُها أو يُقيِّدُها، فكانت شاملةً للحدود؛ لكونها معدودة من الأحكام, يثبت فيها خبر الواحد مع أنَّ طريقه غلبة الظنّ؛ لاحتمال الخطأ والسهو فيه، وإذا جاز بالخبر الواحد جاز بالقياس أيضا، إذ لا فرقَ بينهما من هذا الوجه؛ لأنَّ كُلًّا منهما يفيد الظنَّ، ولأنَّ عمر بن الخطاب ﷺ جلد ثمانين جلدةً في الخمر إلحاقا

---

(1) ينظر: القاضي عبد الوهاب، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، 2/977-978؛ وابن يونس، الجامع لمسائل المدونة، 17/564؛ وعبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على مختصر خليل، 7/362.

(2) ينظر: اللخمي، التبصرة، 13/6187-6188

(3) القاضي عبد الوهاب، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، 2/977-978.

(4) ينظر: القاضي عبد الوهاب، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، 2/977-978؛ وابن يونس، الجامع لمسائل المدونة، 17/564؛ وعبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على مختصر خليل، 7/362.

(5) القاضي عبد الوهاب، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، 2/978.

(6) ينظر: القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، 3/1562.

بالقاذف في الحدِّ عملا بالقياس الذي أشار له به عليٌّ ﷺ حيث قال[1]: "نرى أن تجلدَه ثمانين، فإنّه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، أو كما قال. فجلد عمر في الخمر ثمانين"[2].

وإن كان منعه آخرون بحجّة أنّ الحدود كجلد الزاني مائة لا يعقل معنى هذه الحدود دون ما هو أقلّ منها، وما لا يعقل معناه يتعذر القياس فيه.

والجواب: أنّ القياس إنما يكون حيث ظفِرنا بالمعنى الذي لأجله ثبت الحكم، فحيث تعذّر ذلك وكان تعبّدا، فإنّا لا نقيس، فلا يرِدُ علينا مواطن التعبّد[3].

الفرع الثاني: أثر القاعدة في المسائل الفقهية

لقد ظهر أثر هذه القاعدة الأصولية على عدد من الفروع الفقهيّة منها ما يأتي:

أولا- حد شارب الخمر:

ذهب الجمهور إلى أنّ حدّ شارب الخمر ثمانون جلدة خلافا للشافعي الذي جعله أربعين جلدة[4]، واستدلّوا بالقياس على حدّ المفتري بجامع الافتراء في كلٍّ، حيث إنّه قد ورد أن عمر ﷺ استشار في حدّ الخمر، فقال علي ﷺ: "نرى أن تجلدَه ثمانين، فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، أو كما قال. فجلد عمر في الخمر ثمانين"[5]، فعمر بن الخطاب ﷺ جلد ثمانين جلدةً في الخمر إلحاقا بالقاذف في الحدِّ عملا بالقياس الذي أشار له به عليٌّ [6]ﷺ، وهذا القول مخرّج على إجراء القياس في الحدود.

ثانيا- حد النبّاش:

سبق الحديث عن هذه لمسألة تحت قاعدة (جريان القياس في اللغات)، وتبيّن أنّه يقام على النبّاش حدّ السرقة، وبه قال الجمهور؛ لأنه لا فرق بين السارق والنبّاش من حيث إن كلًّا منهما يأخذ مال غيره خفية، من حرز مثلِه، فيُقاس النبّاش على السارق بجامع أخذ المال خفية من حرز مثله، وهذا القول مخرج كذلك على القول بجريان القياس في الحدود[7].

المطلب التاسع: فساد الاعتبار من قوادح القياس

الفرع الأول: التعريف بالقاعدة

---

[1] أخرجه مالك في موطئه، كتاب الأشربة، باب الحدّ في الخمر، أثر رقم: 2، 842/2.

[2] ينظر: محمد علي فركوس، الإنارة شرح كتاب الإشارة، ص309.

[3] ينظر: القرافي، شرح تنقيح الفصول، ص415.

[4] ينظر: الجصاص، شرح مختصر الطحاوي، 377/6؛ والبراذعي، التهذيب في اختصار المدونة، 499/4؛ والماوردي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، 435/13؛ والخرقي، مختصر الخرقي، ص136.

[5] سبق تخريجه.

[6] ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 543/5.

[7] ينظر: أبو الثناء الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، 173/3.

فساد الاعتبار هو "بيان أنّ هذا القياس لا يمكن اعتباره في هذا الحكم، لا لفسادٍ فيه؛ بل لكونه مخالفا للنصّ"[1]، أو بعبارة أخرى: "هو أن يكون القياس صحيحا في مقدّماته، لكن يكون مخالفا للنصّ في مقتضاه، وإنّما سمّي بفساد الاعتبار; لأنّ فساده من جهة الاعتبار فقط; لكونه صحيحا في مقدّماته"[2].

هذا، ولم يحصرها صاحب مراقي السعود في النص فقط بل زاد الإجماع كذلك فقال:

والخلفُ للنّصِ أو إجماعٍ دعا. . . فسادَ الاعتبارِ كلُّ من وعى

ومثال مخالفته للنص: شرط الصوم النية في رمضان فلا تصحّ نيّته في النهار قياسا على القضاء، فيقول الحنفي هذا فاسد الاعتبار لمخالفته لقوله تعالى: ﴿...وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: 35]، فإنّه يدلّ على ثبوت الأجر العظيم لكلّ من صام وذلك مستلزم للصّحة. فيقول المستدلّ: الآية لا تُعارض دليلا, ولا تدلّ على الصحّة؛ لأنّ

عمومَها مخصصٌ بحديث: «**من لم يبيّت الصيام قبل الفجر، فلا صيام له**»[3]، **ومثال مخالفته للإجماع:** قول الحنفي: لا يغسِّل الرَّجل زوجتَه الميّتة؛ لحرمة النظر إليها قياسا على الأجنبية. فيُعْترض عليه بأنّ عليّا ﷺ غسَّل فاطمة رضي الله عنها، ولم يُنْكِر عليه أحد من الصحابة، فصار إجماعا سكوتيا[4].

الفرع الثاني: أثر القاعدة في المسائل الفقهية

لقد ظهر أثر هذه القاعدة الأصولية على عدد من الفروع الفقهيّة منها ما يأتي:

أولا- قياس من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط على الزاني:

سبق الكلام في هذه المسألة عند قاعدة (جريان القياس في اللغات)، وبُيّن أنّ مذهب المالكيّة يقضي بعدم قياس من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط على الزاني، بل يُقتل الفاعل والمفعول به مطلقا، سواءً كانا محصنين أم لا.

أما القول الثاني في المسألة: أنّ اللواط زنا، فَيُحَدّ مرتكبه حدّ الزنا، وهو المشهور عند الشافعية، ورواية عن أحمد، وبه قال أبو يوسف ومحمد بن الحسن من الحنفية، ودليلهم: قياس اللواط على الزنا بجامع أنّ كلاًّ منهما إيلاجُ فرج في فرج مشتهىً طبعا محرمٌ شرعا، فيكون حكمه كالزاني[5].

وتُعُقِّب هذا الدليل بأنّه يُقْدح فيه بقادح فساد الاعتبار، لحديث بن عباس رضي الله عنهما السابق في أدلّة القول الأول، فالقول بالقياس في مقابلة النص اعتبار فاسد.

---

(1) القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، 3472/8.

(2) أبو الثناء الأصبهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، 181/3.

(3) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الصيام، (باب النية في الصيام) ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك، حديث رقم: 2331، 196/4. قال الألباني: "صحيح". ينظر: الألباني، إرواء الغليل، 25/4.

(4) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، ص341.

(5) ينظر: القدوري، مختصر القدوري، ص197؛ والماوردي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، 38/11؛ وابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد، 85/4.

جاء في أضواء البيان: "قياس اللائط على الزاني يُقدح فيه بالقادح المسمّى: (فساد الاعتبار)؛ لمخالفته لحديث ابن عباس المتقدم أنّ الفاعل والمفعول به يُقتلان مطلقا، أحصنا أو لم يحصنا، ولا شكّ أنّ صاحب الفطرة السليمة لا يشتهي اللواط، بل ينفُر منه غاية النفور بطبعه كما لا يخفى"[1].

ثانيا- قياس من أتى بهيمة على الزاني:

ذهب المالكية فيمن أتى بهيمة أنّه لا حدّ عليه، وإنما يُعَزَّر، وهذا لما يأتي:

– لحديث: «**لا يحلّ دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيّب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة**»[2]، وكلّها معدومة في مسألتنا.

– لأنّه لم ينتهك حرمة فرج له حرمة، والحدّ يجب لهذا المعنى.

– لأنّه جنس لا يتعلّق به التكليف، فلم يتعلق بالإيلاج فيه الحدّ كالجمادات.

– لأنّه وطء لا يتعلق بجنسه الرجم كالوطء فيما دون الفرج.

– لأنّ كلّ جنس لا يصحّ منه الزنا فلا يصحّ حكم لوطئه في باب الحدّ، عكسه الآدمي.

– لأنه معنى يوجب الحدّ في الآدمي، فلم يوجبه في البهائم كالقذف والقتل، وهذه العلّة أصحّ من كل ما تقدّم[3].

وذهب الشافعية في قولٍ لهم إلى حدّه حدّ الزاني، يُجلد البكر ويُرجم الثيّب، ومما استدلوا به: قياس من أتى بهيمة على الزاني، بجامع الإيلاج في فرج محرّم؛ لأنّه فرج يجب بالإيلاج فيه الغسل، فيجب الحدّ بالإيلاج فيه كفرج الآدميّة[4].

واعتُرِض على هذا القياس بأنه قياس فاسد الاعتبار لمخالفته للنصّ[5].

الخاتمة:

وهكذا نصل إلى نهاية هذا البحث الموجز، ومن خلاله نخلص إلى جملة من النتائج أهمها:

1- للقياس أثر بالغ جدا في فروع الفقه الجنائي عند المالكية.

2- يظهر علم تخريج الفروع على الأصول مدى رصانة اجتهادات الأئمة السابقين.

3- يربّي علم تخريج الفروع على الأصول على عذر الأئمة في اجتهاداتهم التي جانبوا فيها الصواب؛ لأنّهم توصلوا إليها عن أصول.

أما ما يوصى به في هذا المقام خدمة للموضوع فأهمّه ما يأتي:

1- توسيع دائرة البحث لتشمل كلّ المباحث الأصولية وأثرها في الفقه الجنائي عند المالكية.

2- الاهتمام بجزئيات أصوليّة صغيرة وتخريج الفروع عليها، إما مذهبيا أو دراسة مقارنة في أبحاث أكاديمية.

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، 196/2-197.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، حديث رقم: 6878، 5/9.

[3] ينظر: القاضي عبد الوهاب، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، 871/2؛ والمعونة على مذهب عالم المدينة، 1400/3.

[4] ينظر: الماوردي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، 224/13-225؛ والروياني، بحر المذهب، 26/13.

[5] ينظر: ابن قدامة، المغني، 62/9.

3- ضرورة تدريس أصول الفقه مرتبطا بفروع الفقه، حتى يؤدي دوره الذي أُنيط به.

هذا، وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن أبي زيد القيرواني، الذب عن مذهب الإمام مالك، ت: محمد العلمي، ط1، المملكة المغربية، الرابطة المحمدية للعلماء/مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، 1432هـ/2011م.

2- ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، ت: محمَّد حجي وآخرون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999م.

3- ابن الجلاب، التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس، ت: سيد كسروي حسن، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1428هـ/2007م.

4- ابن العربي، المحصول في أصول الفقه، ت: حسين علي اليدري/سعيد فودة، ط1، عمان، دار البيارق، 1420هـ/1999.

5- ابن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني/عائشة بنت الحسين السُّليماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1428هـ/2007م.

6- ابن القصار، مقدمة في أصول الفقه، ت: عبد الحميد بن سعد بن ناصر السعودي، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1426هـ/2006م.

7- ابن بزيزة، روضة المستبين في شرح كتاب التلقين، ت: عبد اللطيف زكاغ، ط1، بيروت, لبنان, دار ابن حزم، 1431هـ/2010م.

8- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، الرياض, السعودية، مكتبة الرشد، 1423هـ/2003م.

9- ابن رشد الجد، المقدمات الممهدات، ت: محمد حجي، ط1، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1408هـ/1988م.

10- ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاهرة، دار الحديث، 1425هـ/2004م.

11- ابن رشيق، لباب المحصول في علم الأصول، ت: محمد غزالي عمر جابي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، 1422هـ/2001م.

12- ابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة، ت: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، ط2، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة الرياض الحديثة، 1400هـ/1980م.

13- ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد، ط1، بيروت, لبنان, دار الكتب العلمية، 1414هـ/1994م.

14- ابن قدامة، المغني، مكتبة القاهرة، 1388هـ/1968م.

15- ابن ماجه، السنن، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ/2009م.

16- ابن يونس، الجامع لمسائل المدونة، ت: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، ط1، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1434هـ/2013م.

17- أبو الثناء الأصبهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، ت: محمد مظهر بقا، ط1، السعودية، دار المدني، 1406هـ/1986م.

18- أبو داود، السنن، ت: شعيب الأرنؤوط/محَمَّد كامِل قره بللي، ط1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ/2009م.

19- أبو زكريا الرهوني، تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السول، ت: الهادي بن الحسين شبيلي/يوسف الأخضر القيم، ط1، دبي، الإمارات، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، 1422هـ/2002م.

20- أحمد، المسند، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، القاهرة، دار الحديث، 1416هـ/1995م.

21- الألباني، إرواء الغليل، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1405هـ/1985م.

22- البابرتي الحنفي، الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، ت: ضيف الله بن صالح بن عون العمرى/ترحيب بن ربيعان الدوسري، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، 1426هـ/2005م.

23- الباقلاني، التقريب والإرشاد، ت: عبد الحميد بن علي أبو زنيد، ط2، مؤسسة الرسالة، 1418هـ/1998م.

24- البخاري، الصحيح، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ.

25- البراذعي، التهذيب في اختصار المدونة، ت: محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ط1، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، 1423هـ/2002م.

26- الجصاص، شرح مختصر الطحاوي، ت: عصمت الله عنايت الله محمد وآخرون، ط1، دار البشائر الإسلامية/دار السراج، 1431هـ/2010م.

27- الخرشي، شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر للطباعة.

28- الخرقي، مختصر الخرقي، دار الصحابة للتراث، 1413هـ/1993م.

29- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر.

30- الروياني، بحر المذهب، ت: طارق فتحي السيد، ط1، دار الكتب العلمية، 2009م.

31- الزرقاني، شرح الزرقاني على مختصر خليل، ت: عبد السلام محمد أمين، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1422هـ/2002م.

32- الزرقاني، شرح الموطأ، ت: طه عبد الرؤوف سعد، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1424هـ/2003م.

33- سحنون، المدونة، ط1، بيروت, لبنان, دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م.

34- السرخسي، المبسوط، بيروت، دار المعرفة، 1414هـ/1993م.

35- عبد الكريم النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، ط1، الرياض، مكتبة الرشد، 1420هـ/1999م.

36- القاضي عبد الوهاب، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، ت: الحبيب بن طاهر، ط1، دار ابن حزم، 1420هـ/1999م.

37- القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، ت: حميش عبد الحقّ، مكة المكرمة, المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز.

38- القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ت: يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط1، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ/1998م.

39- القدوري، مختصر القدوري، ت: كامل محمد محمد عويضة، ط1، بيروت, لبنان, دار الكتب العلمية، 1418هـ1997م.

40- القرافي، الذخيرة، ت: محمد حجي وآخرون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م.

41- القرافي، شرح تنقيح الفصول، ت: طه عبد الرؤوف سعد، ط1، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1393هـ/1973م.

42- القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، ت: عادل أحمد عبد الموجود/علي محمد معوض، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1416هـ/1995م.

43- الكاساني، بدائع الصنائع، ط2، بيروت, لبنان, دار الكتب العلمية، 1406هـ/1986م.

44- اللخمي، التبصرة، أحمد عبد الكريم نجيب، ط1، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1432هـ/2011م.

45- مالك، الموطأ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1406هـ/1985م.

46- الماوردي، الإقناع في الفقه الشافعي.

47- الماوردي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، ت: علي محمد معوض/عادل أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1419هـ/1999م.

48- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/1995م.

49- محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، ط5، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 2001م.

50- محمد بن الحسن، الأصل، ت: محمَّد بوينوكالن، ط1، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، 1433هـ/2012م.

51- محمد علي فركوس، الإنارة شرح كتاب الإشارة، الجزائر، ط1، دار العواصم للنشر والتوزيع،

1430هـ/2009م.

52- المزني، مختصر المزني (يقع في الجزء الثامن من كتاب الأم)، بيروت، دار المعرفة، 1410هـ/1990م.

53- مسلم، الصحيح، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان, دار إحياء التراث العربي.

54- النسائي، السنن، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، 1406هـ/1986م.

55- النووي، المجموع شرح المهذب (معها تكملة السبكي والمطيعي)، دار الفكر.

القيم الأخلاقيّة في النّص الدّيني الحديثي
ودورها في معالجة مشكلات الفساد المالي

د. محمـد بودبـان
جامعـة الأمـير عبد القـادر للعـلوم الإسـلامية قسـنطينة

ملخص:
نحاول في هذه المقالة، أن نتبيَّن المنظومة القيميَّة الأخلاقيَّة المبثوثة في الهداية النبويَّة الشَّريفة في مجالٍ قد يُظنُّ أنَّه لا مدخل للرَّوحانيَّات فيه، ولا سلطانَ للدِّين عليه؛ لأنَّه متعلِّق بالمادَّة الصِّرفة، بـ: "**المال**". ونحاول أن نستجلي أنَّى لتلك القيم تحديدُ مسارات التسيير، وأنَّى لها معالجة أدواء الفساد المالي، وقايةً أوَّلًا، ثمَّ محافظةً على السلامة المُستصحَبَة، ثمَّ تطبيبًا بعد ذلك، بعد التلبُّس به. كما تبيِّن هذه المقالة كيف أنَّ الفساد المالي في المفهوم النبويّ هو أوسع من فساد المال العام، ليشمل كلَّ أشكال الكسب والإدارة في أبسط مفاهيمهما.

الكلمات المفتاحية: القيم-الفساد- المال العامّ.

Abstract :
Islamic religious texts include plenty of moral values and the curent article is attempting to study as sample, the role of the prophetic values in the processing of financial corruption.
This article also shows how the financial corruption in the concept of the prophet is wider than the corruption of public money, moreover it include all forms of financial earning and management in its simpliest meaning.

مقدِّمة

إنَّ للنَّصِّ الدِّيني مكانًا مقدَّسًا في أنفس معتنقيه؛ يجعلهم يحوطونه بأسباب التَّعظيم، والعناية؛ لما يرون فيه من شرف المصدر؛ وشرف المحتوى. ذلك التعظيم وتلك العناية يجعلانهم يقيمون نظمَهُم الاجتماعية على أساسٍ من العلاقة معه، إن في قليلٍ، أو في كثيرٍ. وإنَّما آثار تلك العلاقة قد تكون إيجابيَّة، وقد تكون سلبيَّةً بحسب انضباطها بالحقيقة الدِّينيَّة الصادقة من جهةٍ؛ وبحسب صدق تطبيقها من جهة أخرى. ولا يجتمع الأمران إلاَّ في دين الإسلام؛ لما استيقنَّاه من صدق الوحي؛ ومن صدق هيمنته على مشاهد الحياة كلِّها؛ ثمَّ أخيرًا من صدق ثمراته في الحال، وفي المآل.

والنَّصُّ الدِّينيُّ الإسلاميُّ – كتابًا وسنَّةً- يزوُّد الحياة الإسلاميَّة بالهداية الكافية للنُّهوض بالأمَّة أفرادًا ومجتمعاتٍ؛ ويزرع في منابتِ قلوبهم قيمًا تقودهم في أقوالهم وأفعالهم ونيَّاتهم، وتعصمهم من المنزلقات المختلفة التي تحفَلُ بهنَّ الحياة؛ فوحدَها القيمُ والأخلاق تُضيِّق دوائر الخلاف والمشاحنات بين النَّاس؛ لأنَّها تحكم الضمائر، وتبسط سلطانها على الأرواح.

وإذا كان المالُ شطرَ زينة الحياة الدنيا؛ فإنَّ النَّصَّ الدِّيني لم يهمل رسمَ المنهاج الذي يجعلُ منه بهجةً ونعمةً، ويباعدُ بين العبد وبين أن يكون ماله وطرُق كسبه له، وإدارته، وإنفاقه له، وبالًا عليه بالإفساد فيه؛

وتلك وظيفة القيم الدِّينيَّة الأخلاقيَّة بالأساس؛ وهو ما تبحثه هذه المقالة من خلال النَّص الدِّيني الحديثي.

وإنَّه يمكننا صياغة الإشكالية المراد حلُّها في التساؤل الآتي: « **كيف أرسى النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم القيم والدعائم الأخلاقية في التعامل مع المال كسبًا وتسييرًا؛ والكفيلة بالوقاية من أسباب الفساد المالي؛ أو علاجه إذا وقع؟**».

حيث هدفنا بالأساس بيان الطريقة البديعة للبيان النبويّ الجامع بين الروحانية والماديَّة؛ حيث يجعل لكلِّ جزءٍ حظَّه ونصيبَهُ. وكذا استخراج الهدايات المبثوثة في النصِّ الحديثيِّ المتعلِّقة بالأسس الأخلاقيَّة التي قام عليها كسب المال في الإسلام، وتسيير أعماله.

- **المبحث الأوَّل: ضبط الجهاز المفاهيمي.**

المراد من هذا المبحث تحديد المفاهيم الأساس، بالغوص في جذورها اللُّغويَّة، واستخلاص دقائق مقاييسها من خلال الإلمام بالأصول التي تعود إليها المشتقَّات من المعاني. وفي لغتنا العربية الجميلة، فإنَّ سياحتنا في جنبات المادَّة المعجميَّة، تُمكِّنُنا من التعرُّف على دقيق المعاني، والطريقة التي يتمُّ فيها الانتقال من الحقيقة اللُّغويَّة إلى الحقيقة الاصطلاحيَّة أو الشَّرعيَّة؛ والتي تساعدنا على إدراك لطيف الإشارات التي قامت عليها بعد ذلك الحقائق الاصطلاحيَّة؛ وذلك ما يسهِّل علينا من ناحية أخرى إدراك الأحكام المتوافقة مع الألفاظ.

ويهمُّنا ههنا الألفاظ الآتية: **القيم، الأخلاق، المال، الفساد**.

أوَّلاً: القيم.

أ/ لغةً.

ويعجبني أن أبحث عن أصول المعاني في معجم المقاييس في اللغة لابن فارسٍ ابتداءً؛ ثمَّ أستفيض في النظر في المادة المعجمية وفق ما وقَفَنِي عليه؛ قال رحمه الله: القاف والواو والميم أصلان صحيحان؛ يدلُّ أحدهما على جماعة ناسٍ –وربَّما استُعِير في غيرهم- والآخرُ: على انتصابٍ أو عزمٍ ... قوَّمتُ الشَّيء تقويمًا؛ وأصل القيمة الواو؛ وأصله أنَّك تُقيم هذا مكان ذاك.[1]

وقام المتاعُ بكذا، أي تعدَّلت قيمتُهُ؛ والقيمةُ الثَّمنُ الذي يُقاوَمُ به المتاع، أي يقوم مقامه؛ والجمع القِيَم، مثل سدرة وسِدَر. وشيءٌ قِيمي، نسبةً إلى القيمة - على لفظها- لأنَّه لا وصف له ينضبط به في أصل الخلقة حتَّى يُنسب إليه بخلاف ما له وصفٌ ينضبط به كالحبوب والحيوان المعتدل؛ فإنَّه ينسب إلى صورته وشكله؛ فيقال مِثْلِيٌّ، أي له مثلٌ شكلاً وصورةً من أصل الخِلقة.[2] والفرق بين القيمة والثمن والمِلك: أنَّ القيمة هي المساوية لمقدار الثمن من غير نقصان، ولا زيادةٍ؛ والثمنُ قد يكون بخسًا، وقد يكون وفقًا، أو زائدًا. والملك لا يدلُّ على الثمن، فكلُّ ما له ثمنٌ مملوكٌ، وليس كلُّ مملوكٍ له ثمنٌ.[3]

---

[1]- أحمد بن فارس: **معجم المقاييس في اللغة**، تحقيق شهاب الدِّين أبو عمرو؛ دار الفكر: بيروت- لبنان، ص 869.

[2]- أحمد بن محمَّد بن علي الفيُّومي المقري: **المصباح المنير**، مكتبة لبنان: بيروت- لبنان، 1987م، ص198-199.

[3]- أبو هلال العسكري: **الفروق اللغوية**، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة: القاهرة- مصر، ص238.

ومن خلال ما سبق نرى أنَّ القيمة ما قام مقامَ الشيء؛ وذلك لا يكون إلاَّ بالتقابل في ما بينهما. كما يكون ذلك كذلك متَّصفا **بالثبات والدوام**، ولذلك يقال: "وما لفلانٍ قيمةٌ: ثباتٌ ودوامٌ على الأمر".[1]

ب/ اصطلاحًا.

القيمة مبدأٌ مجرَّدٌ وعامٌّ للسلوك؛ يشعرُ أعضاء الجماعة نحوَهُ بالارتباطِ الانفعالي القويّ؛ كما إنَّه يوفِّر لهم مستوًى للحكم على الأفعال والأهداف الخاصَّة[2] ويعبِّر الإسلام عن القيمة بلفظ "**الخير**" الذي يرد ذكرُهُ كثيرًا في مختلف المجالات نظرًا لصفة العموم التي يتميَّز بها، ولعمق دلالته على الأخلاق، وكلِّ ما يتَّصل بها من قيمٍ روحيَّةٍ وماديَّة.[3]

والقيمُ نوعان: قيمٌ اقتصاديَّةٌ ماديَّة، تباع وتشترى، وينشدها النَّاس كوسيلةٍ لتحقيق غايةٍ. وقيمٌ إنسانيَّةٌ روحيَّةٌ أخلاقيَّة، تُلتمَسُ لذاتها، وتُطلب كغايةٍ.[4] وإن كان يرفض بعض الفلاسفة اعتبار القيم الاقتصاديَّة والقيم الإنسانيَّة، قيمًا من نوعٍ واحدٍ.[5]

وأمَّا عن مصدر القيم فقد أرجعها علماء الاجتماع وعلى رأسهم "**أوغست كومت**" إلى المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد. وأرجعها الماركسيُّون وعلى رأسهم "**فردريك أنجلز**"، و"**كارل ماركس**" إلى الأحوال الاقتصاديَّة. وأرجعها دعاة النظام الدكتاتوري كـ: "**توماس هوبز**" إلى الطاغية المستبدّ.[6]

لكنَّ المصدر في الإسلام مصدرٌ ربَّانيٌّ؛ وربَّانيَّةُ "**المنبع القيمي**" هنا، أو بتعبيرٍ آخرَ: ربط القيمة الإنسانيَّة العلميَّة الحركيَّة هنا بالمنبع العلوي - وهو الله سبحانه وتعالى- يكسب القيمة "**سموًّا**" من ناحيةٍ، ويمنحها قوَّةً ورسوخًا من ناحيةٍ أخرى.[7] ففي الوقت الذي يرى فيه الشيوعيُّون الملحدون أنَّ الدِّين أفيون الشُّعوب؛ ويرى فيه الرأسماليُّون الماديُّون أنَّه لا علاقة بين النَّشاط الاقتصادي والدِّين؛ لأنَّ وظيفة الدِّين عندهم إشباع الجانب الرُّوحي في الكنائس والأديرة، وأنَّ ما لقيصر لقيصرَ، وما لله لله. في هذا الوقت نرى النَّشاط الاقتصادي في الإسلام ينبع من الإيمان كطاقةٍ محرّكةٍ للمسلم إلى كلِّ عملٍ صالحٍ. لأنَّ الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنَّه كلٌّ متكاملٌ؛ لا يصحُّ إشباع جانبٍ على حساب جانبٍ آخرَ.[8]

والقيم الإسلاميَّة في مجموعها نوعان:

---

[1]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: **أساس البلاغة**، تحقيق محمَّد باسل عيون السود، (ط1)، دار الكتب العلميَّة: بيروت-لبنان، 1998م، (111/1).

[2]- محمد عاطف غيث: **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية-مصر، 1996م، ص504.

[3]- صلاح الدِّين بسيوني رسلان: **القيم في الإسلام بين الذاتيَّة والموضوعيَّة**، دار الثقافة: القاهرة- مصر، 1990م، ص138.

[4]- المرجع نفسه، ص27.

[5]- المرجع نفسه، ص28.

[6]- المرجع نفسه، ص130.

[7]- جابر قميحة: **المدخل إلى القيم الإسلامية**، (ط1)، دار الكتب الإسلاميَّة، دار الكتاب المصري: القاهرة- مصر؛ دار الكتاب اللبناني: بيروت- لبنان، 1984م، ص13.

[8]- أحمد يوسف: **القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي**، دار الثقافة: القاهرة- مصر، 1990م، ص 80-81.

1/ القيم السلبيَّة: أو قيم التخلِّي؛ وتتجلَّى في هجر ما نهى الله عنه من شرورٍ، وموبقاتٍ؛ كشرب الخمر، والزنى، والكذب، والسرقة... الخ.

2/ القيم الإيجابيَّة: وهي القيم التي كلِّفَ المسلمُ بالتحلِّي بها، وأخذ نفسَهُ بمقتضياتها؛ مثل الصدق، والأمانة، والرحمة، وصلة الرحم، والكرم، وحسن الجوار.[1]

ثانياً: الأخلاق.

أ/ لغةً.

قال ابن فارس: « الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقديرُ الشيءِ، والآخر ملاسةُ الشيء... فأمَّا الأوَّل فقولهم: " خلقتُ الأديم للسِقاء" إذا قدّرته ... ومن ذلك الخُلق، وهي السجيَّةُ، لأنَّ صاحبه قد قدِّر عليه. وفلانٌ خليقٌ بكذا، وأَخلِقْ به: أي ما أخلَقَهُ؛ أي هو ممَّن يُقدَّر فيه ذلك. والخلاقُ: النصيبُ، لأنَّه قد قدِّر لكلِّ أحدٍ نصيبُهُ»[2].

ب/ اصطلاحًا.

الخُلُق عبارةٌ عن هيئةٍ للنَّفس راسخة، يصدر عنها الأفعال بسهولةٍ ويُسرٍ، من غير حاجةٍ إلى فكرٍ ورويةٍ. فإن كانت الهيئةُ بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعًا بسهولةٍ سمِّيت الهيئة خلقًا حسنًا؛ وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سمِّيت الهيئة التي هي المصدر خُلُقًا سيِّئًا.[3] وإنَّما قلنا إنَّه هيئةٌ راسخةٌ لأنَّ من يصدر منه بذل المال على النُدُور بحالةٍ عارضةٍ لا يقال: "خلقُهُ السخاء" ما لم يَثبُت ذلك في نفسه؛ وكذلك من تكلَّف السُّكوت عند الغضب بجهدٍ، أو رويَّة لا يقال: "خُلقه الحلم".[4] وليس الخلق عبارةً عن الفعل، فَرُبَّ شخصٍ خلُقُه السخاء، ولا يبذُل، إمَّا لفقد المال، أو لمانعٍ؛ وربَّما يكون خُلُقه البخل، وهو يبذل لباعثٍ، أو رياءٍ.[5]

وكلّ قاعدةٍ من قواعد الشريعة الإسلاميَّة لها طابعها الأخلاقي؛ ووراءها الدافع الإنساني؛ سواء أكانت قاعدةً من قواعد المعاملات، أو من قواعد العبادات، أو من قواعد الحدود.[6] وذلك ما سنراه في أحاديث المال والأعمال بإذن الله.

ثالثًا: المال.

أ/ لغةً.

ورد في المعاجم أنَّ المال معروفٌ، وتصغيره: "مُويلٌ" والعامَّة تقول: "مُوَيِّلٌ" بتشديد الياء. ورجلٌ مالٌ، أي كثيرُ المال...ومالَ الرجلُ يمول ويَمَالُ مَوْلاً ومُؤُولاً: إذا صار ذا مالٍ، وتموَّل مثله، وموَّله غيرُهُ... [1] والعرب تقول: "إنَّ

---

[1]- المدخل إلى القيم الإسلامية، مرجع سابق، ص41.

[2]- معجم المقاييس في اللغة، مرجع سابق، ص329.

[3]- علي بن محمَّد الشريف الجرجاني: **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان: بيروت- لبنان، 1985م، ص106.

[4]- المرجع نفسه، ص106.

[5]- المرجع نفسه، ص106.

[6]- المدخل إلى القيم الإسلامية، مرجع سابق، ص78.

الرِّقِّين يُغطي أَفَنَ الأَفِينِ". والرقِّين جمع رقة، مثل عزين، وعضين؛ يُراد أنَّ المال يغطِّي على العيوب.[2] يقولون للغنيّ: مُكثِرٌ مترِبٌ، مُثْرٍ. وله مالٌ جمٌّ، ودَثَرٌ. ولقد جاء بالضِحِّ والرِّيحِ؛ والطَمِّ والرِمِّ؛ وهو ضافي المال... وله عائرة عينينِ؛ وله غِنًى طويل الذيل ميَّاسٌ. ويقولون: عليه سوادٌ من مالٍ. ورجلٌ مُرغِبٌ واجدٌ مَيِّلٌ. وله مالٌ لا يُسهى ولا يُنهى، وجاء بالسمر والقمر، أي بكلِّ شيءٍ. وقد تأثَّل مالاً، وأَثَّل الله له مالاً.[3] ويقال: رجلٌ مالٌ؛ أي كثير المال؛ كأنَّه قد جعل نفسه مالاً، وحقيقتُه: ذو مالٍ.[4] ومنه الحديث: «ما جاءك منه وأنت غير مشرفٍ عليه فخذه وتموَّله». أي اجعله لك مالاً.[5]

ب/ اصطلاحًا.

المال هو: ما يملكه الفرد، أو الجماعة من متاعٍ، أو عقارٍ أو نقودٍ، أو حيوانٍ.[6] وهو في الأصل: ما يملك من الذهب والفضَّة، ثمَّ أُطلِق على كلِّ ما يُقتَنى ويُملَكُ من الأعيان. وأكثرُ ما يطلقُ المال عند العرب على الإبل، لأنَّها كانت أكثر أموالهم.[7] والمالُ عند أهل البادية النَّعمُ.[8] وقد تكرَّر ذكر "المال" على اختلاف مسمَّياته في الحديث، ويُفرَقُ فيها بالقرائن.[9]

وجمهور الفقهاء من الشافعيَّة والمالكية والحنابلة قد اتَّفقوا على عناصر الماليَّة، وإن تباينت تعبيراتهم عنها؛ فكلُّهم اشترط في المال أن تكون فيه منفعةٌ مقصودةٌ مباحةٌ شرعًا في حالة السعة والاختيار، دون الضرورة والحاجة. كما اشترطوا أيضًا أن يكون ممَّا يتموَّلُهُ النَّاس عادةً، بحيث يجري فيه البذلُ والمنعُ... أمَّا الحنفيَّة فإنَّهم لم يجعلوا من عناصر الماليَّة إباحة الانتفاع به شرعًا... كذلك انفرد الحنفيَّة باشتراط إمكان الادِّخار لوقت الحاجة دون سائر الفقهاء.[10] وقول الفقهاء: "ما يُتَمَوَّلُ" أي ما يعدُّ مالاً في العرف.[11]

وخلاصةُ القولِ أنَّه في تعريفنا للمال يتبيَّن أنَّه يتكوَّن من عنصرين؛ الأوَّل: إمكانيَّة الحيازة، والثاني: الانتفاع.[12]

رابعًا: الفساد.

---

[1]- إسماعيل بن حمَّاد الجوهري: **الصحاح، تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار (ط3)، دار العلم للملايين: بيروت- لبنان، (1822-1821/5).

[2]- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: **غريب الحديث**، تحقيق عبد الله الجبوري، (ط1)، مطبعة العاني: بغداد- العراق، (180/1).

[3]- أحمد بن فارس: **متخيَّر الألفاظ**، تحقيق هلال ناجي، مطبعة المعارف: بغداد- العراق، 1970م، ص146-151.

[4]- مجد الدِّين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، (ط1)، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، 1421هـ، ص888.

[5]- المرجع نفسه، ص888.

[6]- **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، الإدارة العامَّة للمعجمات وإحياء التُّراث، التابع لمجمع اللُّغة العربيَّة: مصر، 1990م، (1068/2).

[7]- النهاية في غريب الحديث والأثر: مرجع سابق، ص887-888.

[8]- المصباح المنير: مرجع سابق، ص224.

[9]- النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ص888.

[10]- انظر التعاريف للمال بحسب المذاهب الأربعة في: قضايا فقهية معاصرة في المال والاقتصاد، لنزيه حمَّاد، (ط1) دار القلم: دمشق-سوريا؛ الدار الشاميَّة: بيروت- لبنان، 2001م، ص29-33.

[11]- المصباح المنير: مرجع سابق، ص224.

[12]- محمود حمودة، مصطفى حسنين: **أضواء على المعاملات المالية في الإسلام**؛ (ط2)، مؤسَّسة الورَّاق: عمَّان- الأردن، 1999م، ص21.

أ/ لغةً.

فَسُد الشيءُ بالضمِّ، فهو فسيد. ولا يقال: انفسد؛ وأفسدتُهُ أنا. والاستفساد: خلاف الاستصلاح. والمفسدة خلاف المصلحة.[1] وغالب من يعرِّف الفساد بضدِّه وهو الصلاح؛ ويعرِّف الفساد بعكس الصلاح[2].

ب/ اصطلاحًا.

الفساد اصطلاحًا لا يبعد عن معناه اللغوي؛ ولذلك سنبحث ههنا عن التعريف الاصطلاحي لـ: "**الفساد المالي**" حيث تعددت تعاريف هذا المفهوم بتعدد اختصاصات الباحثين، فعرّفه علماء الاجتماع بأنه علاقةٌ اجتماعيةٌ تتمثَّل في انتهاك قواعد السلوك الاجتماعي فيما يتعلق بالمصلحة العامة.[3] وعرّفه قاموس العلوم الاجتماعية الأمريكي بأنَّه: استغلال السلطة للحصول على منفعة أو فائدةٍ أو ربحٍ؛ لصالح فردٍ أو جماعةٍ أو طبقةٍ عن طريق انتهاك حكم القانون أو الخروج على معايير السلوك الأخلاقي الرفيع.[4]

أما علماء النفس فيعتبرون أن الفساد المالي عبارة عن فسادٍ في النظام القيمي للفرد والمجتمع الذي يدفع إلى اتخاذ سلوكاتٍ منحرفةٍ عن النظام السلوكي.[5] ومن الناحية القانونية عُرِّف الفسادُ المالي على أنه: تصرفٌ وسلوكٌ وظيفيٌّ سيِّءٌ، فاسدٌ خلاف الإصلاح، هدفُهُ الانحرافُ والكسبُ الحرام، والخروج على النظام لمصلحة شخصية[6]

ويرى علماء الاقتصاد أن الفساد المالي: استخدام أو تحويل الأموال العامة من أجل مصلحةٍ خاصةٍ، أو تبادل الأموال في مقابل خدمةٍ أو تأثيرٍ معيَّنٍ.[7]

ويظهر الفساد في عدَّة أشكالٍ أهمُّها[8]:

- استغلال المنصب العام.
- الاعتداء على المال العام.

---

[1]- الصحاح: مصدر سابق، (519/2).

[2]- انظر على سبيل المثال: مجد الدين الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، تحقيق محمّد علي النّجار(دط) المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، (125/4). **وبصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز**، له، (43/3). ومحمّد رواس قلعه جي وحامد صادق قنيبي: **معجم لغة الفقهاء**، (ط2)، دار النفائس، بيروت- لبنان 1988م، ص71.

[3]- أحمد صقر عاشور: **نحو برنامج متكامل لمكافحة الفساد المالي والإداري**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، نشرة أخبار الإدارة 26/مارس/1999م، ص2.

[4]- Could J , Kolb : **Dictionary of the social science**,. (N.Y : Free Press : 1964), p142

[5]- خضر عباس عطوان: **الفساد الإداري استحقاقات اجتماعية وسياسية ثقيلة**، جريدة الزمان، عدد 186، سنة 1999م، ص1-2.

[6]- عبد الكريم بن سعد إبراهيم الخثران: **واقع الإجراءات الأمنية للحد من جرائم الفساد من وجهة نظر العاملين في أجهزة مكافحة الرشوة في المملكة العربية السعودية**، رسالة ماجستير، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الشرطية، نوقشت سنة 2003م، ص21.

[7]- سليمان علي أحمد: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، (ط1)، المكتبة الإكاديمية: الخرطوم- السودان، 1998م ص51.

[8]- ماجد عبد الله منيف: **التحليل الاقتصادي للفساد وأثره على الاستمرار النمو**، مجلة بحوث إقتصادية عربية، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية: مصر، 1998م ص45. وانظر بن رجم محمد خميسي؛ حليمي حكيمة: **الفساد المالي والإداري، مدخل لظاهرة غسيل الأموال وانتشارها؛** بحث مقدم لمؤتمر: "حوكمة الشركات كألية للحد من الفساد المالي والإداري"، المنعقد يومي 6-7/ماي/2012م، اقتبس يوم : 2014/09/13م، عن الرابط التالي:/http://iefpedia.com/arab/wp-content/uploads

- التهرُّب الضريبي والجمركي.
- الرشوة المحلية والدولية.
- تهريب الأموال.

وأودُّ ههنا أن أعلِّق على ما سبق بأنَّ الفساد المالي في الشريعة الإسلاميَّة هو أعمُّ من إفساد المال العام؛ وكذلك أشكاله وأنواعه؛ ونجد التعبير النبويَّ: «**إضاعة المال**» أوسعَ وأشملَ وأدقَّ في التَّعبير؛ وفي الحديث الذي نهى فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن إضاعة المال؛ نجد الشرَّاح قد انصرفوا إلى المعنى القريب، وهو الإفساد الفردي؛ كقول ابن الأثير فيه: قيل أراد به الحيوان؛ أي يُحسن إليه ولا يُهمل. وقيل إضاعتُهُ إنفاقُهُ في الحرام، والمعاصي، وما لا يحبُّه الله. وقيل أراد به: التبذيرَ والإسرافَ، وإن كان في حلالٍ مباحٍ.[1]

- **المبحث الثاني: القيم الأخلاقية الضابطة للتسيير المالي من خلال النص الحديثي.**

1. القيم الأخلاقية في فهم أصل المال وحقيقته:

إنَّ هذه المنظومة القيميَّة تزوِّد المرء بالإطار النظري والمنهجي في تعامله مع المال في كلِّ تقلُّباته؛ سواءٌ أكان في يده، أم في يد غيره. تلك المنظومة تخبره بالآتي:

أ/ المال مال الله:

أي إفراد الملك الحقيقي لله تعالى، وإنَّ الله استخلف الإنسان في ملكه؛ ومبدأ الاستخلاف يفهم منه أنَّ ملكيَّة الفرد هي ائتمانٌ له على المال الذي في حوزته؛ قال الله تعالى[2]: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾[3]. وينبغي الإشارة ههنا أنَّ المِلك أعمُّ من المال؛ والله تعالى مالك الملك ومليكه.[4]

وإذا كان الأمر كذلك فمالك المال هو الذي يرزق الخلق على وجه الحقيقة؛ فعن أبي كبشة الأنماري سمعَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: « إنَّما الدنيا لأربعة نفرٍ: عبد **رزقه الله مالاً** وعلمًا؛ فهو يتَّقي فيه ربَّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًّا، فهو بأفضل المنازل».[5] وقد قدَّر الله تعالى ذلك تقديرًا لا يُخطئ العبدَ كما لا يخطئه أجله؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «لو أنَّ ابنَ آدَمَ هرب من رزقه كما يهرب من الموت؛ لأدركه رزقه كما يدركه الموت».[6] وإذا كان الأمر كذلك فالدعاء لا بدَّ منه في استجلاب ذلك الرزق، والأمانة من

---

[1]- النهاية في غريب الحديث والأثر: مرجع سابق، ص887.

[2]- الحديد: 7.

[3]- أضواء على المعاملات المالية في الإسلام: مرجع سابق، ص16، باختصار وتصرف.

[4]- المِلكُ بالكسر: أعمُّ من المال؛ يقال: مِلكُ النكاح، وملك القصاص، وملك المتعة. وهو قدرةٌ يُثبتها الشارع ابتداءً على التصرُّف، فخرج نحو الوكيل؛ وإلاَّ لمانعٍ كالمحجور عليه، فإنَّه مالكٌ، ولا قدرة له على التصرُّف؛ والمُلك بالضَّمِّ: عبارةٌ عن القدرة الحسِّيَّة العامَّة لما يملك شرعًا ولما لا يملك... وقال الزجَّاج: بالضمِّ السلطان والقدرة؛ وبالكسر ما حوتْهُ اليدُ، وبالفتح المصدرُ... وقيل غير ذلك. والمَلِكُ بالفتح وكسر اللاَّم أدلُّ على التَّعظيم بالنسبة إلى المالك؛ لأنَّ التصرُّف في العقلاء المأمورين بالأمر والنهي أرفعُ وأشرفُ من التصرُّف في الأعيان المملوكة التي أشرفها العبيد والإماء. وأيضًا المِلكُ من حيث إنَّه ملك أكثر تصرُّفًا من المالك من حيث إنَّه مالكٌ؛ وأقدرُ على ما يريده في تصرُّفاته؛ وأقوى تمكُّنًا منها واستيلاءً عليها، وأكثر إحاطةً. **الكلِّيَّات**: أبو البقاء أيُّوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمَّد المصري، (ط2)، دار الرسالة: بيروت- لبنان، 1998م، ص853. باختصار وتصرُّف.

[5]- الترمذي: الزهد، باب ما جاء مثل الدُّنيا مثل أربعة نفرٍ، ح2325، ص525. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. وصحَّحه الألباني.

[6]- السلسلة الصحيحة برقم 952، ومختصرها برقم 1371.

الفقر: عن مسلم بن يسار قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: « اللهمَّ جاعل اللَّيل سكنًا، والشَّمس والقمر حسبانًا، اقض عنِّي الدَّينَ، وأغنني من الفقر، وأمتِعْني بسمعي، وبصري، وتوفَّني في سبيلك»[1]. والأحاديث كثيرة في بيان ذلك، وسيأتي بيانها.

ب/ المال فتنةٌ:

ولربَّما يعتقد النَّاس أنَّ المال إن مُنِعوه قد فُتِنُوا وإن أُعطَوه سلموا؛ والحقُّ أنَّ الفتنة في الاتِّجاهين جميعًا؛ فقد كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يتعوَّذ ويقول: « ... وأعوذ بك من فتنة الغنى؛ وأعوذ بك من فتنة الفقر...»[2].

وحِرصُ الإنسان على المال أشدُّ فتنةً؛ قال النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: « ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنمٍ، بأفسدَ لها من حرص المرء على المال والشرف، لدينه»[3].

جـ/ المال وسيلةٌ:

يقال: إنَّ المال هو أفضل الخدم، ولكنَّه أسوأ الأسياد بلا جدال.[4] وإنَّ حرص العبد على المال عادةً ما يجعله معتقِدًا –ولو في الجانب العملي- أنَّ المال غايةٌ لا وسيلة؛ وهو ناتجٌ عن حبِّ ابن آدم للمال حبًّا جمًّا؛ عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: « الشيخ يكبر، ويضعف جسمه؛ وقلبه شابٌّ على حبِّ اثنتين: طول الحياة، وحبّ المال»[5].

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يبيِّن الصراع بين الوسيلة (المال)، والغاية (العبادة): « إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: إنَّا أنزلنا المال لإقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة. ولو كان لابن آدم وادٍ، لأحبَّ أن يكون إليه ثانٍ؛ ولو كان له واديان لأحبَّ أن يكون إليهما ثالثٌ. ولا يملأ جوف ابن آدم إلاَّ التراب؛ ثمَّ يتوب الله على من تاب».[6] وقال كذلك: « نِعمَ المالُ الصالح للمرء الصالح».[7] ويذكر النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم تفريقًا لطيفًا بين نوعي الرِّزق: رزق الإيمان (وهو غاية)؛ ورزق المال (وهو وسيلة): « إنَّ الله قسَم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم؛ وإنَّ الله يُعطي الدُّنيا من يحبُّ، ومن لا يُحبُّ؛ ولا يُعطي الإيمان إلاَّ من يحب».[8]

د/ وجود أولويَّات قبل المال:

إنَّ أنواع الرزق والنعم متنوِّعة في ماهيَّاتها، وتقع في سلَّمٍ من الحاجة إليها؛ وبعضُها أولى من بعضٍ حين التعارض على الأقل. عن عبد الله بن سليمان بن معاذ بن عبد الله بن خُبيبٍ، عن أبيه عن عمِّه، مرفوعًا: «

---

[1]- مالك: القرآن، باب ما جاء في الدعاء، ح496، ص123. (وهو من بلاغات مالك).

[2]- البخاري: الدعوات، باب الاستعاذة من فتنة الغنى، ح6376، ص1299.

[3]- الترمذي: الزهد، بابٌ؛ ح2376، ص535. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحَّحه الألباني.

[4]- حسين أمين: **المال وطبيعة البشر**، (ط2)، الفجر للطباعة والنشر: مصر، 1997م، ص2.

[5]- أحمد في مسنده (2/ 317)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 1906، ومختصرها برقم 1252.

[6]- أحمد في مسنده (219/5). وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 1639، وانظر مختصرها برقم 1215.

[7]- البخاري في الأدب المفرد؛ وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح برقم3756.

[8]- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، (96/1)؛ وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، تفرَّد به أحمد بن جناب المصيصي...الخ؛ وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2714، وانظر مختصرها برقم 60. (بلفظ إلاَّ من أحب).

لا بأس بالغنى لمن اتَّقى؛ والصحَّةُ لمن اتَّقى خيرٌ من الغنى، وطيب النَّفس من النعيم».[1] وقال: « من أصبح منكم آمنًا في سربه؛ معافًى في جسده، عنده قوتُ يومِه؛ فكأنَّما حِيزَت له الدنيا».[2]

والواجب على المؤمن أن لا يتحسَّر إذا فاته شيء من زخرف الدنيا؛ وإنَّما ينبغي عليه تحصيل النعم التي تقع بها الغاية لا الوسيلة؛ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « أربعٌ إذا كنَّ فيك؛ فلا عليك ما فاتَكَ من الدُّنيا: حفظ أمانةٍ، وصدقُ حديثٍ، وحسنُ خليقةٍ، وعفَّةٌ في طُهرٍ».[3]

ولا ينبغي أن يلتفت الإنسان وهو يحصِّل الدنيا عن نعمٍ أخرى أولى؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصحَّةُ والفراغ».[4] وهما نعمتان يمكن تحصيلُ الآخرة من خلالهما.

هـ/ النهي عن بيع الدنيا بالآخرة والتكالب عليها:

أكثر الوارِدِ في النُّصوص الحديثيَّة ترشيدٌ لغريزة تحصيل المال؛ بالنَّهي عن بيع الدنيا بالآخرة؛ أو الالتهاء بالدنيا التهاءً مُطغيًا، ونحو ذلك من الفتنة؛ ومن الأساليب في توضيح ذلك بيانُ قدر الدنيا: كقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «ما مثلُ الدُّنيا في الآخرة إلاَّ مثل ما يجعل أحدُكم إصبِعَه في اليمِّ فلينظر بم يرجع»[5]؛ أو لـمَّا مرَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بشاةٍ ميتة قد ألقاها أهلها، فقال: « والذي نفسي بيده للدُّنيا أهون على الله من هذه على أهلها».[6] وقال: «ما قلَّ وكفى؛ خيرٌ ممَّا كثُرَ وألهى».[7]

ويزداد الذمُّ بقدر ما يُفسد المالُ الخلقَ؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: « تَعِسَ عبد الدِّينار والدِّرهم والقطيفة والخميصة؛ إن أعطِيَ رضِيَ، وإن لم يُعط لم يرضَ»[8]. وليس المطلوب أن ترفض الدنيا بالكلِّيّة؛ فعن سعدٍ قال:[9] « لقد ردَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على عثمان بن مظعون التبتُّلَ؛ ولو أذن له لاختصينا». ولكنَّه ما كان ليأمر بذلك.

ومن فاته شيء من الدنيا فلينظر إلى من هو دونه ممَّن فاته أكثر؛ فعن أبي ذرٍّ قال: أمرني خليلي صلَّى الله عليه وسلَّم بسبعٍ: أمرني بحبِّ المساكين والدنوِّ منهم؛ وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي. وأمرني أن أصل الرَّحم وإن أدبرت. وأمرني أن لا أسأل أحدًا شيئًا...[10].

وبعد ذلك يكون الزهد في زخرف الدُّنيا محمودًا وللمرء الإسوة بحياة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم حيث كان يدعو ويقول: « اللهمَّ اجعل[11] رزق آل محمَّدٍ قوتاً». وكانت معيشتُهُ صلَّى الله عليه وسلَّم كما ترويها لنا

---

[1]- ابن ماجه: التجارات، باب الحث على المكاسب، ح2141، ص369. وصحَّحه الألباني.

[2]- التِّرمذي: الزهد، باب في التوكُّل على الله، ح2344، ص529. قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه. وصححه الألباني.

[3]- أحمد (177/2)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 733، وانظر مختصرها برقم 1327.

[4]- التِّرمذي: الزهد، باب الصحَّة والفراغ نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس، ح2304، ص521؛ وصحَّحه الألباني.

[5]- ابن ماجه: الزهد، باب مثل الدُّنيا، ح4108، ص 684، وصحَّحه الألباني.

[6]- السلسلة الصحيحة برقم 2482، ومختصرها برقم 1414.

[7]- السلسلة الصحيحة برقم 947، ومختصرها برقم 1386.

[8]- البخاري: الرِّقاق، بابُ ما يُتَّقى من فتنة المال، وقول الله تعالى: ﴿إنَّما أموالكم وأولادكم فتنةٌ﴾، ح6435، ص1309.

[9]- ابن ماجه: النِّكاح، باب النَّهي عن التبتُّل، ح1848، ص322؛ وصحّحه الألباني.

[10]- أحمد في مسنده (195/5)؛ وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2166، وانظر مختصرها برقم 53.

[11]- ابن ماجه: الزهد، باب القناعة، ح 4139، وصححه الألباني. ص689.

زوجهُ أمُّنا عائشة رضي الله تعالى عنها: « إن كنَّا[1] _آلَ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم _ لنمكث شهراً ما نوقد فيه بنارٍ؛ ما هو إلاَّ التَّمرُ والماءُ».

وفي الأخير لا يجوز تعارض المال مع الآخرة؛ فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « من كانت الآخرةُ همَّهُ، جعل الله غناهُ في قلبه، وجمع له شملَهُ، وأتته الدنيا وهي راغمةٌ. ومن كانت الدُّنيا همَّه، جعل الله فقرَهُ بين عينيه، وفرَّق عليه شملَهُ؛ ولم يأتِهِ من الدُّنيا إلاَّ ما قُدِّر له».[2]

2. القيم الأخلاقيَّة في كيفيَّة تحصيل المال:

وإذا كان المال رزقًا فإنَّ الرّزق يُنالُ بالتَّحصيل؛ وقد انضبطت مسائله بالقيم المرشِّدة له؛ واتَّجهت إلى الآتي:

أ/ تعلُّقه بأحكام الحلال والحرام: وينبني هذا على أساس كون الله تعالى الرزَّاق، وفي الكسب ما يكون على أساس التعب والجهد أساسًا، كأنواع التِّجارات؛ ومنه ما يكون عن طريق الرزق المحض، كالهبات والمواريث مثلا. وأُمِر النَّاس بالحلال وهو المباركُ فيه، وتركُ الحرام وهو الممحوقُ البركة؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: « فمن يأخذ مالاً بحقِّه يُبارك له فيه، ومن يأخذ مالاً بغير حقِّه، فمثله مثل الذي يأكل ولا يشبع».[3] وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنَّ هذا المال حُلوَةٌ خضرة، من أصابه بحقِّه بورك له فيه؛ وربَّ متخوّضٍ فيما شاءت نفسُهُ، من مال الله ورسوله، ليس له يوم القيامة إلاَّ النَّار».[4]

وجاءت الشريعة بتفصيل الحلال والحرام؛ وما كان بينهما فمتروك للورع حسب كلِّ واحدٍ؛ بين مجتنبٍ ومتخوِّضٍ؛ كما يدلُّ عليه الحديث المشتهر عن النعمان بن بشيرٍ رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «إنَّ الحلال بيِّنٌ؛ وإنَّ الحرام بيِّنٌ. وبينهما أمورٌ مشتبِهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من النَّاس؛ فمن اتَّقى الشُّبهات استبرء لدينه وعرضه؛ ومن وقع في الشُّبهات، وقع في الحرام ».[5]

ولا يُقبل عند الله إلاَّ الحلالُ الطيِّب كسبًا وإنفاقًا؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: « أيُّها النَّاس: إنَّ الله طيِّبٌ لا يقبل إلاَّ طيِّبًا؛ وإنَّ الله – عزَّوجلَّ- أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿**يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾[6]؛ وقال تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾[7]. قال: ثمَّ ذكر عبدًا أشعثَ أغبرَ، يُطيل السفر، رافعًا يديه: يا رب، يا رب؛ ومطعمه حرامٌ، ومشربُهُ حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يُستجاب له؟».[8]

وعند قرب السَّاعة: « يأتي على النَّاس زمانٌ لا يُبالي المرء ما أخذَ منه، أمن حلالٍ، أم من الحرام؟».[9]

---

[1]- ابن ماجه: الزهد، باب معيشة آل محمَّدٍ صلى الله عليه وسلّم، ح4144، وصحَّح الإسناد الألباني، ص689.

[2]- الترمذي: صفة القيامة، بابٌ، ح2465، ص556. وصحَّحه الألباني.

[3]- مسلم: الزكاة، باب تخوُّف ما يخرج من زهرة الدنيا، ح2418، ص466.

[4]- الترمذي: الزهد، باب ما جاء في أخذ المال، ح2374، ص534. قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وصحَّحه الألباني.

[5]- مسلم: مساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشُّبهات، ح4070، ص744.

[6]- المؤمنون: 51.

[7]- البقرة: 172.

[8]- مسلم: الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيِّب وتربيتها، ح2343، ص453.

[9]- البخاري: البيوع، باب من لم يبالِ من حيث كسب المال، ح2059، ص424.

ب/ الحثُّ على الكسب:

الكسب الحلال، وبعرق الجبين وكدِّ اليمين من أعظم أعمال المرء في تحصيل المال؛ عن رافع بن خديج قال: قيل: يا رسول الله أيُّ الكسبِ أطيبُ؟ قال: « عملُ الرجل بيده، وكلُّ بيعٍ مبرورٍ».[1]

ولقد اشترط الإسلام في مشروعية الكسب أحد أمرين، **الأوَّل:** أن يكون الربح مقابل عملٍ، أيًّا كان نوع هذا العمل، وأيًّا كان الجهد الذي يبذله العامل (ذهني أو عضلي...). **الثاني:** أنَّ الغنمَ بالغُرْمِ؛ ويعني أن يكون الربح مقابل تحمُّل الخسارة.[2]

وقد ذُمَّت البطالة، وتكفُّف النَّاس وسؤالهم؛ فعن قبيصةَ بن مخارق الهلاليِّ قال: تحمَّلتُ حَمَالةً، فأتيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أسأله فيها؛ فقال: «أَقِمْ حتَّى تأتينا الصَّدقةُ فنأمر لك بها». قال: ثمَّ قال: « يا قبيصةُ: إنَّ المسألةَ لا تحلُّ إلاَّ لأحد ثلاثةٍ: رجلٍ تحمَّل حَمالةً فحلَّت له المسألةُ حتَّى يصيبها، ثمَّ يمسكُ. ورجلٍ أصابته جائحةٌ اجتاحت ماله، فحلَّت له المسألة، حتَّى يصيب قِوامًا من عيشٍ –أو قال سِدادًا من عيشٍ- ورجل أصابته فاقةٌ حتَّى يقوم ثلاثةٌ من ذوي الحِجَا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقةٌ، فحلَّت له المسألة حتَّى يصيب قِوامًا من عيشٍ – أو قال سدادًا من عيشٍ- فما سواهنَّ من المسألة يا قبيصةُ سُحتًا، يأكلها صاحبها سحتًا».[3] وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: «لأن يأخذ أحدكم حبلَه، فيأتي بحزمةِ الحطبِ، على ظهره فيبيعها، فيكفَّ الله بها وجهَهُ، خيرٌ له من أن يسأل النَّاس، أعطوه أو منعوه».[4] وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: « لِيَستَغْنِ أحدُكم عن النَّاس، ولو بقضيبٍ من سواكٍ».[5]

فالمطلوب إذن: توكُّلٌ على الله تعالى إذ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « لو أنَّكم توكَّلون على الله حقَّ توكُّلِه، لرزقكم كما يرزق الطَّير: تغدو خِماصًا، وتروح بِطانًا».[6] ثمَّ إتقانُ العمل، فعن عائشة مرفوعًا: «إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[7]. والإحسان فيه فـ: « إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيءٍ؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلةَ؛ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحةَ. وليحُدَّ أحدُكم شفرته، وليُرِح ذبيحته».[8] كما أمر صلَّى الله عليه وسلَّم.

وليكن نافعًا في عمله وإن لم يشهد نفعه هو أو ولده؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « إن قامت السَّاعة، وبيد أحدكم فسيلةٌ؛ فإن استطاع أن لا يقوم حتَّى يغرسها، فليفعل».[9] وليتحلَّ بالأمانة وحفظ العهد والتزام الشروط لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: « المسلمون عند

---

[1]- أحمد في مسنده (141/4).

[2]- أضواء على المعاملات المالية في الإسلام: مرجع سابق؛ ص21.

[3]- مسلم: الزكاة، باب من تحلُّ له المسألة، ح2401، ص 463.

[4]- البخاري: الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ح1471؛ ص206.

[5]- السلسلة الصحيحة برقم 2198، ومختصرها برقم 1273.

[6]- الترِمذي: الزهد، بابٌ في التوكُّل على الله، ح2344، ص529. وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني.

[7]- السلسلة الصحيحة برقم 1113، ومختصرها برقم 1216.

[8]- الترِمذي: الديَّات، باب ما جاء في النَّهي عن المثْلَةِ، ح1409؛ ص332. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ؛ وصحَّحه الألباني.

[9]- أحمد في مسنده (191/3). وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 09، وانظر مختصرها برقم 1228.

شروطهم».[1] ولا يسلك مسالك محرَّمةً لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: « من غشَّنا فليس منَّا؛ والمكر والخداع في النَّار».[2] وقال: « ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليمٌ ... (والثالث) المنفِّق سلعته بالحلف الكاذب».[3] ولا يؤذ النَّاس في أثناء كسبه فـ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده؛ والمؤمن من أمنه النَّاس على دمائهم، وأموالهم».[4] وما جاءه من مالٍ حلالاً من دون دنيَّة أو حرمةٍ فليحمد الله تعالى عليه؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «ما آتاك الله من أموال السُّلطان من غير مسألةٍ ولا إشرافٍ، فكُلْهُ، وتموَّلْهُ».[5] وإذا كانت الحسنات تُذهبن السيِّئات فلتكن الصدقة كفَّارةً لما قد يقع فيه المكتسب من مخالفات؛ فعن أبي غرزة، قال: خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ونحن نُسمَّى "السَّماسرة" فقال: « يا معشر التُّجَّار: إنَّ الشَّيطانَ والإثمَ يحضران البيع؛ فشوبوا بيعكم بالصدقة».[6]

جـ/ تفاوت أحكام الكسب بين المسامحة والمماكسة والمساومة:

إذا كان المال غريزةٌ حبِّه في النُّفوس مركوزةٌ؛ وإذا كانت السبل في تحصيله كثيرةً بين حلالٍ وحرامٍ؛ فبديهةً ستحدث المنازعات بين النَّاس في ذلك والمشاحنات؛ وديدن الشَّريعة ونصوصُها ابتداءً هو تنظيم الغرائز وضبطها بما فيه صلاح الاجتماع البشري. وأجمل توصيفٍ لذلك قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «أدخلَ الله عزَّ وجلَّ رجلاً كان سهلاً **مشتريًا وبائعًا؛ وقاضيًا ومقتضيًا** الجنَّةَ».[7]

وقال كذلك: «لا تحاسدوا، ولا تناجحشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا. ولا يبعْ بعضكم على بيع بعضٍ؛ وكونوا عباد الله إخوانًا. المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله ولا يكذِبُهُ، ولا يحقره؛ التقوى ههنا [ويشير إلى صدره ثلاث مرَّاتٍ] بحسب امرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم. كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمُه ومالُهُ، وعِرضُهُ».[8]

3. القيم الأخلاقية في تنمية المال:

المال شيءٌ نامٍ؛ يزداد؛ ونموُّه ورباه في الإسلام يكون بأخلاقٍ تصاحب عمليَّاته؛ ونلاحظ في النُّصوص الحديثيَّة في ذلك الآتي:

أ/ مراعاة طبع الإنسان في الاستزادة:

---

[1]- أورده البخاري في كتاب الإجارة، في ترجمة أحد الأبواب، وهو باب أجر السمسرة، ص، باب الصحيحة 2915، ومختصرها 1296.

[2]- السلسلة الصحيحة برقم 1058، ومختصرها برقم 1292.

[3]- مسلم: الإيمان، باب بيان غلظ تحريم... الخ، ح289، ص100.

[4]- التِّرمذي: الإيمان، باب ما جاء في أنَّ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده؛ ح2627؛ ص592. وصححه الألباني.

[5]- السلسلة الصحيحة برقم 2209، ومختصرها برقم 1275.

[6]- الترمذي: البيوع، باب ما جاء في التجَّار، وتسمية النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إيَّاهم، ح 1208، ص288. وصحَّحه الألباني.

[7]- النَّسائي: البيوع، باب حسن المعاملة والرفق في المطالبة، ح4696، ص715.

[8]- مسلم: البرُّ والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ودمه وعرضه وماله، ح6484، ص1174.

إذ لا عيبَ في الاستزادة من فضل الله حلالاً طيِّبًا فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: « بينما أيُّوب يغتسل عريانًا، خرَّ عليه رِجلُ جرادٍ من ذهبٍ؛ فجعل يحثي في ثوبِهِ؛ فنادى ربُّهُ: يا أيُّوبُ، ألم أكن أغنيتُك عمَّا ترى؟ قال: بلى يا ربُّ، ولكن لا غنى لي عن بركتك».[1]

ذلك لأنَّ صلاح دنيا العبد مبلغةٌ إلى صلوح آخرته؛ وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: « اللَّهمَّ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري؛ وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي؛ وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي. واجعل الحياة زيادةً لي في كلِّ خيرٍ؛ واجعل الموت راحةً لي من كلِّ شرٍّ».[2] فكلُّ مرحلة مُبَلِّغةٌ إلى الأخرى؛ وصلوح كلِّ واحدةٍ صلوحٌ لما بعدها.

ب/ ضبط الغريزة بالقناعة:

الاستزادة وإن كانت من طبع البشر؛ إلاَّ أنَّها مضبوطة بالشكر والقناعة؛ فلا يستزيد المرء كأنَّه خالدٌ: فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما- قال: « أخذ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمنكبي فقال: كن في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابر سبيلٍ»[3].

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « ليس الغنى[4] عن كثرة العَرَضِ؛ ولكنَّ الغِنى غنى النَّفس». وقال: «قد أفلح من هُدِي إلى الإسلام؛ ورُزق الكفافَ، وقنع به».[5]

ويزداد الأمر تأكيدًا حين تكون سبل الاستزادة وفرصُهَا مشبوهةً أو محرَّمة؛ أو لم يوفِّق الله تعالى إليها؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «ومن يستعفف يُعِفُّه الله؛ ومن يستغنِ يُغنِهِ الله؛ ومن يتصبَّر يُصبِّره الله؛ وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»[6].

ج/ ضبط وسائل التنمية بعدم الضرر والضرار:

فعن عبادةَ بن الصامت رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قضى أن: «**لا ضرر ولا ضرار**».[7]ويدخل في صياغة هذه المنظومة القيمية ما سيأتي ذكره من حماية الضعفاء، وحماية المال وأصحابه؛ وينضاف عليها جميع الأحاديث في البيوع المنهي عنها، والتي ما نُهي عنها إلاَّ لتحقُّق الضرر أو الضرار فيها؛ أو خُشي أداؤها إليهما؛ وفساد ذات البين بين النَّاس من الضرر والضرار كذلك. ومن أمثلة المنهي عنه في المعاملات نهيه صلَّى الله عليه وسلَّم عن ثمن الخمر، ومهر البغيّ، وثمن الكلب.[8] وحُلوان الكاهنِ[9]... الخ.

---

[1]- البخاري: أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، ح 3391؛ ص 710-711.

[2]- مسلم: الدعوات، باب التعوُّذ من شرِّ ما عمل، ومن شرِّ ما لم يعمل، ح6864، ص1230.

[3]- البخاري: الرِّقاق، باب قول النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم: "كن في الدُّنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل"، ح6416، ص1306.

[4]- ابن ماجه: الزهد، باب القناعة، ح 4137، وصحّح الإسناد الألباني. ص688.

[5]- ابن ماجه: الزهد، باب القناعة، ح4138، ص688-689. وصحَّحه الألباني.

[6]- البخاري: الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ح1469، ص306.

[7]- ابن ماجه: الأحكام، باب من بنى في حقِّه ما يضرُّ جاره، ح2340، ص400. وصحَّحه الألباني.

[8]- السلسلة الصحيحة برقم 1303، وانظر مختصرها برقم 1205.

[9]- البخاري: البيوع، باب ثمن الكلب، ح2237، ص455.

4. القيم الأخلاقية في إنفاق المال:

فإنَّما المال رُزِقَهُ الإنسان لينفقه، والإمساك مهلَكَةٌ، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « يا ابن آدم: إن تُعطِ الفضلَ فهو خيرٌ لك؛ وإن تمسكه فهو شرٌّ لك. وابدأ بمن تعول. ولا يلوم الله على الكفاف؛ واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى».[1] ولا مَهْلَكَةَ بالإنفاق، بل على العكس: « ما من يومٍ يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهمَّ أعط منفقًا خلَفًا؛ ويقول الآخر: اللهمَّ أعط ممسكًا تلَفًا».[2] وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: «أنفق بلالُ؛ ولا تخش من ذي العرش إقلالاً».[3]؛ وقال كذلك: «... ما نقص مالُ عبدٍ من صدقةٍ؛ ولا ظُلِم عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلاَّ زاده الله عزًّا؛ ولا فتح عبدٌ باب مسألةٍ إلاَّ فتح الله عليه بابَ فقرٍ...».[4]

ونصَّت الأحاديث النبويَّة على الآتي:

أ/ الإنفاق يكون وفق إرادة المالك الحقيقي:

فكما لا يكتسب المرء ماله من حرام لا ينفقه في حرام؛ وقد اجتمع ذلك بأتم بيان في الملعونين في الخمر؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في الخمر عشرةً: عاصرَهَا ومعتصرَهَا؛ وشاربها؛ وحاملها والمحمولة إليه؛ وساقيها؛ وبائعها وآكل ثمنها؛ والمشتري لها والمشتراة له[5].

ب/ أداء حق المال:

إذا كان المال رزقًا من الله، والنعم حقُّها الشكر، ولا بدَّ من أداء الحقِّ. والنُّصوص الحديثيَّة تنتقل في أغلب الأحايين من الأمر بأداء حق المال إلى عقوبة من يتخلَّف عن ذلك؛ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «من آتاه الله مالاً، فلم يؤدِّ زكاتَهُ؛ مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعًا أقرعَ له زبيبتان؛ يُطَوَّقُهُ يوم القيامة. ثمَّ يَأخُذُ بلِهْزِمَتَيْهِ –يعني شدقيه- ثمَّ يقول: "أنا مالُك، أنا كنزك"، ثمَّ تلا : ﴿**ولا يحسبنَّ الذين يبخلون**﴾ الآيةُ»[6].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: انتهيتُ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: «والذي نفسي بيده، أو: "والذي لا إله غيرُهُ"، أو كما حلف؛ ما من رجلٍ تكون له إبلٌ، أو بقرٌ، أو غنمٌ؛ لا يؤدِّي حقَّها؛ إلاَّ أتي بها يوم القيامة أعظم ما تكونُ، وأسمَنَه. تطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها؛ كلَّما جازت أُخراها، ردَّت عليه أولاها؛ حتَّى يُقضى بين النَّاس»[7].

ومن رحمة الله تعالى بخلقه أن لم يسألهم خِيَارَ أموالهم بل أواسطها؛ ومن خسَّة العبد أن ينفق في الصدقة من شرِّ ماله؛ فعن عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعًا: « ثلاثٌ من فعلهنَّ فقد طَعِم طعم الإيمان: من عبد الله وحده، وأنَّه لا إله إلاَّ الله، وأعطى زكاة ماله طيِّبَةً بها نفسُهُ، رافدةً عليه كلَّ عامٍ. ولا يُعطي الهرمة،

---

[1]- التِّرمذي: الزهد، بابٌ منه، ح2343، ص529. وقال هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ؛ وصححه الألباني.

[2]- البخاري: الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فأمَّا من أعطى واتَّقى...﴾، ح 1442، ص 299. ومسلم: الزكاة، بابٌ في المنفق والممسك، ح2333، ص452.

[3]- السلسلة الصحيحة برقم 2661، ومختصرها برقم 1823.

[4]- الترمذي: الزهد، باب ما جاء مثل الدُّنيا مثل أربعة نفرٍ، ح2325، ص525. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. وصحَّحه الألباني.

[5]- الترمذي: البيوع، باب النَّهي أن يتَّخذ الخمر خلاًّ، ح1295، ص307. وقال الألباني: حسنٌ صحيح.

[6]- البخاري: الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، وقول الله تعالى...، ح1403، ص291.

[7]- البخاري: الزكاة، باب زكاة البقر، ح1460، ص303.

ولا الدَّرِنَةَ، ولا المريضة، ولا الشَّرَطَ اللئيمة؛ ولكن من وسط أموالكم. فإنَّ الله لم يسألكم خيرَهُ، ولم يأمركم بشرِّه»[1].

ج/ الإنفاق عبادة:

أو لنقل إنَّها أعمال يؤجر عليها العبد إذا استحضر نيَّتها؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « ما من مسلمٍ يغرس غرسًا؛ أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طيرٌ، أو إنسانٌ، أو بهيمةٌ، إلاَّ كان له به صدقةٌ».[2] وقال كذلك: « إذا أنفق المسلم نفقةً على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقةً».[3]

ونجد النُّصوص الحديثيَّة تقرن بين الإنفاق وبين دين المرء وإيمانه، إيجابًا وسلبًا: فعن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «ليس المؤمن الذي يشبع؛ وجاره جائعٌ إلى جنبه».[4] وقال: «الساعي على الأرملة، والمساكين، كالمجاهد في سبيل الله؛ وكالذي يصوم النَّهار، ويقوم الليل».[5] ذلك أنَّ: « المؤمن يألَف ويُؤلَف؛ ولا خيرَ فيمن لا يألف ولا يؤلف. وخير النَّاس أنفعُهُم للنَّاس».[6] كما قال صلَّى الله عليه وسلَّم.

5. القيم الأخلاقية في حماية المال والحقوق:

لمَّا كانت الدنيا متكالَبًا عليها؛ وكان النَّاس بسبب زهرتها يظلم بعضهم بعضًا؛ فإنَّ الشَّريعة ونصوصها تدخَّلت لحماية المال وأصحابه من جهة؛ وحماية ذوي الحقوق والضعفاء من جهة أخرى؛ ونصَّت منظومة ذلك على الآتي:

أ/ حماية أصحاب الأموال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « أُمرتُ أن أقاتل النَّاس حتَّى يقولوا: "لا إله إلاَّ الله". فمن قالها فقد عصم منِّي مالَهُ ونفسَهُ –إلاَّ بحقِّه- وحسابُهُ على الله»[7]. وقال: «كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمُه ومالُهُ، وعِرضُهُ».[8] فالمسلم معصوم النَّفس معصوم المال، حقُر شأنهما، أم عظُم.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنَّ قريشًا أهمَّهم شأن المرأة المخزوميَّة التي سرقت؛ فقالوا: من يكلِّم فيها رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم؟ قالوا: ومن يجترئ عليه إلاَّ أسامة بن زيدٍ، حبُّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. فكلَّمه أسامةُ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟» ثمَّ قام فاختطب النَّاس، فقال: « يا أيُّها النَّاسُ: إنَّما هلك الذين من قبلكم، أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشَّريف تركوه؛ وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ. وأيمُ الله، لو أنَّ فاطمة بنتَ محمَّدٍ سرقت، لقطعتُ

---

[1]- أبو داود: الزكاة، باب في زكاة السائمة، ح1410، (300/5)؛ وصحَّحه الألباني.

[2]- البخاري: الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع، والغرس إذا أكل منه...، ح2329، ص476.

[3]- البخاري: النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، ح5351، ص1135.

[4]- السلسلة الصحيحة برقم 149، ومختصرها برقم 387.

[5]- البخاري: النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، ح5353، ص1135.

[6]- السلسلة الصحيحة برقم 426، ومختصرها برقم 425.

[7]- البخاري: الزكاة، باب وجوب الزكاة، ح1399، ص290.

[8]- مسلم: البرُّ والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ودمه وعرضه وماله، ح6484، ص1174.

يدها».[1] ففي هذا المثال حماية لصاحب المال بتشريع حدِّ السرقة؛ وبعدم الشفاعة فيه إذا رفع أمره للسلطان؛ فالسارقة من الأشراف؛ والمسروق منه ظاهره أنَّه أحطُّ منها منزلة؛ ولكنَّ العبرة أنَّ المال وصاحبه يحاطان بالرعاية والحماية مهما علا شأن السارق أو المفسد.

ب/ حماية الضعفاء:

وأكثر النُّصوص الحديثيَّة فيهم؛ وذلك بدهيٌّ؛ لأنَّ القويَّ يستطيع حماية نفسه بالحقِّ وبالباطل؛ بل كثيرًا ما يعتدي هو على الأضعف منه؛ ولذلك جاءت النُّصوص تحميهم من الغبن والظلم؛ والأمثلة متكاثرة جدًّا منها ما جاء عامًّا كقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن؛ ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء».[2] ومنها ما جاء خاصًّا في شأن المال وتسييره؛ كقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «أعطُوا الأجير أجرَهُ، قبل أن يجفَّ عرقُه».[3] وقوله: «مَطْلُ الغنيِّ ظلمٌ».[4] وقوله: « قال الله: ثلاثةٌ أنا خصمُهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غدر؛ ورجلٌ باع حرًّا فأكل ثمنه؛ ورجلٌ استأجر أجيرًا، فاستوفى منه، ولم يُعطِ أجرَهُ»[5]. وقوله: «من احتكر حُكرةً يريد أن يُغلي بها على المسلمين فهو خاطئٌ».[6]وقال: «لا يحتكر إلاَّ خاطئ».[7]وكذلك قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «كلُّ قرضٍ جرَّ نفعًا فهو ربًا».[8] وقال لأيضًا: «أيُّما أهل عرصة، أصبح فيهم امرؤٌ جائعًا؛ فقد برئت منهم ذمَّة الله تعالى».[9]

وفي مقابل ذلك ندب النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم الأقوياء أن يحسنوا إلى الضعفاء؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «من أنظر مُعسِرًا، أو وضع له؛ أظلَّه الله يوم القيامة تحت ظلِّ عرشه، يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه».[10] و«كان تاجرٌ يداين النَّاس، فإذا رأى مُعسِرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعلَّ الله أن يتجاوز عنَّا؛ فتجاوز الله عنه».[11] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أنَّ رجلاً ذكر للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه يُخدع في البيوع، فقال: «إذا بايعتَ فقل: لا خِلابةَ».[12]

كما إنَّ النُّصوص الحديثيَّة ترسم صورةً مشرقةً عن الفقر والفقراء والمساكين -إذا فقهوا- ذلك أنَّ الفقراء –لفقر أيديهم من المادَّة- أرواحهم أشدُّ قبولاً للمعنويَّات –والإيمانُ أوَّلُها وأُسُّها- كما أنَّ قلوبهم –عادةً ما تكون- رقيقةً، ولذلك تجد أكثر تابعي النبيِّين من الفقراء والضعفة، وتجد أشدَّ النَّاس عداوةً لهم الملأ من

---

[1]- ابن ماجه: الحدود، باب الشَّفاعة في الحدود، ح2547، ص433. وصححه الألباني.

[2]- التِّرمذي: البرُّ والصلة، باب ما جاء في رحمة النَّاس، ح1924، ص439. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحَّحه الألباني.

[3]- ابن ماجه: الرهون، باب أجر الأجراء، ح 2443، ص417. وصحَّحه الألباني.

[4]- البخاري: الاستقراض وأداء الديون والحجر والتَّفليس، باب مطل الغني ظلمٌ، ح2400، ص493.

[5]- البخاري: البيوع، باب إثم من باع حرًّا، ح2227، ص 452.

[6]- أحمد في مسنده؛ انظر السلسلة الصحيحة برقم 3362، ومختصرها برقم 1284.

[7]- ابن ماجه: التِّجارات، باب الحُكرة والجلَب، ح2154، ص371. وصحَّحه الألباني.

[8]- المصنَّف لابن أبي شيبة.

[9]- أحمد في مسنده (33/2).

[10]- التِّرمذي: بيوع، باب ما جاء في إنظار المعسر، والرِّفق به، ح1306، ص309. وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني.

[11]- البخاري: البيوع، باب من أنظر معسرًا، ح 2078، ص427.

[12]- البخاري: البيوع، باب ما يكره من الخداع في البيع، ح2117؛ ص435.

القوم وعلّيتهم من أهل الكِبر والتجبُّر، ولذلك قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ودعا: « اللهمَّ[1] أحيني مسكيناً؛ وأمتني مسكيناً؛ واحشرني في زمرة المساكين». وهنا تظهر قيمةٌ عظيمةٌ في تقييم النَّاس –لا على أسسٍ ماديَّة- وإنَّما بالتقوى؛ سواء صاحبها غنيٌّ أم فقير؛ وكلُّ أساسٍ غيره ففي النَّار مركومٌ. فعن سهل بن سعد السَّاعدي، قال: مرَّ رجلٌ على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. فقال لرجلٍ عنده جالسٍ: «ما رأيك في هذا؟»، فقال: رجلٌ من أشراف النَّاس؛ هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنكح، وإن شَفع أن يُشفَّع. قال : فسكت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. ثمَّ مرَّ رجلٌ؛ فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «ما رأيك في هذا؟»[2]. فقال: يا رسول الله، هذا رجلٌ من فقراء المسلمين. هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح؛ وإن شفع أن لا يشفَّع؛ وإن قال أن لا يُسمع لقوله. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا».

ج/ حماية المال:

والأصل فيه قول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنَّ الله حرَّم عليكم عقوق الأمَّهات، ووأد البنات، ومنعٍ وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».[3] وقد سبقت الإشارة أن المال المحترم شرعًا معصومٌ؛ عصمةً تبلِّغ المدافع عن ماله المقتولَ درجةَ الشُّهداء؛ فعن ابن عمر، قال: قال رسول الله عليه وسلَّم: « من أُتِيَ عند ماله، فقُوتِل، فقاتلَ، فقُتِل؛ فهو شهيدٌ».[4]

والمال لا يُحمى عينه فقط، بل وتُحمى بركته؛ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ للسِّلعة، مُمحِقَةٌ للبركة».[5] وقال: «البيِّعان بالخيار، مالم يتفرَّقا (أو قال: حتَّى يتفرَّقا) فإن صدقا وبيَّنَا، بورك لهما في بيعهما؛ وإن كتما، وكذبا، مُحِقت بركة بيعهما».[6] والبركةُ مطلوبةٌ ويدعى الله تعالى أن ينزلها؛ عن أمِّ سُلَيْمٍ أنَّها قالت: يا رسول الله، أنسٌ خادمك، أُدع الله له؛ قال: « اللهمَّ أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيتَهُ».[7]

6. القيم الأخلاقيَّة في التسيير والمحاسبة عليه.

وهذه المحاسبة عن التسيير تكون في الدنيا وفي الآخرة؛ بحيث لا يستقيم شأن أيِّ تسييرٍ –ماليٍّ وغير ماليٍّ- إن لم تترتب عليه جزاءات للمحسن والمسيء. وقبل المحاسبة يأتي التخطيط في وضع المسيِّر الكفء؛ الذي يجنِّبنا مشقات المحاسبة ومنعرجاتها فيما بعد؛ ونلحظ في ذلك الآتي:

أ/الأمانة: وهي شرط في التسيير، جزاؤها عظيمٌ في حالَيْ الالتزام بها، أو تضييعها. قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «ومن استعملناه على عملٍ، فرزقناه رزقًا؛ فما أخذ بعد ذلك فهو غلولٌ».[8] وعن عبد الله بن عمرٍو قال: لعن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الرَّاشي والمرتشي.[1]

---

[1]- ابن ماجه: الزهد، باب مجالسة الفقراء، ح 4126، وصحَّح إسناده الألباني. ص686.

[2]- البخاري: الرِّقاق، باب فضل الفقر، ح6447، ص1312.

[3]- البخاري: الاستقراض وأداء الديون والحجر والتَّفليس، باب ما ينهى عن إضاعة المال، ح2408، ص495.

[4]- ابن ماجه: الحدود، باب من قتل دون ماله فهو شهيدٌ، ح2581، ص439. وصححه الألباني.

[5]- البخاري: البيوع، بابٌ: ﴿يمحق الله الربا ويُربي الصَّدقات، والله لا يحبُّ كلَّ كفَّارٍ أثيمٍ﴾؛ ح2087، ص429.

[6]- البخاري: بيوع، باب ما يَمحق الكذب والكتمان في البيع، ح2082، ص428.

[7]- البخاري: الدعوات، باب الدعاء بكثرة المال مع البركة، ح6378، ص1299.

[8]- أبو داود: أرزاق العمال، ح2943.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**الخازن المسلم الأمين** الذي يُنفذ –وربَّما قال: يُعطي- ما أمر به، فيعطيه كاملاً موفرًّا؛ طيِّبًا به نفسه، فيدفعه إلى الذي أُمر له به، أحد المتصدِّقين».[2] والأمين حقُّ أمين ليس من شأنه الخيانة ولو من خانه؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: « أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك؛ ولا تخن من خانك»[3].

ب/ القوَّة والحزم:

فالذي يتولَّى تسيير المال –بل وجميع الشؤون- هو القويُّ الحازم الأمين؛ ولا ينبغي ذلك لمن سأله؛ فعن أبي موسى الأشعري قال: دخلت على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، أنا ورجلان من بني عمِّي. فقال أحد الرَّجلين: يا رسول الله: أمِّرنا على بعض ما ولاَّك الله عزَّ وجلَّ؛ وقال الآخر مثل ذلك. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنَّا والله لا نولِّي على هذا العمل أحدًا سأله؛ ولا أحدًا حرص عليه».[4]

كما إنَّه لا يُولَّى على ذلك وعلى غيره الضعيف مجاملةً، ولو كان صالحًا. عن أبي ذرٍّ: قلتُ يا رسول الله: ألا تستعملني؟ قال: «يا أبا ذرٍّ: إنِّي أراك ضعيفًا؛ وإنِّي أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي؛ لا تأمَّرنَّ على اثنين؛ ولا تولَّيَنَّ على مال يتيم».[5]

7. القيم الأخلاقيَّة في عاقبة المال:

وتنصُّ على الآتي:

أ/ السؤال عن المال:

فعن ابن مسعودٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «لا تزول قَدَما ابن آدم يوم القيامة من عند ربِّه حتَّى يُسأل عن خمسٍ: عن عمره فيم أفناه؛ وعن شبابه فيما أبلاه؛ وماله، من أين اكتسبه، وفيمَ أنفقه؛ وماذا عمل فيما عَلِم».[6]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: « من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه، فليتحلَّله منها؛ فإنَّه ليس ثمَّ دينارٌ، ولا درهمٌ. من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته؛ فإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيِّئات أخيه، فطُرحت عليه»[7].

ب/ التداول على المال:

بمعنى أنَّ المال ينتقل بين النَّاس: بين أيدي الأحياء بعضهم وبعض من جهةٍ؛ حيثُ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «دعو النَّاسَ يرزقُ اللهُ بعضَهم من بعضٍ».[1] ذلك لئلاَّ يحتكر المال بيد الأغنياء أو طائفة منهم؛ قال

---

[1]- التِّرمذي: الأحكام، باب ما جاء في الرَّاشي والمرتشي في الحكم، ح1337، ص315. قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحَّحه الألباني.

[2]- البخاري: الزكاة، باب أجر الخادم إذا تصدَّق بأمر صاحبه، غير مفسدٍ، ح1438، ص298.

[3]- التِّرمذي: البيوع، باب ما جاء في النَّهي للمسلم أن يدفع إلى الذِّمِّيِّ الخمر يبيعها له، ح1264، ص300-301. وصحَّحه الألباني.

[4]- مسلم: الإمارة، باب النَّهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، ح4694، ص870.

[5]- النسائي: الوصايا، باب النهي عن الولاية على مال اليتيم، ح3667، ص570. وصحَّحه الألباني.

[6]- التِّرمذي: صفة القيامة والرقائق والورع، ح2416، ص544. وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلاَّ من حديث الحسين بن قيسٍ؛ وحسينُ بن قيسٍ يُضعَّف في الحديث من قبل حفظه. وصحَّحه الألباني.

[7]- البخاري: الرِّقاق، باب القصاص يوم القيامة، ح6534، ص1325.

رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لمعاذٍ حين بعثه على اليمن: « فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم، تؤخذ **من أغنيائهم، وتُردُّ على فقرائهم**؛ فإذا أطاعوا بها، فخذْ منهم، وتوقَّ كرائم أموال النَّاس»[2].

ومن جهة أخرى تداولٌ بانتقال المال من الميت إلى الأحياء من طريق التوريث. وهنا تظهرُ مجموعةٌ كبيرة من الأحاديث النبويَّة تذكّر المرء بنهاية ماله، وكيف يريدُها: هل يريدها منتهيةً بموته؟ أم يفنى هو ويزول ماله من ملكه، وتبقى الحسناتُ دارَّةً عليه في قبره؟ عن مطرِّفٍ عن أبيه، أنَّه انتهى إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وهو يقول: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾؛ قال: «يقول ابن آدم: "مالي مالي". وهل لك من مالك إلاَّ ما تصدَّقت فأمضيتَ؟ أو أكلتَ فأفنيت؟ أو لبستَ فأبليتَ؟»[3] وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «يتبع الميِّت ثلاثةٌ: فيرجع اثنان، ويبقى معه واحدٌ يتبعُهُ: أهله، وماله، وعمله. فيرجع أهله، وماله؛ ويبقى عمله»[4]. وقال: «أيُّكم مالُ وارثِهِ أحبُّ إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله، ما منَّا أحدٌ إلاَّ مالُهُ أحبُّ إليه. قال: فإنَّ ماله ما قدَّم، ومالُ وارثه ما أخَّر».[5] وقال صلَّى الله عليه وسلَّم أيضًا: «أتاني جبريل، فقال: يا محمَّد عش ما شئتَ فإنَّك ميِّتٌ؛ وأحبب من شئت فإنَّك مفارقه؛ واعمل ما شئت فإنَّك مجزيٌّ به. واعلم أنَّ شرف المؤمن قيامه باللَّيل؛ وعزَّهُ استغناؤه عن النَّاس».[6]

والنُّصوص الحديثيَّة تنبؤنا أنَّه لا يجوز أن تكون خطة العبد المالية منتهية بموته: فعن عامر بن سعد عن أبيه، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال له: « ...إنَّك أن تذَرَ ورثتك أغنياء، خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكفَّفون النَّاس»[7].

فإذا جاء يوم الحساب، وبطل عمل المال، جاء الجزاء على ما بقي من أثر العمل بالمال؛ حيث: « لا يدخل الجنَّة جسدٌ غُذِّي بالحرام».[8]

- **المبحث الثالث: آليات معالجة الفساد المالي من خلال القيم الأخلاقية النبويَّة.**

القيم الإسلاميَّة هي مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشَّخصيَّة الإسلاميَّة؛ وتجعلها متكاملةً، قادرةً على التفاعل الحي مع المجتمع؛ وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النَّفس، والأسرة، والعقيدة.[9] وهي على هذا الأساس منظومة متشابكة العناصر، ومتضامنة الوظائف؛ ولعلَّ بعض خطوط ذلك قد اتَّضحت من خلال المبحث السابق.

---

[1]- مسلم: البيوع، باب تحريم بيع الحاضر للبادي، ح3805، ص705.

[2]- البخاري: الزكاة، باب لا تُؤخذ كرائم أموال النَّاس في الصدقة، ح1458، ص303.

[3]- التِّرمذي: الزهد، بابٌ منه، ح2342، ص528-529. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحَّحه الألباني.

[4]- البخاري: الرِّقاق، باب سكرات الموت، ح6514، ص1221.

[5]- البخاري: الرِّقاق، باب ما قدَّم من ماله، فهو له، ح6442، ص1310.

[6]- السلسلة الصحيحة برقم 831، ومختصرها برقم 1312.

[7]- البخاري: الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء والوجع، ح 6373، ص1298.

[8]- الصحيحة 2609، ومختصرها 1308.

[9]- المدخل إلى القيم الإسلامية: مرجع سابق، ص41.

وسوف نحاول على هدي ما سبق أن ننظر إلى الكيفيَّة التي تمَّ من خلالها معالجة النُّصوص الحديثيَّة لمشكلات الفساد المالي؛ والتي وجدناها تنتظم - بحسب الظروف والملابسات- في مرحلتين:

أوَّلا: مرحلة التلافي والوقاية.

حيث إنَّ الشريعة الإسلاميَّة تنظر إلى الأمور قبل وجودها وأثناءه، وبعده. والحكمة تقتضي تلافي الأعطاب وتوقِّيها؛ وهو الأمر ههنا. ويمكن أن نستنبط من خلال ما سبق سوقه في المبحث الثالث طريقة تلافي وقوع الفساد المالي، أو تلافي انتشاره عند ظهوره كالآتي:

أ/ التعليم النظري المجلِّي للمفاهيم.

بمعنى أنَّ الهدي النبوي يوضح المفاهيم، ويبيِّنها؛ وههنا بيَّن أنَّ الفساد من عظيم المنكرات بكلِّ أشكاله؛ وقد مرَّ بنا النهي عن إضاعة المال وأضيف ههنا نصَّين آخرين؛ الأوَّل قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: « من كانت له أرضٌ فليزرعها؛ أو ليمنحها أخاه».[1] فمجرَّد ترك الأرض من دون خدمتها يعدُّ مفسدةً، وتفويت مصالح على النَّاس. وقال صلَّى الله عليه وسلَّم لمضيفه الأنصاري الذي أراد إكرامه بذبح شاةٍ: «إيَّاك والحلوبَ».[2] فالحلوبُ يُستفاد من حليها ويمكن ذبح غيرها ممَّن لا فائدة منه إلاَّ لحمُه، فإذا ذبحت فاتت تلك المصلحة؛ وصار ذبحها فسادًا وإفسادًا.

ب/ الوعظ المرقِّق للقلوب في مواجهة صلابة الماديَّة.

إنَّ الوعظ والتذكير يجعل للقيم رسوخًا واستصحابًا لها في جميع مسارات الحياة؛ ويجعلها كالمنبِّهات في ضمير المرء ووعيه ولاشعوره؛ وقد مرَّت معنا نصوصٌ في ذلك؛ وأضيف ههنا أخرى: قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: « من[3] كانت الدُّنيا همَّه، فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدُّنيا إلاَّ ما كُتِب له؛ ومن كانت الآخرة نيَّتَهُ جمع الله له أمرَهُ، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدُّنيا وهي راغمةٌ». وقوله صلَّى الله عليه وسلَّم في الربط بين الماديَّات والرَّوحانيات: « من سرَّه أن يُبسط له رزقُه، أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه».[4] وقوله يعظ التُّجَّار: « يا معشر التُّجَّار: إنَّ البيع يحضره اللَّغو، والحلف؛ فشوبوه بالصدقة»».[5]

ج/ وضع الشرع الحاسم للنِّزاع.

فقد جاءت الشَّريعة من خلال القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة ضابطةً لكلِّ أشكال العلاقات بين النَّاس – تعلَّق بها المال وتسييره أم لم يتعلَّق- فما كان فيه إفسادٌ للعلاقات أو ذريعة إليها نُهي عنه؛ وما كان مثبِّتًا لها ممسكًا لها ندب إليه وأمر به؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم بأتمِّ بيانٍ: « إنَّه ليس شيءٌ يقرِّبُكم إلى الجنَّة إلاَّ قد أمرتكم به؛ وليس شيءٌ يقرِّبكم إلى النَّار إلاَّ قد نهيتكم عنه. إنَّ روح القدس نفث في روعي: إنَّ نفسًا لا تموت

---

[1]- البخاري: الهبة؛ باب فضل المنيحة، ح2632، ص543.

[2]- مسلم: الأطعمة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك... ح5281، ص962.

[3]- ابن ماجة: الزهد، باب الهمِّ بالدُّنيا، ح4105، ص 683، وصحَّحه الألباني.

[4]- البخاري: بيوع، باب من أحبَّ البسط في الرِّزق، ح2067، ص 425.

[5]- ابن ماجه: التِّجارات، باب التوقِّي في التِّجارة، ح2136، ص 369. وصحَّحه الألباني.

حتَّى تستكمل رزقها؛ فاتَّقوا الله وأجملوا في الطلب. ولا يحملنَّكم استبطاء الرِّزق أن تطلبوه بمعاصي الله؛ فإنَّ الله لا يُدرك ما عنده إلاَّ بطاعته»[1]. وجملة المنهي عنه من المعاملات الماليَّة هي من هذا الباب تقريبًا.

د/ ترتيب الحدود والتعازير.

فحدود السرقة والحرابة إنَّما شُرعت لأجل منع الفساد والإفساد في الأرض؛ ليأمن النَّاس على ذواتهم وأموالهم؛ وحتَّى تستقيمَ أنواع المعاملات- والماليَّةُ منها- وكذلك التَّعازير وُضعت لذلك؛ كالحكم مثلاً بأخذ الزكاة من مانعها وشطر ماله معها عند من رأى ذلك عقوبةً له وتعزيرًا؛ بل ولا مجال إلى التلاعب بشرعة الله بشتَّى أنواع الحيل غير الشَّرعيَّة؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنَّ الله ورسوله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام». فقيل: يا رسول الله: أرأيت شحوم الميتة؟ فإنَّه يطلى بها السفن؛ ويدهن بها الجلود؛ ويَستَصبِحُ بها النَّاس. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «لا، هو حرامٌ». ثمَّ قال عند ذلك: «قاتل الله اليهود؛ إنَّ الله عزَّ وجلَّ لـمَّا حرَّم عليهم شحومها، أجملوه، ثمَّ باعوه، فأكلوا ثمنه».[2]

هـ/ حسن التخطيط.

كما أنَّ الله تعالى يقدِّر ويقضي؛ فالعبد ينبغي أن يأخذ بحظِّه من أسماء الله تعالى وصفاته؛ فلا بدَّ للعباد – فرادى كانوا أم جماعاتٍ أم مؤسَّساتٍ- أن يخططوا ويقدِّروا للتسيير والمسيِّرين؛ وتنظيم الحِسبة؛ والنظر في الاستشارات والمستشارين؛ وقد قال صلَّى الله عليه وسلم: «المستشار مؤتمنٌ».[3] فلا العبادُ تُركوا هملاً؛ ولا الله تعالى يرضى لعباده أن يحييوا هملاً؛ بل يريدنا الله تعالى أن نحسن إدارة حياتنا إيمانيًّا روحانيًّا، وكذلك ماديًّا؛ ولربَّما يكون ضرب المثال في النَّصِّ الحديثيِّ الموالي للمفلس في الآخرة واعتباره مفلسًا على وجه الحقيقة، بالإفلاس المالي المعروف لدى النَّاس في الحياة الدُّنيا من هذا الباب؛ فعن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «أتدرون ما المفلس؟». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إنَّ المفلس من أمَّتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ، وصيامٍ وزكاةٍ؛ ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته؛ فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَت عليه، ثمَّ طرح في النَّار».[4]

ثانيًا: مرحلة العلاج.

إنَّ عمليَّة فصلنا بين المرحلتين – الوقاية والعلاج- إنَّما هي عمليَّة فصلٍ منهجيٍّ لا واقعيٍّ؛ حيث العمليَّتان تترافقان وتتصاحبان معًا ولا تلغي الآخرة منهما الأولى؛ فيبقى التعليم والتصويب للمفاهيم ناجعًا في مرحلة العلاج، وكذلك الوعظُ والإرشاد. ويمكننا أن نستنبط بعض الآليات في ذلك كالآتي؛ وشواهدها الحديثيَّة - كما في المرحلة الأولى- قد سبق التدليل عليها في المبحث السابق:

أ/ الثواب في مقابل العقوبة.

[1]- السلسلة الصحيحة برقم 2866؛ ومختصرها برقم 1012.

[2]- البخاري: البيوع، باب بيع الميتة والأصنام، ح2236، ص455.

[3]- التِّرمذي: الزهد، باب إنَّ المستشار مؤتمنٌ، ح2823، ص631. وقال: هذا حديثٌ غريبٌ. وصحَّحه الألباني.

[4]- السلسلة الصحيحة برقم 847، ومختصرها برقم 1313.

فالشريعة من خلال النُّصوص المنظِّمة لها لم تأت بالعقوبة فقط؛ وإنَّما بإثابة المحسن في الحياة الدُّنيا قبل الآخرة؛ حيث يكون ذلك بمثابة التَّشجيع على البذل وعلى العطاء؛ وقد كان صلَّى الله عليه وسلَّم يُثني على كلِّ واحدٍ أو جماعةٍ يبدر منهم العمل الحسن؛ لا في جوانب الإيمانيَّات والرَّوحانيَّات فقط؛ بل وفي الماديَّات كذلك؛ وأجملها ما جمعهما معًا؛ كإنفاق عثمان رضي الله تعالى عنه. لأنَّه كلَّما كثُر المحسنون قلَّ المسيئون والمفسدون، والعكس بالعكس؛ وكلَّما أثبنا المحسنين في مجال التسيير والمسئوليَّات الماليَّة كلَّما شجَّعنا الإصلاح؛ وذممنا الفساد؛ ومنه يصير المفسد مخزيًّا بين النَّاس. إنَّها محاربة الفساد في الضمير الاجتماعي.

ب/ إقامة الحدود والتعازير.

والحدود والتعازير لا يكفي تشريعها، ووعظ النَّاس بها؛ بل ينبغي تطبيقها، لينزجر النَّاس، ويتَّعظوا عمليًّا أن يفسدوا؛ ثمَّ هي تطهيرٌ للواقع في موجبها، وإصلاحٌ له؛ وتطهيرٌ للمجتمع وإصلاحٌ له كذلك؛ وحمايةٌ للمال وأصحابه.

ج/ التدخل لحماية الضعفاء.

وقد مرَّت بنا النُّصوص في ذلك؛ ولكن أضيف ههنا أنَّ ما يلفت نظر المتصفِّح للكلمات النُّورانيَّة المبثوثة في صفحات الحديث النبويّ؛ هي أنَّها صادرةٌ عن إسوة غنيٍّ فقيرٍ في نفس الوقت –إن صحَّ هذا التَّعبير- وهو رسول الله صلَّى الله عليه وسلم. فهو نموذجٌ إنسانيٌّ واقعي؛ يأتيه المال فما يرى –وإن كان مثل جبل أحدٍ- أن يمرَّ عليه ثلاثٌ إلاَّ وما بقي منه شيءٌ. أقصد أنَّ التَّشريع المالي يبلِّغه قلبٌ ولسانٌ وجسدٌ وروحٌ يعلمُ ما الفقرُ وما الغنى بطريقةٍ عمليَّةٍ، فهو يحياهما معًا في الفترة ذاتها. وتعلِّمنا النُّصوص الحديثيَّة ألاَّ وجه للمغالبة بين الفقر والغنى إلا بالنتيجة، وهي التقوى.

د/ شمول محاربة الفساد الناحيتين الخاصَّة والعامَّة.

حيث قد اهتمَّ النَّاس بالملكيَّة الخاصَّة أكثر من الملكيَّة العامَّة؛ وترتَّب على ذلك اعتداءاتٌ شتَّى، أحدثت خللاً في التنمية الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة.[1] والمال العام معرَّضٌ للاعتداءات أكثر من المال الخاص؛ ومن صورها الشائعة: السرقة، والاختلاس، والابتزاز، والاستغلال، والاستخدام بدون وجه حقٍّ؛ والتربُّح من الوظيفة، والإتلاف، وتدنِّي الجودة، وسوء الاستخدام؛ وعدم سداد حقوق الدولة، وما في حكم ذلك[2]. قال أحد الباحثين: وهذا يرجع إلى أنَّ المسئول عن حماية المال العام جموع المسلمين، فهي مسئولية شائعة. بينما المسئول عن حماية المال الخاص المالك الفرد؛ الذي من فطرته حماية ماله، ولو قُتِل في سبيل ذلك.[3] ولعلَّ هذا مجانبٌ لبعض الصواب؛ فالأصل في الشَّريعة الإسلامية حماية ممتلكات الأفراد وأموالهم؛ ويسأل عن ذلك وليُّ الأمر. والفاشل في تسيير ماله أو مال وليِّه أو المفسد فيهما، هو أفشل وأشدُّ فسادًا في ميادين المال العام.

---

[1]- حسين حسين شحاتة: **حرمة المال العام في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة**، (ط1)، دار النَّشر للجامعات: القاهرة- مصر، 1999م، ص19.

[2]- المرجع نفسه، ص33.

[3]- المرجع نفسه.

وأختم الورقة بقول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « إنَّما الدنيا لأربعة نفرٍ: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا؛ فهو يتَّقي فيه ربَّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًّا، فهو بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النيَّة يقول: لو أنَّ لي مالاً لعملت بعمل فلانٍ؛ فهو بنيَّته، فأجرهما سواءٌ. وعبدٌ رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علمٍ، ولا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّا. فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا؛ فهو يقول: لو أنَّ لي مالاً لعملت فيه بعمل فلانٍ، فهو بنيَّته، فوزرهما سواءٌ».[1]

● **خاتمة:**

في خاتمة هذا البحث يمكنُّنا أن نجمل نتائجه في الآتي:

● ترسم نصوص الحديث النبويّ صورةً واضحةَ المعالم عن حقيقة المال والأعمال المرتبطة به، ابتداءً بتحصيله وانتهاءً بالمحاسبة عليه يوم القيامة.

● تعمّق نصوص الحديث النبويّ إيماننا أنَّ هذا الدِّين لم يغادر صغيرةً ولا كبيرةً ممَّا يُعنى به الإنسان في الحال وفي المآل؛ وأنَّه يخاطب المرء في كلِّ مكوِّناته: جسدًا وروحًا؛ عقلاً وقلبًا؛ تنظيرًا وواقعًا.

● تمتاز النُّصوص الحديثيَّة في المال والأعمال بامتزاج ألفاظها بين المادة والروح؛ حيث تتوزَّع تلك النُّصوص على كتب الحديث وأبوابه جميعها تقريبًا؛ لترشدنا أنَّه لا انفصال بين مكوِّنات الدِّين وعناصره.

● القيم الأخلاقيَّة تمتاز بالثبات، والدوام؛ وذلك ما جعلها في هذا المجال المدروس تشكِّل ضمانًا عادلاً في الفصل بين الحقوق والواجبات؛ وفي إنهاء مواد النِّزاع بين شهوات النَّاس وبغي بعضهم على بعض؛ وفي حماية الضعيف والقوي على السواء؛ وفي حماية المال ذاته؛ وفي جعل المال وسيلةً لتحقيق الاستخلاف في الأرض.

● مواجهة الفساد المالي كما ترسمها نصوص الحديث النبوي تنتظم خطواتها في منظومة متكاملة المفاهيم والأسس والمنطلقات؛ قويَّة الوسائل والأدوات؛ واضحة الأهداف والغايات. وأيُّ اختلالٍ في هذه المراحل يجعل النتائج كارثية؛ ومحاولات الترقيع فاشلة في معظم الأحايين.

وأودُّ في ختام هذه الخاتمة التوصيةَ بأمرٍ واحدٍ: هو الاهتمام بالدراسات الاستقرائيَّة للسنَّة النبويَّة بما يتعلَّق بالمواضيع المعاصرة؛ حيث يمكن لهذا البحث إذا تمَّ التوسُّع فيه أن يكون بذرةً لوضع معجم في نصوص المال والأعمال في السنَّة النبويَّة؛ والتَّركيز على استقصاء الألفاظ المختلفة لذات الحديث قدر الوسع لتحصيل الفائدة.

---

[1]- الترمذي: الزهد، باب ما جاء مثل الدُّنيا مثل أربعة نفرٍ، ح2325، ص525. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. وصحَّحه الألباني.

قائمة المصادر والمراجع

● ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: **غريب الحديث**، تحقيق عبد الله الجبوري، (ط1)، مطبعة العاني: بغداد- العراق.

● أبو البقاء أيُّوب بن موسى الحسيني الكفوي: **الكلِّيَّات**، تحقيق عدنان درويش، ومحمَّد المصري، (ط2)، دار الرسالة: بيروت- لبنان، 1998م.

● أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **المقاييس في اللغة**، تحقيق شهاب الدّين أبو عمرو؛ دار الفكر: بيروت- لبنان.

● أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: **أساس البلاغة**، تحقيق محمَّد باسل عيون السود، (ط1)، دار الكتب العلميَّة: بيروت- لبنان، 1998م.

● أبو داود سليمان بن الأشعث السَّجستاني: **السنن**، (مع تعليقات محمَّد ناصر الدِّين الألباني)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط2)، مكتبة المعارف: الرِّياض- المملكة العربيَّة السُّعوديَّة،2007م.

● أبو عبد الرَّحمن أحمد بن شعيب بن علي الشَّهير بالنّسائي: **السنن**، (مع تعليقات محمَّد ناصر الدِّين الألباني)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط2)، مكتبة المعارف: الرِّياض- المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، 2008م.

● أبو عبد الله أحمد بن حنبل: **المسند** (وبهامشه منتخب كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال)، دار الفكر.

● أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين** (وبذيله التَّلخيص للحافظ الذَّهبي)، دار الكتاب العربي: بيروت- لبنان.

● أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزويني الشَّهير بابن ماجه: **السنن**، (مع تعليقات محمَّد ناصر الدِّين الألباني)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط1)، مكتبة المعارف: الرِّياض- المملكة العربيَّة السُّعوديَّة.

● أبو هلال العسكري: **الفروق اللغوية**، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة: القاهرة- مصر.

● أحمد بن فارس: **متخيَّر الألفاظ**، تحقيق هلال ناجي، مطبعة المعارف: بغداد- العراق، 1970م.

● أحمد بن محمَّد بن علي الفيُّومي المقري: **المصباح المنير**، مكتبة لبنان: بيروت- لبنان، 1987م.

● أحمد صقر عاشور: **نحو برنامج متكامل لمكافحة الفساد المالي والإداري**؛ المنظمة العربية للتنمية الإدارية، نشرة أخبار الإدارة 26/مارس/1999م.

● أحمد يوسف: **القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي**، دار الثقافة: القاهرة- مصر، 1990م.

● إسماعيل بن حمَّاد الجوهري: **الصحاح، تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار (ط3)، دار العلم للملايين: بيروت- لبنان.

● بن رجم محمح خميسي؛ حليمي حكيمة: **الفساد المالي والإداري، مدخل لظاهرة غسيل الأموال وانتشارها**؛ بحث مقدم لمؤتمر: "حوكمة الشركات كآلية للحد من الفساد المالي والإداري"، المنعقد يومي 6-

7/ماي/2012م، اقتبس يوم: 2014/09/13م، عن الرابط التالي:http://iefpedia.com/arab/wp-content/uploads/

- جابر قميحة: **المدخل إلى القيم الإسلامية**، (ط1)، دار الكتب الإسلاميَّة، دار الكتاب المصري: القاهرة- مصر؛ دار الكتاب اللبناني: بيروت- لبنان، 1984م.
- حسين أمين: **المال وطبيعة البشر**، (ط2)، الفجر للطباعة والنشر: مصر، 1997م.
- حسين حسين شحاتة: **حرمة المال العام في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة**، (ط1)، دار النَّشر للجامعات: القاهرة- مصر، 1999م.
- خضر عباس عطوان: **الفساد الإداري استحقاقات اجتماعية وسياسية ثقيلة**، جريدة الزمان، عدد 186، سنة 1999م.
- سليمان علي أحمد: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، (ط1)، المكتبة الإكاديمية: الخرطوم- السودان، 1998م.
- صلاح الدِّين بسيوني رسلان: **القيم في الإسلام بين الذاتيَّة والموضوعيَّة**؛ دار الثقافة: القاهرة- مصر، 1990م.
- عبد الكريم بن سعد إبراهيم الخثران: **واقع الإجراءات الأمنية للحد من جرائم الفساد من وجهة نظر العاملين في أجهزة مكافحة الرشوة في المملكة العربية السعودية**؛ رسالة ماجستير، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الشرطية، نوقشت سنة 2003م.
- علي بن محمَّد الشريف الجرجاني: **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان: بيروت- لبنان، 1985م.
- ماجد عبد الله منيف: **التحليل الاقتصادي للفساد وأثره على الاستمرار النمو**، مجلة بحوث إقتصادية عربية، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية: مصر، 1998م.
- مالك بن أنس الأصبحي: **الموطَّأ**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (ط1).
- مجد الدِّين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، (ط1)، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، 1421هـ.
- مجد الدِّين الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، (ط2)، دار المعرفة بيروت- لبنان، 2007م.
- مجد الدّين الفيروزآبادي: **بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق محمّد علي النّجار(دط) المكتبة العلمية، بيروت- لبنان.
- محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري: **الجامع الصحيح**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، الدَّار الذَّهبيَّة: القاهرة- مصر.
- محمَّد بن عيسى بن سورة التِّرمذي: **السنن**، (مع تعليقات محمَّد ناصر الدِّين الألباني)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط2)، مكتبة المعارف: الرِّياض- المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، 2008م.

● محمّد رواس قلعه جي وحامد صادق قنيبي: **معجم لغة الفقهاء**؛ (ط2)، دار النفائس، بيروت- لبنان 1988م.

● محمَّد عاطف غيث: **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية-مصر، 1996م.

● محمَّد ناصر الدِّين الألباني: **سلسلة الأحاديث الصحيحة (مجرَّدةً عن التخريج، مرتَّبةً على الأبواب الفقهيَّة)**؛ عناية أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط1) مكتبة المعارف: الرياض- المملكة العربيَّة السعوديَّة، 2004م.

● محمود حمودة، مصطفى حسنين: **أضواء على المعاملات المالية في الإسلام**؛ (ط2)، مؤسَّسة الورَّاق: عمَّان- الأردن، 1999م.

● مسلم بن الحجَّاج النَّيسابوري: **الصَّحيح**، تحقيق خليل مأمون شيحا (ط1)، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 2005م.

● **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، الإدارة العامَّة للمعجمات وإحياء التُّراث، التابع لمجمع اللُّغة العربيَّة: مصر، 1990م.

● نزيه حمَّاد: **قضايا فقهية معاصرة في المال والاقتصاد**، (ط1) دار القلم: دمشق-سوريا؛ الدار الشاميَّة: بيروت- لبنان، 2001م.

● Could J , Kolb: **Dictionary of the social science**,. (N.Y : Free Press : 1964).

رمزية التعدّد اللغوي ورهانات التواصل الافتراضي عبر مواقع التواصل الاجتماعي. . . بين الإبلاغ والقصدية الافتراضية

د.نبيل شايب
جامعة المدية

ملخص

يمكن اعتبار هذه الورقة مفتاحا دلاليا يقودنا نحو أفاق رقمية جديدة للغوص في طبيعة الدلالات الايقونية والنصية لمعرفة مكانة التعدد اللغوي في الفضاءات الافتراضية وعلاقتها بالفضاء السيميائي لها في ظل التوظيف الفني لمعطيات الثورة المعرفية التكنولوجية، وقد أسهمت المنابر الإلكترونية عامة وشبكات التواصل الاجتماعي خاصة في خلق حراك اجتماعي وثقافي شمل مختلف مناحي الحياة وهو ما نجم عنه تحول عميق في الحياة المعاصرة على جميع المستويات لكونها شكلت فضاء حرا لتدفق المعلومات والتعليق على جل الأعمال بمختلف تمثلاتها في العالم الافتراضي .

وباعتبار اللغة في الفضاءات الافتراضية نتاج إنساني رمزي متنوع الأبعاد، كونه نسق سيميائي دال يمكن مقاربتها كرموز ودوال تمتزج بالمعاني لتشكل مجال اهتمام السيميولوجيا وفضاء رحبا لتطبيق مختلف مقارباتها السيميائية الحديثة، خاصة وأن اللغة العربية الفصحى تواجه اليوم تحدياتٍ خطيرةً، توشك أن تَعصِفَ بها، وهي محتاجة إلى وسائلَ كثيرة تعينُها على الصمود في مواجهة التحديات ورفع جملة من الرهانات للمحافظة عليها

الكلمات المفتاحية : اللغة، الملتقي، الفضاء الافتراضي، الدلالة

Abstract:

This intervention can be considered a key to leading us towards new digital horizons for diving in the nature of iconic and textual signs to know the status of the Arabic language in the virtual spaces and its relation to the semiotic space in the light of the technical recruitment of the technological knowledge revolution

The Arabic language in the virtual spaces is a symbolic human product of various dimensions, as it is a semi-symbolic format, which can be approached as symbols and functions that combine meanings to form the field of interest of semiology and a wide space for the application of various modern semiotic approaches, especially that the classical Arabic language faces serious challenges today, And is in need of many means to help them to withstand the challenges and raise a set of bets to maintain them so can be put the following problem

Keywords: Language, Forum, Virtual Space, Significance

أولا : البناء المنهجي والمفاهيمي لموضوع الدراسة

1-1 إشكالية الدراسة وابرز مفاهيمها

لقد كانت العملية الاتصالية محط اهتمام الدارسين على مر العصور، وفد انتبه علماء الاتصال إلى مدى فاعلية نشاط الإرسال والاستقبال في التفاهم بين المتخاطبين، وأدركوا أن كل خطاب لغوي وغير لغوي

يتجاوز الدلالة إلى الإبلاغ والقصدية التواصلية، فالتواصل الافتراضي لا يتضمن فقط فعل الإخبار بل يبحث أيضا في طرف التأثير في الأخر وإغرائه .

وفي عصرنا الحالي يمكن القول أن تفاعل الإنسان مع التكنولوجيا غزا كافة المجالات، بدرجات متفاوتة، حيث تأثر وتفاعل الشباب الجزائري مع هذه المستحدثات التكنولوجية، كآلية جديدة يمكن أن تدفع بالإبداع إلى ركوب التجربة والاستفادة منها، من أجل إنتاج نصوص تواكب العصر ومستجداته من خلال الاعتماد على اللغة التي تعتبر وعاء حامل للأفكار والقيم، حيث أضحت هذه اللغة التي يتعامل بها الشباب الجزائري في الفضاءات الافتراضية من مسؤولية السيميولوجيا، نظرا لاهتمامها بالعلامة والمعنى وبالممارسة الدالة لها وفق مسار توليدي للمعاني والسياقات من خلال وصف وتحليل وتفكيك علاماتها حسب المستويات التي تقترحها المقاربات السيميولوجية، ومن ثمة إعادة بنائها من جديد والربط بينها ربطا يقوم على الانسجام والتفاعل[1]

استنادا على هذا، أصبح التعدد اللغوي ينتج منظومة كاملة من القيم التي تعتبر من أهم القضايا التي يتم إثارتها وبحثها جراء إفرازات المشهد التكنولوجي، فلا تخفى أثار شبكة الفايسبوك على القيم والبنى الثقافية وأنساقها المختلفة، وخصوصا النسق القيمي للشباب الجزائري ،لما أحدثته من تجاذبات على مستوى القيم بين المحلي والعالمي، المادي والروحي، الرمزي والواقعي وبين الأصيل والدخيل في هذه الفضاءات الافتراضية. [2]الأمر الذي أدى إلى تراجع دور العملية الثقافية في المجتمعات الافتراضية، التي رافقتها جملة من التغييرات على الفايسبوك عملت على تهديد منظومة القيم الأصلية وتشكل نوع من الازدواجية الثقافية التي تجمع فيها تناقضات الأصالة والمعاصرة ،مما يؤدي إلى تهميش آو تغيير الملامح الثقافية الوطنية[3]، خاصة وأن المحتويات الثقافية تأخذ دلالتها من قوة تداولها،و قد يظهر النسق بدلالة معينة، تُحدد استعماله زمن ظهوره، غير أن طريقة تداوله، وشكل رواجه، في علاقته مع سياقات الاستعمال وطبيعة المُستعملين يطرح إشكاليات بحثية تجعله يتجاوز الدلالة الأولى ويتبنى دلالة جديدة عبر الفايسبوك

وعليه نطرح الإشكالية على النحو التالي :

كيف أثرت خصائص المستحدثات التكنولوجية على المنظومة اللغوية للشباب الجزائري ؟ وما الإضافات التي جاءت بها هذه المرحلة الالكترونية في سياق التواصل الافتراضي فيما بينهم **الجزائري عبر موقع الفايسبوك خلال السداسي الأول لسنة 2018 ؟**

2. منهجية الدراسة:

---

[1] يونس إيمان، تأثير الانترنت على أشكال الإبداع والتلقي في الأدب العربي الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر ، رام الله، 2011، ص 286.

[2] محمد عبد الحميد: المدونات، العالم البديل، ط1 ، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2009،ص85

[3] حرب،علي، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية، ط1، الدار البيضاء-بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000، ص39.

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات التحليلية النقدية التي لا تتوقف عند وصف الظاهرة، بل تتعداها إلى تحليل عناصرها والقيام بعملية نقد موضوعي استنادا إلى بعض المنهجيات المقارنة وعمليات الاستنباط والاستدلال العقلي المنطقي .

3. **مجتمع الدراسة وعينته:**

تعرّف العينة بأنها ذلك الجزء المختار من مجتمع البحث الكلي وتكون ممثلة لهذا المجتمع، ويشترط في تحديد مفردات عينة البحث أن تكون فيها جميع صفات الأصل الذي اشتقت منه في جوانبها المختلفة وطبقاً لطبيعة الموضوع المدروس[1] ،فالباحث يختار مجموعة من الوحدات التي تمثل جزء من المجتمع العام ويقوم بدراستها والوصول إلى نتائج الدراسة.

أما **أحمد بن مرسلي** فيعرفها على أنها " اختيار جزء صغير من وحدات مجتمع البحث اختيارا عشوائيا، أو منتظما-المعروف لدى بعض الباحثين -بأسلوب العدد العشوائي، أو تحكميا قصديا، ليشكل هذا الجزء من وحدات مجتمع البحث المادة الأساسية للدراسة.[2]

لذا فمنا باختيار العينة القصدية المتمثلة في الشباب الجزائري المستخدم لموقع الفايسبوك خلال السداسي الأول لسنة 2018، لذا فمنا بالاعتماد على 80 مفردة تم توزيع الاستبيان عليهم الكترونيا.

أهمية الدراسة وأهدافها

تتناول هذه الدراسة موضوعا يمكن ان نقول انه حديث نسبيا خاصة في الدراسات السيميولوجية،حيث أنه يرتبط بتحديد الأبعاد الدلالية للتعدد اللغوي من منظور التكنولوجيا الرقمية التي أصبحت كفاعل ومؤثر في تشكيل نسق قيمي ورمزي جديد للأفراء وللمجتمع ككل ،من هذا المنطلق يمكننا القول أن الهدف الجوهري لهذه الدراسة يتمثل في مساءلة أنظمة الدلالات وتجلياتها المختلفة، بمعنى البحث عن الدلالات الضمنية للتفاعل الافتراضي وربطها بالسياق العام لها قصد التوصل إلى معرفة الدلالات الضمنية في ظل المفاهيم الجديدة لها داخل الفضاءات الافتراضية.

من جهة أخرى، اعتمدنا على هذا النوع من العينات نظرا لعدة مبررات نلخصها في اعتمادنا على العينات غير العشوائية بسبب غياب إطار واضح في الفضاء الافتراضي يحدد مفردات العينة خاصة وأن موقع الفايسبوك يتميز بالسرعة والآنية في تجديد المحتويات، لذا جاء اختيارنا تبعا لما يراه الباحث من سمات وأوصاف أو خصائص تتوفر لهذه الوحدات التي تخدم ضوابط المشكلة البحثية لهذه الأطروحة.

ثانيا : البناء النظري لموضوع الدراسة

[1] محمد الحسان إحسان، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، 1996، ص 23

[2] أحمد بن مرسلي ، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال ، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط4 الجزائر ،2010، ص 170

1-1 مفهوم اللغة من منظور اتصالي سيميولوجي

تعد اللغة ظاهرة اجتماعية بامتياز. والدليل على ذلك أن المجتمع هو الذي خلق هذه اللغة بالاتفاق والاصطلاح والتواضع. وهذا ما دفع ابن جني، في كتابه (**الخصائص**) إلى القول:" **حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**[1] ."

ويرى فردينان دوسوسير(F. De Saussure)أيضا أن العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اتفاقية (Arbitraire). ويعني هذا أن اللغة نتاج اجتماعي، تعبر عن أفكار القوم وأغراضهم ومصالحهم ومنافعهم وعواطفهم وانفعالاتهم الشعورية واللاشعورية. وبما أن اللغة ظاهرة مجتمعية، فإنها تمتاز بقواعد جماعية مشتركة، تعبر عن لاشعور جمعي. وبالتالي، لا يمكن للفرد أن يتصرف في هذه اللغة بالزيادة أو النقصان أو التغيير إلا ضمن تفاعل أو اتفاق اجتماعي. فمن يخطىء في اللغة، أو يرتكب هفوة ما في انتهاك معاييرها اللسانية، فإنه يتعرض لعقوبات مادية ومعنوية، كالسخرية من أخطائه، أو معاقبته بعدم النجاح، إذا كان الخطأ متعلقا بامتحان مصيري ما. وفي هذا الصدد، يقول علي عبد الواحد وافي:"فاللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الأفراد في إتباعه، ويتخذونه أساسا للتعبير عما يجول بخواطرهم، وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض.[2] ".

2-الرهان الرقمي للتعدد اللغوي ...من المتلقي القارئ إلى المتلقي المستخدم

يؤكد جل الباحثين المختصين في علم الاتصال ان القارئ بات مع الوسيط الجديد قارئا ومشاهدا وسامعا وهو يتفاعل مع النص الرقمي، هذا القارئ لا يكتفي بمعرفة القراءة، ولكنه يتوسل بمعرفته بتقنيات الحاسوب الأساسية لحل المشاكل التي تعترضه في عملية التفاعل من النص الرقمي"، إذا، نرى تسمية (قارئ) حاضرة في هذا المقام، فالمتلقي: هو القارئ، لكن مفهوم القارئ ومواصفاته وأدواته وأنواعه قبل الأدب الرقمي لم تعد كافية للتعبير عن "المتلقي الرقمي"، فهو إلى جانب فعل القراءة، يمارس فعل المشاهدة والسماع، أي أن معرفة القراءة وحدها لا تعني أن المتلقي قارئ، ويتوجب عليه الإلمام بتقنيات الحاسوب ليتمكن من التفاعل من النص الرقمي، ثم يعود سعيد يقطين ليلخص لنا مفهوم (القارئ) الجديد بقوله:" إننا هنا لسنا أمام القارئ العادي أو حتى المثالي الذي كانت تنظر له الكتابات الأدبية ما قبل الرقمية، إنه بكلمة موجزة قارئ رقمي. وهذا القارئ لا بد له من التوفر على ميزات وأنماط إدراك خاصة تجعله مختلفا عن قارئ الكتاب الورقي" وعند هذا الحد لا يبين لنا سعيد يقطين على نحو واضح ومفصل ما هي المميزات، وما هي أنماط الإدراك الخاصة التي تجعله قارئا خاصا؟ وهذا الكلام يفهم منه من يشتغل في هذا الحقل أو يروم الخوض فيه أن المفاهيم النقدية والأدوات والنظريات الأدبية التي كانت سائدة قبل الرقمية والتي يتسلح بها المتلقي لم تعد تصلح لاستقبال "النص الجديد" وتلقيه والتفاعل معه.

---

[1] - ابن جني: الخصائص، الجزء الأول، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة سنة 1999م، ص:34.

[2] - علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع،ص:6.

لذا تعتبر اللغة الخاصة بهذه المحتويات الرقمية ديوانا حضاريا وتبيُّنا لطبيعة الهوية والتنشئة الاجتماعية التي تميز الأفراد والمجتمعات عن غيرهم، وتحدد نمط نظرتهم للعالم والأشياء؛ بالرغم مما يمكن أن تلعبه الصورة البصرية في ذلك ضمن هذه الثورة المعلوماتية التي يشهدها العالم اليوم. هذا وتظل اللغة هي الأداة الوحيدة القادرة على كشف غنج الصور وتعدد دلالتها. ومن ثم، نقول إننا نعيش حضارة للكلمة مهما بدا لكثير منا العكس، لأن الصورة عاجزة عن التواصل الفعال في غياب السنن اللساني[1].

3- تمثلات **الصراع اللغوي** عبر مواقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك أنموذجا

بدأت ظاهرة اللغة الشبابية الجديدة أولا مع رسائل الهاتف النقال، لكنّ ظهور شبكات التواصل الاجتماعي وانتشارها خاصة الفايسبوك، فرضت هذه التكنولوجيا الجديدة على البعض إدخال رموز وأرقام سواء على المستوى الحرفي أو المجازي، أصبحت الحروف العربية تكتب بحروف وأرقام ورموز فرنسية وإنجليزية، كما تم إدماج اللهجة العامية الدارجة بكتابة عربية فصحى إلى جانب التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وحالتهم النفسية بالرسومات البسيطة والرموز، بل تعدى كل ذلك إلى حّد استعمال لغة الأعداد والأرقام، فأصبح يعّبر عن الحاء مثال برقم 7 والعين برقم 03..الخ[2]

لذا تعيش اللغة اليوم إشكالية بحثية جادة من حيث اتهامها بالقصور مقارنة بالتطور العلمي والرقمي اليوم، مما يفرض معالجة الموضوع من ناحية علمية بعيدا عن الانفعال والتعصب، بغية وضع اللغة العربية في مسارها الصحيح، باعتبارها أداة علمية تواصلية تستطيع كباقي اللغات الأخرى استيعاب العلم واستثمار نتائجه التقنية والمعرفية. يمكنها مواكبة، كباقي اللغات أيضا، الثورة الرقمية لتغدو لغة رقمية متداولة بين مستعمليها في الانترنيت.

وقد ساهم في هذا الاتهام تقسيم اللغات عند كثير من المهتمين إلى لغات علمية رقمية ولغات تواصلية عادية؛ أي لغات تنتمي إلى المجال العالِم، ولغات تنتمي إلى مجال الحس المشترك. فأما اللغات العلمية، فهي بوصفها كذلك، قادرة على مواكبة التطورات العلمية والرقمية المتسارعة، ويمكنها استيعاب العلم والمعرفة الرقمية إنتاجا وترويجا، كما يستطيع متكلمها الفعل في العالم ما دامت لغته تسمح له بذلك. بينما يرون أن لغات الحس المشترك ترتبط فقط بالتعبير عن اليومي والمشترك بين جميع أفراد المجتمع المتكلمين بها بغض النظر عن مستوياتهم التعليمية المختلفة وانتماءاتهم الاجتماعية المتعددة. ومن ثم، لا يمكن لهذه اللغات أن تكون حاضنة للعلم والمعرفة الرقمية، فإذا أراد أصحابها ولوج عالم التقنية مثالا مالوا عنها إلى لغات العلم والتقنية.لذلك، اعتبروا اللغة العربية تدخل في الصنف الثاني من اللغات[3].

وقد زاد من حدة هذا الموقف تزايد الاهتمام اليوم بعالم الانترنيت ولعل المواقع الإليكترونية، والمنتديات الافتراضية، ومواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك والتويتر) لدليل واضح على هذا الإقبال المتزايد يوما عن يوم.. أصبح للغة العربية الافتراضية، كما يلاحظ اليوم كذلك، حضور كبير في عالم الانترنيت . فهل هذا

---

[1] Driss Abdali , opcit,p35

[2] م.م لويس .ترجمة تمام حسان ، اللّغة في المجتمع، ط1 ، عالم الكتب، القاهرة، 2003 ، ص 77

[3] عبد النور ادريس ، الثقافة الرقمية من تجليات الفجوة الرقمية إلى الأدبية الالكترونية ، ط1 ، دفاتر الاختلاف ، المغرب ،2011، ص07

الحضور الكبير يعكس قيمة اللغة العربية لدى مستعمليها في العصر الرقمي؟ إلى أي مدى تستطيع اللغة العربية أن تساير التطور الرقمي في العصر المعرفي؟ ما مدى اهتمام مستعمليها بها تواصليا وعلميا؟

لم تطرح اللغة العربية هذه الأسئلة التي تطرح اليوم، فقد رأى فيها مستعملوها سابقا لغة مقدسة منزهة عن كل ما يشوب اللغات من نقائص. ولقد أدى هذا الاعتزاز باللغة إلى اهتمام كبير بها معجما وصرفا وتركيبا ودلالة وتداولا؛ لكن ذلك لم ينعكس على مرونتها، إذ جُحد تطورها واختلافها، حيث غلبت اللغة المعيارية، ونبذت تطوراتها التاريخية بحسب اختلاف الظروف زمانا ومكانا. تنفي هذه المعيارية اعتبار اللغة كائنا حيا يولد ويكبر ويشيخ ويموت. لذلك، افتقدنا معجما تاريخيا يعكس تطور اللغة العربية من حيث المادة والتوليد الدلالي معجميا وبلاغيا بحسب تنوع البيئات اللغوية والتنشئة الاجتماعية المختلفة وغيرها[1].

ان ظاهرة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت تحتل موقع الصدارة في عمليات الاتصال الإنساني علي مستوي كل المجتمعات بل باتت هي الوسيلة الأهم التي يعتمدها الناس في اتصالاتهم مع بعضهم البعض خاصة فئات الشباب وقد صحب ذلك الاستخدام احد الظواهر التي يراها كثير من المختصين جانبا سالبا ومهددا يزيد من ضعف اللغة العربية كلغة يفترض أن تكون هي اللغة المستخدمة في وسائل الاتصال في المجتمعات العربية والظاهرة التي نشير إليها هي ظاهرة كتابة الكلمات العربية بحرو ف اللاتينية، حيث يتجه أغلب مستخدمي هذه المواقع إلى كتابة اللغة العربية بحروف اللاتينية، خصوصاً في التواصل عبر موقعي التواصل الاجتماعي »فيس بوك وتويتر«، والدردشة على البريد الالكتروني، ويرجع البعض السبب في ذلك الى سهولة الكتابة بالحروف اللاتينية علي لوحة مفاتيح الأجهزة الالكترونية خاصة حال استخدامهم لهذه المواقع .

لذا يستوجب علينا الإجابة بشكل منهجي على سؤال أساسي ،و هو ما طبيعة وحدود التأثير الذي يمكن أن تلعبه وسائل الاتصال الحديثة في المكون اللغوي كواحد من المكونات الثقافية الخاصة بكل مجتمع وتميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى ،خاصة إذا تناولنا هذه القضية مقرونة مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وعلي رأسها الهواتف الذكية، الأمر الذي أدي إلي ابتكار الشباب لغة خاصة تسرع حسبهم من عملية التواصل في ما بينهم، وتعتمد هذه اللغة على استبدال الحروف العربية التي ليس لها مقابل في الإنجليزية بأرقام كقلب الحرف حاء إلي الرقم 7والحرف عين إلي الرقم 3 وهكذ ا، الأمر الذي أدى إلى طمس هوية ولغة المجتمع العربي . فمسائل تدني مستوى الشباب الجزائري في الإملاء، وكثرة أخطائهم اللغوية وعدم قدرتهم علي التعبير السليم إلى جانب الضعف الحاد في الجوانب النحوية والصرفية، لذا فإن اعتماد كتابة اللغة العربية بحروف أجنبية من قبل الشباب علي مواقع التواصل الاجتماعي تشكل خطرا علي الحرف العربي، وتهدده بالانقراض.

4- رهانات وتحديات اللغة العربية لدى مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي

---

[1] عبد النور ادريس ، مرجع سبق ذكره ،ص08

ما دام النص قد تغير، والمبدع قد تغير، والوسيط قد تغير، فمن المنطقي والضروري أن يتغير المتلقي، فالنص والمبدع قد أصبحا يبحثان عن متلق بمواصفات وشروط جديدة تجعله قادرا على الارتقاء إلى مستوى الناتج الجديد والتفاعل معه، بل إن مسؤولية التحقق الفعلي في بعض نماذج الأدب الرقمي لن يكتب لها النجاح بعيدا عن المتلقي الجديد، وفي هذا السياق تقول فاطمة البريكي:" سمي هذا النوع من الأدب تفاعليا لأنه يعتمد في وجوده على التفاعل القائم بين المبدع والمتلقي، وبين المتلقي والنص، وبين مجموعة المتلقين المختلفين للنص نفسه" ،[1] وعلى نحو مقارب يقول عمر زرفاوي:" القارئ التفاعلي عنصر أساس في تحديد مفهوم الأدب التفاعلي ودونه لا يمكن الحديث عن تحقق ذلك المفهوم[2] وأمام مسؤولية بهذا الحجم والأهمية تبرز الحاجة الملحة لتوجيه هذا المتلقي وتحديد الأدوار والوظائف والشروط الخاصة به لتحقيق الأداء التفاعلي الأمثل.

إن الحديث عن المواصفات والشروط الجديدة للتلقي ارتبط بالشروط والمواصفات الجديدة للمبدع ذاته، الذي بات مطالبا ليس بتغيير أدواته وأساليبه وإنما رؤيته ذاتها للإبداع والأدب، وفي هذا السياق وعلى نحو عملي يطالب الروائي الرقمي محمد السناجلة المبدع بالتغيير ويقول:" لم يعد كافيا أن يمسك الروائي بقلمه ليخط الكلمات على الورق، فالكلمة لم تعد الأداة الوحيدة، على الروائي أن يكون شموليا بكل معنى الكلمة، عليه أن يكون مبرمجا أولا، وعلى إلمام واسع بالكمبيوتر ولغة البرمجة، عليه أن يتقن لغة الـ HTML على أقل تقدير، كما عليه أن يعرف فن الإخراج السينمائي، وفن كتابة السيناريو."[3] .

إن هذه المطالبات والمواصفات الجديدة والشروط الواجب تحقيقها في الإبداع الرقمي لم يقتصر توجيهها إلى المبدع وحده، بل إن المتلقي هو الآخر بات مطالبا بتحقيقها من خلال تحكمه في اللغة من عدمه، ومن ذلك ضرورة اتصافه بالقدرة على "إجادة التعامل مع الحاسب الإلكتروني، ومعرفة لغته، وامتلاك مهارات التصفح والبحث، والقدرة على الإبحار في الإنترنت، والإلمام ببرامج الحاسب الأساسية، وبمهارات بناء البريد الإلكتروني، وامتلاك عقلية تحليلية تركيبية تكون قادرة على مجاراة المنطق الرياضي للحاسب"[4]

ثالثا : نتائج وتوصيات الدراسة الميدانية

1. كشفت لنا نتائج الدراسة الميدانية أن الشباب المستخدمين لموقع الفايسبوك لا يحتاج إلى تعلم المهارات التقنية واكتسابها، فالنص الإبداعي لم يعد مرتكزا على قدرات المبدع الكتابية أو اللغوية وحدها وإن كانت الوظائف التي وقفنا عليها هي أكثر الوظائف شيوعا وجدلا بين النقاد والدارسين الرقميين إلا أن الأمر لا يخلو في بعض الدراسات من الإشارة إلى وظائف وخصائص جديدة تتصل بالنص الرقمي.
2. تشير نتائج الدراسة إلى أن اللغة اليوم تعيش إشكالية بحثية جادة من حيث اتهامها بالقصور مقارنة بالتطور العلمي والرقمي اليوم، مما يفرض معالجة الموضوع من ناحية علمية بعيدا عن الانفعال

---

[1] البريكي، فاطمة. الكتابة والتكنولوجيا، ط1، بيروت-الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،2008، ص 123-124

[2] عمر زرفاوي، الكتابة الزرقاء ، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ط1، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، 2013 ، ص 75

[3] محمد السناجلة،.رواية الواقعية الرقمية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،بيروت،2005، ص 77

[4] عبد المقصود،أحمد أحمد. الأدب التفاعلي والنظرية النقدية، مجلة الرافد،الشارقة، عدد11 ، 2007 ،ص65

والتعصب، بغية وضع اللغة العربية في مسارها الصحيح، باعتبارها أداة علمية تواصلية تستطيع كباقي اللغات الأخرى استيعاب العلم واستثمار نتائجه التقنية والمعرفية. يمكنها مواكبة، كباقي اللغات أيضا، الثورة الرقمية لتغدو لغة رقمية متداولة بين مستعمليها في الانترنيت.

3. أثبتت هذه الدراسة أن المتأمل في هذه المفاهيم الجديدة المصاحبة للتعدد اللغوي أنها تتضمن اختلافا ولبسا في الوقت ذاته، ذلك أن الحديث في نظرية التلقي ينطلق من فرضية مؤداها أن هناك "نصا" واحدا تتعدد القراءات له، وتتعدد تأويلاته وتفسيراته من قارئ لآخر أو حتى على مستوى القارئ ذاته، لكنه يمثل على نحو ما مرجعية واحدة وثابتة لتعدد القراءات وانفتاح الدلالات، ويستطيع حتى القارئ الواحد أن يعود في أي وقت ليقرأ النص قراءة جديدة، ويغير من فهمه، ويعدل من تفسيراته وتأويلاته.

4. أصبحت إشكالية التعدد اللغوي من مسؤولية السيميولوجيا كونها تساهم ضمنيا بدراسة احتكاك اللغات، ورصد الدخيل والتداخل والخلط اللغوي، ودراسة التعددية اللغوية، ومعرفة علاقة اللغات باللهجات. فضلا عن الاهتمام بتصحيح اللغة، وجودة اللغة، وتقعيد اللغة، والأمان اللغوي، والتلوث اللغوي، والسياسة اللغوية، والتخطيط اللغوي... أي: دراسة اللغات في علاقتها بالأفراد، والمجتمعات، والمؤسسات.

5. تشير العينة المبحوثة المتمثلة في الشباب الجزائري المستخدم للواجهات الاتصالية للفايسبوك بان هذه الثنائية اللغوية التي تجمع بين العامية والفصحى للغة العربية في الفضاءات الاتصالية الافتراضية، كانا متعايشتين في كل فترات التاريخ وعلى اختلاف الأمم، وان ارقي درجات العامية كان مشدودا إلى ادني درجات الفصحى، أي أنهما فصيلتان من لغة واحدة والاختلاف بينهما فرعي .

6. نستنتج مما سبق بان اللغة في الفضاء الافتراضي طغت بشكل كبير على محادثات واتصالات مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي - من كال الجنسين - والمشترك على الشبكات الاجتماعية التي أصبح يقضي فيها معظم أوقاته، في التواصل مع معارفه من داخل ومن خارج الوطن لإغراض اختلفت حسب المستوى التعليمي، الثقافي، العمري، الأمر الذي جعل من الفايسبوك وعيره من الشبكات الاجتماعية الأخرى يساهم بقوة في التأثير على لغتنا الوطنية من خلال جملة الفضاءات المتاحة للمستخدمين ولسهولة وسرعة وتداول وانتشار مثل هذه الطرف الجديدة في التواصل واعتبارها لغة عصر السرعة .

7. تشير بنية المحادثات الالكترونية إلى وجود تداولية صغرى Micro Pragmatique تتجه نحو السياقات اللغوية الجزئية مما أدى إنجاح وإظهار الكفاءة التواصلية للمتخاطبين الافتراضيين عبر صفحات الفايسبوك وتداولية كبرى Macro pragmatique تتجه نحو السياقات الاجتماعية من خلال مراعاة السياق المرجعي Le Contexte Referential للنسق الثقافي، وهذا ما تؤكده الضوابط التداولية الموظفة في هذه الدراسة، فهي ضوابط استنتاجية في العموم منطلقها ملاحظة الظواهر الاتصالية والخطابية في إطارها المحدود لدى الشباب، ومدى مساهمة السياق الاجتماعي الجزائري في تلقيهم للأنساق الثقافية بالشكل الذي يضمن تحقيق التبادل الثقافي فيما بينهم

توصيات الدراسة :

وفقا للاستنتاجات العامة للدراسة توصلنا إلى صياغة بعض التوصيات على النحو التالي:

1. يمكن القول أن الممارسة التأويلية في الفضاء الافتراضي الخاصة بالتعدد اللغوي كنشاط معقد ومركب تتجاذبه عدة أطراف لا ينبغي أن يترك من غير قيود، بل لابد من قواعد تضبطه وقوانين تحكم وتراقب عملية نشر هذه المضامين التفاعلية، وذلك من خلال مراعاة النسق اللغوي والبصري للنص الرقمي بما يحقق مقصديته أو مقصدية صاحبه.
2. ضرورة تكثيف الجهود العلمية وتحقيق العمل الجماعي الموحد لتجاوز الاضطراب الاصطلاحي الذي يهيمن على الممارسات السيميولوجية في الفضاء الافتراضي نظرا لوجود ذلك الحشد المنتظم من المفردات ذات الحمولات المفاهيمية الواسعة.
3. استغلال نتائج هذه الدراسات الاتصالية في فهم نمط تفكير الشباب الجزائري وحاجاته اللغوية من أجل الوصول إلى وضع الخطط والاستراتيجيات المناسبة لتوجيه استخدام مواقع التواصل الاجتماعي محو الاستخدام الايجابي الذي من شأنه أن يدفع عجلة التنمية الثقافية.
4. لابد من الاستثمار الدلالي لمختلف الدراسات الخاصة بالميديا الاجتماعية من خلال التعمق أكثر في المدلولات المختلفة وقياس درجات التمثيل والتعبير من خلال اعتماد التحليل التداولي المعمق لبنية المحادثات الالكترونية خاصة وأن هذا الفضاء الافتراضي يعد مجالاً خصباً وثرياً للسيميولوجيا بمختلف اتجاهاتها المعاصرة.
5. تكثيف الجهود الرامية إلى تطوير تكنولوجيا الاتصال واستعمالها السليم في الوسط الشباني مع ضرورة إشراك النخبة في تسطير برامج لمعالجة النصوص الرقمية تهدف أساساً إلى تطوير مجتمع المعلومات القائم على أساس الحوار بين الثقافات والتعاون الإقليمي والدولي إلى جانب تشجيع معايير التنمية المستدامة في شقها اللغوي الناتجة عن التفاعل الرمزي بين مستخدمي المنصات الافتراضية.
6. برمجة مقاييس علمية في مقررات الطالب الجامعي يتم من خلالها التعرف على سيميولوجيا الاتصال وعلاقتها التعدد اللغوي في حلته الرقمية الجديدة، مع ضرورة الالتزام بتوجيه الطالب حامل لواء المعرفة للبحث أكثر في هذا المجال البكر لأن تحصين المحتويات الثقافية الرقمية من كل انفلات يتم عن طريق البحث العلمي.

خاتمة

تبقى اللغة وسيلة هامة في حياة الفرد والمجتمع فهي التي تصبغ الفرد بالّصبغة الاجتماعية، إذ كلما ازداد تعّمقا في عضويته للمجتمع اللغوي لعبت اللغة دوًرا أساسيا في توجيه سلوكه وإنماء إحساسه وبناء تفكيره الشخصي، لتحفف له بذلك عضويته الاجتماعية التي تتوقف على قدرته على الاتصال بالآخرين، وهذا الأخير يعتبر أحد أهم الّدوافع الأساسية عند بدايات حياة الفرد التي تدفعه ليصبح في نطاق هذا

السلوك الاجتماعي الذي نسميه اللغة، فهي أداة مهّمة للتعامل مع البيئة الاجتماعية التي تتعامل بدورها حينئذ مع البيئة الطبيعية.

ختاماً تعد هذه الدراسة مجالاً مفتوحاً لدراسة أكاديمية جديدة وحلقة هامة من حلقات البحوث السيميولوجية المتواصلة لاستكشاف العلاقة الجدلية بين مواقع التواصل الاجتماعي والمضامين الاتصالية التفاعلية في ظل التعدد اللغوي مهدين السبيل لباحثين آخرين للغوص في توسيع أفق البحوث السيميولوجية

قائمة المراجع :

1- الكتب بالعربية

1. يونس إيمان، تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع والتلقي في الأدب العربي الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر، رام الله، 2011
2. محمد عبد الحميد: المدونات، العالم البديل، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2009
3. حرب،علي، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية، ط1، الدار البيضاء-بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000
4. محمد الحسان إحسان، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1996
5. أحمد بن مرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط4 الجزائر ،2010
6. ابن جني: الخصائص، الجزء الأول، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة سنة 1999
7. علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 1971
8. يقطين، سعيد، من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005
9. م.م لويس .ترجمة تمام حسان، الّلغة في المجتمع، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2003
10. عبد النور ادريس، الثقافة الرقمية من تجليات الفجوة الرقمية إلى الأدبية الالكترونية، ط1، دفاتر الاختلاف، المغرب ،2011
11. البريكي، فاطمة. الكتابة والتكنولوجيا، ط1، بيروت-الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،2008

12. عمر زرفاوي، الكتابة الزرقاء، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ط1، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2013

13. محمد السناجلة،.رواية الواقعية الرقمية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،بيروت،2005

14. عبد المقصود،أحمد أحمد. الأدب التفاعلي والنظرية النقدية، مجلة الرافد،الشارقة، عدد11، 2007

15. أدريس، عبد النور.الثقافة الإلكترونية مدارات الرقمية، فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة،ط1، عمان، 2014

2- بالفرنسية

16. Driss Abdali ,Eleni mittropoulou , Sémiotique et communication :Etats lieux et perspectives d'un dialogue , presses universitaires de Franche-Comté , paris , 2007

3- المواقع الالكترونية :

1. ستار، ناهضة، إشكالية الأدبية الإلكترونية:ماض بصيغة العصر، بحث منشور على الموقع: http://www.alnoor.se/article.asp?id=126358#sthash.sAcRzkWc.dpuf بتاريخ 2018/02/08، 20سا

2. سلامة، عبير، أطياف الرواية الرقمية، بحث منشور على الموقع الإلكتروني: http ://www.middle-east-online.com/?id=58573=58573&format=0 بتاريخ 2018/05/07، 22.30سا

3. نجم، السيد، النص الرقمي وأجناسه:قراءة في واقع منتج النص الرقمي في العالم العربي، بحث منشور في مجلة العربي الحر على الموقع التالي: http://www.freearabi.com/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5 بتاريخ 2018/07/14، 22سا

مستوى الاحتراق النفسي لدى معلّمات التربية الخاصة في محافظة عجلون

د. نايف علي نايف وحشه
كلية الآداب والعلوم التربوية
جامعة عجلون الوطنية -المملكة الأردنية الهاشمية

ملخّص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد مستوى الاحتراق النفسي لدى معلّمات التربية الخاصة في محافظة عجلون. وقد تكوّن مجتمع الدراسة وعيّنتها من جميع معلّمات التربية الخاصة في محافظة عجلون للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2017-2018) والبالغ عددهن (35) معلّمة. وتمّ اتباع المنهج الوصفي التحليلي, وطُبّق مقياس ماسلاتش (Maslach) كأداة للدراسة مكوّن من (22) فقرة لأبعاد الاحتراق النفسي الثلاث التالية: بُعد الإجهاد الانفعالي، وبُعد تبلّد المشاعر، وبُعد نقص الشعور بالانجاز. وأظهرت الدراسة النتائج التالية: -إنَّ مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون جاء مرتفعاً. -وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر الخبرة التدريسية في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية, وجاءت الفروق لصالح فئة الخبرة "5 سنوات فأكثر". -عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تُعزى لأثر المؤهل العلمي في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية. -وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تُعزى لأثر الحالة الاجتماعية في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية, وجاءت الفروق لصالح فئة الحالة الاجتماعية "متزوجة".

الكلمات المفتاحية: الاحتراق النفسي, معلّمات التربية الخاصة.

Abstract:

The purpose of this study is to determine the level of Occupational Burnout among special education teachers in Ajloun Governorate. The study is comprised of a population and a sample of all the special education teachers in Ajloun Governorate for the second semester of the academic year (2017-2018) and the number of (35) teachers. The analytical descriptive approach was followed, and the Maslach scale was applied as a study tool consisting of (22) bullets for the following three dimensions of burnout: the emotional stress dimension, the sagging feelings dimension and the lack of sense of accomplishment dimension. The study showed the following results: -The level of Occupational Burnout among special education teachers in Ajloun governorate was high. -There are statistically significant differences (α=0.05) due to the impact of teaching experience in all dimensions and in the total score, the differences were in favor of the "5 years and above" category. -The absence of statistically significant differences (α=0.05) due to the impact of scientific qualification in all dimensions and in the total score. -There were statistically significant differences (α=0.05) due to the impact of the social situation in all dimensions and in the total score. The differences were in favor of the marital status category.

Keywords: Occupational Burnout, Special Education Teachers.

مقدمة:

إنّ موضوع الاحتراق النفسي لدى المعلمين من الموضوعات المهمة في المجال التربوي؛ وقد كانت بدايات الموضوع في السبعينات من القرن العشرين, وتمّ الاهتمام به نتيجة لكتابات علماء النفس والاجتماع,

وطرحهم له في المؤتمرات العلمية، وفي الندوات ووسائل الإعلام المختلفة (القريوتي، 2008؛ Chan, 2007؛ Cherniss, 1980).

ويمثّل الحديث عن موضوع الاحتراق النفسي مساحة كبيرة في مجال المهن الإنسانية وفي مقدمتها التربية والتعليم. وهو من المفاهيم الجديدة نسبياً، فقد كان فرويدينبرجر (Freudenberger) من الأوائل الذين استخدموا مفهوم الاحتراق النفسي للإشارة لما يصيب المهنيين الذين يواجهون معوّقات تحول دون قيامهم بمهامهم المهنية كاملة، فيسبب لهم الإحساس بالقصور والعجز عن تأدية العمل بالمستوى المطلوب منهم، وغالباً ما يترتب على هذا الوضع حدوث ضغط نفسي يلزم المهني بأن يتكيّف معه لكي يقلل من إحساسه بالعجز. ويتميّز هذا النوع من التكيّف بتدني مستوى الدافعية، والشعور بعدم الرضا، وبالعلاقة الجافة التي تربطه بزملاءه (Freudenberger, 1974).

ولعلّ العمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة يأتي في مقدمة المهن التي يمكن أن تخلق مشاعر الإحباط لدى المعلمين، لما تقتضيه هذه المهن من متطلبات مع فئات متنوعة من الأشخاص غير العاديين بمختلف فئاتهم، كالإعاقات الحركية، والعقلية، والسمعية، والبصرية، وصعوبات التعلم، واضطرابات النطق، والاضطرابات السلوكية، والتوحد، حيث يُعتبر كل طالب حالة خاصة تتطلب نمطاً خاصاً من الخدمة والتعليم والتدريب والخدمات المساندة، بالإضافة إلى أنّ انخفاض قدرات الأفراد المصابين بالإعاقة وتنوع مشكلاتهم وحدتها أحياناً قد يولد لدى العديد من المعلمين معهم الشعور بالإحباط، وضعف الشعور بالإنجاز أو النجاح، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى شعور هؤلاء المعلمين بالضغوط النفسية والمهنية، ومنهم قد يصل إلى درجة الاحتراق النفسي (السبيعي، 2009).

وتصف ماسلاتش (Maslach) الاحتراق النفسي بأنّه مجموعة أعراض تتلخص في الإجهاد العصبي واستنفاذ الطاقة الانفعالية، والتجرّد من الخصائص الشخصية، والإحساس بعدم الرضا عن الإنجاز الشخصي في المجال المهني، وهي مجموعة أعراض يمكن أن تحدث لدى الأشخاص الذين يؤدون نوعاً من الأعمال التي تقتضي التعامل المباشر مع الناس (Maslach, 2003). ويرى جولد (Gold) أنّ الاحتراق النفسي حالة يعاني فيها المعلّم من برود العاطفة وانعدام الودّ تجاه الطلبة، والشعور مراراً وتكراراً باستنفاد الطاقة الانفعالية أو البدنية، وعدم القدرة على امتصاص آثار المحبطات والمثبطات (Gold, 1987).

وتمرّ عملية الاحتراق النفسي بثلاث مراحل، هي: المرحلة الأولى وهي مرحلة وجود ضغط ناجم عن عدم التوازن بين متطلبات العمل والقدرات اللازمة لتنفيذه من قبل الفرد القائم بهذا العمل. المرحلة الثانية وهي نتيجة للمرحلة الأولى، والتي هي رد الفعل الانفعالي لحالة عدم التوازن، حيث يشعر الفرد بالقلق والتعب، والإجهاد الناجم عن الضغط الذي تولده متطلبات العمل. المرحلة الثالثة وهي مجموعة التغيرات في اتجاهات الفرد وسلوكه مثل: الميل لمعاملة الأشخاص المتعامل معهم بطريقة آلية، وانشغاله عنهم بالاتجاه نحو إشباع حاجاته الشخصية، ممّا ينجم عنه التقليل من الالتزام الذاتي بالمسؤولية الوظيفية (طشطوش، وجروان، ومهيدات، وبني عطا، 2013).

وتختلف الأسباب التي تؤدي إلى الاحتراق النفسي من فرد لآخر من حيث وقعها النفسي عليه. ويعود سبب هذا الاختلاف إلى التباين في قدرة التحمل النفسي من فرد لآخر, وطريقة تعامل الفرد مع مسببات ومصادر الاحتراق النفسي, وكذلك بسبب الفروق الفردية والخبرات السابقة والقدرات والاستعدادات, وطبيعة الشخصية, ومفهوم الذات, والدعم الاجتماعي الذي يتلقاه الفرد من البيئة المحيطة به. لكن ثمة اتفاق بين معظم علماء النفس على أنّ من أهم أسباب ظاهرة الاحتراق النفسي يكمن وراء صعوبات العمل الفيزيقية والإدارية والإنسانية (أبو هواش والشايب، 2012).

وقد توالت الدراسات والأبحاث حول موضوع الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة, وبمتغيّرات مختلفة, ومن بينها دراسة العرايضة (2015), والتي هدفت إلى الكشف عن مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة, واشتملت عينة الدراسة على (32) معلماً, وقد أشارت النتائج إلى أنّ مستوى الاحتراق النفسي لديهم كان متوسطاً, وأظهرت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تُعزى لمتغيرات الخبرة التدريسية, والتخصص, والمرحلة الدراسية, وعدد الطلاب في الفصل.

وقام بلاتسيدو وأجاليوتيس (Platsidou&Agaliotis, 2008) بدراسة مستويات الاحتراق النفسي, لدى عينة مكونة من (127) معلماً ومعلمة, من معلمي التربية الخاصة, في المرحلة الابتدائية باليونان, وتوصل الباحثان, إلى وجود مستويات منخفضة, من الاحتراق النفسي, لدى عينة الدراسة, في الأبعاد الثلاثة لمقياس ماسلاتش, كما أشارت النتائج إلى وجود علاقة سلبية ودالة إحصائياً بين مستويات الاحتراق ومستويات الرضا الوظيفي, في حين أظهرت الدراسة عدم وجود علاقة دالة إحصائياً بين مستوى الاحتراق والخبرة التدريسية, وعدم وجود فروق دالة إحصائياً في مستويات الاحتراق تُعزى لمتغير الجنس.

ودرس الزيودي (2007) الاحتراق النفسي لدى عينة من معلمي التربية الخاصة, بلغ عددها (115) معلماً ومعلمة, وأظهرت نتائج الدراسة وجود احتراق نفسي لدى المعلمين والمعلمات بدرجة متوسطة, كما أظهرت النتائج ارتفاع مستوى الاحتراق النفسي لدى المعلمين مقارنة بالمعلمات, في حين أظهرت النتائج عدم وجود أثر لمتغير المؤهل العلمي على مستوى الاحتراق النفسي, أما بالنسبة لمتغير الخبرة فقد أظهرت النتائج أنّ المعلمين ذوي مستويات الخبرة القليلة يتعرضون لمستوى أعلى من الاحتراق النفسي.

وكشف بطاينة والجوارنة (2004) عن مستويات متوسطة من الاحتراق النفسي لدى عينة من (120) معلّماً ومعلّمة من معلمي التربية الخاصة بالأردن, وقد أظهرت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستويات الاحتراق تُعزى إلى متغيرات المؤهل الدراسي, والتخصص, والجنس, والمرحلة التعليمية, كما توصلت الدراسة إلى أنّ مستويات الاحتراق اختلفت بناء على متوسط أعداد التلاميذ في الصف الواحد, بينما لم تجد الدراسة فروقاً تُعزى إلى الخبرة التدريسية.

وهدف دراسة الجمالي وحسن (2003) إلى الكشف عن مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة واحتياجاتهم التدريبية أثناء الخدمة في سلطنة عمان, وأثر كل من متغيرات الجنس والجنسية والخبرة والمؤهل العلمي ونوع إعاقة الطلبة الذين يعملون معهم في مستويات الاحتراق النفسي

للمعلّم. وتكونت عينة الدراسة من (133) معلماً ومعلمة. وقد أظهرت النتائج أنّ معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة يعانون من احتراق نفسي بدرجة معتدلة, وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تُعزى لمتغيري الجنس والخبرة التدريسية في أبعاد مقياس الاحتراق النفسي الثلاثة, كما أنّ المعلمين العمانيين أكثر تعرضاً من غير العمانيين للاحتراق في بُعدي تبلد المشاعر وتدني الشعور بالإنجاز. إضافة إلى أنّ المعلمين غير المتخصصين في التربية الخاصة والمعلمين الذين يعملون مع الإعاقات المختلفة للكبار أكثر تعرضاً للاحتراق في بُعد الإجهاد الانفعالي.

أما بانكز ونيكو (Banks &Necco, 1990) فقد أجريا دراسة لمعرفة مستوى الاحتراق النفسي لدى عيّنة مكوّنة من (181) معلّماً ومعلّمة يعملون في مجال التربية الخاصة, وقد تبيّن أنّ مستوى الاحتراق النفسي عندهم يُعزى إلى متغير فئة الإعاقة التي يتعاملون معها, وخلفية المعلّم التدريبية وعمره.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تظهر في كثير من المهن لاسيما المهن ذات الطابع الإنساني والتعاوني معوقات وضغوط مختلفة تحول دون قيام الموظف بدوره المطلوب كما يتوقعه هو ويتوقعه الآخرون, ويُعتبر الاحتراق النفسي من أبرز المعوقات التي قد تظهر في مجال العمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة (الزهراني، 2008).

إنّ العمل مع فئة الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة يحتاج إلى صبر وقدرة, لأنّ لديهم احتياجات خاصة مختلفة عن الأطفال العاديين. كما أنّ هذه المهنة تتطلب التعامل مع فئات متنوعة من الأفراد غير العاديين حيث يعتبر كل فرد حالة خاصة, قد يولد ذلك لدى العديد من العاملين معهم, وخصوصاً المعلمين, الشعور بالإحباط وضعف الشعور بالإنجاز أو النجاح, الأمر الذي من شانه أن يولد لدى هؤلاء العاملين الشعور بالضغوط النفسية والمهنية, خصوصاً إذا كان المعلم يُعاني من ضغوط نفسية, أو عمل مع هذه الفئة دون رغبة أو إرادة فإنّه يجد صعوبة في أداء مهامه بأكمل وجه ممّا يدفعه لبذل الجهد بصورة مستمرة حتى يستنزف طاقته فيجد نفسه غير قادر على العطاء فيشعر بالسلبية في أدائه, وبالتالي يصبح ضحية الاحتراق النفسي (سيد أحمد، 2015).

وبذلك سعت الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ما مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون؟

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة تُعزى لمتغير الخبرة التدريسية؟

3- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة تُعزى لمتغير المؤهل العلمي؟

4- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة تُعزى لمتغير الحالة الاجتماعية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في ما يلي:

- تسليط الضوء على موضوع مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون, والذي بدوره يؤثّر على كل من المعلمات, وعلى الطلبة أنفسهم, والبرامج التربوية, والمؤسسات, والمجتمع بشكل عام.
- لفت النظر إلى الفروق في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة بناءً على عدد من المتغيرات.
- قد يحثّ المسؤولين والمعنيين بشؤون ذوي الإعاقات, إلى تحسين ظروف المعلّمات ومساعدتهم في تحقيق صحتهم النفسية, وتحقيق تكيّف مهني أفضل, والتغلب على العوامل التي تعترضها, وهو أمر ينعكس بشكل إيجابي على تحسين نوعية الخدمات التي تُقدم لطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة.
- التعرّف على الأداة لقياس مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة.
- تُعتبر هذه الدراسة استكمالاً لما جاء به الباحثون السابقون بموضوع الاحتراق النفسي, وقد تُشكّل انطلاقة لدراسة الموضوع من جوانب متعدّدة, وستكون لها أثر في ميلاد دراسات أخرى.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق ما يلي:

الهدف الرئيسي:

- تحديد مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون.

الأهداف الفرعية:

- التعرّف على الفروق في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون تبعاً للمتغيرات (الخبرة التدريسية, والمؤهل العلمي, والحالة الاجتماعية).

محددات الدراسة:

- اقتصرت هذه الدراسة على معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون في الأردن للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2017-2018).
- اعتمدت الدراسة الحالية على مقياس ماسلاتش (Maslach) كأداة للدراسة والذي يضمّ ثلاثة أبعاد وهي: بُعد الإجهاد الانفعالي، وبُعد تبلّد المشاعر، وبُعد نقص الشعور بالانجاز.
- يتحدد تعميم نتائج الدراسة بمدى صدق وثبات أداة الدراسة.

التعريفات الإجرائية:

- **الاحتراق النفسي:** هو مجموع الدرجات التي تحصل عليها المعلّمات على فقرات أبعاد مقياس ماسلاتش (Maslach)، والتي تتمحور حول: بُعد الإجهاد الانفعالي، وبُعد تبلّد المشاعر، وبُعد نقص الشعور بالانجاز.

- معلّمات التربية الخاصة: هنّ اللاتي يقدمّن الخدمات التعليمية والتدريبية للطلبة ذوي الحاجات الخاصة من الذكور والإناث, في مراكز التربية الخاصة, بمحافظة عجلون للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2017-2018).

الطريقة والإجراءات:

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بهدف وصف وتحليل مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون بناءً على ما تمّ جمعه من بيانات ومعلومات وتحليلها إحصائياً. ويعتمد المنهج الوصفي التحليلي على دراسة موضوع في الواقع ووصفه بدقة والتعبير عنه كمّاً وكيفاً وتصنيف المعلومات وتنظيمها والسعيّ لفهم علاقة هذا الموضوع مع غيره من الموضوعات والوصول لاستنتاجات يتمّ تعميمها, قد تُسهم في تطوير الواقع المدروس, كل ذلك دون أن يكون للباحث أي تدخّل مقصود في مجريات الموضوع, والاكتفاء بالتفاعل معها بالوصف والتحليل. وتتحدّد متغيرات الدراسة الحالية كما يلي:

1- المتغيرات المستقلة:

- الخبرة التدريسية (أقل من 5 سنوات, 5 سنوات فأكثر).
- المؤهل العلمي (دبلوم كلية مجتمع, بكالوريوس).
- الحالة الاجتماعية (متزوجة, غير متزوجة).

2- المتغيرات التابعة:

- مستوى الاحتراق النفسي.

مجتمع الدراسة وعيّنتها:

تكوّن مجتمع الدراسة وعيّنتها من جميع معلّمات التربية الخاصة في محافظة عجلون للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2017-2018) والبالغ عددهن (35) معلّمة، موزّعين كما في الجدول التالي حسب متغير الخبرة التدريسية, والمؤهل العلمي, والحالة الاجتماعية.

جدول (1): النسب المئوية لتوزيع عيّنة الدراسة حسب متغير الخبرة التدريسية والمؤهل العلمي والحالة الاجتماعية

الرقم			العدد	النسبة
-1	الخبرة التدريسية	أقل من 5 سنوات	18	51.4%
		5 سنوات فأكثر	17	48.6%
-2	المؤهل العلمي	دبلوم كلية مجتمع	16	45.7%
		بكالوريوس	19	54.3%
-3	الحالة الاجتماعية	متزوجة	22	62.9%

		غير متزوجة	13	37.1%
	المجموع		35	100%

أداة الدراسة وصدقها وثباتها:

أداة الدراسة:

تكونت أداة الدراسة من الصورة المعرّبة من مقياس ماسلاتش للاحتراق النفسي (Maslach Burnout Inventory, MBI), والذي طوّر من قبل الباحثان ماسلاتش وجاكسون (Maslach& Jackson, 1981). وتمّ اختيار فقرات الاستبانة بناءً على ذلك والمرتبطة بالاحتراق النفسي التي استخدمت في الدراسة والبالغ عددها (22) فقرة لأبعاد الاحتراق النفسي الثلاث التالية: بُعد الإجهاد الانفعالي (9) فقرات وقد حملت الأرقام (1, 2, 3, 6, 8, 13, 14, 16, 20)، وبُعد تبلّد المشاعر (5) فقرات وقد حملت الأرقام (5, 10, 11, 15, 22)، وبُعد نقص الشعور بالانجاز (8) فقرات وقد حملت الأرقام (4, 7, 9, 12, 17, 18, 19, 21).

وتكون الاستجابة لكل فقرة من الفقرات مرتين, لتحديد مستوى الاحتراق النفسي, الأولى تعبر عن تكرار الشعور بالاحتراق النفسي, والثانية تدلّ على شدّة الاحتراق النفسي. وبما أنّ الدراسات السابقة دلّت على أنّ الاستجابة لتكرار الشعور بالاحتراق النفسي, مماثلاً للاستجابة لشدته, وأنّ هناك ارتباطاً عالياً بين هذين البعدين (التكرار والشدة), فقد اقتصرت الدراسة الحالية على شدّة الشعور بالاحتراق النفسي, حيثُ يُجاب عنها باستخدام سُلّم ليكرت الخماسي (أوافق بشدة = 5، أوافق = 4، غير متأكد = 3، لا أوافق = 2، لا أوافق بشدة = 1). ويُراعى في التصحيح فقرات بُعد نقص الشعور بالانجاز, وذلك لأنّ فقراتها إيجابية, والتي حملت الأرقام (4, 7, 9, 12, 17, 18, 19, 21), حيثُ يتمّ عكس درجات المفحوص.

ويشير التقدير (5) إلى مستوى الاحتراق النفسي في أعلى مستوياتها، بينما يشير التقدير (1) إلى مستوى الاحتراق النفسي في أدنى مستوياتها. وبذلك يمكن استخراج مستوى كل فقرة من الفقرات وأيضاً استخراج المستوى الكلي لمجموع فقرات كل بُعد من أبعاد الاحتراق النفسي وذلك بعد معرفة المتوسط الحسابي للاستجابات عن فقراتها، أمّا تفسير نتائج الاستجابات فقد اعتمدت التقديرات كما في الجدول اللاحق:

جدول (2): متوسطات تقديرات استجابات المعلّمات ومستوياتها

متوسط التقديرات	مستواها
1 – 1.80	متدن جداً
1.81 – 2.60	متدن
2.61 – 3.40	معتدل
3.41 – 4.20	مرتفع
4.21 – 5	مرتفع جداً

صدق أداة الدراسة وثباتها:

يتمتع مقياس ماسلاتش الأصلي والمعرّب بمستوى جيد من الصدق والثبات, فقد ظهرت دلالات صدق وثبات المقياس من خلال قدرته على التمييز بين فئات مختلفة من العاملين الذين يعانون من الاحتراق النفسي وذلك من خلال دراسة العرايضة (2015), ودراسة الزيودي (2007), ودراسة بطاينة والجوارنة (2004), ودراسة الجمالي وحسن (2003).

ومع ذلك, فقد تحقق الباحث من صدق محتوى أداة الدراسة بعرضها على محكّمين ومجموعة من الأساتذة الجامعيين المختصين في ميدان التربية الخاصة, وعلم النفس, والقياس والتقويم, والبالغ عددهم اثنا عشر محكّماً ومحكّمة, حيث أجمع المحكّمون على ملاءمة صياغة الفقرات, وانتمائها للمجالات التي تنطوي تحتها. وللتأكّد من ثبات الأداة، تمّ حساب معامل الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا, إذ تراوحت قيمه ما بين (0.77 – 0.86), واعتبرت هذه النسب مناسبة لغايات هذه الدراسة كما في الجدول اللاحق.

جدول (3):معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا لأداة الدراسة ومكوناتها

	الاتساق الداخلي
بُعد الإجهاد الانفعالي	0.78
بُعد تبلّد المشاعر	0.80
بُعد نقص الشعور بالانجاز	0.77
الأداة ككل	0.86

المعالجة الإحصائية:

استخدمت الدراسة الحالية في المعالجة الإحصائية الأساليب التالية:

- معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا.
- المتوسطات والانحرافات المعيارية.
- اختبار– ت t.test .

نتائج الدراسة وتفسيرها:

السؤال الأول: ما مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون؟

للإجابة عن هذا السؤال، تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون كما يظهر في الجدول (4).وجاء الاحتراق النفسي بمستوى مرتفع، ويبيّن الجدول أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (2.89–3.97)، حيثُ جاء بُعد الإجهاد الانفعالي في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (3.97)، ثُمّ بُعد نقص الشعور بالانجاز وبمتوسط حسابي (3.14), بينما جاء بُعد تبلّد المشاعر في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (2.89)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (3.42).

جدول (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرقم	الأبعاد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
1	بُعد الإجهاد الانفعالي	3.97	0.369	مرتفع
2	بُعد نقص الشعور بالانجاز	3.14	0.628	معتدل
3	بُعد تبلّد المشاعر	2.89	0.755	معتدل
	الدرجة الكلية	3. 42	0.465	مرتفع

وقد تمّ حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على فقرات كل بُعد على حده، حيث كانت على النحو التالي:

1. بُعد الإجهاد الانفعالي

جدول (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة ببُعد الإجهاد الانفعالي مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
8	أشعر بالاحتراق النفسي من عملي.	4.37	0.731	مرتفع جداً
1	أشعر أنّ عملي يستنفدني انفعالياً نتيجة عملية التدريس.	4.23	0.942	مرتفع جداً
2	أشعر أنّ طاقتي مستنفدة مع نهاية اليوم الدراسي.	4.23	0.731	مرتفع جداً
20	أشعر وكأنّني أشرفت على النهاية نتيجة ممارستي لهذه المهنة.	4.17	0.785	مرتفع
13	أشعر بالإحباط من ممارستي لمهنة التدريس.	4.09	0.781	مرتفع
3	أشعر بالإنهاك حينما أستيقظ في الصباح وأعرف أنّ علي مواجهة يوم عمل جديد.	4.00	0.804	مرتفع
14	أشعر أنني أعمل في هذه المهنة بإجهاد كبير.	3.94	0.802	مرتفع
16	إنّ العمل بشكل مباشر مع الناس يؤدي	3.43	1.092	مرتفع

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
	بي إلى ضغوط شديدة.			
6	إنّ التعامل مع الناس طوال يوم العمل يسبب لي الإجهاد.	3.31	1.207	معتدل
	بُعد الإجهاد الانفعالي	3.97	0.369	مرتفع

يبيّن الجدول (5) أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (3.31- 4.37)، حيث جاءت الفقرة رقم (8) والتي تنصّ على "أشعر بالاحتراق النفسي من عملي" في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (4.37)، بينما جاءت الفقرة رقم (6) ونصّها "إنّ التعامل مع الناس طوال يوم العمل يسبب لي الإجهاد" بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.31). وبلغ المتوسط الحسابي لبُعد الإجهاد الانفعالي ككل (3.97).

2. بُعد نقص الشعور بالانجاز

جدول (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة ببُعد نقص الشعور بالانجاز مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
19	أنجزت أشياء كثيرة ذات قيمة وأهمية في ممارستي لهذه المهنة.	3.63	1.003	مرتفع
17	أستطيع بسهولة خلق جو نفسي مريح مع طلابي.	3.46	1.120	مرتفع
4	من السهل معرفة مشاعر طلابي.	3.31	1.993	معتدل
21	أتعامل بهدوء مع المشاكل الانفعالية والعاطفية في أثناء ممارستي لهذه المهنة.	3.26	1.010	معتدل
18	أشعر بالسعادة والراحة بعد انتهاء العمل مع طلابي.	3.23	1.087	معتدل
12	أشعر بالنشاط والحيوية.	3.11	1.105	معتدل
7	أتعامل بفاعلية عالية مع مشاكل طلابي.	2.74	1.146	معتدل
9	أشعر أنّ لي تأثيراً إيجابياً في حياة كثير من الناس من خلال عملي.	2.40	1.241	متدنٍ
	بُعد نقص الشعور بالانجاز	3.14	0.628	معتدل

يبيّن الجدول (6) أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (2.40- 3.63)، حيث جاءت الفقرة رقم (19) والتي تنصّ على "أنجزت أشياء كثيرة ذات قيمة وأهمية في ممارستي لهذه المهنة" في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (3.63)، بينما جاءت الفقرة رقم (9) ونصّها "أشعر أنّ لي تأثيراً إيجابياً في حياة كثير من الناس من خلال عملي" بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (2.40). وبلغ المتوسط الحسابي لبُعد نقص الشعور بالانجاز ككل (3.14).

3. بُعد تبلّد المشاعر

جدول (7): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة ببُعد تبلّد المشاعر مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
11	أشعر بالانزعاج والقلق لأنّ مهنتي تزيد من قسوة عواطفي.	4.20	0.632	مرتفع
10	أصبحت أكثر قسوة مع الناس نتيجة عملي بالتدريس.	3.17	1.124	معتدل
15	حقيقة لا أهتم بما يحدث مع طلابي من مشاكل.	2.63	1.140	معتدل
22	أشعر أنّ الطلبة يلومونني عن بعض مشاكلهم.	2.40	1.241	متدنٍ
5	أشعر أنني أتعامل مع بعض الطلبة وكأنّهم أشياء لا بشر.	2.03	1.098	متدنٍ
	بُعد تبلّد المشاعر	2.89	0.755	معتدل

يبيّن الجدول (7) أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (2.03 - 4.20)، حيث جاءت الفقرة رقم (11) والتي تنصّ على "أشعر بالانزعاج والقلق لأنّ مهنتي تزيد من قسوة عواطفي" في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (4.20)، بينما جاءت الفقرة رقم (5) ونصّها "أشعر أنني أتعامل مع بعض الطلبة وكأنّهم أشياء لا بشر" بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (2.03). وبلغ المتوسط الحسابي لبُعد تبلّد المشاعر ككل (2.89).

أشارت النتائج المتعلقة بهذا السؤال إلى أنَّ مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون جاء مرتفعاً. وتراوحت المتوسطات الحسابية ما بين (2.89- 3.97)، حيثُ جاء بُعد الإجهاد الانفعالي بمتوسط حسابي بلغ (3.97)، وبُعد نقص الشعور بالانجاز بمتوسط حسابي (3.14), بينما جاء بُعد تبلّد المشاعر بمتوسط حسابي بلغ (2.89)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (3.42).

جاءت نتائج الدراسة حصول الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون ككل بمستوى مرتفع. ويفسّر الباحث هذه النتيجة بأنّها مؤشراً على المعاناة التي تعيشها معلمة التربية الخاصة, نتيجة للمشكلات والمعوّقات وأعباء العمل اليومية التي تواجهها وتحول دون قيامها بالمهام منها بشكل مطلوب, ممّا يؤدي إلى إحساسها بالعجز عن تأدية ما تقوم به وما يترتب علها من ضغط نفسي وتوتر عصبي, وبالتالي تدني اهتمامها ودافعيتها. ويبدو أنّ استجابة معلمة التربية الخاصة لضغوط العمل اليومية والمواجهة الفعلية للمعوّقات التي تشكل كثيراً من الإحباطات هي التي ساهمت في ظهور هذا المستوى المرتفع من الاحتراق النفسي لديها, ولعلّ هذه الضغوط ترجع إلى طبيعة مهنة تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة, إذ أنّها مهنة كثيرة المتغيرات والمطالب, وأنّها في نظر المجتمع ليست مهنة رفيعة المستوى, في الوقت الذي يُطلب من المعلمة القيام بمسؤوليات كبيرة. ولهذا, فإنّ العمل مع فئات ذوي الاحتياجات الخاصة يُعد من أهم مصادر الضغوط النفسية للمعلمة, كما أنّه يؤدي إلى وصول المعلمة إلى مستوى من الاحتراق النفسي, بسبب عدم القدرة على مواجهة المتطلبات الإضافية التي تتطلبها التعامل مع هذه الفئات, والتي تتطلب مراعاة خاصة, كاستخدام لغة حوار خاصة, وطرائق تدريس خاصة, وتصميم بيئة تعلم خاصة, وتعامل مع الحالة الانفعالية المتغيرة لطلاب تلك الفئات, بالإضافة إلى ارتفاع التوقعات من البيئة المحيطة, وقلّة الدعم والمساندة من الجهات المختلفة.

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة تُعزى لمتغير الخبرة التدريسية؟

للإجابة عن هذا السؤال تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة حسب متغير الخبرة التدريسية، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تمّ استخدام اختبار "ت"، والجدول (8) يوضّح ذلك.

جدول (8): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" لأثر الخبرة التدريسية على مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة

	الخبرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
بُعد الاجهاد الانفعالي	أقل من 5 سنوات	18	3.78	0.321	-3.858	33	0.001
	5 سنوات فأكثر	17	4.18	0.299			
بُعد تبلّد المشاعر	أقل من 5 سنوات	18	2.57	0.505	-2.824	33	0.008
	5 سنوات فأكثر	17	3.22	0.839			
بُعد نقص الشعور بالانجاز	أقل من 5 سنوات	18	2.90	0.502	-2.587	33	0.014
	5 سنوات فأكثر	17	3.40	0.655			
الاحتراق النفسي	أقل من 5 سنوات	18	3.18	0.322	-3.737	33	0.001
	5 سنوات فأكثر	17	3.68	0.461			

ويتبيّن من الجدول (8) وجود فروق ذات دلالة إحصائية (0.05=α) تعزى لأثر الخبرة التدريسية في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية, وجاءت الفروق لصالح فئة الخبرة "5 سنوات فأكثر". ويفسّر الباحث هذه

النتيجة أنّ مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة تزداد مع ازدياد سنوات الخبرة, وهذا ما يؤكد أنّ الاحتراق النفسي لا يظهر فجأة, بل يحتاج إلى عدد من السنوات في المهنة, لكي تصل المعلمة إلى مستوى يمكن القول عندئذ أنّها تعاني من احتراق نفسي. ويعود انخفاض معدل الاحتراق لدى المعلمات الأقل خبرة إلى أنّهن في السنوات الأولى من العمل, حيث لم يستنفذن طاقاتهن النفسية والبدنية فهنّ حديثات عهد بالعمل, وتعرضهن للضغوط المهنية أقلّ من سابقاتهن صاحبات الخبرة, اللاتي تعرضن بشكل دائم ومستمر لضغوط العمل مع فئات ذوي الاحتياجات الخاصة, وخصوصاً ما يقتضيه العمل من متطلبات مع تلك الفئات, حيث يتطلب نمطاً خاصاً من التعامل والتفاعل والتعليم والخدمة والتفاني, وبالتالي فإن صاحبات الخبرة الأطول هنّ أكثر عُرضة للاحتراق النفسي, نتيجة تعرضهن للاحباط والضغوط المهنية والنفسية والحياتية المستمرة.

السؤال الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة تُعزى لمتغير المؤهل العلمي؟

للإجابة عن هذا السؤال تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة حسب متغير المؤهل العلمي, ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تمّ استخدام اختبار "ت"، والجدول (9) يوضّح ذلك.

جدول (9): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" لأثر المؤهل العلمي على مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة

	المؤهل	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
بُعد الاجهاد الانفعالي	دبلوم كلية مجتمع	16	4.00	0.433	0.369	33	0.714
	بكالوريوس	19	3.95	0.315			
بُعد تبلّد المشاعر	دبلوم كلية مجتمع	16	2.75	0.498	-0.975	33	0.337
	بكالوريوس	19	3.00	0.917			
بُعد نقص الشعور بالانجاز	دبلوم كلية مجتمع	16	3.06	0.626	-0.689	33	0.495
	بكالوريوس	19	3.21	0.639			
الاحتراق النفسي	دبلوم كلية مجتمع	16	3.38	0.427	-0.574	33	0.570
	بكالوريوس	19	3.47	0.502			

يتبيّن من الجدول (9) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05=) تُعزى لأثر المؤهل العلمي في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية. ويفسّر الباحث هذه النتيجة بأنّ متغير المؤهل العلمي لا يُعد عاملاً من بين العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى اختلاف مستوى الاحتراق النفسي عند المعلمات.

السؤال الرابع: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة تُعزى لمتغير الحالة الاجتماعية؟

للإجابة عن هذا السؤال تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة حسب متغير الحالة الاجتماعية, ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تمّ استخدام اختبار "ت"، والجدول (10) يوضّح ذلك.

جدول (10): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" لأثر الحالة الاجتماعية على مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة

	الحالة الاجتماعية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
بُعد الاجهاد الانفعالي	متزوجة	22	4.16	0.284	4.934	33	0.000
	غير متزوجة	13	3.67	0.283			
بُعد تبلّد المشاعر	متزوجة	22	3.15	0.756	2.927	33	0.006
	غير متزوجة	13	2.45	0.530			
بُعد نقص الشعور بالانجاز	متزوجة	22	3.40	0.539	3.759	33	0.001
	غير متزوجة	13	2.70	0.524			
الاحتراق النفسي	متزوجة	22	3.65	0.379	4.885	33	0.000
	غير متزوجة	13	3.04	0.323			

يتبيّن من الجدول (10) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) تُعزى لأثر الحالة الاجتماعية في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية, وجاءت الفروق لصالح فئة الحالة الاجتماعية "متزوجة". ويفسّر الباحث هذه النتيجة بأنّ الحالة الاجتماعية تُعتبر إحدى العوامل التي تُساهم في حدوث الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة, وعليه فإنّ مستوى الاحتراق النفسي لدى المتزوجات أعلى من لدى غير المتزوجات, وذلك لأنّهن أكثر عُرضة لضغوطات الحياة اليومية, بوجود الأطفال ومتطلباتهم, ومسؤولياتها نحو الحياة الزوجية.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة الحالية يوصي الباحث بما يلي:

- الاهتمام بوضع البرامج التدريبية والارشادية لمعلمات التربية الخاصة لتعزيز قدراتهن على مواجهة ضغوط العمل والاحتراق النفسي.
- تحسين أوضاع المعلمات المهنية والاجتماعية.
- إجراء دراسات بهدف معرفة الأسباب التي تؤدي إلى الاحتراق النفسي لدى معلمات التربية الخاصة في محافظة عجلون.
- إجراء دراسات حول مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات كل فئة من فئات التربية الخاصة.
- إجراء دراسات حول مستوى الاحتراق النفسي لدى أسر ذوي الاحتياجات الخاصة.

المراجع العربية:

- أبو هواش، راضي والشايب, عبد الحافظ (2012). مستوى الاحتراق النفسي لدى معلّمات التربية الخاصة مقارنة بالمعلّمات العاديات في محافظة الباحة في المملكة العربية السعودية, **المجلة الدولية التربوية المتخصصة**، 1(7), 360– 382.

- بطاينة، أسامة والجوارنة, المعتصم بالله (2004). مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة ومعلماتها في محافظة أربد وعلاقتها ببعض المتغيرات, **مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس**، 2(2), 48– 74.

- الجمالي، فوزية وحسن, عبد الحميد (2003). مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة واحتياجاتهم التدريبية بسلطنة عُمان, **دراسات عربية في علم النفس**، 2(1), 151– 211.

- الزهراني، نوال (2008). الاحتراق النفسي وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى العاملات مع ذوي الاحتياجات الخاصة, **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة أم القرى, مكة المكرمة.

- الزبودي، محمد (2007). مصادر الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى معلّمي التربية الخاصة في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات, **مجلة جامعة دمشق**، 23(12), 189– 219.

- السبيعي، عبدالله (2014). الاحتراق النفسي وعلاقته بالرضا الوظيفي لدى معلمي التربية الخاصة بمدينة الرياض, **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, الرياض.

- سيد أحمد، سلوى (2015). الاحتراق النفسي لدى معلمات التلاميذ ذوي الإعاقة العقلية العاملات بمراكز التربية الخاصة, **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا, أمدرمان.

- طشطوش، رامي وجروان, علي ومهيدات, محمد وبني عطا, زايد (2013). ظاهرة الاحتراق النفسي والرضا الوظيفي والعلاقة بينهما لدى معلمي غرف المصادر في الأردن, **مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)**، 27(8), 1727– 1762.

- العرايضة، عماد (2015). مستوى الاحتراق النفسي لمعلمي التربية الخاصة, **مجلة العلوم النفسية والتربوية**، 2(1), 197– 227.

- القريوتي، إبراهيم (2008). الاحتراق النفسي لدى عينة من المعلمين المعاقين بصرياً العاملين بالمدارس الأردنية, **المجلة العربية للتربية الخاصة**، 12, 100– 120.

المراجع الأجنبية:

- Banks, S & Necco, E. (1990). The effects of special education category and type of training of job burnout in special education teachers. **Teachers Education and Special Education**, 13(34), 187-191.

- Chan, D. (2007). Burnout, self-efficacy, and successful intelligence among Chinese Prospective and in-service school Teachers in Hong Kong. **Education Psychology**, 27(1), 33-49.

- Cherniss, C. (1980). **Staff burnout: job stress in the human service**. Beverly Hills, CA: Sage Publication Inc.

- Freudenberger, H. J. (1974). Staff burnout.**Journal of Social Issues**, 30, 159-165.

- Gold, Y. (1987). Stress reduction programs to prevent teachers' burnout. **Journal of Education**, 107(3), 338-340.

- Maslach, C. (2003). Job burnout: New directions in research and intervention. **Current Directions in Psychological Science**, 12(5), 189-192.
- Maslach, C & Jackson, S. (1981). The Measurement of Experienced Burnout.**Journal of Occupational Behavior**, 2, 99-113.

- Platsidou, M &Agaliotis, I. (2008). Burnout, job satisfaction, and instructional assignment – related sources of stress in Greek special education teachers.**International Journal of Disability**, Development and Education, 55(1), 61-76.

استبانة الدراسة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يقوم الباحث بدراسة بعنوان "**مستوى الاحتراق النفسي لدى معلّمات التربية الخاصة في محافظة عجلون**".

لذا، أرجو قراءة فقرات هذه الاستبانة بتمعّن, والبالغ عددها (22) فقرة, والإجابة عليها بكل أمانة, بوضع إشارة (√) أمام العبارة التي تنسجم مع تصورك, علماً أنّ الإجابات ستعامل بسرية لأغراض البحث العلمي فقط.

شاكراً على تعاونك

د. نايف علي وحشه

1- الخبرة التدريسية: أقل من 5 سنوات ☐
5 سنوات فأكثر ☐

2- المؤهل العلمي: دبلوم كلية مجتمع ☐
بكالوريوس ☐

3- الحالة الاجتماعية: متزوجة ☐
غير متزوجة ☐

التسلسل	الفقــرة	أوافق بشدة	أوافق	غير متأكد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
1.	أشعر أنّ عملي يستنفدني انفعالياً نتيجة عملية التدريس.					
2.	أشعر أنّ طاقتي مستنفدة مع نهاية اليوم الدراسي.					
3.	أشعر بالإنهاك حينما أستيقظ في الصباح وأعرف أنّ علي مواجهة يوم عمل جديد.					
4.	من السهل معرفة مشاعر طلابي.					
5.	أشعر أنني أتعامل مع بعض الطلبة وكأنّهم أشياء لا بشر.					
6.	إنّ التعامل مع الناس طوال يوم العمل يسبب لي الإجهاد.					
7.	أتعامل بفاعلية عالية مع مشاكل طلابي.					
8.	أشعر بالاحتراق النفسي من عملي.					
9.	أشعر أنّ لي تأثيراً إيجابياً في حياة كثير من الناس من خلال عملي.					
10.	أصبحت أكثر قسوة مع الناس نتيجة عملي بالتدريس.					
11.	أشعر بالانزعاج والقلق لأنّ مهنتي تزيد من قسوة عواطفي.					

.12	أشعر بالنشاط والحيوية.					
.13	أشعر بالإحباط من ممارستي لمهنة التدريس.					
.14	أشعر أنني أعمل في هذه المهنة بإجهاد كبير.					
.15	حقيقة لا أهتم بما يحدث مع طلابي من مشاكل.					
.16	إنّ العمل بشكل مباشر مع الناس يؤدي بي إلى ضغوط شديدة.					
.17	أستطيع بسهولة خلق جو نفسي مريح مع طلابي.					
.18	أشعر بالسعادة والراحة بعد انتهاء العمل مع طلابي.					
.19	أنجزت أشياء كثيرة ذات قيمة وأهمية في ممارستي لهذه المهنة.					
.20	أشعر وكأنّني أشرفت على النهاية نتيجة ممارستي لهذه المهنة.					
.21	أتعامل بهدوء مع المشاكل الانفعالية والعاطفية في أثناء ممارستي لهذه المهنة.					
.22	أشعر أنّ الطلبة يلومونني عن بعض مشاكلهم.					

خزانات التراث المخطوط بوادي مزاب

خزانات بلدة تَجنِينْتْ وحركة النّساخة بها نموذجاً

د. يحيى حاج امحمد
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة غرداية

الملخص:

يزخر وادي مزاب بالجنوب الجزائري بعديد المكتبات وخزانات المخطوط الخاصة والعامة، ففي كلّ قرى مزاب السبعة تقريباً توجد كنوز تراثية مخطوطة ووثائق ومطبوعات نادرة...؛ تتعرض هذه الورقة البحثية إلى التعريف بخزانات المخطوط في بلدة تَجنِينْتْ (العطف)، وهي أم قرى واد مزاب، وحركة النّساخة بها، ونخصّ أهمّ الخزانات بها لحاجة الباحثين إلى كنوزها المعرفية المخطوطة، على غرار خزانة "تَدَّارتْ نْ إِروَان" (دار التلاميذ)، وخزانة "البِكري" (الشيخ عمر بن عبد الرحمن بكلي)، وخزانة الشيخ عمر بن حمو بكلي... وغيرها؛ محاولاً وصف مكنوناتها بحسب فنون العلم المختلفة، وأهمية ما تحويه كل خزانة من نفائس ونوادر، ونسّاخها ومالكي المخطوط بها...

آملاً أن يكون هذا البحث إضافة نوعية إلى مجال بحث المهتمين بالتراث المخطوط في مزاب، وكذا الإسهام في التعريف بالثروة الوطنية من المخطوط في الجنوب الجزائري، وتسهيل سبل الوصول إليها قصد تحقيقها ودراستها.

:Abstract

M'zab Valley in South of Algeria abounds with numerous libraries along with different public and private manuscript cabinets. In almost all the seven M’zab villages there are plenty of heritage treasures from rare manuscripts, documents and publications. This paper intends to shed some lights on the manuscript cabinets particularly in El- Atteuf or “*Tajnint”;* the oldest village of M’zab Valley in addition to the Rewriting Manuscript Movement. By doing so; this paper focuses on the most important reservoirs in an attempt to provide some helps for researchers in this area of study such as the bookcase of “The Pupils’ House” (Teddart N Erwen), Al- Bikri’s Bookcase (Sheikh Omar Ibn Abdurrahman Bakelli), Sheikh Omar Ibn Hammou Bakelli’s bookcase, and others by trying to analyze their precious contents according to their branches of arts. The researcher hopes that this paper will provide a significant addition for researchers who are interested in manuscripts heritage of M'zab Valley in particular and Algeria in general.

المخطوط وقيمته الحضارية:

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن المخطوطات، كما ظهرت اهتمامات جمّة ومبادرات عدّة نحسبها طيبة لأنها تُعنى بالمخطوطات كمادة تراثية وموروث حضاري، يرمز إلى جهود السلف في نشر الفكر والثقافة، وقد

اتجهت البحوث المتعلقة بالمخطوط إلى تحقيق نصّه، كما اقتصر بعضها على دراسته كوثيقة مادية أثرية حضارية تعطي صورة معبرة عن مختلف مجالات الحياة السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية...

والمخطوط سجلٌ حافلٌ يحفظ الأحداث ويرصد مجريات التاريخ ويواكب التطور الحضاري ويقرب بين الجماعات التي تفصلها مسافات أو يحول بينها زمن، وهو وثيقة مكتوبة يمكن بالاطلاع عليها الاقتراب من عصر صاحب المخطوط ومكانه، ومن معرفة تفاصيل دقيقة عن الحياة الفكرية والأوضاع الاقتصادية والحالة الاجتماعية، ويصلح مصدراً هاماً للتأريخ للحضارة ومتابعة تطورها.

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تشرّف النُّساخ بكتابة الوحي، وتواصى الناس بإتقان الكتابة، إذ يُروى عن عليّ بن أبي طالب أنه قال لعبد الله بن أبي رافع: (يا عبد الله ألقّ دواتك، وأطل شباة قلمك، وفرّج بين السطور وقمّط بين الحروف). وبعد أن كانت الثقة عرفاً سائداً بين الناس لم يحتاجوا معه إلى توثيق، أمر القرآن بعُرفٍ مخالفٍ قائلاً: ﴿فَاكتُبُوه﴾[1]، لأنَّ التسجيل يحفظ الحقوق، وإجراءات التعامل تقتضي وجود الوثائق والمستندات.

ولعل كثرة المدونات وتنوع المخطوطات دليل على عمق حضارة الأمّة، والمخطوط هو المكتوب بخط اليد لا بالمطبعة ويشمل كل نص، فإذا عرف عنوانه وصحت نسبته إلى مؤلفه، تتحدد قيمته الحضارية من خلال تاريخ نسخه. وتزخر مكتبات عديدة بالمخطوطات وعلى أصحابها فتح الأبواب للباحثين، لأن أسلافهم لم يؤلفوا تلك الكنوز لتبقى أسيرة الخزانات بل ليُشبع منها طلاب العلم نهمهم وترى النور محققة ويستفيد منها الخلف ويتواصل مسار نشر العلم.

ومن السلف الذين عمروا شمال إفريقيا الإباضية وهم من عهد الرستميين إلى اليوم، ويعدّ تراثهم الضخم إرثاً حضارياً يستحق كل العناية والتقدير، وقد استمر الاهتمام به والمحافظة عليه رغم ما تعرض له من تحريقٍ وتلفٍ وسطوٍ وإهمالٍ وحجبٍ، فحجم التراث الإباضي المخطوط المتبقى بوادي مزاب لأهميته قد يُقاس بكم حُقق منه أو نُشر، وبما حُفظ منه وسلم، لأنّ الجواب عن الكم تقريبي ويستحيل حصره خاصة إذا تعلق الأمر بحجم ما ضاع، فلا ندري عدد المجلدات التي أتلفها الحريق في مكتبة المعصومة الرستمية، ولا التي أبلتها الرطوبة في المستودعات عبر القرون، ولا التي رتعت فيها الأرضة فضيَّعت حصاد عقول رجال وقطعت حبل الوصل بين الأجيال وحضارة الأمة، ولا التي نهبها السماسرة ونُقلت إلى الغرب لتُستجدا مصورة بمالٍ وجهدٍ كبيرين ويُحجب عنّا المُهم منها...

والميزة الأخرى هي أنَّ المزابيين من أصول أمازيغية بربرية اللسان ومع ذلك فإن تراثهم المخطوط والمطبوع يعتزّ باعتماد لغة الضاد والعناية بأصول الدين وفروعه، ويفخر بخدمة الإسلام والعربية وتأصيلهما في المجتمع، لذا فإن التعريف برجال السلف من مؤلفين ونُسَّاخ ووقَّافين أمانة في أعناق الباحثين من أبناء الإباضية المغاربة وغيرهم، إذ لا تزال سيرهم مجهولة عند القريب قبل البعيد، كما أن إحياء التراث المخطوط قد

[1] - سورة البقرة، الآية 282.

خضع لفترات مدّ وجزر وانكماش وانتعاش وتلف ونجاة، وعلى أجيال اليوم أن تدعم الانتعاش وتنقذ كنوز السلف، وأن لا يدّخر المسؤولون أيَّ مجهود للمساهمة في تحقيق التراث الثمين، وبخاصة مؤازرة طلابنا الجامعيين، وأبارك جهود بعض الأساتذة والباحثين الذين بادروا إلى تحقيق بعض هذه الكنوز وإخراجها من ظلمات الصناديق إلى أنوار المطابع والمعاهد.

قرى وادي مزاب الخمسة

تعدّ تجنينت[1] (العطف) أول قرى الوادي تأسيساً وذلك سنة (402 هـ/ 1012م)، ثم بنورة (آت بنور) في (457هـ) ثم غرداية (تغردايت) سنة (477هـ)، ثم بن يزجن (آت يزجن) سنة (729هـ) ثم مليكة (آت ملشيت) سنة (756هـ)؛ أما القرارة وبريان فقد تأخر تأسيسهما؛ إذ بنيت القرارة سنة (1040هـ) وبريان سنة (1060هـ)؛ وقد ألحقت وارجلان بقرى الوادي السبعة لوجود المذهب الإباضي بها وما يزال مسجدها العتيق العامر الشهير باسم "لالة عزّة"...؛ وقبل القرى الحالية وجدت قرى كثيرة لكنها اندثرت ولم يبق منها إلاّ الأطلال، ولا يهم موضوعنا تفصيل أسمائها جميعاً.

يتوسط كل قرية من قرى مزاب المسجد وتلتف حوله المنازل بشكل هرمي، وهو يجسد السلطة الروحية والدينية لأهل القرى؛ وتوجد في أغلب القرى مكتبات علمية خاصة وعامة ثرية بالمخطوطات، كما شهد مزاب نبوغ مجموعة كبيرة من أبنائه في فنون المنقول والمعقول شهد لهم العالم الإسلامي بالرسوخ في العلم.

النهضة العلمية بميزاب:

لقد عرف وادي مزاب نشاطاً معتبراً في مجال التأليف والنسخ واقتناء الكتب فظهرت المكتبات الخاصة والعامة، وذلك رغم بُعد ميزاب جغرافياً عن التجمعات السكنية الكبرى وعن المراكز الثقافية المشهورة، وقد ورث المزابيون عن أسلافهم الرستميين وعن إخوانهم النَّفوسيين والجِربيين حُبّ العلم وطلبه، وقد عُرف ذلك فيهم منذ القرون الأولى من عمرانهم لوادي مزاب وانتشار المذهب الإباضي في ربوعه، ومما ساعد على ذلك: الإشراف الروحي على مجتمعاته من قِبل نظام "**حلقة العزَّابة**" التي تتولى إدارة شؤون الحياة العامة بها؛ وهذا النظام في أصله تنظيم عملي تعليميّ تربوي[2]، وقد برزت لهذا العامل آثارٌ في مختلف قرى مزاب، كمحاضر التعليم المجاورة للمساجد الجامعة في كل قرية من القرى، وكذا دُور التلاميذ (إِرْوَانْ)[3] الخاصة بطلبة فنون العلم المختلفة والتي تكون مجاورة للمساجد مثل المحاضر تماماً؛ أضف إلى ذلك الدُّور أو البيوت التعليمية التي يقوم بتأسيسها وتوقيفها بعض العلماء وأهل الفضل من حين لآخر رجالاً ونساءً.

---

[1] - تَجنِينْتْ: يقال بأنَّ أصل التسمية (تَفْنِينْتْ)؛ وهو وعاء يصنع بالخوص وسعف النخيل، ويُطلى بالقطران، يستعمل بكثرة في فصل الصيف لشرب الماء، إذ يبرّد الماء طبيعياً ويزيده ذوقاً وحلاوة؛ ومنه اشتق اسم البلدة لأن البلدة جغرافياً تقع في أدنى وادي مزاب وإليه تنتهي السيول الموسمية في فصل الخريف، وتتجمع في آخر نقطة بسدّ أحباس عند نهاية واحات البلدة، وتجمع الماء في تلك المنطقة يشبه بهذا الوعاء الذي يختزن الماء ويميزه عذوبة ونقاء.

[2] - للثقافة المعرفية أحيل القارئ الكريم إلى دراسة شافية وافية تحمل الكثير من المعلومات المهمة وهي: العزَّابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، تأليف: صالح بن عمر سماوي، المطبعة العربية غرداية، ط1، 2005. تقع في ثلاثة أجزاء، ج2، ص 675 - 726.

[3] - هم طلبة العلم، باللغة المزابية، وهم المتدرجون في مختلف العلوم وخاصة الشرعية منها، ومنهم يُنتقى خُلفاء العزّابة في حلقة المسجد.

ولو ذهبنا نستقصي سير وبصمات أعلام وادي مزاب وإسهامهم العلمي والمعرفي منذ القرون الأولى إلى العصر الحديث لطال بنا المقام وهذا من صميم موضع بحثنا، وينظر لهذا تراجم أعلام وادي مزاب في "معجم أعلام الإباضية" قسم المغرب، فكشافات المعجم المتنوعة تقدم مادة علمية ومعرفية قيّمة لمن يريدها من أصحاب الاختصاص.

تاريخ المكتبات بوادي ميزاب

إن موضوع تاريخ المكتبات بميزاب موضوع مستقلّ بذاته لا يزال بحاجة إلى دراسة جادة لكشف مراحله في تطورها، وقد يظهر للمتأمل فيه لأول وهلة ما يأتي:

1- عدد المكتبات وخزائن الكتب كبير بالنظر إلى الحجم الصغير للمجتمع المزابي.

2- المكتبات والخزائن في وادي ميزاب ترجع من حيث ظهورها إلى عوامل منها:

- ما يدخل في إطار القيادة الروحية في كل قرية، كخزانات الكتب بِدُور التلاميذ المنتظمة بقرب المساجد.

- وإما للنشاط العلمي لبعض العلماء ومحبّي العلم، إذ يشرفون على إنشاء مكتبات خاصة تبقى من بعدهم، كخزانة الشيخ داود بن يوسف بن باحمد بن أيوب (ق12ه) بالعطف، وخزانة الشيخ بلحاج بن كاسي (توفي: 1243ه) بالقرارة، وخزانة الشيخ محمد بن عيسى أزبارْ (ق13ه) ببني يزجن، وخزانة الشيخ بَابَه بن يونس (توفي: 1280ه) بغرداية، وغيرها كثير...

3- أقدم خزائن الكتب التي كشف البحث عنها على مستوى وادي ميزاب _بغضِّ النظر عن وجودها أو اندثارها_ يرجع تاريخ نشأتها إلى القرن العاشر الهجري، وقد توصلنا إلى حصر ذلك في:

1- خزانة دار التلاميذ بغرداية، التي أشرف على تأسيسها الشيخ سعيد بن علي الجربي (توفي: 927ه) عندما هاجر من موطنه جربة واستوطن ميزاب، حيث كون نهضة علمية آتت ثمارا يانعة من بعده، قال الشيخ إبراهيم أبو اليقظان _رحمه الله_: "..وقد ترك الشيخ كثيرا من نفائس الكتب التي يمتلكها حبساً في خزانة دار التلاميذ بغرداية بخطه في نص الوقف، فكان نفعها عامًا وخيرها شاملاً لجميع الأجيال العلمية المتعاقبة في غرداية..." [1].

2- خزانة الشيخ سعيد بن علي الجربي الشخصية، إذ اعتنى بجمع العديد من الكتب القديمة وتركها وقفا بيد أبنائه وحفدته وهذا إلى جانب إشرافه على إنشاء مكتبة دار التلاميذ السابق ذكرها، ومبادرة الشيخ عمي سعيد تُعتبر مبادرة مبكّرة للمكتبات [العامة] بوادي ميزاب، وهي في علمنا أقدم مكتبة على مستوى قرى ميزاب، ليس بالنظر إلى مُنشئها فحسب بل إلى الكتب التي كونها بها وبخط يده[2]، وذلك قبل وفاته.

3- خزانة الشيخ أحمد بن موسى الشهير بـ"الشيخ المِيغَرْ"، ببلدة العطف، (كان حيًّا سنة 970ه)، قال الشيخ أبو اليقظان _رحمه الله_: "وقد ترك خزانةً حافلةً بنفيس الكتب في جميع الفنون النقلية والعقلية، ومن الأسف أنه أتت عليها أيدي التلاشي.." [3].

---

[1] - ملحق السير، إبراهيم أبي اليقظان، مخ، ص 06.

[2] - يُنظر: بشير الحاج موسى، نحو دراسة حياة وآثار الشيخ سعيد بن علي الجربي، ص13.

[3] - يُنظر: ملحق السير، ص 27.

4- خزانة الشيخ الحاج محمد بن سعيد الشهير بـ"الشيخ بالحاج" ببني يزجن (ق10هـ)، إذ تشير بعض التقاييد إلى أنه خلّف خزانة كتب[1]، وقد عثر على كتب له كثيرة نسخها في غضون القرن العاشر الهجري سواء في ميزاب أو في جربة عندما رحل إليها للدراسة، كما عُثر على طائفة من الكتب نُسخت له.

مجموع المكتبات بوادي ميزاب

يبلغ عدد المكتبات بوادي ميزاب أزيد من 120 مكتبة، وهي تتنوع بين العام والخاص، ويمكن تقسيمها كالآتي:

1. عامة؛ مثل: مكتبة القطب ببني يزجن.
2. تابعة للعشائر؛ مثل: مكتبة آل يدّر ببني يزجن.
3. تابعة للمعاهد والمدارس الحرة؛ مثل: مكتبة الإصلاح بغرداية والحياة بالقرارة.
4. تابعة للمساجد؛ مثل: مكتبة إِرْوَانْ (دار التلاميذ) بالعطف، ومثيلاتها موجودة في كل قرى الوادي.
5. تابعة للجمعيات الثقافية؛ مثل: مكتبة جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيَّش بغرداية.
6. خاصة؛ مثل: مكتبة الأستاذ الحاج سعيد بغرداية، والشيخ المطّهري بمليكة، والمختار الحاج الناصر ببني يزجن. وقد توصل أحد الباحثين وهو الأستاذ: محمد بن أيوب الحاج سعيد إلى ضبط الأرقام التالية:

المدينة	المكتبات العامة	المكتبات الخاصة
غرداية	14	38
بني يزجن	12	8
القرارة	5	10
مليكة	3	5
العطف	3	9
بنورة	3	3
بريان	2	3
المجموع	**42**	**76**

وقد وضعت بعض الجمعيات الناشطة في مجال حماية المخطوطات فرق بحثٍ، واستطاعت بفضل الله وإرادتها الخيّرة أن تتوصل إلى وضع العديد من الفهارس العلمية للخزائن والمكتبات، وهذا بعد أن أقامت أياماً دراسيةً مغلقةً، واستدعت إليها الأساتذة والباحثين ذوي الاهتمام بمجال التراث والمخطوطات؛ ومن أبرز هذه الجمعيات:

1. جمعية التراث بالقرارة، والتي باشرت العملية في مطلع التسعينيات، وبالضبط في أواسط 1992م[2]، بادرت إلى وضع مشروع سمّته "نحو دليل مخطوطات وادي ميزاب"، فأصَّلت لعمل أكاديمي ومنهجي متميز

---

[1] - يُنظر: فهرس مخطوطات خزانة آت افضل بني يسجن، جمعية التراث، ص40، المخطوط رقم: 137.

[2] - ينظر: فهرس مخطوطات الخزانة العامة، غرداية، التقديم.

تحت إشراف: د.محمد صالح ناصر ود.محمد عيسى وموسى، فجمعت إليها سواعد المخلصين الذين قدّموا جهدهم للتراث، وولجوا عالم المخطوطات بداية بالفهرسة، ليتعمقوا فيها دراسةً وتحقيقاً في أبحاثهم الأكاديمية بعد ذلك، وقد ظهر أول فهرس مطبوع لها سنة 1994، إلاّ أنه لم يخلو من بعض النقائص وذلك لأن خدمات الكمبيوتر لم تكن متطورة بالشكل المعهود حالياً[1].

2. مؤسسة الشيخ عمي سعيد في أواخر التسعينيات، بالضبط في شتاء 1999م[2]؛ وقد قطعت أشواطاً مهمة في هذا المجال ولا تزال تطور خدماتها وتستدرك النقائص وتقوم بطبع الفهارس، كما أصدرت بعضها مجموعاً في أقراص مدمجة خدمة للباحثين.

3. جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيَّش لخدمة التراث بغرداية، والتي استطاعت أن تستدرك معظم النقائص التي ظهرت في الأعمال السابقة، بل أكثر من هذا فقد وُفقت إلى التصوير الرقمي لعديد الخزائن والمكتبات خدمة للباحثين وتسهيلاً للعمل عليهم في اختيار المخطوط المراد طبعه أو تصفحه على الكمبيوتر.. ومؤخراً أنشئت نظاماً خاصاً لتسيير المخطوطات المرقمة أسمته "برنامج البرّادي"[3] وهو محرك بحث متطور يجمع بين دفتيه أزيد من 8768 مخطوط في مختلف الفنون، ثم محرك "الرُّستمي"[4] وهو محرك بحث شامل لكل قاعدة بيانات الجمعية.

لا شك أنّ مثل هذه المبادرات العلمية القيّمة من الواجب تدعيمها وتشجيعها، بل وتعميمها في قطرنا هذا وفي كامل الأقطار العربية والإسلامية حتى نحفظ للأجيال رسالة السلف في تبليغ العلم وأمانة الدين.

خزانات ومكتبات بلدة تجنينت بوادي مزاب

تجنينت أو العطف، هي أم قرى وادي مزاب؛ البلدة الحالية تأسست سنة 402هـ/1012م؛ على يد خليفة بن أبغور، وتوجد قربها قصور أخرى مندثرة كقصر "تلزضيت" (الصُّوفة)، و"أولوال"، و"أحباس"، و"أُوخِيرة"... مما يدلّ على أنّها بلدة عريقة مُوغلة في القدم، وتمتاز بتعدد مكتباتها وتنوعها بين الخاص والعام؛ هذا ولم تعقد إلى اليوم دراسة متأنية حول خزانات المخطوط في تجنينت؛ وبالتالي تعدّ هذه الورقة البحثية خطة طريق لدراسة مستفيضة سنعقدها لاحقاً إن شاء الله لبيان حركة العلم والتأليف والنسخ بهذه البلدة الطيبة؛ إذ يصعب حالياً توثيق سلسلة نسب العلم بها ما لم نستقصي بالبحث نوادر مخطوطاتها ونُمعن البحث والنظر في مجموع التقييدات والشهادات والتسجيلات التي قدمها بعض مشائخ البلدة على غرار

---

1 - ينظر: أ.مصطفى ابن ادرسيو، فهرسة المخطوطات والمكتبات في وادي ميزاب، مقال، مجلة الحياة القرارة، عدد 12، أكتوبر 2008، ص198.

2 - ينظر: فهرس مخطوطات، خزانة آل يدّر بني يسجن، التقديم.

3 - نسبة إلى عبد الله بن أبي الفضل أبي القاسم بن إبراهيم البرادي (ت بعد: 835هـ/ 1431م) وكان ممن نشَّط الحركة العلمية بتونس، من تلامذته: ابنه يحيى، وأبو الربيع سليمان بن زكرياء الفرسطائي، وزكرياء بن أفلح الصدغياني، ويعقوب بن أحمد اليفرني، وأبو النجاة يونس التعاريتي...؛ وله كتاب شهير يعرف بـ"الجواهر المنتقاة"، وضع في آخره فهرسة مطولة لأشهر الكتب الإباضية التي وُجدت في زمانه، ومن هنا اقتبس الاسم؛ موقع الجمعية: http://www.elminhaj.org/

4 -http://www.elminhaj.org/erostomi/aide.php.

حديث للشيخ قرادي الحاج ابراهيم بن يحي[1] _رحمه الله_ خلال الثمانينيات من القرن الماضي؛ ذكر فيه تاريخ حركة التعليم بالبلدة حسب ما سمعه من أساتذته وشيوخه؛ وكذا درس قيّم للمؤرخ البحاثة ابن يوسف الشيخ سليمان بن الحاج داود _رحمه الله_؛ تحدث فيه عن أئمة المسجد العتيق بالبلدة منذ القديم...، وهي مواد سمعية؛ أمَّا التقييدات المكتوبة فتظلُّ مفقودة أو منعدمة ما لم يتم فهرسة جميع خزانات البلدة والبحث في أرشيف أعلامها السابقين.

عدد المكتبات العامة حالياً في تجنيت (العطف) فهو أربعة، والخاصة ثمانية _وهي في ازدياد_؛ وأما العامة فهي مفتوحة للجمهور من الطلبة والباحثين يقصدونها من مختلف جهات الوطن وحتى من خارجه، وقد تجد فيها هواة المطالعة من عامة الناس؛ وقد أثنى القائمون في جمعية التراث على أعمال فهرسة الخزانات بأنَّ أوّل مكتبة في وادي مزاب فتحت خزانة مخطوطاتها لعملية الفهرسة والتصفيف والتصوير هي مكتبة دار التلاميذ (إروان) بالعطف وذلك سنة 1994؛ ولا تزال هذه البلدة الطيبة سبّاقة إلى مثل هذه المبادرات العلمية والعملية المتخصصة.

أما المكتبات العامة في تجنينت فهي: مكتبة دار التلاميذ "تَدَّارتْ نْ إروَان"، ومكتبة المسجد العتيق، ومكتبة النهضة ومكتبة مدرسة مسجد أبي سالم؛ أما المكتبات الخاصة فأبرزها: "مكتبة البِكري"، ومكتبة "الشيخ حمو بن باحمد بكلي"، ومكتبة سليمان بن حاجو (القاضي)، ومكتبة "الشيخ الحاج مسعود بن إبراهيم العطفاوي"، ومكتبة "الأستاذ باحمد بن الحاج يحي بكلي"، ومكتبة السيد "بايوب بن بهون حاج امحمد"؛ وقد حبس هذا الأخير مكتبته على طلبة العلم بدار "إروان"، ومكتبة "الشيخ قرادي الحاج ابراهيم بن يحي"؛ وهي محفوظة في بيت نجله الأستاذ قرادي محمد بن الحاج ابراهيم؛ ومكتبة المؤرخ الشيخ سليمان بن حاج داود ابن يوسف؛ وقد حبسها أولاده من بعده في دار عشيرتهم "آت حريز"، ومكتبة الأستاذ الدبلوماسي بايوب اسماوي، وقد وقفها للطلبة بمكتبة مدرسة النهضة بالعطف، ومكتبة فضيلة "الشيخ سعيد محمد كعباش" _حفظه الله_، وقد سماها "مكتبة التوفيق"، ولا يزال يتعهدها بنفسه إلى اليوم

ومن خزانات المخطوطات المندثرة في تجنينت نذكر: خزانة "الشيخ المِغَير" وهي الأخرى تعدّ مندثرة مع عوادي الزمن، وخزانة مخطوطات المؤرخ البحاثة الشيخ سليمان بن حاج داود ابن يوسف؛ والتي ضاعت مخطوطاتها ووثائقها النادرة إثر حريق مهول آتى عليها، ولم يسلم منها غير المطبوعات.

"مكتبة البِكري"

وقد كانت في الأصل داراً للسكنى ورثها الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي (ت:1406هـ/1986م) وحبسها ورثته لعشيرتهم "آل عبد الله بن أحمد" بالعطف، وأودعوا فيها كتبه التي حبسها حبساً مؤبداً للعلم والعلماء، وقد

[1] - إبراهيم بن يحيى حاج أيوب الشهير ب"القرادي" (1923 - 1989)، عالم علم من بلدة تجنينت، التحق بمعهد الحياة بالقرارة سنة 1937 وتخرج منه سنة 1947م، اشتغل معلماً بمدرسة النهضة ثم صار مديراً لها إلى سنة 1978م، عرف بحصافة الرأي والرزانة والإخلاص، إذ ترأس إدارة عشيرته وهو ابن 25 سنة، وكان عضواً بارزاً في حلقة العزابة مهتماً بالتراث والتاريخ لما أوثر عنه من سعة المعارف وقوة الحافظة والاطلاع الواسع في مجال التاريخ والأعراف؛ ترك آثاراً أدبية قيمة منها بعض البحوث حول تاريخ وعمران وادي مزاب، جمعت في كتاب، انظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص34.

أورد في وصيته ما يأتي: "...أما مكتبتي ومصيرها؛ فقد استقرَّ رأيي على أن تبقى كلها وقفاً لله تعالى؛ لا يُباع ولا يُوهب شيءٌ منها أبداً، سواء في ذلك مكتبتي الموجودة ببريان أو الموجودة بالعطف، تبقى تحت ضمان وكيلَيْ الوصيَّة _إن لم يتحقق الركن الرابع_[1] محفوظة ريثما يتحقق مشروع المكتبة العامة التي أزمعت عائلتنا إقامته بالعطف فتنتقل إليها"[2].

وقد وقع ضم جزء من دار العائلة المتاخمة لها لتأخذ هندسة المكتبة شكلها اللائق بها، وتم إعدادها وتنظيمها وفتحها للجمهور سنة 1989م، بتضافر جهود الأبناء ومجموعة من الأساتذة والطلبة.

وهي تضمّ كتباً نفيسة من مختلف التخصصات العلمية: كالتفسير والحديث والفقه الإسلامي، والتاريخ والأدب، ويصل فيها عدد الكتب إلى 2400 عنواناً باللغتين العربية والفرنسية، وما تزال في طريق التوسع والإثراء[3].

وقد ضمَّت إليها مكتبة الشيخ سليمان بن حاجو بكلي القاضي[4] (ت:1351هـ/1933م)، ومكتبة الشيخ باحمد بن الحاج يحي بكلي[5] (ت:1400هـ/1980م)؛ لذلك فإنَّ فهرس مخطوطات مكتبة البكري جلّه من مكتبة الشيخ سليمان بن حاجو بكلي القاضي.

أهمية المكتبة

رغم حداثة المكتبة كهيكل إلاَّ أنَّ لها أهمية عظمى في البحث العلمي، لِما اكتُشف فيها من مخطوطات هامة يرجع تاريخ بعضها إلى القرن الثاني هجري، وبعضها وُضع في قائمة المخطوطات النادرة، وأخرى نُسخت قديماً، وفيما يأتي يوضح لنا تلك الأهمية:

1- أقدم مخطوط في المكتبة من حيث النسخ هو: "جامع الأزكوي"(ق3هـ)، الذي يعتبر من أمهات الكتب الفقهية الإباضية، ويرجع تاريخ نسخه إلى سنة 749هـ، وهو أمر قلّ ما نجده في مكتبات وادي مزاب.

2- أقدم مخطوط في المكتبة من حيث التأليف هو: "مسائل أبي عبيدة"(ت:145هـ)، ومؤلفه يعتبر الزعيم الثاني للإباضية بعد جابر بن زيد.

---

[1] - يقصد بالركن الرابع: شخصية بارزة تشرّف العائلة مثله، ومثلّ جدّين قبله وهما: الشيخ عمر بن حمو بكلي، والشيخ حمو بن باحمد بكلي.

[2] - ينظر: وصية البِكري، أرشيفه الخاص، مكتبة البكري، كراس مخطوط، ص35 - 36.

[3] - ينظر: فهرس مكتبة البِكري، ص (ح).

[4] - سليمان بن حَاجُو، بَكَلِّي (و: 1265هـ/ 1848م - ت: 1355هـ/1936م)؛ من أعلام الإصلاح البارزين بالعطف، أخذ بها مبادئ العلوم الأولى، ثمَّ تتلمذ على يد القطب أطفيَّش ببني يسجن، ولازمه فكان من أقدم وأبرز تلامذته، لِما امتاز به من الذكاء والفطنة، ولمَّا رأى شيخه نبوغه وعلمه عيَّنه قاضياً بالعطف، ورئيساً لمحكمتها، وخلف الشيخَ عمر بن حمو بكلِّي في دروس الوعظ بالمسجد العتيق بعد وفاته؛ ثمَّ تولَّى القضاء بعد ذلك ببريان، والوعظ والإرشاد بمسجدها، وأخيرا استقرَّ بمسقط رأسه، وداوم على سيرته في نفخ روح العلم والإصلاح الاِجتماعي، إلى أن أعجزته الشيخوخة، ورغم استقراره في العطف كان كثير التنقُّل إلى بريان بطلب من أهلها؛ ممَّا اشتهر عنه مداواته للأمراض النفسية والعقلية؛ ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج3، ص199.

[5] - باحمد بن حاج يحيى، بَكَلِّي (ت: 1400هـ/1980م)؛ من أعلام الإصلاح البارزين بالعطف، أخذ بها مبادئ العلوم الأولى، ثمَّ بمعهد الحياة بالقرارة، امتاز بالفطنة والذكاء، ويعد رائد التعليم العصري ببلدة تجنينت؛ حيث طور محضرة المسجد العتيق وأدخل عليها المناهج الحديثة في التدريس، وترك صداً طيباً إلى اليوم، كما شارك بشعره في جرائد الشيخ أبي اليقظان الأولى، ثم انقطع لظروف الأزمة الاقتصادية عن التعليم إلى التجارة ليعيل عائلته بعد فقد والده.

3- تضمّ أوّل كتاب عقدي لإباضية المغرب، وهو كتاب: "أصول الدّينونة الصافية" للقاضي الشهيد: عمروس بن فتح النفوسي(ت:283هـ)، وتوجد منه نسخة بهذه المكتبة وتعتبر من النوادر.

4- تضم أيضاً مجموعة مهمّة من أمهات الكتب الفقهية والأصولية _العُمانية على الخصوص_ ومنها:

- الجزء 17 من كتاب الضياء للصُحاري العُماني.
- 7 أجزاء من كتاب: بيان الشرع للكِندي(ق6هـ).
- وكتاب الحجج والدلائل للحضرمي(ت:475هـ).
- وكتاب الحلُّ والإصابة لابن وصَّاف(ق6هـ).
- وكتاب شرح الدَّعائم للبرَّادي(ق9هـ)؛ وتاريخ نسخه قريب من عهد مؤلفه.
- ومختصر العدل والإنصاف وشرحه للشَّماخي... والقائمة طويلة[1].

خزانة دار "إروان" أو "دار التلاميذ"

"إروَان" يُطلق هذا الاسم على المنظمة الثانية في السُلم التصاعدي للهيكل الاجتماعي، ولهذه المنظمة رئيس يسمى "العَرِيف" ويكون في أغلب الأحيان عضواً من العزَّابة، أما أفراد هذه المنظمة فليس لهم عدد محدود بل يتراوح قلةً وكثرةً على حسب القرى واتساعها، ويشترط في أعضائها أن يكونوا حملة قرآن أي استظهروه عن ظهر قلب، وقد يتساهل في هذا الشرط في بعض القرى فيقبل العضو في المنظمة ولو لم يستظهر القرآن، ولكن لابد أن يكون قد ختمه ومن عُمَّار المسجد ومجلس التلاوة وممن يغلب عليه الحفظ، وهذا طبعا بعد أن يكون مستقيماً في سيرته الشخصية، مشهوراً بحسن معاشرته والتزامه بالآداب الإسلامية في معاملته المادية مع الناس[2].

ويقال لهم "خُلفاء العزَّابة"، فمنهم يبدأ اختيار العزَّابة وعليهم يعتمد سير مجالس التلاوة، ويُعيّن منهم الأئمة والمؤذنون في بعض المساجد الثانوية التي تُنشأ في الواحات وتُعمر في وقت السكن في الغابة، وهذا تدريب لهم واختبار لمقدار قدرتهم على تحمل المسؤولية، وكذلك يعين الكثير منهم لتعليم أقسام القرآن في المحاضر إذا استعان بهم الفقيه، وكلما احتاج العزَّابة تعويض أحدهم في أيِّ وظيفة من الوظائف التجئوا إلى حلقة "إِرْوَانْ".

ولهم قسم خاص بهم في جانب المسجد يقال له "دار إِرْوَانْ" ويتلقون فيه دروسا في التوحيد والفقه والعربية إلى غير ذلك من علوم القرآن من الشيخ الواعظ في المسجد، وقد يكون في هذه الدار عدة أقسام بمثابة المعاهد التكميلية، وقد يتعدد فيها الأساتذة كذلك، وفي وقت الدرس العام الذي يلقيه الشيخ في المسجد تتكون حوله وأمامه حلقة من إِرْوَانْ فمهمتهم الأولى هي تلقي العلم وتعمير مجالس القرآن[3].

---

[1] - ينظر: فهرس مكتبة البِكري، ص (ن) – (نَ).

[2] - ينظر: الشيخ القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: يحي بن بهون حاج امحمد، نشر جمعية النهضة، العطف – غرداية، ط1، 2009، ص56-57.

[3] - ينظر: نفسه، ص56-57.

وفي تجنينت أو العطف، فإنَّ "دار إروان" أو "دار التلاميذ" نائية نوعاً ما عن المسجد أي غير ملاصقة به، كما هو الحال في معظم القرى الأخرى، ولكنها تظل تابعة للمسجد بمرافقها وأوقافها، وقد كانت في الأصل داراً فسيحة للسكنى، وقّفها السيد حمو علي عمر بن يوسف بن حمودة لطلبة العلم، حوالي سنة 1240هـ/1835م[1]، وقد تعاقب على التعليم في هذه الدار مشايخ وعلماء منهم: الشيخ مسعود بن محمد بكلي، والشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي، والشيخ عبد العزيز بن الحاج داود بن عبد العزيز، والشيخ الحاج ابراهيم بكلي، والشيخ الحاج سعيد الحاج محمد بن باحمد، والشيخ يوسف بن بكير حمو علي... رحمهم الله أجمعين؛ وفي سنة 1395هـ/1975م هُدمت الدار القديمة وأعيد بنائها بهندسة جديدة وبعدة طوابق، وحوّلت إلى مدرسة عصرية تابعة لمسجد أبي سالم، وتمّ تجهيزها لتعليم البنين والبنات مختلف فنون العلم الشرعية[2].

أما مكتبتها الزاخرة والعامرة، فقد تكونت على مرّ السنين، وتعددت مصادرها في مختلف فنون العلم العقلية والنقلية، وكانت معظم مخطوطاتها مقررة في حلقات "إروان" التعليمية، وقد تمّ تنظيمها خلال سنة 1994م ووضع لخزانتها فهرسٌ أوّلي سنة 1996م ما يزال العمل جاريا به إلى اليوم، في انتظار إعادة فهرسة الخزانة وتصوير محتوياتها رقمياً ولاسيما نفائس المخطوطات والوثائق النادرة، كما تتمثل أهمية المكتبة في احتوائها على أزيد من 1200 كتاب مطبوع قديم وحديث ومن مختلف الأحجام، وأكثر من 190 عنوان دورية عربية، بالإضافة طبعاً إلى خزانتها من المخطوطات القيّمة في شتى فنون العلم ومجالاته، وقد أسسها محسنون بأعزّ ما يملكون من نفائس وحبسوها لطلبة العلم، لتكون لهم بذلك صدقة جارية لا ينقطع فضلها إلى يوم القيامة[3].

أهمية المكتبة

لمكتبة دار إروان بالعطف وخزانتها من المخطوطات أهمية بالغة، فهي تخزّن تاريخ البلدة وذاكرة أعلامها الذين تداولوا على التدريس في هذه الدار العامرة، أو الأعلام الذين أودعوها بالوقف والتَّحبيس كلّ ما جمعوه بأنفسهم من ذخائر الكتب المخطوطة والمطبوعة في هذه الدار لينتفع بها طلبة العلم إلى ما يشاء الله، فقد أنفق بعضهم جلّ ثروته في سبيل اقتناء الكتب بالنسخ والشراء والمبادلة؛ والتي قد تصل أحياناً إلى حدّ مبادلة كتابٍ نفيسٍ بمنزل فخم أو وبستانٍ مزهر؛ حبًّا للعلم ورغبة في نفع المتعلمين؛ إذ يوقفه صاحبه على دار التلاميذ بعد ذلك؛ فحقّ لمثل هؤلاء الأعلام أن تسجّل أسمائهم بمداد الذهب في ذاكرة العطفاء وميزاب لما أسهموا به في خدمة العلم ورفع الجهل عن أهلهم وذويهم ونفع خلق الله.

ولعلي أوجز هنا ما تحوزه خزانة دار إروان بتجنينت بذكر هذه النفائس:

---

1 - ينظر: فهرس مكتبة دار التلاميذ بالعطف "إروان"، ص (ع).

2 - ينظر: نفسه، ص (ع).

3 - ينظر: نفسه، ص (ع).

1- الوصية المادية والأدبية للعالم الجليل والفقيه النحرير الشيخ اسماعيل بن موسى الجيطالي[1] صاحب "قناطر الخيرات" و"قواعد الإسلام" وغيرها من المؤلفات القيّمة، وقد سمى وصيته: "تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان"؛ رقمها في الفهرس: 180، وفي الخزانة: (مج 38)؛ نسخها إبراهيم بن باحمد العطفاوي، وهي: د.ت.ن وكذا د.م.ن؛ نسخة كاملة، وبخط مغربي[2]، وتمتاز بكونها تحمل الكثير من المعلومات التاريخية والجغرافية؛ وسبب كونها من الأهمية بمكان هو أنَّ خزانة مخطوطات مكتبة دار إروان هي من حفظت وصانت هذه النسخة الوحيدة من الضياع والاندثار، إذ لا توجد نسخة أخرى من هذه الوصية في خزانات مزاب، كما أنَّ صاحبها قد ذكر في نص الوصية _مع صغر حجمها_ 49 علماً، و15 بلداً في نفوسة، و28 كتاباً[3].

2- أقدم كتاب مخطوط يعود نسخه إلى سنة 913هـ، وهو كتاب "مغني اللبيب" لابن هشام الأنصاري، نسخ محمد بن أبي المعالي السنوسي بخط مغربي واضح؛ وهذا كما أسلفت يدلّ على عناية السلف باللغة العربية وعلومها.

3- تضمّ خزانة دار التلاميذ إلى جانب نفائس المخطوطات، نسخة عتيقة من "قاموس المحيط" للفيروز آبادي.

4- يزخر دليل المكتبة وفهرس خزانتها من المخطوط بأسماء لأعلام عديدين من أبناء العطفاء، أثروا هذه المكتبة بمنسوخاتهم النفيسة وذلك طيلة عقود من الزمن، لذلك فإنَّ جلّ هؤلاء الأعلام يظلّ مغموراً _كما أسلفت_ ما لم تعقد دراسة جادة تبحث في ثنايا الوثائق والمخطوطات عن معلومات يمكن أن تزيد في التعريف بهم وبآثارهم النقلية وربما العقلية.

5- تمتاز الخزانة بكثرة مجاميعها المخطوطة، فالتآليف المفردة في كتاب واحدٍ أقل بكثير من الكتب المتضمنة في مجموع، وهي خاصية تميّزت بها هذه المكتبة التي كانت في الأصل داراً لطلاّب العلم "إروان" وقد تسمّت بهم؛ إذ نجد بعض الكتب المجموعة تضم بين ثناياها ما يزيد عن خمسة أو ستة كتب، وقد يكون ناسخها شخصٌ واحد أو مجموعة من النُّسَّاخ، وتكون في العادة في فن واحد من العلم نثراً كان أو نظماً.

خزانة الشيخ الحاج مسعود بن إبراهيم العطفي "قبَّاض"

أما صاحبها فهو: الشيخ مسعود بن إبراهيم بن صالح، سعيد الشهير بـ«قبَّاض» (و: 1269هـ/1852م - ت: 1337هـ/1918م)؛ أحد أعلام العطف بميزاب، ومن قدماء تلامذة قطب الأيمة الشيخ امحمَّد بن يوسف أطفيَّش، التحق بمعهده بعدما حصل على مبادئ العلوم في مسقط رأسه عند الشيخ عمر بن حمو بكلّي،

[1] - إسماعيل بن موسى الجيطالي (أبو طاهر) (ت: 750هـ / 1349م)؛ عالم جليل، ولد بجبل نفوسة وتوفي ودفن بجزيرة جربة، نشأ بمدينة جيطال اشتهر الجيطالي بحافظته القوية العجيبة، فكان شيخاً حافظاً، عالماً، عاملاً، محافظاً، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لقِّب بـ"فيلسوف الإسلام"، تشبيها له بأبي حامد الغزالي. وله مصنفات عديدة، ويمتاز أسلوبه بالرصانة وأدبه سهل ممتنع؛ ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 58.

[2] - ينظر: فهرس مكتبة دار إروان، ص 230.

[3] - ينظر: نفسه، ص 278.

وبعد تخرُّجه عيّن عزَّابياً ثمَّ إماماً وواعظاً بمسجد أبي سالم ثمَّ بالمسجد العتيق، ومدرِّساً بالمدرسة القرآنية في بلدته، ويعتبر من أركان النهضة الحديثة والإصلاح الاجتماعي، ومن البارزين في حقل التربية والتعليم.
كانت له دروس خاصَّة في داره، يحضرها الكبار والصغار، إلى جانب حصص للمطالعة لِمن أراد الاستزادة من المعارف؛ ساند أستاذه القطب امحمد بن يوسف أطفيَّش في محاربة الظلم، وكان من أنصاره في معاركه التي خاضها ضدَّ الاستعمار، وفي جولاته الكبيرة في إماتة البدع والخرافات، وإحياء السنن.
له: «ردٌّ على من عارض التصلية خلال التلاوة»، منه نخسة مخرومة في مكتبة آل افضل ببني يسجن.

أهمية المكتبة: [1]

تضم خزانة الشيخ الحاج مسعود بن إبراهيم سعيد مجموعة معتبرة من كتب العقيدة والفقه واللغة والفضائل، وكذا مجموعة معتبرة من القصائد والمنظومات في العقيدة واللغة والمدائح والرثاء والوعظ.
وبالنسبة لعلوم اللغة نجد "شرح لامية الأفعال" لمحمد التواتي؛ وهو شرح للامية ابن مالك في التصريف، والمخطوطة كاملة، وبخط يوسف بن سليمان بن أحمد الشماخي الجربي؛ مؤرخة في: 8 محرّم 1306هـ.

مكتبات أخرى خاصة بتجنينت:

ويمكن أن ألخص هنا أهمية محتويات باقي المكتبات بتجنينت فيما يأتي:

– مكتبة البِكري: تجمع تراث صاحبها من المخطوط والمطبوع، وتراث أعلام عشيرته "أولاد عبد الله بن أحمد".

– مكتبة المسجد العتيق: تحوي عدداً معتبراً من المصاحف المخطوطة والمزخرفة، ولعل كتبها الأخرى فُقدت.

– مكتبة مدرسة النهضة ومكتبة مدرسة أبي سالم: تحوي مصادر ومراجع قيّمة يرتادها طلاب المدارس بانتظام.

– مكتبة بايوب بن بهون حاج امحمد: تمتاز بمطبوعاتها القيّمة وقد حبسها صاحبها لطلبة العلم بدار "إروان".

– مكتبة فضيلة الشيخ ڤرادي الحاج ابراهيم بن يحي: تمتاز بالغنى والتنوع، فهي على سبيل المثال تجمع أزيد 12 نوعاً من التفاسير القرآنية الكاملة، بالإضافة إلى عيون اللغة والأدب العربي من معاجم قديمة ودواوين شعرية...

– مكتبة فضيلة الشيخ سليمان بن الحاج داود؛ ابن يوسف: مكتبة غنية بالوثائق المصورة وبخاصة كتب التاريخ، لأنَّ صاحبها مؤرخٌ بحّاثته، وكان مداوماً وبانتظام على المشاركة في ملتقيات الفكر الإسلامي خلال السبعينيات.

---

[1] - أعدت مؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية فهرساً أولياً لهذه الخزانة، عبارة عن جرد للمحتويات دون تفصيل، جمادى (2) 1431هـ/ماي 2010م.

– مكتبة المجاهد والدبلوماسي بايوب بن حاج محمد اسماوي (1929 - 2015)، خريج جامع الزيتونة بتونس، وجامعة بغداد، اشتغل بعد الاستقلال الوطني في السلك الدبلوماسي في عدة دول: الولايات المتحدة، والصين، والنمسا، وترك مذكرات مخطوطة قمت بإخراج الجزء الأول منها سنة 2016، كما ترك مكتبة ثرية بالكتب والدوريات والوثائق، أوقفها على طلبة العلم، وقد أودعتها عائلته بمكتبة مدرسة النهضة باسمه رحمه الله.

– مكتبة فضيلة الشيخ سعيد محمد كعباش؛ "مكتبة التوفيق"، وهي مكتبة ثقافية متنوعة المصادر والمراجع، ويشرف عليها مؤسسها إلى اليوم، وبها ينعقد بانتظام مجلس الفتوى للبلدة تجنينت، فهو شيخ العزابة بالبلدة.

وهنالك مكتبات خاصة عديدة لا يزال أصحابها يحتفظون بها، ومعظمها يتميز بالتنوع حسب ثقافة مالكها، وبالتخصص حسب تكوين مالكها في مشواره العلمي والعملي، ولو جمعت تلك المكتبات الخاصة في فضاء واحد وأتيح فهرستها فهرسة رقمية معاصرة لعمّ نفعها وانتشر خيرها بين الناس، فقد يجد الباحث نفائس المطبوعات والوثائق والصور...

دليل منسوخات العطفاويين في خزانتي إروان والبِكري

أولاً: خزانة دار إروان.

الناسخ : إبراهيم بن باحمد العطفاوي[1]

يعدّ هذا النسّاخة من المكثرين في خزانة دار التلاميذ بتجنينت؛ ولعله احترف النساخة بالأجرة أو كان معلماً بدار التلاميذ، أقدم مخطوطة منسوخة بيده مؤرخة بيوم الثلاثاء 12 ربيع الأول 1256هـ؛ (14 ماي 1840م)؛ وآخر ما نسخ بيده وحفظ في هذه الخزانة مؤرخ بيوم: 15 شعبان 1294هـ (25 أوت 1877م).

عنوان الكتاب	تاريخ النسخ
- نسخ كتاب "متن الديانات"	- بتاريخ: سنة 1260هـ
- كتاب المعلقات	- 16 جمادى الثانية 1260هـ؛ (1844/7/3م)
- فضائل مرويات في فقهاء إجنّاون	- د.ت.ن
- كتاب مجهول المؤلف (في إعراب القرآن)	- 14 شعبان 1272هـ؛ (20 أفريل 1856م)
- أدعية وأدوية بالرقية.	- د.ت.ن
- كتاب السِّير.	- د.ت.ن
- شرح الأحاديث الأربعين.	- 15 شعبان 1294هـ (25 أوت 1877م).
- كتاب مجهول في المدح.	- سنة 1261هـ (1845م).
- كتاب الصوم؛ لأبي زكرياء يحيى الجناوني.	- د.ت.ن

[1]. لم أتوصل بعد إلى ترجمة لهذا العلم، وأحاول في ذلك الاستعانة بالمختصين في الأنساب بالبلدة، وأرجو أن أوفق إلى التعريف به وبغيره من الأعلام.

- أجوبة وفتاوى فقهية.	- د.ت.ن
- مسائل من جوابات ابن خلفون.	- د.ت.ن
- مسائل وفتاوى واجوبة.	- د.ت.ن
- رد على صحائف من الجزائر	- د.ت.ن
- رد على طاعن في المذهب.	- 27 محرم 1261هـ؛ (5 فبراير 1845م).
- قصيدة في مسائل الذرائع.	- د.ت.ن
- نظم مجهول في الحكم.	- د.ت.ن
- الرائية للإمام أفلح بن عبد الوهاب.	- د.ت.ن
- رائية سعيد بن محمد البهلوي العماني.	- د.ت.ن
- قصائد مختلفة لسعيد بن يحي الجادوي.	- د.ت.ن
- قصيدة في أسماء الله الحسنى	- وسط ذي الحجة 1260هـ؛ (26 ديسمبر 1844م).
- قصيدة في العقيدة وغيرها	- الإربعاء 16 ذي الحجة 1260هـ؛ (1844/12/27م).
- ديوان أبو نصر؛ فتح بن نوح الملوشائي	- سنة 1260هـ / 1844م.
- النونية والرائية لأبي نصر الملوشائي.	- الثلاثاء 12 ربيع الأول 1256هـ؛ (14 ماي 1840م).
- تذكرة لشيء من عقيدة التوحيد.	- 21 ربيع الثاني 1261هـ؛ (29 أفريل 1845م).
- عقيدة التوحيد.	- د.ت.ن

الناسخ: إبراهيم بن اسماعيل بن دحمان[1]

- فوائد من روضة المشتاق لزهرة الإشراق	- 27 ربيع الثاني 1300هـ (8 مارس 1883م)
- كتاب اختصار المواريث والفرائض.	- الثلاثاء 16 جمادى الأول 1289هـ (22 جويلية 1872م)
- التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل	- 14 ربيع الأول 1289هـ (15 نوفمبر 1872م)
- ترتيب مسائل كتاب اللُّقط	- الإربعاء 8 جمادى الأولى 1289هـ (7 جانفي 1873م)
- كتاب النيل وشفاء العليل	- الأحد 4 ربيع الثاني 1287هـ (4 جويلية 1870م)
- الجواهر المنتقاة	- 19 رمضان 1290هـ (10 نوفمبر 1873م)
- طبقات المشائخ	- 20 ربيع الثاني 1283هـ (1 سبتمبر 1866م)

[1]. مبدئياً قد يكون هذا العلم من آل حاج امحمد، وقد وقفت على اسمه في شجرة نسب العائلة بقي أن أقارن وأدقّق في نسب العشائر الأخرى بالبلدة.

- حاشية على ترتيب الجامع الصحيح.	- خلال سنتي 1290/1289هـ (1873/1872م).
- تبيين أفعال العباد[1]	- 14 صفر 1289هـ (23 أفريل 1872م)
- كتاب السّير[2].	- جمادى الثانية 1289هـ (أوت 1872م)
- روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار.	- 27 صفر 1312هـ (30 أوت 1894م)

الناسخ: امحمد بن عمر بن يوسف العطفاوي[3]

- نسخ كتاب اللآلئ الميمونة.	- الجمعة 1252/09/10هـ
- نسخ كتاب العدل والإنصاف	- خلال سنة 1250هـ
- نسخ كتاب أبو مسألة	- أوائل شعبان 1256هـ
- كتاب الرهن وغيره (الجامع)	- 6 ربيع الثاني 1251هـ؛ (1 أوت 1835م)
- كتاب الدّيات	- أوائل ذي الحجة 1252هـ؛ (9 مارس 1837)
- كتاب في السيرة	- د.ت.ن
- منازل السفر إلى الله ومناهل أهله.	- سنة 1251/50هـ؛ (1835/1834م)
- جواب على مسائل محمد بن داود الأبدلاني.	- سنة 1251/50هـ؛ (1835/1834م)
- جواب رسالة أبي محمد عبد الوهاب الأنصاري.	- سنة 1251/50هـ؛ (1835/1834م).
- نظم مجهول في العقيدة والفقه.	- سنة 1258هـ؛ (1842م).

نساخ آخرون :

✓ عومر بن قاسم بن عومر بن إبراهيم؛ أو: عمر بن قاسم بن عمر بن إبراهيم.	- كتاب أبي مسألة.	- جمادى الأول 1236هـ (1821م).
	- متن في الفقه الطهارات...	- حوالي 1236هـ / 1821م.
	- مسائل أبي عبيدة.	- حوالي 1236هـ / 1821م.
	- كتاب حديث الإسراء والمعراج.	- حوالي 1236هـ / 1821م.
	- قصيدة في الفرائض.	- أوائل رجب 1265هـ (1849).
	- قصيدة في مدح علماء عُمان.	- حوالي 1236هـ / 1821م.
	- قصيدة في النصح والحكم.	- حوالي 1236هـ / 1821م.

✓ عبد العزيز بن داود بن إبراهيم العطفاوي بلداً،	- الدلائل على اللوازم والوسائل.	- الأحد 23 ذو الحجة 1270هـ؛ (16 سبتمبر 1854م).

[1]. حبس الناسخ الكتاب على ذريته وأقربائه وإن عدم فلدار التلاميذ؛ فهرس خزانة دار التلاميذ بالعطف، ص 59.

[2]. قام الناسخ أيضاً بحبس هذا الكتاب على ذريته وأقربائه وإن عدم فلدار التلاميذ؛ نفسه، ص 59.

[3]. هو جد الشيخ يوسف بن بكير حمو علي العطفي آخر تلاميذ القطب أطفيَّش، ولم يترجم بعدُ لهذا العلم في معجم أعلام الإباضية.

	الحريزي عشيرة، من أولاد بعزيز[1].	- مختصر المناسك للشيخ إبراهيم بن بِحمان الثميني. - "النيل" للشيخ عبد العزيز الثميني.	- الإربعاء 13 جمادى الثانية 1280هـ؛ (25 نوفمبر 1860م). - الجمعة 5 جمادى الأولى 1274هـ؛ (22 ديسمبر 1857م).
✓	داود بن يوسف بن الحاج امحمد	- كتاب تبيين أفعال العباد.	- الجمعة 16 رجب 1180هـ (18 ديسمبر 1766م)
✓	يحي بن عيسى بن داود بن عيسى	- كتاب شرح الورقات[2] - شرح ألفية ابن مالك[3] - شرح ألفية ابن مالك[4] (نسخه الناسخ لأخيه في الله: أحمد بن ابراهيم بن يحي)	- الجمعة 1 جمادى الأولى 1216هـ - الجمعة 1 جمادى الأولى 1216هـ (9 سبتمبر 1801م) - السبت 10 شعبان 1222هـ (13 أكتوبر 1807م)
✓	ابراهيم بن سليمان العطفاوي.	- فتاوى للشيخ أطفيَّش. - قصيدة في العقيدة وغيرها.	- د.ت.ن (عبارة عن كراس) - الإربعاء 16 ذي الحجة 1260هـ (27 ديسمبر 1844م).
✓	حمُّ بن باحمد العطفاوي.[5]	- نظم في التحريض على طلب العلم (للدرجيني) - فتاوى للقطب أطفيَّش.	- 4 ربيع الأول 1273هـ (2 نوفمبر 1856م). - 1857م.
✓	محمد بن باحريز العطفاوي.	- كتاب عقيدة التوحيد وشرحها.	- بتاريخ: 1867/12/5م
✓	يحي بن بهون العطفاوي.[6]	- ديوان المشائخ (كتاب الطهارات).	- 2 ذو الحجة 1287هـ؛ (23 فبراير 1871م).

1. علم مغمور لم يُترجم له بعدُ في معجم أعلام الإباضية، وإن كان أبرز لقبه وعرشه.

2. الكتاب منسوخ لعمرو بن بابا العطفاوي؛ فهرس مكتبة إروان، ص 114.

3. الكتاب منسوخ لنفس الشخص، فهرس مكتبة إروان، ص 114.

4. نسخ الكتاب لأخيه في الله: أحمد بن إبراهيم بن يحي؛ فهرس مكتبة إروان، ص 114.

5. حمُّو بن باحمد، بكلِّي (حي في: 1301هـ / 1884م) شيخ العطف بميزاب ورئيس عزابتها، وهو من أبرز تلامذة الشيخ عبد العزيز الثميني (ت:1223هـ/1808م)، والشيخ عمر بن سليمان نوح، والشيخ الحاج سعيد ابن بافو وينتن، والشيخ إبراهيم بن دادي حنّي؛ كان قويَّ الشخصية؛ وقد نُصِّب بإجماع وادي مزاب إماماً للدفاع سنة 1288هـ/1871م؛ ويعتبر من مؤسِّسي دار إروان بالعطف، ومن المدّرسين بها، ودرَّس كذلك بمسجد أبي سالم، ومن أبرز تلاميذه ابنه الحاج عمر والد الشيخ عبد الرحمن بكلي، اعتزل مهمَّة المشيخة بالمسجد سنة 1300هـ/1882م، وسافر إلى البقاع المقدَّسة حاجاً، وأثناء عودته وافته المنية في الطريق.

6. علم مغمور لم يُترجم له بعدُ في معجم أعلام الإباضية، وإن كان أبرز لقبه وعرشه.

	- مجموعة قصائد لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي. - نظم في الطهارات (مجهول).	- 29 محرم 1286هـ؛ (11 ماي 1869م)[1]. - 3 جمادى الأولى 1287هـ؛ (1 أوت 1870م).
✓ عيسى بن بايوب بن عيسى بكلّ بن عيسى.	- النهي عن الدخان.	- لعله خلال 1300هـ
✓ الحاج اسماعيل المزابي العطفاوي.	- النهي عن الدخان.	- خلال 1300هـ
✓ إبراهيم بن سليمان بن دحمان[2].	- تقييد نسبة أولاد الحاج ابراهيم بن عيسى	- 28 صفر 1312هـ؛ (31 أوت 1894م)
✓ إبراهيم بن موسى (محفوظ) [3].	- رسالة في النصح([4])	- أوائل جمادى الثاني 1351هـ؛ (2 أكتوبر 1932م).
✓ محمد بن باحمد العطفاوي.	- كتاب اللُّقط	- سنة 1353هـ / 1934م
✓ مسعود بن أبي القاسم العطفاوي.	- كنز الأخبار. - عقيدة التوحيد لعمرو بن جميع. - شرح عقيدة التوحيد لأبي سليمان داود بن ابراهيم التلاتي	- 7 رمضان 1356هـ؛ (11 نوفمبر 1937م). - الثلاثاء 7 رمضان 1356هـ؛ (11 نوفمبر 1937م). - الثلاثاء 7 رمضان 1356هـ؛ (11 نوفمبر 1937م).
✓ أحمد بن محمد، الحاج سعيد.	- تلخيص دروس الشيخ بيوض	- 1953م.
✓ سعيد بن الحاج	كتاب السيرة وأخبار الأئمة	11 ذو القعدة 1384هـ

---

[1]. هذا العلم من آل حاج امحمد بتجنينت، وقفت عليه بعد جهد في شجرة النسب، والراجح أنه لم يترك ذرية إلاّ أن منسوخاته قد خلّدت ذكره.

[2]. علم مغمور لم يُترجم له بعدُ، وحسب اهتمامه بنسب آل حاج ابراهيم فالراجح أنه ينتسب إليهم.

[3]. إبراهيم بن موسى ابن بلحاج، محفوظ (و: 1867م - ت: 22 جويلية 1948م)، من مشايخ بني يسجن بميزاب، أصله من العطف، تتلمذ على الشيخين: إبراهيم بن أبي بكر حفَّار، والحاج عمر بن حمُّو بكلي، كان عصاميا شغوفا بالمعرفة، ولوعًا بالأبحاث العلمية في الفقه وعلم الكلام. ألَّف أجوبة فقهية، وله الكثير من الحواشي والتقارير على هوامش الكتب؛ وقد ترك مكتبة ثرية بنفيس المخطوطات، آلت مؤخَّراً إلى المكتبة العامَّة لعشيرته: آل خالد ببني يسجن، وأنجزت جمعية التراث فهرسا شاملاً لها، في إطار: دليل مخطوطات وادي ميزاب. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص33.

[4]. الناسخ والمؤلف هما شخص واحد؛ نفسه، ص 62.

علي[1].		(14 مارس 1965م)
✓ محمد بن باحمد، الحاج سعيد[2].	- سير مشائخ المغرب. - بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود.	- جوان 1973م. - صفر 1349هـ؛ (جوان 1930م)
✓ يوسف بن أحمد بن يوسف.	- خطبة العيدين.	- د.ت.ن

ثانياً: خزانة مكتبة البِكري.

الناسخ	عنوان الكتاب	تاريخ النسخ
✓ إبراهيم بن سلمان [كذا] بن بكير بن إبراهيم بن سلمان خير الناس. أو لعله: [إبراهيم بن سليمان خير الناس]	- قصيدة كشف الغمّة في الولاية والبراءة. - العمل بالتلفون في رؤية الهلال. - قصيدة في رثاء القطب. - قصيدة أخرى في رثاء القطب. - قصيدة في مدح القطب.	- [1332هـ]/ 1913م. - شوال 1350هـ / فبراير 1932م. - جمادى الأولى 1332هـ؛ (مارس 1914م). - 29 محرم 1337هـ؛ (4 نوفمبر 1918م). - 20 ذو القعدة 1328هـ. (23 نوفمبر 1910م).
✓ أحمد بن صالح بن باحمد العطفاوي[3]	- شرح قواعد الإسلام للجيطالي.	- حوالي 1290هـ/ 1873م.
✓ أحمد بن صالح بن	عقيدة التوحيد لابن جُميع.	ذو الحجة 1289هـ؛ (يناير 1873م)[2].

---

[1]. سعيد بن علي بن باسعيد، بهون علي (و: 1321هـ / 1903م - ت: 1385هـ / 07 جانفي 1966م)؛ ولد بالعطف وتعلم القرآن بها، ثمَّ استظهره بالقرارة سنة 1914م ثمَّ انضمَّ إلى حلقة إروان بالقرارة، وواصل دراسة علوم الشريعة والعربية إلى أواخر العشرينيات عند الشيخ الحاج عمر الحاج مسعود. اشتغل بالتجارة من سنة 1931م إلى 1935م غير أنه لم ينجح فيها، فلازم التدريس لبقية عمره.

امتاز بكثرة الترحال والسفر للدعوة إلى سبيل الله، والاطّلاع على أحوال المسلمين، حتَّى عرف بين الخاص والعام بلقب: «قل سيروا»؛ ومن بين البلاد التي سافر إليها: أغلب مدن الجزائر، الحجاز عدَّة مرَّات، سلطنة عمان، جبل نفوسة بليبيا، مصر، تونس...؛ ترك تلاميذ منبثِّين في مختلف قرى وادي ميزاب، ومكتبةً مخطوطة بخطِّ يده، وله مراسلات ولقاءات عديدة مع شخصيات في البلدان التي زارها. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج3، ص180.

[2]. محمد بن باحمد، حاج سعيد (ت: 1996م)؛ ولد بالعطف وتعلم القرآن بها، وهو وكيل مسجد أبي سالم خلفاً للشيخ بهون علي ج حمودة (ت:1986م).

[3]. الشيخ أحمد بن صالح بن باحمد، اسماوي، من تلاميذ القطب وأنصاره المقرّبين، ذكره القطب في رحلته الحجازية وأثنى عليه وقد نزل ضيفاً عنده في مدينة الجلفة حيث تجارته، لعله نسخ هذا الكتاب هنالك كما نسخ كتباً أخرى لم تصل إلينا، غير أنّ له تمليكات عديدة على نسخ في خزانة إروان.

باحمد بن باحمد [كذا] العطفاوي[1].		
✓ أحمد بن صالح بن باحمد بن بهون بن قاسم بن إبراهيم العطفاوي[3].	- شرح عقيدة التوحيد لتلاّتي. - كتاب اللُّمع المعروف بكتاب الوضع.	- شهر محرم 1290هـ؛ (مارس 1873م). - 27 ذو الحجة 1289هـ؛ (25 فبراير 1875م).
✓ أحمد بن حمو بن باباعمي بن الناصر، العطفاوي، العبدلاّوي بن أحمد منسباً[4].	الأحاديث الأربعون المروية عن النبي وشرحها. - صفات سيد الأولين والآخرين.	- د.ت.ن - د.ت.ن
✓ أحمد بن حمو بن الناصر العطفاوي، الإباضي، الخلفاوي، المصعبي، من تجنينت[5].	ديوان الأشياخ (كتاب الطهارة)	- محرم 1270هـ / أكتوبر 1853م.
✓ حاج بن محمد بن بكلي بن عيسى بن بكلي العطفاوي.	- شرح الترتيب لأبي ستة - كتاب الضياء للعوتبي الصُّحاري.	- رمضان 1278هـ؛ (مارس 1862م). - الخميس 1 ربيع الثاني 1275هـ؛ (8 نوفمبر 1858م)
✓ يحي بن عيسى بن يحي بن داود بن عيسى بن سليمان بن محمد بن يحي بن داود [كذا] البنوري نسباً، العطفاوي مسكناً[6].	شرح أرجوزة أبي زكرياء بن أفلح الصدغياني	7 رجب 1216هـ؛ (13 نوفمبر 1801م)[7].

ملاحظات عامة:

---

2. هذا الكتاب نسخه صاحبه بمدينة الجلفة.

1. تلاحظ النسبة هنا إلى تجنينت الاسم الأصلي للبلدة، والعطف اسمها المعرّب، ولعله اشتهر بفعل النساخة وحركة الكتب.

3. الراجح أن هؤلاء الأعلام الثلاثة على الترتيب هم شخص واحد، والله أعلم.

4. لم يترجم لهذا العلم بعدُ، وإن كان قد سهّل مهمة البحث عنه في شجرة النسب، فلقبه باباعمي، من عشيرة أولاد عبد الله بن أحمد في تجنينت.

5. ترد في بعض المخطوطات كلمة "تجنينت" وهو الاسم الأمازيغي لبلدة العطف، وقد تردان معاً كما جاء في نسب الناسخ هنا.

6. أوردت هذا العلم مع العطفاويين رغم كون أصله من بلدة بنورة، وذلك لاختياره السكن بالعطف، ولا أدري هل توفي بها أم رجع إلى بلدته الأصل.

7. ذكر ناسخ هذا الكتاب أنه نسخ المخطوطة من نسخة بيد: بابا عيسى بن ج إبراهيم العطفاوي.

1- مخطوطات خزانة دار إروان هي الأكثر عدداً؛ لاعتبارات عدّة أهمها: لأن هذه الدار كانت دار علم عامرة، وبالتالي فإنّ عدد منسوخاتها كبير مقارنة بخزانة البكري الخاصة؛ وما يصل إليها من الكتب من البلدة وخارجها مع مرور الزمن، بالإضافة إلى اشتداد حركة النسخ فيها بشكل مهم يحتاج إلى المزيد من البحث والتعريف.

2- هناك مخطوطات وصلت إلى الخزانة عن طريق الاقتناء كحال "حاشية كتاب الوضع" للشيخ أبي ستة؛ محمد بن عمرو الجربي، ناسخها: عيسى بن سعيد الباروني، مكان النسخ: وكالة الجاموس بالقاهرة، سنة النسخ: الإربعاء ربيع الأول 1304هـ (ديسمبر 1886م)، فقد انتقلت هذه المخطوطة إلى ملكية الحاج امحمد بن باحريز، وكذلك الحاج أيوب بن بهون ودار التلاميذ[1].

3- يلاحظ ازدهار حركة النسخ في فترات دون أخرى، وأغلبها كان خلال القرن التاسع عشر كله، وخاصة الفترة من أوسطه إلى آخره، ما عدا مخطوطة يرجع تاريخ نسخها إلى الجمعة 16 رجب 1180هـ (18 ديسمبر 1766م)، والراجح أنها فترة تواصل آل تجنينت مع القطب أطفيَّش وحبهم الشديد له، فكان له طلبة كثر كما نعرف ويدرّس بنظام الطبقات، وإن خلّد التاريخ البارزين منهم بما تركوا من بصمات وأغفل البقية، فإنّ جلّ النسّاخ المذكورين هنا من أبناء بلدة تجنينت أتوقع أن يكونوا من طلبة القطب أطفيَّش إن لم يكونوا في الطبقات العليا والمبرّزة، فقد كانوا دون ذلك نسّاخاً لكتبه وحملة للعلم إلى قريتهم تجنينت، وهذه التواريخ التي تضم أوج فترة نشاط القطب أطفيَّش وعطاءه الفكري والمعرفي.

وممن ورد ذكرهم في قائمة النسّاخ:

حمو بن باحمد العطفاوي (بكلي)، وله تقييدات لفتاوى للطب أطفيَّش تعود إلى سنة 1857م، وهو من تلاميذه.

وكذا أحمد بن صالح بن باحمد اسماوي، كان تاجراً بالجلفة وبها نسخ بعض المخطوطات، ولما قصد القطب أطفيَّش الحجاز لأداء حجته الثانية سنة 1886م عرّج على الجلفة، ونزل ضيفاً عنده ومدحه في حجازيته، حيث قال فيها:

وَمِن بَعدِهَا الجَلفَا[2] دَخَلنَا، وَسُمّيَت   لأَّن ذَوِيهَا القِلفُ[3] في رِقَّةِ القِرَا

وَلَكِنَّهَا الدَّلفَاءُ[4] ذَا الوَقتِ إذ سَكَنَ   ذَوُو العَطفِ فِيهَا بِالتَّمَلُّكِ وَالكِرَا[5]

---

1. فهرس دار التلاميذ (إروان) بالعطف، ص 91.

2 - من أشهر مدن الهضاب وأكبرها وهي منتصف الطريق بين مزاب والجزائر العاصمة أي 300كم، سكنها بنو مزاب ردحًا من الزمن وعمروها بفعل التجارة، أهلها قبائل أولاد نايل، وفيها من التجار المزابيين بكثرة سكان العطف "تجنينت" أكثر من غيرهم ولا زالوا إلى اليوم.

3 - القِلف: القِشر، والقِلف من العَيْشِ: الرغدُ الناعِمُ، وسَنَةٌ قَلْفاءُ: مُخْصِبَةٌ وعامٌ أَقْلَفُ مُخصب كذلك، وقد اشتهر سكان الجلفة بالكرم وعُرفوا به، ولازال منهم خلق سخي كثير الكرم.

4 - والدُّلَّفُ: التي تَدْلِفُ بحِملها أي تَنْهَضُ به، والدِّلْفُ: الشجاعُ. والدَّلْفُ: التقدُّمُ. ودَلَفْنَا لهم: تقدَّمنا.

5 - هذه المعلومة صحيحة حيث تعرف الجلفة إلى اليوم بكثرة سكان العطف "تجنينت" من التُّجار، وهم أصحاب أملاك كثيرة بها، وهم فيها أكثر من غيرهم من التجار المزابيين ولا زالوا كذلك إلى اليوم.

أَبُـو أَحمـدَ بـنُ صَـالِحٍ[1] جَيِّـدُ النَّسَـب سَــخِيٌّ حَمُــولٌ لِـلأَذَى كَيفَمَــا طَـرَا
وَجَدَّتُـــهُ رُقيَّـــةُ بِنـــتُ أَحمَـــدَا[2] وَعُثمَــانُ جَــدُّهُ بِــذَا كُلِّــهِ الضَّــرَا[3]

ولآخر قصائد في مدح القطب أطفيَّش تعود إلى سنة 1910م، وأخرى في رثاءه عود إلى مارس 1914م.

4- ثراء خزانة "تدَّارتْ نْ إروانْ" (دار التلاميذ) أسهم فيه كثير من المحسنين منذ نشأة الدار إلى آخر هذا العهد، ومن أواخر من أثروا الخزانة السيد حاج أيوب بن بهون حاج امحمد (1910- 1981م)، بما ورث عن أجداده من مخطوطات ونفائس، أضاف إليها مكتبة زاخرة من المطبوعات الحديثة، وقد سبقه كثيرون دون شك لكن بصمات هذا الأخير متميزة بنفائس المطبوعات التي أثرى بها مكتبة الدار بعد أن وقف مكتبه الخاصة فيها فازدهرت كثيراً.

الخلاصة

لعله قد تبيّن للقارئ الكريم بعض ما يزخر به وادي مزاب بالجنوب الجزائري من كنوز ونفائس، وما تحفظه المكتبات وخزانات المخطوط الخاصة والعامة، ويتصدّر تلك النفائس المخطوطات والوثائق والمطبوعات النادرة...؛ ورصيد بلدة تَجنِينْتْ (العطف) أم قرى واد مزاب لا يستهان به في هذا المجال، كما أنّ حركة النّساخة بها قد ازدهرت بشكل مميز خلال بعض الفترات، سيما خلال حياة الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش الشهير بقُطب الأئمة، والراجح أنّ من اشتغلوا بالنساخة هم تلاميذه ومريديه بالدرجة الأولى، وما محتويات خزانة "تَدَّارتْ نْ إروَان" (دار التلاميذ)، وخزانة "البِكري" (الشيخ عمر بن عبد الرحمن بكلي) إلاّ شاهد على ذلك.

من خلال ما سبق فإن المتأمل في الرصيد المخطوط لمكتبات تجنينت (العطف) يلحظ أشياء عديدة منها:

1- ما يتّصل بثقافة سكان البلدة في علاقتهم مع المخطوط نسخاً واقتناءً وحفظاً وصيانة؛ فعدد النّساخ والملاّك والمؤلفين من أبناء البلدة تجنينت _على ما وصل إلينا من خلال الفهرسة الأولى لخزانة دار إروان_ يزيد على العشرين علماً يظل معظمهم مغموراً، ما لم نستعن بأشجار النسب لعائلات البلدة؛ على أمل استقصاء نسب كل علم قدر الإمكان، وصولاً ربما إلى ذخائر أخرى قد تكون بحوزة الأحفاد أو في خزانات أخرى خارج مزاب. هذه المعلومة صحيحة حيث تعرف الجلفة إلى اليوم بكثرة سكان العطف "تجنينت" من التُّجار، وهم أصحاب أملاك كثيرة بها، وهم فيها أكثر من غيرهم من التجار المزابيين ولا زالوا كذلك إلى اليوم.

---

[1] - في الهامش وردت عبارة نصها: [هو جد حمو السماوي]، بقلم حديث.

[2] - يريد انتهاء نسبه إلى رقية بنت الرسول محمد ﷺ ثم إلى عثمان بن عفان ﵁.

[3] - وقفت على زمام قديم يحوي "شجرة نسب عشيرة آل الحُجَّاج" بالعطف، وفيه ينتهي نسب هذه العشيرة الكبيرة إلى سيدنا عثمان بن عفان ﵁ كما أورد ذلك الشاعر هنا، قلت لاشك أن الشيخ أحمد بن صالح اسماوي هو من أخبره بذلك لأنه من هذه العشيرة، كما اعتمد القطب ذلك في ذكر نسب آل الحُجاج في كتابه "الرسالة الشافية"، نسخة مصورة من الزمام بحوزة الباحث.

أما الضرا: ضَرِيَ به ضَرَاً وضَرَاوَةً: لهِجَ به، واعتاد ذكرَهُ حتى اشتهر وعُرِف به

ينظر: رحلة القطب، تح: يحيى بن بهون حاج امحمد، طبع العالمية للخدمات الطباعية، الجزائر، ط1، 2006، ص 64.

2- نلاحظ حرص القائمين على المكتبات الخاصة والعامة على إثراء مكتباتهم بكلّ غالٍ ونفيس على مرّ العقود؛ وإن كانت معظم الخزانات الخاصة بحاجة اليوم إلى فهرسة تقنية حديثة بدءاً من تَحيِين الفهرس الورقي وانتهاء بوضع الفهرس الإلكتروني، مما سيقوي المقروئية وينظِّم خدمات البحث العلمي لمن يطلبها.

3- إنَّ معظم الأعلام الذين تركوا مكتبات خاصة أثروها برصيد هام من الكتب؛ ويتبع رصيد مكتباتهم في الأصل اهتماماتهم الفكرية وهواياتهم الأدبية في المطالعة...؛ وهو ما أوجد للباحثين والمهتمين تنوعاً هاماً في المصادر والمراجع، فما يفتقده الباحث في هذه المكتبة يجده دون شك في مكتبة أخرى وهكذا؛ فهي بذلك تتميز بالتكامل والغنى فيما بينها، وتعزز أفق إنجاح الأبحاث العلمية وبخاصة في ميدان العلوم الإنسانية بشتى تخصصاتها.

توصيات في ختام البحث:

- ضرورة وضع خرائط وطنية لخزانات المخطوطات والمكتبات العامة والخاصة بالجنوب الكبير.
- أهمية طبع فهارس المخطوطات التي أنجزت من طرف المتخصصين ووضعها في متناول الباحثين.
- تشجيع أصحاب الخزانات ومالكي المخطوط على تصوير ما بحوزتهم وباستعمال الآليات الحديثة، مع ضرورة المساهمة الجادة في بعث مشاريع حفظ وصيانة الثروة الوطنية من المخطوط وحمايتها من خطر الاندثار.
- تيسير سبل البحث للمتخصصين والمهتمين وذلك من خلال إنشاء بنوك وطنية للمخطوط المصور، وكذا إنشاء محركات بحث إلكترونية موسعة على الشّابكة (الانترنيت).

أخيراً؛ آمل بأن يكون هذا البحث قد قدّم إضافة نوعية إلى مجال بحث المهتمين بالتراث المخطوط في مزاب خصوصاً، والتعريف بالثروة الوطنية من المخطوط في الجنوب الجزائري عموماً، والتعريف بأماكنها وتسهيل سُبل الوصول إليها قصد تحقيقها ودراستها.

قائمة المصادر والمراجع:

- المصحف الكريم رواية ورش عن نافع.
[2] - إبراهيم أبي اليقظان، ملحق السير، (مخ).
[3] - وصية البِكري، أرشيفه الخاص، مكتبة البكري، كراس (مخ).
[4] - معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1999.
[5] - الشيخ القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: يحي بن بهون حاج امحمد، نشر جمعية النهضة، العطف، ط1، 2009.
[6] - أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير، تحقيق وتعليق محمد صالح ناصر وإبراهيم بحاز، ط1، 1986.
[7] - سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، المطبعة العربية غرداية، 1996.

[8] - محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1962.

[9] - حاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية غرداية – الجزائر، ط1، 1991.

[10] - صالح بن عمر سماوي، العزَّابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، المطبعة العربية غرداية، ط1، 2005.

[11] - فهرس مخطوطات الخزانة العامة، قسم التراث والمكتبة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ط1، أكتوبر 2002.

[12] - فهرس مكتبة دار التلاميذ بالعطف "إروان"، وضع جمعية التراث، ط1، 1996.

[13] - فهرس مكتبة البِكري بالعطف، وضع جمعية التراث، ط1، 1994.

[14] - فهرس مخطوطات خزانة آت افضل ببني يسجن، إنجاز جمعية التراث، .2000

[15] - فهرس مخطوطات، خزانة آل يدّر ببني يسجن، إنجاز جمعية التراث، .1999

[16] – رحلة القطب، الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش، تح: يحي بن بهون حاج امحمد، العالمية للطباعة – الجزائر، ط1، .2006

[17] - بشير الحاج موسى، نحو دراسة حياة وآثار الشيخ سعيد بن علي الجربي، بحث مرقون.

[18] - مصطفى ابن ادرسيو، فهرسة المخطوطات والمكتبات في وادي ميزاب، مقال، مجلة الحياة القرارة، عدد 12، أكتوبر 2008.

[19] - موقع جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيَّش لخدمة التراث، غرداية: http://www.elminhaj.org/

[20] - محرك البحث "الرستمي" لجمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيَّش؛
http://www.elminhaj.org/erostomi/aide.php.

خلاف برغسون مع أينشتاين حول الزمان

د.محمد تونسي
جامعة عمار ثليجي الاغواط –الجزائر

ملخص:

اختلف برغسون مع أينشتاين حول مفهوم الزمان، فلقد دافع عن وجهة نظره وانتقد أفكار نظرية النسبية حول الزمان، لقد التقى برغسون بأينشتاين ودار بينهما نقاش العالم والفيلسوف، ورغم الشهرة التي كانت تحظى بها نظرية النسبية وانبهار العالم بها، إلا أن هذا لم يثني برغسون عن انتقادها وإظهار تناقضاتها، لقد كان برغسون يحاول الدفاع عن مفهوم الزمان من وجهة نظر فلسفية في مقابل الزمان الذي يتصوره أينشتاين من وجهة نظر علمية، لقد اختلف الرجلان حول أيهما الزمان الحقيقي: الزمان المرتبط بذواتنا أم الزمان المرتبط بالرموز والأعداد ؟ .

الكلمات المفتاحية: برغسون، أينشتاين، الزمان، النسبية .

Abstract:
Bergson disagreed with Einstein on the concept of time; he defended his point of view and criticized the ideas of the theory of relativity about time. Bergson met with Einstein, There were a discussion of the scientist and the philosopher, despite the fame of the theory of relativity, and the dazzle the world about it, this did not stop Bergson from criticizing it and showing its contradictions, Bergson defended the concept of time from a philosophical point of view against the time that Einstein envisioned from a scientific point of view. The two men differed about which real time: the time of our selves or the time of symbols and numbers?
Keywords ; Bergson, Einstein, time, relativity.

مقدمة:

يشكل مفهوم الزمان ركيزة أساسية في فلسفة برغسون، فالزمان في نظره هو التدفق الذي نحس عن طريقه بصيرورة الحياة وتغيراتها، وهو الذي يشعرنا كذوات ثابتة أمام تيار متدفق، لقد اهتم برغسون بمفهوم الزمان قبل ظهور نظرية النسبية ولطالما انتقد وجهة النظر التي تكرس مفهوم الزمان الفيزيائي المادي البعيد عن ذواتنا والخالي من الحياة، مع بداية القرن العشرين ظهرت النظرية النسبية مع ألبرت أينشتاين وقدمت فهما جديدا للزمان مختلفا جذريا عما كان سائدا، حيث حل الزمان النسبي بدل المطلق، وارتبط مفهوم الزمان بالسرعة والكتلة، لقد انتقد برغسون أينشتاين بشدة لأن هذا الأخير كرس الزمان الآلي المرتبط بالمادة، وصرف النظر عن الزمان الحقيقي المرتبط بالحياة والصيرورة، لقد التقى الرجلان في الجمعية الفلسفية بباريس سنة 1922، ودار بينهما نقاش مطول، فكان حوار العالم والفيلسوف، فما هو مفهوم الزمان عند كل من برغسون وأينشتاين؟، وما هي نقاط الخلاف بين الرجلين ؟.

1- مفهوم الزمان عند برغسون:

يعتبر الزمان مفهوما محوريا في فلسفة برغسون*، لقد رأى برغسون أن جوهر الحياة وصيرورتها تتعلق بالزمان أكثر من المكان، إن تفكيرنا المادي أوهمنا أن الحياة ليست إلا الصور المكانية التي نحسها، لكن الحقيقة هي غير ذلك، إذ تكمن في الزمان الذي يعكس تراكم صور الوجود على بعضها البعض، إن الزمان هو صورة الوجود التي امتدت منذ بدايتها الأزلية وأخذت تتطور وتتقدم، وفي هذا التراكم المستمر لا يمكن أن يشبه فيه الحاضر الماضي ولا المستقبل يمكن أن يشبههما[1]، إن العالم المادي الخارجي هو عالم متغير من حالة إلى حالة أخرى منفصلة عنها، وهذا الانفصال هو ما يجعله لا يحتفظ بماضيه،لأن التذكر شرطه الاتصال بين القبل والبعد، وبناءا على هذا فالتغير الموجود في العالم المادي هو تغير تكراري لا إبداع فيه،حيث تظهر حالة لتختفي الحالة التي سبقتها، وهذا ما يجعل العالم المادي الخارجي في حالة نسيان مستمر، في مقابل هذا الانفصال بين الماضي والحاضر والمستقبل يوجد بينهم اتصال ولا يكون هذا الاتصال إلا في ذواتنا فقط، فعند إدراكنا للعالم الخارجي، يبدو لنا هذا الإدراك أنه داخلنا باعتباره حالة شعورية، ويبدو كذلك أنه خارجنا باعتباره همزة وصل بيننا وبين العالم الخارجي،فالمادة تكون مشاركة لديمومتنا الواعية، حيث أن كل لحظة من ديمومتنا تتساوق بلحظة جسمنا،وكل المادة المحيطة به ، ومن هنا تكون العلاقة بين العوالم الشعورية والكون المادي، حيث يبدو لنا العالم كوحدة واحدة.[2]

لقد اعتبر برغسون أن الزمان الذاتي أو الديمومة هو الزمان الصرف والحقيقي، و وهذا الزمان لا علاقة له بالمكان ولا يعتمد عليه، وهو زمان حي مشخص يعيش معنا ونحيا فيه، وهو مختلف عن الزمان الآلي العلمي الذي نقيسه بحركة العقارب، لأنه يشكل تيار متدفق متصل لا انقسام فيه، كما انه كيف صرف غير قابل للقياس وليس كم ولا يتم الوصول إليه إلا بالحدس، كما انه خلاق يتصف بالتجدد والاستمرارية لأنه يقوم على اتصال القبل والبعد، فكل لحظة حاضرة هي وثيقة الاتصال بماضيها، فالديمومة غير قابلة للتقسيم لكونها كثرة كيفية، لأن ما يقبل القياس والخضوع للكم هو الممتد الموجود في المكان والذي يتميز بالانفصال، كذلك لا يمكن أن ننظر إلى الزمان الحقيقي أو الديمومة باعتباره مقولة جامدة مثلما يراه العلم المادي، فالفيزيائي يرى أن الحاضر هنا والماضي خلفنا والمستقبل أمامنا وهو بذلك يكرس الرؤية المكانية للزمان التي تنظر للزمان باعتباره امتدادا للمكان، ولكن الزمان الحقيقي هو ما يمتزج فيه الماضي بالحاضر وبالمستقبل.

---

* هنري برغسون Henri Bergson فيلسوف فرنسي (1859 -1941)، يعتبر من كبار الفلاسفة الفرنسيين،فقد كان نفوذه واسعا وعميقا حيث ترك بصماته في الإنتاج الفكري، و حظي بشهرة واسعة الانتشار في فرنسا أثرت في دوائر مختلفة فلسفية ودينية وأدبية، حاول برغسون من خلال فلسفته أن ينقذ القيم التي أطاحها المذهب المادي، ويعيد الاعتبار للبعد الروحي، حيث عرف بفلسفته الخاصّة بالوعي والحياة،نشر أوّل مؤلّف له سنة 1889 والذي كان أطروحته في الدّكتوراه التي عنونها: " محاولات في المعطيات المباشرة للوعي ". حيث قام برغسون بإعادة طرح جملة من مسائل الفلسفة التّقليديّة كقضايا الزّمن والحرّية والوعي،بالإضافة إلى هذا كانت له عدة مؤلفات منها: "المادة والذاكرة"، "التطور الخلاق"، "الطّاقة الروحية"، "التزامن والديمومة"، أحرز على جائزة نوبل للآداب عام 1927.

[1] - ول ديورانت،**قصة الفلسفة**، ترجمة :فتح الله محمد المشعشع،(ط6،مكتبة المعارف، بيروت، 1988)،ص 558

[2]- Henri Bergson: **Durée et simultanéité** ,(Quadrige PUF ,paris.2009).p41

إن الخطأ الذي يقع فيه الكثيرين هو أنهم ينظرون إلى الزمان بمثل نظرتهم للمكان، وكانوا يتعمقون في تصورهم للمكان إلى درجة أنهم كانوا يقيسون عليه الزمان، وهذا القياس هو قياس سطحي حيث يستعمل المكان كرمز للزمان، إنهم يبحثون عن خصائص للزمان مشابهة لخصائص المكان فيؤخذ المكان كمرآة للزمان دون رؤية الزمان ذاته، وهذه الصورة الخاطئة هي التي كرسها العلماء في تصورهم للزمان[1]، لقد رأى برغسون أن الوهم الذي وقع فيه الكثيرين هو أنهم تصوروا إمكانية تقسيم الزمان إلى لحظات أو وحدات متناهية لكونهم اعتادوا تقسيم مسار الحركة إلى نقاط متتابعة، واعتبروا كل نقطة تقابل لحظة وأمام نقطة الحاضر نقاط المستقبل وخلفها نقاط الماضي وبهذا أصبحت العلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل علاقة تجاور،و علاقة التجاور هي خاصية للمكان بينما خاصية الزمان هي التعاقب،فكل لحظة زمنية تعقبها لحظة أخرى لكن لا تمحوها وتأتلف اللحظات في وحدة كيفية لتشكل تيار زمني مستمر.

إن الزمن الآلي الذي يستعمله العلم زمن لحظي لا ينحفظ، من صفاته التكرار المستمر وآناته الزمنية متماثلة، ونظرا لأنه تكرار لا يختلف ماضيه عن حاضره وعن مستقبله يمكن للعلماء التنبؤ في هذا الزمان، أما في الزمان الحقيقي لا يمكننا أن نتنبأ بشيء لأنه تيار مستمر تتداخل حالاته، حيث تنفذ كل حالة في باطن الأخرى وكل لحظة حاضرة ليست تكرارا كما يتصور الفيزيائي، بل هي لحظة جديدة مليئة بالإبداع ومختلفة عما سبقها، يقول برغسون: « الزمان إما أن يكون إبداع، وإما ألا يكون شيئا على الإطلاق»[2].

2- الزمان في نظرية النسبية:

قلبت نظرية النسبية التصور الذي كان سائدا عن الزمان بشكل جذري، إذ لم يعد الزمان المطلق النيوتني ذو الانسياب الثابت أساسا لوصف الظواهر، بل حل محله الزمان النسبي الذي يختلف من راصد إلى آخر حسب موقع الرصد، بل وأكثر من هذا تصورت نظرية النسبية أن الزمان ليس ذو إيقاع ثابت ومنتظم، بل يتأثر بالسرعة أو الجاذبية فكلما زادت السرعة أو الجاذبية تباطأ الإيقاع الزمني، كذلك اعتبرت النظرية أن الزمان بعد رابع إلى جانب الأبعاد المكانية، ولا يمكن أن نتعامل مع الظواهر إلا بمفهوم المتصل الزمكاني، إن كل هذه التغيرات التي أدخلتها نظرية النسبية على مفهوم الزمان جعلت منه جزءا من الأحداث فهو على نفس الدرجة مع المكان وقد دمجا في مفهوم واحد، كما أن الزمان يتأثر بالمادة والسرعة مثله مثل المكان أو الأجسام .

لقد رأى أينشتاين أن مفاهيم مثل قبل وبعد وتزامن كلها نسبية وتخص الملاحظ في موقع معين، فقد يكون ما هو حاضر بالنسبة لملاحظ هو مستقبل بالنسبة لملاحظ آخر، فلو افترضنا أن راصدا يقف في منتصف المسافة بين الشمس والأرض، فان ضوء الشمس سيصله بعد أربعة دقائق، والحاضر بالنسبة له هو لا يزال مستقبل بالنسبة إلينا حتى تمر ثمانية دقائق، هذا يوضح أن عملية القياس التي يجريها مراقبين في نظامين مرجعيتين مختلفتين تعطي نتائج وقياسات مختلفة لنفس الشيء المقاس، وينتج عن هذا أيضا

---

[1]- حسن حنفي، **برغسون فيلسوف الحياة**،(المكتب المصري للمطبوعات،القاهرة)2007.ص344

[2]- Henri Bergson **: L'évolution créatrice**, , (édi86, P.U.F, Paris, 1959) p 341.

أن التزامن نسبي، حيث يمكن لحدثين متزامنين، يحدثان في نفس الوقت ضمن مرجعية رصد معينة، أن يكونا غير متزامنين بالنسبة لمراقب في جملة مرجعية أخرى، يرى أينشتاين** أن نظرية النسبية تجبرنا على التخلي عن وجهة النظر التقليدية، حيث أنه لا يمكن الاتفاق على توقيت واحد في الكون أو على ضبط توقيت مطلق لحادثة، فنحن لا نملك مقياسا ثابتا أو إيقاعا زمانيا واحدا للكون، حيث أن لكل مكان نتيجة قياس مختلفة، يقول أينشتاين: « قد واجهنا لدى الراصدين حادثين متواقتين في مرجع احدهما، وغير متواقتين في مرجع آخر»[1].

نسبية الزمان عند أينشتاين، هي نسبية فيزيائية وليست نفسية، فإذا كان عدة مراقبين يلاحظون حادثا معينا من مكان واحد، فإن رصدهم لزمان حدوثه سيكون واحدا، أما إذا كان كل واحد منهم موجود في نقطة ملاحظة بعيدة فان رصد زمن الحدوث سيختلف من شخص إلى آخر، وهذا الخلاف لا يرجع إلى شعورهم بل إلى وضعهم الفيزيائي كمراقبين، وما يتعلق بمواقعهم من سرعة ومسافة وغيرها، كذلك اعتبر أينشتاين أن الزمان المحض المستقل عن الأشياء لا معنى له، فالزمان الذي نتكلم عنه في الفيزياء هو الزمان المرتبط بالأحداث،حيث أن تصورنا للجسم وحركته سابق عن تصورنا للزمان، يقول أينشتاين: «يبدو لي أن تكوين تصور الجسم المادي يجب أن يسبق تصوراتنا للمكان والزمان ».[2]

لقد اعتبرت نظرية النسبية أن الزمن بعد رابع، فالأشياء التي نراها لا توجد في العالم المكاني الثلاثي الأبعاد فقط بل تخضع أيضا للبعد الزمني، فعوض ان نتعامل مع زمان ومكان منفصلين، يجب احتواء الظواهر بمفهوم واحد يسمى الزمكان space-time، ولهذه الأسباب تقترح النسبية ضرورة استيعاب العالم الفيزيائي بالأبعاد الأربعة وهو ما يسميه أينشتاين بالمتصل الزمكاني، يقول أينشتاين: « إن الموضع الواحد يتعين بثلاثة أعداد، أما العدد الرابع فيعين زمن الحادث، فيتعلق إذن بالحادث الواحد بتمامه أربعة أعداد، وكل مجموعة أربعة أعداد تعين حادثا بذاته، فعالم الحوادث هو إذن متصل رباعي الأبعاد ».[3]

من النتائج المهمة التي توصلت إليها النسبية هي أن الزمان لا يملك نفس الإيقاع أو نفس وتيرة الانسياب، فالزمان ليس مستقلا بذاته وإنما يتأثر بالسرعة، حيث أن الزمان ينساب على الأجسام السريعة الحركة أبطأ مما لو كان على الأجسام الثابتة، فكلما زادت السرعة تباطأ الإيقاع الزمني، في حياتنا اليومية لا نعايش سرعات عالية تقارب سرعة الضوء، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نلاحظ تباطؤ الزمان، أن سرعة الضوء ليست بالشيء المألوف في مقاييس السرعات التي نعرفها ومن الطبيعي أن تكون النتائج الناجمة عنها

** ألبرت أينشتاين Albert Einstein 1879-1955 فيزيائي ألماني تنسب إليه النظرية النسبية، ولد أينشتين لأبوين يهوديين في ألمانيا التي عاش فيها، وفي العام 1905 قام بصياغة النظرية النسبية الخاصة، و بعدها بعشر سنوات نشر بحثه عن نظرية النسبية العامة، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية أيام الحكم النازي لألمانيا واستقر في مدينة برنستون، كان من الرافضين للقول بعشوائية العالم الذري، و قدم في سنواته الأخيرة نظرية المجال الموحد التي لقيت انتقادا كبيرا.

[1] - ألبرت اينشتاين، ليوبولد انفلد، **تطور الأفكار في الفيزياء**، ترجمة : أدهم السمان، (دار طلاس للدراسات والنشر، 1992)، ص133

[2] - ألبرت اينشتاين، **النسبية .النظرية الخاصة والعامة**.ص209

[3] - ألبرت اينشتاين، ليوبولد انفلد، **تطور الأفكار في الفيزياء**، ص 153

غير مألوفة، مثلا إذا تمكن شخص من السير بسرعة مقدارها 87 % من سرعة الضوء فإن الزمن عنده سوف يتباطأ إلى النصف، حيث أن كل مدة يعيشها شخص مقيم على الأرض سيعيش الشخص المسافر نصفها فقط، بمعنى انه لو استغرق المسافر مدة عشر سنوات بزمانه المحلي، سيجد عند عودته أن سكان الأرض قد عاشوا عشرين سنة،رغم غرابة هذه النتائج إلا أنها مرتبطة بالطبيعة لكن في سرعات لا نعايشها، ووفقا لنظرية النسبية يمكن حساب مقدار تباطؤ الزمان بالنسبة إلى السرعة باستعمال معامل الانكماش للورنتز وفق العلاقة التالية: $T' = \frac{T}{\sqrt{1-\frac{v^2}{c^2}}}$

حيث تمثل Tقياس راصد ساكن، T′ قياس راصد متحرك، وvسرعة الجسم، وc سرعة الضوء .

تعتبر مفارقة التوأمين twin paradox من التجارب الافتراضية التي تبين تباطؤ الزمان ، حيث تصف نتائج تغير الإيقاع الزمني الذي يحدث نتيجة السرعات العالية التي تقارب عتبة سرعة الضوء: ومفاد هذه المفارقة انه إذا سافر أحد توأمين بسرعة تقارب سرعة الضوء، فسيكتشف بعد عودته للأرض بعد مرور سنة على ساعته، مرور عدة سنوات على بحسب الإيقاع الزمني للأرض، وسيجد أن أخاه يكبره سنوات من الزمن في حين لم يزد عمره هو سوى سنة واحدة، مما يعني أن الزمن يتباطأ بتزايد سرعة المنظومة التي يتم القياس بها، إن التوأم المسافر يكون تحت تأثير التباطؤ الزمني دون أن يشعر بحيث تبطؤ ساعته ودقات قلبه والنشاط الكهربائي للدماغ وساعته البيولوجية، ووتيرة حركة الالكترونات وكل التفاعلات الفيزيائية الموجودة بالمنظومة المتسارعة ، لدرجة انه لا يحس بالفارق الزمني حتى عودته إلى الأرض، فيصاب بالذهول، ويدرك أن نومه لساعات معدودة أثناء السفر يكلف على سطح الأرض مرور عدة أيام، كذالك من نتائج النسبية العامة نجد أن المجال الجاذبي يفرض إيقاعات زمنية معينة، فكلما كانت الجاذبية أقوى كان الزمن أبطا، يقول أينشتاين: "إن سلوك قضبان القياس والساعات يتأثر بالمجالات الجاذبية أي بتوزيع المادة "[1]، بهذا تكون نظرية النسبية قد ربطت الزمان بالسرعة والجاذبية وأعطت له مفهوما ماديا حيث جعلت منه عنصرا يتأثر بالأحداث الفيزيائية مثله مثل المكان.

3- انتقادات برغسون لأينشتاين:

يعتبر الزمان من أهم المفاهيم التي تناولتها نظرية النسبية وقدمت حولها فهما جديدا،و من جهة أخرى يكتسي مفهوم الزمان مكانة محورية في فلسفة برغسون، ومن الطبيعي أن تكون لبرغسون ردة فعل إزاء نظرية النسبية لأنها أفكارها تمس جوهر فلسفته، إن أفكار مثل نسبية الزمان ونسبية التزامن وتباطؤ الزمان والزمان بعد رابع قد أثارت انتقادات برغسون، حيث اختلف مع أينشتاين في كون أن الزمان الذي يتعامل به العلم هو زمان مزيف إضافة إلى أن نظرية النسبية تحتوى على تناقضات في تناولها لمسألة الزمان ، وقد التقى الرجلان سنة 1922 بالجمعية الفلسفية بباريس ودار بينهما نقاش حول مفهوم الزمان في نظرية النسبية، ولم يكن برغسون مقتنعا بأفكار النسبية مثل اعتبارها أن الزمان الفيزيائي في حد ذاته يتباطأ أو

---

[1] - ألبرت اينشتاين: **النسبية النظرية الخاصة والعامة**، ترجمة: رمسيس شحاته(القاهرة 1965)،ص172

يتسارع، أو انه بعد رابع إلى جانب الأبعاد المكانية، أو أن التزامن نسبي ورأى أن النسبية تنطوي على تناقض، وقد عرض وجهة نظره على أينشتاين وقدم أفكارا من شأنها أن تشخص الخلل الموجود في النسبية، أمام هذا كان رد أينشتاين على برغسون أنه لم يفهم النسبية بالشكل الكافي، وكتجاوز لهذا الخلاف رأى أينشتاين أن للفيزيائي زمانه وللفيلسوف زمانه أيضا، فالأمر يتعلق حسب أينشتاين بالفرق بين الزمان الذي يشير إليه العلم بمؤشر رياضي بسيط والزمن النفسي الذي تعيشه الأنا.

في سنة 1923 صدر لبرغسون كتاب انتقد من خلاله أفكار نظرية النسبية حول الزمان، وكان عنوان هذا الكتاب "الديمومة والتزامن".و يتخذ هذا الكتاب طابعا حجاجيا، كما انتقد برغسون أيضا علماء آخرين ساهموا في التمهيد للنسبية أمثال لورنتز ومنكوفسكي [1]، إن انتقاد بين برغسون وأينشتاين يدور حول انه كيف نعامل زمان العلم المزيف بصفات معينة مثل كونه يتدفق ويتباطأ، في حين أن هذه الصفات تخص الزمان الحقيقي الذي نعايشه بوعينا،و أي قيمة لما نسميه زمان بمعزل عن الوعي، يعتبر برغسون أن الزمان الميكانيكي الذي يصوره لنا العلم هو زمن خاوي وخالي من أي إبداع ومن أي صيرورة حية، حيث أن كل شيء مسطر وفق قوانين، لقد عارض برغسون بشدة الزمان الفيزيائي المشتت في المكان والمقسم والقابل للقياس بواسطة مواضع مكانية كحركة الأجرام والعقارب، إن العلم موضوعي والزمان الحقيقي ذاتي ولا يمكن أن يتحول الزمان من إحساس داخلي مليء بالحياة إلى رموز جامدة في معادلات أينشتاين .

انتقد برغسون فكرة نسبية الزمان وأن لكل ملاحظ القيم الزمانية التي يرصدها، ورأى أن تعدد الأزمان الذي يقول به أينشتاين لا وجود له في العالم الفيزيائي، وإنما هناك وجود لزمان خاص بزيد وزمان خاص بعمر وهذا هو الزمان الشعوري الفردي الحي، فزيد يعيش زمانه الخاص ويعتبره نقطة إحالة له .[2]،و إذا نسب زيد لمرجع علي زمنا مثلما يقول أينشتاين فإن هذا الزمن وهمي لأنه جرد علي من شعوره ووعيه وحوله إلى صورة مرئية.

انتقد برغسون مبدأ النسبية الذي تقوم عليه النسبية الخاصة، من بين ما يشير إليه هذا المبدأ هو أن الحركة تعتبر تغير ذلك الفارق في المسافة بين طرفين أحدهما متحرك والآخر ساكن، حيث يمكن اعتبار أي من الطرفين مسؤولا عن تغير المسافة،و لكن هذا المبدأ يتجاهل حقيقة أن الحركة مجهود يتميز به الطرف المتحرك دون الطرف الساكن، كما أن حالة شعورنا الداخلي ونحن نتحرك تختلف عن حالة سكوننا،كما أن هذا المبدأ يقوم على خلط مفتعل بين الحركة والمكان،فالحركة يدركها الوعي كفعل مستمر وغير قابل للقسمة وهذا ما يختلف عن المكان الذي يتميز بقابلية القسمة،و هذا الخلط ينتج عن التعامل المكاني مع الحركة[3].

تناول برغسون في نقده أيضا فكرة التزامن، ورأى أن التزامن الذي تشير إليه النظرية النسبية هو تزامن ميكانيكي مرتبط بالمكان، يجعل برغسون من التزامن وحدة إدراكية تتعلق بوعي الإنسان، ويعرفه بأنه «

[1]- حسن حنفي، **برغسون فيلسوف الحياة**، ص ص 344-345

[2] -المرجع نفسه، ص347

[3] - Henri Bergson: **Durée et simultanéité** , pp39-40

إمكانية دخول حدثين أو كثير من الحوادث في إدراك لحظي واحد . »[1]، وتبعا لهذا فالتزامن لا يكتسب معناه ما لم يكن هناك وعي يلتقطه، حيث يعيه شعور يتلقى الحدثين في إدراك لحظي واحد،و كيف يمكن الحديث عن تزامن حدثين مع عدم حضورهما أمام الوعي إذ ليس هناك أي فيزياء تستطيع إثبات هذا التزامن،رأى برغسون أن التزامن الحقيقي هو تزامن تيارين خارجيين مع تيار الديمومة الداخلي، حيث يشمل انتباهنا التيارات الثلاث في فعل واحد لا يقبل القسمة.

كذلك انتقد برغسون فكرة تباطؤ الزمان وما تشير إليه مفارقة التوأمين حول تغير الإيقاع الزمني نتيجة السرعة العالية، لقد رأى أن هذه التجربة الذهنية وما تشير إليه من تباطؤ الزمان تناقض مبدأ النسبية الذي تقوم عليه نظرية النسبية الخاصة، من بين ما يشير إليه هذا المبدأ هو أن قوانين الفيزياء تبقى هي نفسها بين مرجعين احدهما ساكن والآخر متحرك حركة منتظمة مستقيمة، لنفترض أن المرجع المتحرك يسير بسرعة قريبة من سرعة الضوء فلماذا يتباطأ الزمان عنده فقط ما دام هناك تكافؤ بين المرجعين، حسب مبدأ التكافؤ يجب أن نتعامل مع المرجعين بنفس القوانين حيث يمكننا اعتبار أي منهما ساكنا أو متحركا ولا يتغير في الوضع شيء، فكيف يحق لنا القول أن الزمان يتباطأ بالنسبة للمرجع المتحرك في حين نملك إمكانية اعتباره ساكنا[2] .

إن النقد الذي وجهه برغسون لنظرية النسبية كان يهدف إلى توضيح أن زمان العلم الذي يتعامل به الفيزيائيون وتجري فيه الأحداث الفيزيائية هو عبارة عن تتابع وتكرار حوادث وهو زمان مزيف لأنه مرتبط بالحركة وبمشاهد متقطعة ساكنة وميتة، وتبعا لهذا لا يستطيع احد الادعاء أن هذا زمن يتعرض لتغيرات تبعا لظروف فيزيائية معينة، إن الفيزيائيين لا يتكلمون عن زمن بقدر ما يتكلمون عن مقادير وكميات مرتبطة بالحركة، وإذا أردنا أن نتكلم عن الزمان ذو التدفق الحقيقي والملئ بالصيرورة فلا مجال للمكان في هذا الحديث فالزمان الحقيقي مرتبط بالعالم الداخلي للذات الإنسانية.

4- الزمان الذاتي أم الزمان الفيزيائي ؟:

كما رأينا أدخلت نظرية النسبية تغيرات جذرية على مفهوم الزمان، وقالت أن الزمان نسبي ويتباطأ نتيجة السرعات العالية ، لقد كانت هذه الأفكار بحاجة إلى أدلة تجريبية تدعمها، قدم أينشتاين تنبؤا عن تباطؤ الزمان وتأثره بالجاذبية: كان معروف عند العلماء أن الذرة أشبه بالساعة الصغيرة، حيث أن لحركة الالكترونات داخلها إيقاع معين يتناسب مع تواتر معين للموجات الصادرة عن الذرة، ووفق نظرية النسبية العامة فإن هذا الإيقاع الذري لا بد وأن يتأثر بالمجالات الجاذبية القوية، وسيظهر هذا في تغير تواتر الموجات الصادرة حيث تنحرف شرائط الطيف المنبعث نحو الأحمر، وقد تم التحقق من هذا الانحراف عند إجراء

[1]- Ibid.p43

[2] -Milic Capek ,**Bergson and modern physics**,(Reidel publishing company ; Usa 1971). pp 239-240

قياسات للطيف القادم من الشمس[1]،وكذلك اكتشف العلماء هذا الانحراف عند إجراء قياسات سنة 1924 على نجوم تدعى الأقزام البيضاء[2].

كذلك تمكن العلماء من إثبات تباطؤ الزمن نتيجة السرعات العالية، حيث أن جسيمات ذات حياة قصيرة جدا تعيش في المسرع فترة أطول من ذلك، فهناك جسيم يدعى الميون وهذا الجسيم يظهر لمدة معينة ثم يتحلل، لكن عند تسريع هذا الجسيم بنسبة 99.92 بالمائة من سرعة الضوء فإنه يبقى لمدة تزيد عن خمسة وعشرين ضعفا أكثر مما يبقى في الأصل [3]، كذلك هناك دليلا آخر حول تباطؤ الزمان حيث أطلق العلماء ساعة ذرية مع صاروخ إلى الفضاء الخارجي وتركت ساعة ذرية أخرى مضبوطة معها بدقة متناهية، حسب نظرية النسبية الساعة المسافرة تتأثر بالسرعة وكذلك بتغير شدة المجال الجاذبي، بعد الرحلة تم مقارنة الساعتين فوجد أن الساعة التي سافرت تأخرت عن قرينتها بأجزاء متناهية القصر من الثانية .

تدعمت نظرية النسبية ببعض الإثباتات التجريبية التي أيدت الأفكار التي توصلت إليها حول مفهوم الزمان، لكن يجب التنبيه هنا إلى أن نظرية النسبية تهتم بالزمن بوصفه مقدار متغير من منظومة إلى أخرى، وحسب تغير أوضاع معينة كالسرعة والكتلة، لكن النظرية لا تقدم إجابات عن طبيعة الزمن، وإن كانت قد ربطته بالمادة والتسارع من خلال قوانينها، فهذا لا يعني أن الزمن في جوهره أصبح شيئا بينا، لقد رأى العالم الانجليزي آرثر ادينغتون أن « إشكالية الزمان المثارة أمام العلم يلخصها سؤالان، الأول: ما هي الطبيعة الحقيقية للزمان ؟ ثم ما هي طبيعة تلك الكمية التي وضعت تحت اسم الزمان وأصبحت جزءا أساسيا من بنية الفيزياء ؟النظرية النسبية لا تجيب عن السؤال الأول بصورة مباشرة، لأنها لا تقول أي شيء محدد عن طبيعة الزمان في صلب ذاته، وصميم ماهيته. »[4]، كذلك أشار العالم والفيلسوف الانجليزي جيمس جينز إلى هذه الفكرة فقد رأى أن نظرية النسبية تتناول مقاييس الأشياء لا الأشياء ذاتها،و لهذا السبب لن نعرف من النسبية شيئا عن طبيعة الزمان، حيث أن معادلات النسبية تتكلم عن مقادير للزمان وكمية تغيرها تحت ظروف معينة .

لقد اعتبر برغسون أن الزمان الذي يتعامل به العلم زمن آلي وهو زمان مقاس و هو زمن زائف لأنه لا يجري في الحقيقة فهو زمن متحجر على هيئة مكان باعتباره أنات منفصلة، إن الزمن الحقيقي ينفصل تماما عن المكان ولا علاقة له البتة به، فهذا الزمان لا يمكن أن يدخل في علاقة يتوقف فيها على طرف آخر خاصة إذا كان متموضعا ومتشيئا كالمكان، إذن فالمقادير التي تتكلم عنها نظرية النسبية والتي وضعت تحت اسم الزمان لا تعني الزمان الحقيقي بقدر ما تعني مقادير مرتبطة بالحركة والمكان، وتجدر الإشارة إلى

---

[1] - ألبرت اينشتاين، **النسبية النظرية الخاصة والعامة**، ص196-197

[2] - بول كوديرك، **النسبية**، ترجمة: مصطفى الرقي، (ط1، بيروت : منشورات عويدات، 1971)، ص 100-101.

[3] - ماركوس تشاون، **نظرية الكمية لا يمكن ان تؤذيك**،ترجمة:يعرب قحطان الدوري،(ط1،2008،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت)،ص121

[4] - يمنى طريف الخولي، **الزمان في الفلسفة والعلم**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب.مصر.1999)،ص 139

أن هناك بعض الرؤى المعاصرة من طرف بعض العلماء الكبار تتفق مع رؤية برغسون لطبيعة الزمان في العلم وكيف أنه لا يمكن تمييزه عن المكان، فمثلا نجد عالم الرياضيات الانجليزي روجر بنروز يرى أن العلم يعامل الزمان مثل المكان رغم الاختلاف الموجود بينهما، لقد تكلم بنروز عن فكرة تناظر الزمان والمكان حيث رأى أن تناظر الزمان والمكان يكون مدهشا في المعادلات الفيزيائية التي تتعامل مع زمكان ذو بعدين، حيث أنها تبقى صحيحة حتى عند استبدال المكان بالزمان، بالرغم من ذلك لا أحد يتصور أن المكان يتدفق كالزمان.[1]

أكثر من هذا يتفق بنروز مع برغسون في فكرة أن الوعي هو من يهب للزمان معناه الحقيقي، وبدون الوعي لا معنى للزمان، لقد رأى بنروز أن الزمان لا ندرك اختلافه مع المكان إلا إذا تعلق الأمر بالوعي، أما على الصعيد الفيزيائي المحض فإن« الطريقة التي يعامل بها الزمان في الفيزياء الحديثة فلا تختلف عن الطريقة التي يعامل بها المكان، لأن زمان الوصف الفيزيائي لا يجري في الحقيقة على الإطلاق، وكل ما لدينا هناك هو بالتحديد زمكان ثابت سكوني المظهر تستقر فيه حوادث كوننا»[2]، لقد انتبه برغسون لهذه الفكرة حتى قبل ظهور نظرية النسبية، لقد رأى انه إذا جعلنا الزمن متوقفا على المكان فإننا لن ندرك الزمن الحقيقي وإنما ندرك الزمان المزيف المرتبط بالحركة أو بالمشاهد المتقطعة الساكنة والميتة، فإذا أردنا أن نتكلم عن الزمان ذو التدفق الحقيقي والمليء بالصيرورة فلا مجال لربطه بالمكان، إذ أن الزمن الحقيقي مرتبط بوعينا وبالعالم الداخلي للذات الإنسانية.

كذلك نجد عالم الفيزياء البريطاني بول ديفس يربط الزمان بالوعي، فالوعي هو الذي يجعل للزمان معناه الحي، فالزمان موجود بإدراكنا له أي أن الذات المدركة هي التي نستشعر بها الزمان الحقيقي، يقول ديفيس: « ليس العالم الموضوعي الذي نعيشه سوى الزمكان بكلية أحداثه في جميع الأمكنة والأزمنة كافة، بدون حاضر ولا ماضي ولا مستقبل، انه لا مفر لنا من الاعتراف بأن خصائص الزمن التي نستشعرها في حياتنا العادية ليست موضوعية على الإطلاق، وما كان لها أن توجد لولا وجودنا باعتبارنا مراقبين واعيين، فوجودنا بالذات على أساس أننا أحياء مدركين، هو الذي يهب الزمن الحياة ويضفي عليه الحركة وتيار الزمن سوف يتوقف في عالم خال من الحياة »[3] لقد رأى ديفس أنه إذا اختفى الوعي لاختفى معه تدفق الزمن .

كذلك نجد الفيزيائي الانجليزي ستيفن هوكينغ في حديثه عن سهم الزمن أو اتجاه الزمن يتكلم عن سهم الزمن النفسي فهو الذي يشعرنا أن الزمن يتدفق باتجاه واحد، يقول هوكينغ: « إن قوانين العلم لا تميز بين اتجاهي الزمان أمام ووراء . على أن هناك على الأقل ثلاثة أسهم للزمان تميز بالفعل الماضي من المستقبل. وهي: السهم الديناميكي الحراري، اتجاه الزمن الذي يتزايد فيه الاضطراب، والسهم النفسي، اتجاه الزمن

[1] - روجر بنروز. **العقل والحاسوب وقوانين الفيزياء**،،ترجمة: محمد وائل الأتاسي، بسام المعصراني،(ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،سوريا.1998)،ص518

[2] - المرجع نفسه،ص 518

[3] - بول ديفيز، **العوالم الأخرى**، ترجمة : حاتم النجدي، (ط1، سوريا، دار طلاس للدراسات والنشر، 1994)،ص55

الذي نتذكر فيه الماضي لا المستقبل، والسهم الكوني، اتجاه الزمن الذي يتمدد فيه الكون بدلا من أن ينكمش .»[1]، إن **سهم الزمن النفسي يعكسه شعورنا الدائم بانسياب الزمن باتجاه واحد، و بأن تدفقه يسير دائما في اتجاه المستقبل، فكل الأحداث الماضية لا يمكن استرجاعها بعد وقوعها، ويبقى لنا فقط أن نتذكرها.أما المستقبل فلا يمكن أن نعرفه بالضبط لأنه لم يقع بعد .**

لعل ما يجعل البعض يتفق مع رؤية برغسون هو أنه لا يمكن تجاهُل الطابع الذاتي للزمان، أو أهمية عنصر الوعي بالنسبة للزمان، لأن الزمان الحقيقي الذي يجري هو المرتبط بذواتنا، فالزمان في الأخير هو ما ندركه، ويبدو أن التكرار والتعاقب والتغير الذي يجري في العالم الخارجي يقابله شعور داخلي يوحي باستمرارية الذات وهذا ما يولد لدينا الإحساس والشعور بالبعد الزمني، ولما كان الماضي والحاضر والمستقبل منفصلين في الواقع، فهذا الانفصال لا وجود له في النفس فالآن النفسي ملئ بذكريات الماضي وتطلعات المستقبل، و مثلما يمكن للجسم التنقل في الأبعاد المكانية، فان الوعي يمتلك القدرة على التنقل بين الأزمان المختلفة .

نجد بعض علماء النفس يربطون وجود الزمن بأبعاد سيكولوجية، فقد اعتقد بعض علماء النفس بوجود وحدات سيكولوجية مسؤولة عن إدراكنا للزمان، ولقد ذهب عالم النفس جانيت إلى اعتبار أن الزمان تركيب فكري ذهني intellectual construction [2]،حيث أن حقيقة الزمان مرتبطة بذواتنا وليس بما يجري خارجها، كذلك رأى الفيلسوف الامريكي وليم جيمس أن إحساسنا بالزمن مصدره منبه في الجهاز العصبي حيث يقول: « كل منبه إلى الجهاز العصبي يترك وراءه نشاطا كامنا يضمحل تدريجيا، حينها نستشعر في كل لحظة أن عمليات الدماغ تتداخل فيما بينها وكمية التداخل هذه تكون بالتالي إحساسا بالفترة الزمنية »[3]، لقد رأى جيمس أن الحاضر الحقيقي هو في الواقع لازمني انه فترة لا زمنية durationless تفصل المستقبل عن الماضي، فالحاضر هو المرجعية التي ننتقل خارجها إلى أزمنة أخرى، والحاضر يعتبر تجريدا يشبه النقطة في الرياضيات، وإدراكنا للحاضر هو نقطة حاسمة وأساسية لممارسة أو معايشة الزمن ومعرفته، لقد اعتبر برغسون أن الذاكرة هي من يربط حاضرنا بماضينا، ومعلوم أن الدراسات المعاصرة تثبت أهمية الذاكرة بالنسبة لشعورنا بالزمان، فالذاكرة هي المسؤولة عن خلق الإحساس بالفترة الزمنية، فبفضل الذاكرة يمكن أن ننتقل بوعينا إلى الماضي ومن خلال هذا الانتقال نحس بجريان الزمان كون الماضي كل مرة يبتعد عنا أكثر، فلولا وجود الذاكرة لما نشأ الشعور بالزمن لدينا، لأن الأحاسيس أو الوعي سوف تحدث وتنتهي فورا ولا يبقى شيء، والشعور بالزمن مرتبط ومحدد بخصائص وقدرات الوعي الذاتي والذي يتم تخزينه في الذاكرة.

كان برغسون يرى أن مسألة فهم ماهية الزمان تعتبر تحدي أمام العقل الإنساني وإذا أردنا الاقتراب من الفهم الصحيح للزمان علينا الحديث عن الزمان النفسي الذي نعيشه في ذواتنا، فهذا هو الزمان الحقيقي

---

[1] - ستيفن هوكينغ، **موجز تاريخ الزمن**، ترجمة: أدهم السمان، (ط2، سوريا، دار طلاس للنشر، 1993)،ص133

[2] -عبد اللطيف الصديقي، **الزمان بنيته وأبعاده**، (ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت .1995)،ص 32

[3] -نقلا عن المرجع نفسه،ص33

الذي يتدفق باستمرار والذي يتميز بالتجديد والإبداع، أما الزمان الذي يتكلم عنه العلم فهو زمان زائف لأنه لا يجري ولا يتدفق بل إن تتابع الأحداث هو ما يوهمنا بذلك، إنه تكرار وتعاقب للحوادث نعبر عنه بمقادير كمية ونضعها تحت اسم زمان، إن الزمان في المعادلات الفيزيائية لا يجري بل وحتى أكثر من ذلك يمكن أن نقلب قيمه عكس اتجاه الزمان، إن الوعي هو من يهب الزمان معناه الحقيقي حيث يكون للحاضر المتجدد باستمرار نوافذ نتذكر منها الماضي ونتطلع عبرها للمستقبل، فنعايش تيار الزمان المتدفق .

التعرّف على أساليب معالجة المعلومات لدى طلبة جامعة عمار ثليجي بالأغواط

أ. العيدي عائشة-د.بوفاتح محمد
قسم علم النفس وعلوم التربية
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

ملخص الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية للتعرف على أساليب معالجة المعلومات لدى طلبة جامعة عمار ثليجي بالأغواط، وقد بلغت عينة الدراسة 116 طالبا وطالبة تم اختيارهم بطريقة عشوائية. حيث تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، واستخدام الأساليب الإحصائية المتمثلة في التكرارات والنسب المؤوية واختبار"ت". وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن عينة الدراسة تتميز بمستوى متوسط في أساليب معالجة المعلومات، وإلى وجود فروق بين الطلبة والطالبات في أساليب معالجة المعلومات، ووجود فروق بين طلبة التخصصات العلمية وطلبة التخصصات الإنسانية في أساليب معالجة المعلومات، مع وجود فروق بين الطلاب الداخليين والطلاب الخارجيين في أساليب معالجة المعلومات، وكذا وجود فروق بين طلبة الليسانس وطلبة الماستر في أساليب معالجة المعلومات.

Study Summary:

The current study aims to identify the methods of information processing among the students of Ammar Thaliji University in Laghouat. The sample of the study was 116 students who were randomly selected. The analytical descriptive approach was adopted, and the statistical methods used in the frequencies and percentages were used. The results of the study showed that the sample of the study is characterized by an average level of information processing methods, differences between students in information processing methods, differences between students of scientific disciplines and students of humanities in the methods of processing information, with differences between internal students and external students Methods of processing information, as well as the existence of differences between students and masters students in information processing methods.

المقدمة:

لم يشهد أي عصر من العصور السابقة التقدم التكنولوجي الذي شهده هذا العصر، والذي تمثل في الثورة الهائلة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، والتي بدورها أثرت على النظام التعليمي إذ بدأ يأخذ صيغًا جديدة في مؤسساته ومضامينه ومجالاته ووسائله. ونتيجة لذلك ينبغي على مؤسسات التعليم عامة والتعليم العالي خاصة أن تستجيب للتطورات الكبيرة والمتسارعة الحاصلة في العالم اليوم نتيجة الثورة العلمية والتكنولوجية الهائلة وما أوجدته من أجهزة ومعدات وأفكار، وبخاصة مواكبة التحولات المعاصرة في دراسات وبحوث علم النفس المعرفي وما تمخض عنه من تطورات، وبصورة أكثر دقة ظهور اتجاه معالجة المعلومات وما قد يحدثه من تقدم في المحتوى المعرفي بشكل وظيفي، والذي أوجب الاهتمام بما يحدث

داخل أدمغة الطلاب في أثناء استقبال المعلومات المعرفية، وفي تنظيمها وجدولتها ومذاكرتها، والنظر في كيفية التكامل بين قدراتهم العقلية وحل مختلف المشاكل التي تواجههم في حياتهم اليومية.

ومما لا شك فيه أن جميع طلبة الجامعة وباختلاف أجناسهم وتخصصاتهم وكذا مستوياتهم الدراسية، يحتاجون إلى معالجة فاعلة وجيدة لمعلوماتهم في جميع المقررات الدراسية. لذا ارتأينا أن نتعرف على أساليب معالجة المعلومات لدى الطالب الجامعي، وذلك من خلال البحث عن الفروق في أساليب معالجة المعلومات بين الجنسين والفروق بين التخصصات العلمية والتخصصات الإنسانية وكذا الفروق بين مستوى الدراسة والفروق بين الطلبة الداخليين والطلبة الخارجيين بحسب مقياس أساليب معالجة المعلومات. وقد احتوت دراستنا على جانبين: الأول نظري، والثاني تطبيقي، واشتمل الجانب النظري على فصلين. الفصل الأول قمنا فيه بطرح الإشكالية واعتباراتها.

أما الفصل الثاني فاحتوى على ماهية أسلوب معالجة المعلومات، من خلال إلقاء الضوء على التناولات النظرية الخاصة بهذا الأسلوب الأخير في حدود ما توفر لنا من أدب سيكولوجي، والتطرق للنماذج الداعمة لدراسة هذا الأسلوب، بما يفيد دراستنا الحالية.

كما خصصنا الجانب الثاني إلى الجانب التطبيقي وقسم إلى فصلين (الفصل الثالث والرابع)، ففي الفصل الثالث تكلمنا عن إجراءات الدراسة المنهجية، وخصص الفصل الرابع لعرض وتحليل وتفسير النتائج مع مناقشتها، وختمت الدراسة باستنتاج عام ثم تبعت بقائمة من المراجع.

الجانب النظري:

الفصل الأول: مشكلة الدراسة واعتباراتها

يعتبر اتجاه تجهيز المعلومات أحد المداخل المعرفية للتعلم الذي يساعد الطلاب على عمليات استقبال المعلومات وتشفيرها وتخزينها أي معالجتها عن طريق التصنيف واشتقاق العلاقات مع المعلومات المماثلة في البناء المعرفي، وعليه فإن قيام الطالب بمثل هذه العمليات من شأنه أن يعطي صفة الوظيفية لتلك المعلومات وبالتالي يستخدمها في حل المواقف التي تواجهه.

ومن الأهداف المهمة للتعليم الجامعي، إحداث تغيير نوعي في اكتساب الطالب المعلومات وكيفية معالجتها إضافة إلى التغيير الكمي فيها، ويتمثل هذا التغيير النوعي في تنوع المعلومات والتعمق في تجهيزها وذلك من خلال اكتساب طرق وأساليب معالجة المعلومات صحيحة وجديدة، بينما يتمثل التغيير الكمي في تزويد الطالب بأكبر قدر ممكن من المعلومات المختلفة عن التخصص الذي يدرسه، والتخصصات ذات العلاقة به.

ولعلنا نلتمس في وقتنا الحالي التغيرات التي تجري على المقررات الدراسة والأنظمة الجامعية المتحولة بين النظام التقليدي ونظام (LMD)، والتي تجعل الطلبة بحاجة إلى إعادة تنظيم خبراتهم المعرفية وإعادة معالجة المعلومات بما يناسب هذه التغيرات. ولما كان نقد المقررات والأنظمة السابقة الذكر ومحاولة تتبع

نواحي النقص فيها هو سمة من سمات المجتمعات المتقدمة، فقد استجبنا لهذا التوجه لدراسة أساليب معالجة المعلومات لدى طلبة الجامعة.

ويعتبر موضوع معالجة المعلومات بمفاهيمه المعقدة والمختلفة الأبعاد من المواضيع الحديثة التناول في الدراسات والأبحاث النفسية والتربوية، والمتفحص للتراث السيكولوجي يجد ندرة في الطرح النظري لهذا الموضوع، وندرة أكثر في الدراسات التطبيقية.

فقد تناولت بعض الدراسات أساليب معالجة المعلومات والأساليب المعرفية بشكل عام بعضها درسها مع بعض المتغيرات مثل الاستذكار والعادات الدراسية والأسلوب المعرفي (اعتمادي، استقلالي) والتحصيل الدراسي، وبعضها الأخر درسها مع متغيرات مثل التخصص والجنس، ومن بين الدراسات التي تحصلنا عليها والتي سوف يتم عرضها وفقا للتسلسل الزمني لها كالتالي:

فقد كشفت دراسة شمك و كرولف (Schmeck et Grove، 1979) عن العلاقة بين أساليب التعلم والأداء الأكاديمي، وشملت عينة الدراسة (790) طالبا وطالبة من طلبة الجامعة ومن الصفوف الدراسة كافة باختصاصاتها المختلفة، وقد شمل قياسهم للأداء على درجات المعدل بالكلية، وأشارت النتائج إلى أن الطلبة الذين لديهم معدلات درجات عالية يميلون إلى الحصول على درجات عالية في المعالجة العميقة ومقياس الاحتفاظ بالحقائق العلمية، ومقياس المعالجة المفصلة، ولهذا فهم يعالجون المعلومات، ويقومون بترميزها على نحو موسع في الوقت الذي يحتفظون في أذهانهم بتفصيلات معينة لها، وقد أشار التحليل إلى أن حفظ الحقائق والمعالجة المفصلة والموسعة وعمق المعالجة له تأثيرات مباشرة في معدلات الطلبة. وأن أسلوب الدراسة المنهجية لم يؤثر في التحصيل الدراسي العالي بالقدر الذي أثرت فيه كل من المعالجة العميقة، والمعالجة الواسعة مما يدل على أن اندماج الطالب في روتين الدراسة المتواصلة، والمنظمة لا يعني بالضرورة أنه سيتعامل مع المعلومات على نحو فعال إذ تنقصه المهارات الضرورية للمعالجة العميقة و الواسعة للمواد الدراسية. وقد أكدت هده الدراسة جانبا مهما من معالجة المعلومات، و هو قدرته التنبؤية بالتحصيل الدراسي.

ودرس ليهمان (1989) أثر عملية معالجة المعلومات الموظفة في المواقف التي عرضت على الطلبة من ذوي الذكاء العالي ممن يتصفون بدرجات انجاز تحصيلي متدن، وتكونت عينة الدراسة من (60) طالبا ممن كانت درجة انجاز التحصيل لديهم متدنية، وكانت نسبة ذكائهم تزيد على (120) و درجة الذكاء (74) طالبا من ذوي نسبة الذكاء العالي ممن اتصفوا بدرجات عالية من الانجاز التحصيلي. وأشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دالة إحصائية في أسلوب حل المشكلة بين أداء الطلبة ذوي الذكاء المرتفع، والطلبة ذوي الذكاء المتدني وأداء الطلبة مرتفعي نسبة الذكاء وممن يتصفون بدرجة انجاز عالية، وأظهرت النتائج تباينا ذا دلالة في مستوى الحلول التي تتطلب قدرات عقلية ودافعية انجاز علمية مرتفعة لصالح الطلبة المتفوقين.

كما أن الطلبة من ذوي معالجة المعلومات المرتفعة كانت لديهم قدرة عالية على حل المشكلات وكيفية معالجة المواقف.

و أما دراسة حزام وعيسان (1994) فقد استهدفت معرفة الاستراتيجيات التعليمية التي يوظفها الطلبة الجامعيون في دراستهم في ضوء متغيرات الجنس وتخصص والاندماج في الدراسة الجامعية. و لتحقيق ذلك تألفت عينة الدراسة من (234) طالبا منهم (67) من الذكور، (167) من الإناث و (51) من التخصصات العلمية و (183) من التخصصات الأدبية، (103) من الطلاب الجدد (الفصل الدراسي الأول) و (131) من الطلاب الذين على وشك التخرج (الفصل الدراسي السابع). وتم بناء استبانة لقياس استراتجيات التعليم تتضمن (6) فئات الاستراتيجيات المعرفية (التسميع والتوضيح والتنظيم سواء لمهام تعلم أساسية أو مركبة)، وفئة الاستراتيجيات ما وراء المعرفية (التحكم في الاستيعاب)، و فئة الاستراتيجيات الوجدانية (خلق مناخ وجداني مناسب).

وأشارت النتائج إلي وجود اختلاف بين الذكور والإناث ولصالح الإناث في استراتيجيات التعلم بين التخصصات الدراسية الأدبية والعلمية أكبر من نواحي الاختلاف بينهما، وأن أوجه التشابه مساوية لأوجه الاختلاف بين الطلبة الجدد والطلبة على وشك التخرج في استراتيجيات التعلم.

كما بحثت دراسة السامرائي (1994) إيجاد العلاقة بين أساليب المعالجة المعرفية للمعلومات والعادات الدراسية لدى طلبة الصف السادس الإعدادي (التوجيهي)،كما استهدفت معرفة هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في المعالجة المعرفية للمعلومات وفقا لمتغيري الجنس والتخصص الدراسي؟ و تكونت عينة الدراسة من (432) طالبا وطالبة من طلبة الصف السادس للفرعين العلمي والأدبي. ولغرض تحقيق أهداف البحث استعمل الباحث قائمة أساليب التعلم ومعالجة المعلومات (لشمك) لقياس أساليب معالجة المعلومات، ثم قام الباحث ببناء مقياس للعادات الدراسية لطلبة المرحلة الإعدادية. و أشارت النتائج لي وجود علاقة ارتباطيه موجبة ودالة بين أساليب معالجة المعرفية والعادات الدراسية في العينات التخصصية ذكورا وإناثا. وأشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أساليب المعالجة وبين الذكور في فرع (علمي-أدبي) مقابل الإناث في فرعي الدراسة (علمي-أدبي)، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أساليب المعالجة بين الطلبة في فرع الدراسة علمي مقابل الطلبة في التخصص الأدبي ولصالح التخصص العلمي.

و قام حمادي (1997) بدراسة استهدفت التعرف على مستوى أساليب معالجة المعلومات عند كل من الطلبة المستقلين عن المجال والمعتمدين على المجال، وهل هناك فروق بين الطلبة المستقلين عن المجال، والمعتمدين عليه تبعا لمتغير الجنس والتخصص والأسلوب المعرفي (الاستقلال/الاعتماد على المجال)؟ وطبقت الدراسة على (320) طالبا وطالبة من صفوف الخامس العلمي والأدبي في المرحلة الإعدادية في محافظة بغداد في العراق، ولتحقيق أهداف البحث تم اعتماد قائمة شمك لمعالجة المعلومات، واختبار الأشكال المتضمنة لـ (وتكن- وأولتما) (witkin et oltman) لتصنيف أفراد العينة على أساس صفة الاستقلال-الاعتماد على المجال وتوصلت الدراسة إلى أن قيمة (ت) المحسوبة فيما يخص الطلبة المستقلين عن المجال كانت ذات الدلالة الإحصائية فيما يخص جميع أساليب المعالجة للمعلومات وأن قيمة (ت) المحسوبة فيما

يخص الطلبة المعتمدين على المجال كانت ذات دلالة إحصائية فيما يخص أسلوب المعالجة المفصلة والموسعة، في حين لم تكن ذات دلالة إحصائية فيما يخص الأساليب الثلاثة، ووجود فروق ذوات دلالة إحصائية بين الطلبة المستقلين عن المجال والمعتمدين عليه في ثلاثة أساليب للمعالجة في حين لم تكن الفروق ذات دلالة إحصائية في أسلوب الدراسة المنهجي. وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية للطلبة المستقلين عن المجال في أساليب المعالجة الأربع ودلك تبعا لمتغيري الجنس والتخصص. ووجود فروق ذات دلالة إحصائية لدى الطلبة المعتمدين على المجال ولصالح طلبة التخصص الأدبي في ثلاثة أساليب للمعالجة، في حين لم يكن الفرق دالا إحصائيا في أسلوب الدراسة المنهجية لم تظهر فروق ذوات دلالة إحصائية تبعا لمتغير الجنس ولم يكن هناك تفاعل بين متغيري الجنس والتخصص.

أما دراسة "ريدينج وريتشارد" (Riding et Richard،1997) فقد استهدفت إيجاد العلاقة بين الأساليب المعرفية والمهارات المعرفية على أداء الطلبة في بعض المواد الدراسية، وتكونت عينة الدراسة من (205) طالب وطالبة منهم (99) طالبة و (106) طالب، واستخدم الباحث اختبار المهارة المعرفي الكندي كما حصل على (9) درجات للطلاب في اللغة الفرنسية و الإنجليزية والرياضيات والجغرافية والعلوم، كما تعرض الطلبة إلى اختبار الأساليب المعرفية بأبعاده المختلفة وأشارت النتائج إلى عدم وجود علاقة بين الأسلوب المعرفي واختبار الذكاء المعرفي، حيث وجد أن قيمة معامل الارتباط تؤول إلى الصفر مما يعني استقلالهما عن بعضهما، كما أشارت النتائج إلى وجود تفاعل بين الجنس والأداء في المواد الدراسية، حيث تفوقت الطالبات على الطلاب في جميع المواد ولاسيما اللغة الفرنسية والانجليزية، كما لوحظ تفاعل بين المهارات والأسلوب المعرفي في تأثيره في الأداء في المواد الدراسية .

وأجرى "واجنر" وآخرون (Wagner، 1998) دراسة هدفت إلى الكشف عن أثر أنماط المعرفية (الاندفاع- التأمل، والاعتماد –الاستقلال) في التكرار في تغيير الإجابة. وتكونت عينة الدراسة من (41) من طلاب الصف الخامس، واستخدمت الدراسة اختبار (MFFT) لقياس نمط الاندفاع والتأمل، واختبار (EFT) لقياس نمط الاعتماد والاستقلال، كما تم تطبيق اختبار صفي بطريقة الاختيار من متعدد لقياس التكرار في تغيير الاستجابة. وأظهرت النتائج تكرارا في تغيير الإجابات عند الاندفاعيين بشكل دال أكثر من التأمليين، وهذه النتيجة تدل على عدم ثقة الاندفاعيين بإجاباتهم نتيجة للتسرع في معالجة المعلومات، في حين لم توجد فروق دالة بين الاعتماديين والاستقلاليين في تغيير الإجابات.

كما استهدفت دراسة "تيسي" (Tsai , Chin- Chung , 2001) في تايوان فحص التراكيب المعرفية، وفهم كيفية قيام الطلبة بتنظيم معرفتهم التي تم اكتسابها حديثا وكذلك استراتيجيات معالجة المعلومات التي ظهرت في تراكيب معرفتهم وتعرف العوامل التي يمكن أن تكون مرتبطة بالطريقة وعمليات معالجة المعلومات التي بواسطتها يقوم الطلبة بتنظيم معرفتهم وعلاقتها بالتحصيل العلمي، وقد تم اختيار (48) طالبا وطالبة لهده الدراسة بواقع (18) طالبة و(30) طالبا متوسط أعمارهم (14سنة)، وبطريقة عشوائية.

وأشارت نتائج الدراسة إلى أنه عندما يزداد تعقيد المحتوى فان الطلبة يكون لهم ميل للتعبير على نحو أقل عن أفكارهم على المستوى ذي الترتيب العالي، لأن هؤلاء الطلبة الذين معدلهم الأكاديمي أعلى على نحو عام يميلون إلى استعمال وسائل ذات ترتيب متدن نسبيا لتنظيم المعرفة، والاستدلال المعرفي عند تذكر المعلومات العلمية،كلما ازداد تعقيد مستوى المحتوى صرف الطلبة على نحو عام وقتا أكثر في المادة وفي بناء أفكارهم ويحتاجون وقتا أكثر لإعادة بناء فكرة معينة في وسيلة الاستنتاج الشرطي أكثر مما يحتاجون في وسيلة التفسير وأن التحصيل العلمي للطلبة مرتبط ايجابيا وذا دلالة إحصائية مع استعمالات الطلبة للحالات المخصصة والتعميمات على مستوى المحتوى واستعمالهم للتعريف والموازنة والتفسير على مستوى المنطق أي أنه يؤدي أثرا مهما في كثير من المتغيرات لتحليل المحتوى. وأن الطلبة الذين كان انجازهم مرتفعا كان لديهم ميل لتذكر معلومات أكثر، وكذلك كان لديهم ميل للتعبير عن الكثير من أفكارهم في استراتيجيات معالجة المعلومات أكثر مما يقوم بذلك الطلبة ذوو الانجاز المنخفض نسبيا.

أما دراسة "غنيم" (2002) فقد استهدفت إبراز الاستراتيجيات التي يوظفها الطلبة و تعكس مستوى أداء الطلبة ذوي الأسلوب المعرفي التروي- الاندفاع في مجال مهارات حل المشكلات بمرحلتيها: العرض واستراتيجيات الحل. وقد اشتملت عينة الدراسة (66) طالبا (34) طالبا من ذوي الأسلوب المعرفي الاندفاع و(32) طالبا من ذوي الأسلوب المعرفي التروي. وأظهرت النتائج أن متوسطات مستوى الدقة والوقت اللازم لحل المشكلة للطلبة من ذوي الأسلوب المعرفي الاندفاع أعلى من متوسطات الطلبة من ذوي الأسلوب المعرفي التروي، وكانت الفروق في ما بينهما ذات دلالة إحصائية.

أما دراسة "جوزيف وفر انس" (2002) التي اهتمت بدراسة تأثير إستراتيجية التسميع اللفظية المتعددة في التذكر المباشر و الآني لموضوعات التعليم المتخلفة، فقد هدفت إلي استقصاء ثلاثة أنواع مختلفة من إستراتيجية التسمع اللفظية في تسهيل إنجاز الطلبة في موضوعات التعليم المختلفة في اختبار التذكر الفوري و المؤجل، وقد تم تطبيقه على (248) طالبا تم اختيارهم عشوائيا في ضمن أربع معالجات، وقد تفاعلت المجموعات الأربع مع معالجات التعلم المختلفة، وأكملوا معايير القياس. وقد تم تطبيق اختبار التذكر المؤجل بعد مدة أسبوعين، وقد تم تحليل التباين المتعدد لقياس تأثير المتغيرات المستقلة في المجموعات الأربع، وقد أشارت الدراسة إلى أن الوقت للمهمة و أنواع التسميع اللفظي التي استخدمت في هذه الدراسة لن تؤثر في إنجاز الطلبة في الموضوعات التعلم المختلفة.

أما دراسة "تينا" وآخرون (2003) فقد أوضحت أن الباحثين السابقين فحصوا تأثير إستراتيجية التفصيل لتعلم معلومات جديدة وكيف يؤثر ذلك في عملية التعلم، وقد هدفت إلي دراسة تأثير البناء المقدم مثل: (تنظيم المعلومات) في تأثيره في إستراتجية التفصيل، وقد أظهرت النتائج أن الطلبة الذين يقدمون طريقة التنظيم لا يقدمون البناءات السابقة في البحث، و هذه النتائج تقدم أن الطلبة ربما يمتلكون محددات في قدراتهم لمعالجة المعلومات بشكل مميز، وقد خلصت الدراسة إلى أن الطلبة الذين

يقومون بإعادة البناء- كما هو الحال في ترميز المعلومات، فإن هذه المهمات المطلوبة تزودهم بفوائد إضافية للتعلم.

أما دراسة "محمد أحمد الرفوع" 2008، التي هدفت إلى تعرف الفروق بين متوسطات درجات طلبة الصف الثاني الثانوي الأكاديمي (علمي-أدبي) بالأردن على مقياس أساليب معالجة المعلومات بحسب الجنس و التخصص الدراسي (علمي أدبي) و التفاعل بينهما. تكونت عينة الدراسة من (242) طالبا و طالبة منهم (102) طالب، و(140) طالبة توزعوا على فرعي الدراسة، (68) في التخصص العلمي، و (174) في التخصص الأدبي.

قام الباحث بتعديل اختبار أساليب معالجة المعلومات وتم التأكد من صدقه وثباته. ولاختبار فرضيات الدراسة استخدم تحليل التباين الثنائي (Tow-Way ANOVA) عند مستوى دلالة (0.05)، وقد كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الذكور و بين متوسطات درجات الإناث، وأن التخصص العلمي يتفوق على التخصص الأدبي في أساليب معالجة المعلومات. (محمد أحمد الرفوع، 2008، ص ص، 195- 217).

من العرض السابق للدراسات تتضح ندرة الدراسات التي بحثت في معالجة المعلومات في حين وجد عدد غير قليل من الدراسات التي تناولت الأساليب المعرفية باختلاف أنواعها (مندفع- مترو) (مستقل – معتمد). كما أن نتائج الدراسات السابقة فيما يخص متغيري الجنس والتخصص الدراسي مختلفة، فهناك دراسات كان الإختلاف فيها لصالح الإناث وبعضها لا يوجد اختلاف فيما يخص معالجة المعلومات مثل دراسة (حمادى، 1997).

1- تساؤلات الدراسة:

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نلخص مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية:

- ما مستوى أساليب معالجة المعلومات لدى طلبة الجامعة ؟
- هل توجد فروق بين الطلبة والطالبات في أساليب معالجة المعلومات ؟
- هل توجد فروق بين طلبة التخصصات العلمية وطالبة التخصصات الإنسانية في أساليب معالجة المعلومات؟
- هل توجد فروق بين الطلبة الداخليين والطلبة الخارجيين في أساليب معالجة المعلومات؟
- هل توجد فروق بين طلبة الليسانس وبين طلبة الماستر في أساليب معالجة المعلومات؟

2- فرضيات الدراسة:

- نتوقع أن يكون مستوى أساليب معالجة المعلومات لدى طلبة الجامعة عاليا.
- لا توجد فروق بين الطلبة والطالبات في أساليب معالجة المعلومات.
- لا توجد فروق بين طلبة التخصصات العلمية وطلبة التخصصات الإنسانية في أساليب معالجة المعلومات.

- لا توجد فروق بين الطلبة الداخليين والطلبة الخارجيين في أساليب معالجة المعلومات.
- لا توجد فروق بين طلبة الليسانس وبين طلبة الماستر في أساليب معالجة المعلومات.

3- أهمية الدراسة:

تبدو أهمية هذه المشكلة في أنها استجابة للتحولات المعرفية المعاصرة التي تتجه إلى الاهتمام بالأساليب التي يعالج بها المتعلم المادة المتعلمة بمعرفته وقدرته على ذلك، باعتبار أن لهذه الأساليب عدة دراسات اختلفت فيما بينها حول هذه الأساليب، وذلك لتمثيل أسلوب أو نموذج محدد يعتمده المتعلم وبصفة خاصة الطالب الجامعي أثناء معالجة المعلومات المتعلمة، وهو اتجاه استقطب اهتمام كثير من الباحثين في الدراسات والبحوث الأجنبية في إطار نظرية معالجة المعلومات.

و تبرز أهمية هذه المشكلة في:

- محاولة إلقاء الضوء على كيفية ترميز وتمثيل المعلومات واختزانها واستعادتها، استجابة للتحول المعاصر نحو الاهتمام بإستراتيجية معالجة المعلومات من قبل الطالب.

- إفادة كلا من المعلم والمتعلم بإبراز العوامل التي تؤدي إلى تيسير عمليتي الحفظ والتذكر وزيادة التحصيل، ومن ثم ديمومة التعلم في ضوء نوعية لا كمية المعالجة عن طريق المستوى المطلوب في الممارسة لما تعلمه الطالب والذي يسهم في رقي مستقبله العملي.

كما تمثل هذه الدراسة أهمية خاصة للقارئ العربي على اعتبار أن نظرية معالجة المعلومات تعتبر جديدة، فضلا عن عدم اهتمام الدراسات و البحوث العربية بهذا الجانب.

4- أهداف الدراسة:

تهدف الدارسة الحالية إلى:

- الكشف عن المستوى العالي لمعالجة المعلومات لدى طلبة الجامعة.
- الكشف عن فروق بين الطلبة والطالبات في أساليب معالجة المعلومات.
- الكشف عن الفروق بين طلبة التخصصات العلمية وطلبة التخصصات الإنسانية على مقياس أساليب معالجة المعلومات.
- الكشف عن الفروق بين الطلبة الداخليين وبين الطلبة الخارجيين على مقياس أساليب معالجة المعلومات.
- الكشف عن الفروق بين طلبة الليسانس وبين طلبة الماستر في أساليب معالجة المعلومات.

5- **التعاريف الإجرائية لمتغيرات الدراسة:**

معالجة المعلومات: هي مجموعة الخطوات أو العمليات أو الإجراءات التي تحدث منذ لحظة تعرض الفرد للمثير حتى ظهور الاستجابة، ونستدل عليها بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس معالجة المعلومات المستخدم لأغراض البحث الحالي.

الفصل الثاني: معالجة المعلومات.

1- تعريف معالجة المعلومات:

يعرفها" شمك" (1983) بأنها عملية معالجة المعلومات داخل الدماغ وإن طرائق المعالجة تتضمن العمق الذي تعالج به هذه المعلومات وهي تمتد بين السطحية والعمق (محمد احمد الرفوع،2008 ،ص 200)

2- أهمية نظام معالجة المعلومات:

تبنى علماء النفس المعرفي مفهوم معالجة المعلومات،لأنه ذو فائدة كبيرة في تحليل العمليات العقلية المعقدة عند مستوياتها العليا، ولتوضيح الأنشطة العقلية خارج نطاق المهام العملية البسيطة، ووضعوا نظريات ذات قدر كبير من العمومية والصدق .

وتكمن أهمية اتجاه تجهيز المعلومات في فهم النشاط المعرفي في أنه ينظر إلى العمليات العقلية ومنها عمليات الانتباه، والإدراك والذاكرة والتفكير على أنها متصل من النشاط المعرفي الذي يمارسه الأفراد في مواقف الحياة المختلفة. (أنور الشرقاوي،محمد مصطفى الديب، 2003، ص558)

3- نظرية معالجة المعلومات:

تهتم هذه النظرية بدراسة الذاكرة البشرية من خلال محاولات تفسير نسيان الارتباطات المتعلمة بين المثيرات والاستجابات وتوفر بشبه إجماع بين الباحثين على أن نسيان الارتباطات يعود إلى أثار التدخل بين الارتباطات التي يتم تعلمها في أوقات مختلفة وقد أيدت العديد من التجارب صدق هذا التفسير كما تؤيده خبرات الحياة اليومية فقد ينسى الفرد رقم الهاتف لتداخله مع أرقام هواتف أخرى.

وتعنى نظرية معالجة المعلومات في بحث وتوضيح الخطوات التي يسلكها الأفراد في جمع المعلومات وتنظيمها وتذكرها. ولا تأبه هذه النظرية كثيراً بالمبادئ العامة للتطور المعرفي كتلك التي اقترحها" بياجيه" مقارنة باهتمامها بالخطوات أو النشطات العقلية المعنية التي تحدث وتعاد الحدوث باستمرار أثناء التفكير (إبراهيم قشقوش،1985، ص 29). ومن رواد هذه النظرية الذين ساعدت مساهمات في تطورها من خلال دراساتهم وأبحاثهم كل من" اتكسون "وشيفرن" (1971)، وأيضا كل من" بجورك "(1975) "وبور" (1975) "وكريك" "وجاكوبي"(1975) "وكريك" "ليفي" (1976)"وهنت" (1971) "وشيفرن" (1975،1976) "أندرسون" (1990)" وبادلي" (1982) وغيرهم. (رافع النصير الزغول،2003،ص 50).

4- الافتراضات الرئيسية لنظرية معالجة المعلومات:

ينظر نموذج معالجة المعلومات إلى الإنسان بأنه نظام معقد وفريد في عمليات معالجة المعلومات أدى إلى دراسته من حيث عمليات الإدراك والتعلم والذاكرة وفق هذا النموذج هناك مجموعة من الافتراضات :

- إن الإنسان كائن نشط وفعال أثناء عملية التعلم فهو يسعى إلى البحث عن المعلومات ويعمل على معالجتها واستخلاص المناسب منها بعد إجراء العديد من المعالجات المعرفية.
- التأكيد على العمليات المعرفية أكثر من الاستجابة بحد ذاتها .والاستجابة تعتبر نتاج لسلسلة العمليات والمعالجات المعرفية تتم عبر مراحل متسلسلة من المعالجة.

- تشتمل العمليات المعرفية على عدد من عمليات التحويل للمثيرات أو المعلومات والتي تتم وفق مراحل متسلسلة في كل منها يتم تحويل هذه المعلومات من شكل إلى أخر من أجل تحقيق هدف معين.
- تتألف العمليات المعرفية العليا مثل (المحاكمة العقلية _فهم وإنتاج اللغة_حل المشكلات) من عدد من العمليات المعرفية الفرعية البسيطة.
- يمتاز نظام معالجة المعلومات لدى الإنسان بسعته المحدودة على معالجة وتخزين المعلومات خلال مراحل المعالجة.
- تعتمد عمليات المعالجة التي تحدث على المعلومات عبر المراحل المتعددة على طبيعة وخصائص أنظمة الذاكرة الثلاث (الذاكرة الحسية_الذاكرة قصيرة المدى _الذاكرة طويلة المدى) مما مضى نفهم إن فهم السلوك الإنساني وكيفية حدوثه يتطلب تحديد طبيعة العمليات التي تحدث على المعلومات والمثيرات أثناء مراحل معالجتها (رافع النصير الزغول،2003، ص ص 49.48).

5- مكونات نظام معالجة المعلومات :

إن نظام معالجة المعلومات "يتألف لدى الإنسان من ثلاثة مكونات (أنظمة) رئيسية تتمثل في الذاكرة الحسية أو ما يسمى بالمسجلات الحسية ، والذاكرة قصيرة المدى أو الذاكرة العاملة ، والذاكرة طويلة المدى وهذه الأنظمة مشابهة إلى درجة ما لأنظمة معالجة المعلومات في الحاسوب الالكتروني .

وبالإضافة إلى هذه المكونات الثلاث، فإن هناك عددا من عمليات التحكم المماثلة للبرامج الموجودة في الحاسوب والتي تعمل على انسياب المعلومات ومعالجتها داخل النظام". (نفس المرجع السابق، ص 50)

6- النماذج النظرية لمعالجة المعلومات :

وضع أصحاب نظرية معالجة المعلومات أكثر من نموذج لتمثيل ما يفترضون أنه يجري في دماغ الإنسان أثناء تفاعله مع مثيرات العالم الخارجي، لمساعدة الأفراد على فهم المعرفة الإنسانية وكيفية اكتساب المعلومات، وكيفية ترميزها وتخزينها واسترجاعها، وكيفية توظيفها في عمليات التفكير وحل المشكلات. فهناك عدة تصنيفات لنماذج معالجة المعلومات تعكس الاتجاهات المختلفة في تمثيل هذها ما بين:

* الاتجاهات التي تستند على نماذج الذاكرة:

- نماذج الذاكرة المنفصلة: مثل نموذج أتكسون –شيفرن and Shfrin Model Atkinson، ونموذج تولفنج Model Tulving.

-نماذج الذاكرة المتصلة: مثل مدخل مستويات تجهيز ومعالجة المعلومات ومدخل نموذج العمليات الموزعة الموازية.

* الاتجاهات الحديثة التي تصنف معالجة المعلومات على أساس سعة النظام المعرفي:

- إستراتجية المعالجة المتسلسلة Processing Strategy Serial.

- إستراتيجية المعالجة المتوازية Processing Strategy Parallel.

7- الفروق الفردية في معالجة المعلومات :

وفي هذا الجانب سنستشهد على وجود فروق فردية في معالجة المعلومات بالنظريات التالية :

- نظرية سنو Theory Show's.
- نظرية ستيرنبرغ في الفروق Theory In The Differences Strnbereg's.

الجانب التطبيقي:

الفصل الثالث: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية.

1- **منهج الدراسة:** يعتبر المنهج من الركائز الأساسية للبحث العلمي وبناءا على أهداف البحث المتمثلة في معرفة أساليب معالجة المعلومات. فقد اعتمدنا عن المنهج الوصفي التحليلي الذي يناسب دراستنا، فهو يصف الظاهرة وصفا دقيقا كما هي في الواقع، وهذا بهدف الوصول إلى التوضيحات والاستنتاجات من خلال التفسير بأسلوب علمي يساعد على فهم الدراسة المقصودة في هذا البحث من خلال عرض النتائج المحصل عليها في الدراسة الميدانية وتحليلها.

2- حدود الدراسة:

- **الحدود المكانية**: تم إجراء هذا البحث بجامعة عمار ثليجي بمدينة الأغواط.
- **الحدود الزمنية**: أجريت هذه الدراسة تطبيقيا في شهر أكتوبر 2017.
- **الحدود البشرية:** يقدر عدد أفراد الدراسة بـ (116) طالب وطالبة جامعية من جامعة عمار ثليجي.
- **الحدود الأدائية**: تم استخدام مقياس أساليب معالجة المعلومات من إعداد " شمك ".

3- وصف أدوات القياس:

إن طبيعة موضوع بحثنا المتعلق بأساليب معالجة المعلومات عند الطالب الجامعي تتطلب منا استخدام مقياس أساليب معالجة المعلومات (لشمك). والذي أعاد تكييفه "محمد أحمد الرفوع" على البيئة العربية "الأردنية".

4- عينة الدراسة:

تتكون عينة الدراسة من (116) طالبا وطالبة جامعية بجامعة عمار ثليجي بالأغواط، ويتوزعون على (53) طالبا و(63) طالبة، تم اختيارهم بطريقة عشوائية طبقية وأن يكونوا (علمي،أدبي) (داخلي، خارجي) (ليسانس، ماستر).

5- الأساليب الإحصائية:

- لحساب معامل الثبات قمنا بتطبيق معادلة "برسون".
- ولتصحيح نتيجة برسون في حساب معامل الثبات طبقنا معادلة جوتمان.
- لتحليل الفرضية الأولى تم استخدام التكرارات والنسب المؤوية.
- لتحليل الفرضيات الثانية، الثالثة، الرابعة، والخامسة استعملنا "ت".

الفصل الرابع: عرض وتحليل ومناقشة وتفسير النتائج:

1 – عرض وتحليل ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الأولى:

جدول رقم: (01) يمثل نتائج الفرضية الأولى

يمثل التكرارات والنسب المئوية لمستويات مقياس أساليب معالجة المعلومات.

تبين من النتائج وجود مستويات لمعالجة المعلومات لدى طلبة الجامعة كما تظهره نتائج الدراسة، وهذا ما يبينه الجدول رقم (01)، فقد تواجدت المستويات بنسب متفاوتة، وفاقت نسبة المعالجة بمستوى متوسط عند أفراد العينة كل المستويات الأخرى بفرق واسع يدل على أن الطلبة يستعملون معالجة

	الفئة (الدرجة)	المستوى	التكرارات	النسبة %
الدرجات	58 ← 96	منخفض	3	% 2,58
	97 ← 135	متوسط	102	% 87,93
	136 ← 174	عال	11	% 9,48
المجمـوع			116	% 100

المعلومات بمستوى متوسط، ويمكننا تفسير هذه النتيجة بأن الطلبة في الجامعة يحاولون بكل أسلوب وبأي طريقة أن يستخدموا أي إستراتيجية من أجل النجاح و تحقيق التفوق. إلا أن هناك بعض العوامل التي لا تساعد على المعالجة بمستوى عال مثل عامل النسيان، التركيز، القلق....إلخ.

و منه لا نقبل الفرضية القائلة " نتوقع أن يكون مستوى أساليب معالجة المعلومات لدى طلبة الجامعة عاليا".

2- عرض وتحليل ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثانية:

جدول رقم: (02) يمثل نتائج الفرضية الثانية

يمثل المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لقيمة "ت"

المتغيرات	ن	(م)	ع	"ت" المحسوبة	"ت" المجدولة	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية
ذكور	53	118,01	12,33	2,33	1,98	114	دالة إحصائية عند مستوى 0,05
إناث	63	123,82	14,12				

هذه الفرضية تدل أنه لا توجد فروق بين الطلبة والطالبات في أساليب معالجة المعلومات، بينما تبين من النتائج أنه توجد فروق بين الذكور والإناث على اختبار أساليب معالجة المعلومات.

و هذا ما يبينه الجدول رقم (02) وذلك بعد إيجاد قيمة "ت" المحسوبة (2,33) والتي وجدناها أكبر من "ت" المجدولة (1,98)، ويمكن تفسير ذلك بأن الإناث لديهن رغبة في تأكيد الذات من خلال الإصرار على التفوق والنجاح والعمل، والرغبة في إثبات وجودهن من خلال الدراسة ونيل الشهادات العليا والحصول على مكانة في المجتمع تضمن لهن الاحترام، كما أن التنشئة الأسرية والظروف التي يعيشها الإناث في مجتمعنا عموما والوسط الجامعي خصوصا تشجعهن على قضاء وقت أكبر في تنظيم فترات الدراسة وتخصيص وقت كبير لها أكثر من اهتمام الذكور، مما قد يفسر معالجتهن الكبيرة للمعلومات أفضل من الذكور.

وبذلك نرفض الفرضية الصفرية (H_0) ونقبل الفرضية القائلة أنه توجد فروق بين درجات طلبة الجامعة على اختبار أساليب معالجة المعلومات، تعزى للجنس (ذكور، إناث) لصالح الإناث، وتوافقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة "خزام وعيسان" (1994)، ودراسة "ريدينج وريتشارد" (1997)، ودراسة "محمد أحمد الرفوع" (2008) واختلفت هذه النتيجة مع نتائج دراسات "السامرائي" (1994،1995) ودراسة "حمادي" (1997).

3- عرض وتحليل ومناقشة و تفسير نتائج الفرضية الثالثة:

جدول رقم:(03) يمثل نتائج الفرضية الثالثة

يمثل المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة "ت"

المتغيرات	ن	(م)	ع	"ت" المحسوبة	"ت" المجدولة	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية
علمي	53	122,69	12,46	1,06	1,98	144	غير دالة عند مستوى الدلالة 0,05
أدبي	63	120,09	13,78				

يتبين من النتائج أنه لا توجد فروق بين طلبة التخصص العلمي وطلبة التخصص الإنساني في أساليب معالجة المعلومات. وهذا ما يبينه الجدول رقم (03) وذلك بعد حساب قيمة "ت" المحسوبة (1,06) والتي وجدناها أقل من "ت" المجدولة (1,98) عند مستوى الدلالة (0,05)، ويمكن تفسير ذلك إلى عدم وجود فروق في البيئة التي يعشون فيها خاصة في البيئة الخارجية من خبرات، وتنشئة، والإعلام والتوجهات ....الخ، وكذا سعي كل من الطلبة العلمين والطلبة الإنسانيين إلى تحقيق إيجابية في طبيعة دراستهم لأن طبيعة أي إنسان هي الإصرار على النجاح، والتعبير بصراحة عن الرأي، و السعي إلى التغير، و الإنصاف بالتفوق و الرقي.

وبذلك نقبل الفرضية القائلة بأنه لا توجد فروق بين الطلبة العلمين والطلبة الإنسانيين في أساليب معالجة المعلومات وقد اتفقت نتائج دراستنا في جوانب مع نتائج دراسة "خزام وعيسان" (1994)، وحمادي (1997)، وتختلف مع نتائج دراسة "السامرائي" (1994)، ودراسة "محمد أحمد الرفوع" (2008).

4- عرض وتحليل ومناقشة و تفسير نتائج الفرضية الرابعة:

جدول رقم: (04) يمثل نتائج الفرضية الرابعة

يمثل المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة "ت"

المتغيرات	ن	(م)	ع	"ت" المحسوبة	"ت" المجدولة	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية
داخلي	54	124,44	14,31	0,97	1,98	144	غير دالة إحصائيا عند مستوى 0,05
خارجي	62	116,74	12,72				

تبين من النتائج أنه لا توجد فروق بين طلبة الإقامة الداخلية وطلبة الإقامة الخارجية في أساليب معالجة المعلومات. وهذا ما بينه الجدول رقم (04) وذلك بعد حساب قيمة "ت" المحسوبة (0,97) والتي وجدناها أقل من قيمة "ت" المجدولة (1,98) عند مستوى دلالة إحصائية (0,05)، ويمكن تفسير ذلك إلى عدم وجود فوارق تعود إلى تدني أو ارتفاع درجات الطلبة الداخليين والطلبة الخارجيين، أوالعكس وقد يعود ذلك إلى عمومية وشمولية المقررات الدراسية التي يتعرض لها طلبة الجامعة في الغالب بما يناسب أو يتلائم مع توجهات وقدرة طلبة الجامعة أثناء معالجتهم للمعلومات، ويمكن تفسير هذا أيضا بوفرة الوسائل والإمكانيات المتاحة لدى الطلبة، مع وفرة الظروف التي طرحت التوافق بين طلبة الإقامة الداخلية وطلبة الإقامة الخارجية. وهذا ما زاد الرغبة في التفوق وإثبات الذات، وهذا ما يعكس أن أي طالب بغض النظر عن إقامته يقبل على نيل الشهادات العليا بنفس الهدف.

وعلى هذا نقبل الفرضية القائلة بأنه لا توجد فروق بين طلبة الجامعة الداخليين وطلبة الجامعة الخارجيين في أساليب معالجة المعلومات.

5- عرض وتحليل ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الخامسة:

جدول رقم:(05) يمثل نتائج الفرضية الخامسة

يمثل المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة "ت"

المتغيرات	ن	(م)	ع	"ت" المحسوبة	"ت" المجدولة	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية

طلبة ليسانس	53	122,69	12,46	1,06	1,98	114	غير دالة إحصائيا عند مستوى 0,05
طلبة ماستر	63	120,09	13,78				

تبين من النتائج أنه لا توجد فروق بين طلبة الليسانس وطلبة الماستر في أساليب معالجة المعلومات. وهذا ما بينه الجدول رقم (05) وذلك بعد حساب قيمة "ت" المحسوبة (1,06) والتي وجدناها أقل من قيمة "ت" المجدولة (1,98) عند مستوى دلالة (0,05)، ويمكن تفسير ذلك إلى عدم وجود الاختلاف العائق، الذي يجعل أسلوب معالجة المعلومات لدى طلبة الليسانس يفوق أسلوب معالجة المعلومات لدى طلبة الماستر، أو العكس.

ومن هنا يمكننا تصور أن طلبة الجامعة باختلاف الأنظمة والمستويات التي ينظمون لها. فهم يعالجون المعلومات بطريقة سوية تعكس تطلع الطلبة للنجاح والاستمرار في مواكبة التغيرات الحاصلة على مستوى أنظمة الدراسة، ويمكن تفسير ذلك أيضا على أن الأساتذة الذين يدرسون في مستوى اللسانس هم نفسهم من يدرسون في مستوى الماستر، إذ أنه رغم اختلاف برامج مستوى اللسانس عن مستوى الماستر إلا أنه يدرس من قبل الأساتذة الذين مارسوا خبرة واسعة في تدريس مستوى الماستر والتي قد لا تعطي الفرق في أخذ المعلومات من طرف الطالب في مستوى اللسانس، بصورة تختلف عن الطالب المتلقي للمعلومات في مستوى الماستر.

وهنا نشير إلى أن تأثير كل من المستويين مستقل عن الأخر في متغير أساليب معالجة المعلومات، مما يؤكد أنه لابد من أن يدرس كل مستوى على حدا أو بشكل مستقل عن الأخر، و لابد من تخصيص أساتذة لكل مستوى لضمان عدم حدوث تفاعل يخلق التشابه في المعلومات المطروحة أثناء المحاضرات التي تلقى عند كل من المستويين.

وبالتالي نقبل الفرضية المدروسة القائمة على عدم وجود فروق بين طلبة مستوى اللسانس، وطلبة مستوى اللسانس في أساليب معالجة المعلومات.

*** الاستنتاج العام:**

من خلال دراستنا نستخلص أن طلبة الجامعة يعالجون المعلومات بأساليب متوسطة، حيث لا تساهم في تدعيم توقعنا الذي أردنا إبرازه من خلال تصنيف مستويات المعالجة لديهم.

وقد بينت الدراسة أنه توجد فروق بين الذكور والإناث في أساليب معالجة المعلومات لصالح الإناث، وهذا راجع إلى سعي الإناث في تحقيق إيجابية في دراستهم والسعي إلى الاستمرار وكذا النجاح الذي حققته الفتاة في خروجها للدراسة جعلها تتفوق على الذكور في الاهتمامات والقدرات التي تدعم معالجة للمعلومات بمستويات علمية بارزة وجيدة، وبهذا رفضنا الفرضية الصفرية لعدم تحققها. بينما بينت الدراسة أنه لا توجد فروق بين طلبة التخصص العلمي وطلبة التخصص الإنساني والذي يعكس تساوي وإصرار طلبة هذه

التخصصات على تحقيق النجاح وانتقاء أفضل المعلومات ومعالجتها بأساليب تثبت التساوي بين التخصصات العلمية والإنسانية في التفوق والمثابرة وجودة المعلومات في كل تخصص.

كما توصلنا إلى عدم وجود فروق بين الطلبة الداخليين، والطلبة الخارجيين وهذا راجع إلى أن الطلبة باختلاف إقامتهم يقبلون على الجامعة سعيا وراء تحقيق أهداف وتوجهات بصورة متكاملة تحقق أفضل الأساليب في معالجة المعلومات، كما توصلنا أيضا إلى أنه لا توجد فروق بين طلبة الليسانس، وطلبة الماستر والذي يفسر أن طلبة الجامعة باختلاف الأنظمة والمستويات التي ينتمون لها يعالجون المعلومات بطريقة تسمح لهم بمواكبة التغيرات الحاصلة على مستوى أنظمة الدراسة والتي تقودهم إلى تحقيق الاستمرار في التفوق والمثابرة.

وتبقى نتائج الدراسة في حدودها المكانية والزمنية والبشرية والأداتية.

المراجع:

1-أنور محمد الشرقاوي، (1992): علم النفسي المعرفي لمعاصر، الطبعة الأولى، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة.

2-إبراهيم قشقوش، (1985): مدخل لدراسة علم النفس المعرفي، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة.

3-بنعيسى زغبوش، (2008): الذاكرة واللغة مقاربة علم النفس المعرفي للذاكرة المعجمية وامتداداتها التربوية، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان.

4-جون أندرسون، (2007): ترجمة محمد صبري سليط، رضا مسعد الجمال،علم النفس المعرفي وتطبيقاته، الطبعة الأولى، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان.

5-حسين محمد أبو رياش، (2007): التعلم المعرفي، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع الطباعة، عمان.

6-حمدي علي الفرماوي، (2009): الأساليب المعرفية بين النظرية والتطبيق في علم النفس المعرفي، الطبعة الأولى، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان.

7-رافع النصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول،(2003): علم النفس المعرفي، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.

8-عبد المجيد نشواتي، (1987): علم النفس التربوي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة دار الفرقان، عمان.

9-عدنان يوسف العتوم، (2004): علم النفس المعرفي (النظرية والتطبيق)، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.

10- محمد مصطفى الديب، (2003): علم النفس الاجتماعي التربوي أساليب تعلم المعاصرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب نشر- توزيع- طباعة، القاهرة.

دور أخلاقيات الأعمال في تحسين أداء العاملين

"دراسة حالة مستشفى بني سليمان بولاية المدية"

د. سلام عبد الرزاق- أ. بصاشي هدى
جامعة المدية

ملخص:

تهدف الدراسة الى معرفة دور أخلاقيات الأعمال في تحسين أداء العاملين وذلك من خلال معرفة طبيعة العلاقة ما بين أخلاقيات الأعمال وأداء العاملين في مستشفى بني سليمان ولاية المدية، ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم تصميم استبانة وتوزيعها على أفراد عينة الدراسة والبالغ عددهم (30) مفردة، ولقد تم استخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لتحليل البيانات بحيث توصلت الدراسة الى انه يجب وضع وتعزيز أخلاقيات الأعمال، وضرورة أن يقوم المستشفى بتحديد السياسات الأخلاقية وتوزيعها عبر مختلف مصالحه، وتدريب العاملين فيه على تعزيز قدرتهم لمواجهة المشاكل الأخلاقية الصعبة

الكلمات المفتاحية: أخلاقيات الأعمال، أداء العاملين، الجوانب الأخلاقية.

Abstract:

The study to knowledge aims role the moral works in improvement performance working and that through knowledge nature of the relationship what between moralities of the works and performance working in hospital the knife, and for investigation of goals studious losing was complete design of showing and her distribution on individuals of sample studious and the adult their (30) number is single, and to statistical use the package for the social (SPSS) flags for analysis of the statements was complete in such a manner that the study reached to that he moral status and consolidation the works be necessary, and necessity to scents different his straighten the hospital precisely the moral politics and her distribution of services, and practice working in him on their consolidation of power for moral confrontation the problems difficult

Key word: Moralities of the works, performance working, the moral sides.

مقدمة:

أصبح موضوع أخلاقيات الأعمال والعمل من الموضوعات التي تحظى باهتمام متزايد في السنوات الأخيرة نتيجة لأسباب عديدة يقع في مقدمتها تزايد الفضائح الأخلاقية والنقد الموجه للأعمال التي تعتمدها بعيدا عن إطار أخلاقي واضح وشفاف، بحيث أصبح هذا الموضوع من المواضيع ذات الاهتمام الكبير من قبل الحكومات والجامعات والمنظمات العالمية والمحلية تجسد في شكل منظمة الشفافية العالمية وإدخال الموضوع كمادة دراسية مستقلة في كل الجامعات العالمية تقريباً، بالإضافة الى اقامة مؤتمرات وندوات لبحث هذا الموضوع ومناقشته.

لكن نتيجة للمشكلات والمعضلات الأخلاقية والممارسات غير الأخلاقية مثل تردي مستوى أداء الموظف، وتفشي صور الفساد الاداري أو ما يعرف بالانحراف الاداري وكذا استغلال النفوذ ......الخ، التي شهدها

قطاع الأعمال في السنوات القليلة الماضية، أثيرت تساؤلات كثيرة حول مسؤولية منظمات الأعمال حيال المجتمع، والأدوار الأخلاقية التي تلعبها.

من خلال كل ما سبق يمكن طرح الإشكالية الرئيسية التالية:

"ما مدى اسهام أخلاقيات الأعمال في تحسين أداء العاملين؟".

بحيث قسمنا بحثنا هذا الى على النحو التالي:

المبحث الأول: مفاهيم اساسية حول أخلاقيات الأعمال؛

المبحث الثاني: تخطيط وتصميم الدراسة الميدانية؛

المبحث الثالث: عرض نتائج الدراسة؛

المبحث الرابع: اختبار فرضيات الدراسة.

المبحث الاول: مفاهيم اساسية حول أخلاقيات الأعمال

من بين فضائل التاريخ أنه يزودنا باستمرار بقدر أكبر من المعرفة في كل مرة جديدة نعود فيها إليه، فنظرة إلى المستقبل في موضوع مثل أخلاقيات الأعمال لا يساويها بالأهمية في أكثر الأحيان إلا نظرة إلى الماضي.

أولا: مفهوم أخلاقيات الأعمال: تشير الأخلاقيات ETHICS بشكل عام إلى القيم والمعايير الأخلاقية التي يستند لها أفراد المجتمع لغرض التميز بين ما هو صحيح وما هو خطأ ويبدو أن المجتمعات قد طورت هذه القيم والمعايير لتشكل وعاءا حضاريا لها عبر فترات زمنية متعاقبة وفي هذا الإطار يمكن أن تنظر للمجتمعات البدائية ومعاييرها الأخلاقية الصارمة ثم المجتمعات الصناعية ومعاييرها الأخلاقية المتجددة المرنة وأخيراً المجتمع العالمي المعرفي ومعاييره الأخلاقية النسبية التي تستوعب هذا التطور الهائل في مجمل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية غيرها.[1]

ولقد تعددت تعاريف مصطلح أخلاقيات الأعمال لعدة أسباب أهمها أن وضع تعريف واضح ومحدد لأخلاقيات الأعمال يعد أمرا في غاية الصعوبة، لأنه يرتكز على مبادئ ومعايير تحكم سلوك الأفراد في بيئات مختلفة.

- عرفت أخلاقيات الأعمال حسب Pride بأنها: "ماهي الا تطبيق للمعايير الأخلاقية الفردية في مواقف الأعمال المختلفة".[2]

- كما يعرفها Van Vilok بأنها: "الدراسة والتحليل المنهجي للعمليات التي يتم من خلالها تطوير القرار الإداري بحيث يصبح هذا القرار خيارا أخلاقيا آخذا في الاعتبار ما هو صحيح وجيد للفرد وللمجموعة وللمنظمة".[3]

- أعطى" المعاضيدي "بعدا شاملا لأخلاقيات الأعمال إذ يرى بأنها: "الإطار الشامل الذي يحكم التصرفات والأفعال تجاه شيء ما، وتوضح ما هو مقبول وصحيح وما هو مرفوض أو خاطئ بشكل نسبي في ضوء المعايير

---

[1] سليمان الفارس، عبد السلام علي، **أخلاقيات الأعمال وأخلاقيات العمل الوظيفي (ضمن وظيفة الموارد البشرية)**، حلقة بحث ماجستير ادارة الأعمال، كلية الاقتصاد، جامعة دمشق –سوريا، 2010، ص02.

[2] Pride wiliam & al, **Business,** 8th edition, Houghton Mifflinn Co, Boston,USA, 2005, P37.

[3] نجم عبود نجم، **أخلاقيات الادارة في عالم متغير**، المنظمة العربية للتنمية الادارية، القاهرة، مصر، 2005، ص18.

السائدة في المجتمع بحكم العرف والقانون، والذي تلعب فيه ثقافة المنظمة والقيم وأنظمة المنظمة وأصحاب المصالح دورا أساسيا في تحديده"[1].

ثانيا: الحاجة الى أخلاقيات الأعمال وأهميتها

تكمن الحاجة إلى الأخلاقيات في المنظمة إلى:

1- شيوع بعض الأعمال المضادة أو غير المرغوب فيها، مما ولد الإحساس المتزايد بأن المنظمات أصبحت في تصرفاتها وصفقاتها أقل أخلاقية مما كانت عليه في السابق، مما يكشف عن الحاجة إلى الأخلاقيات في المنظمات سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي؛

2- تعقد وتداخل المصالح في المنظمات الحديثة جعلها أمام حالات معقدة من الصعب جدا الحكم فيها على ما هو صواب أو ما هو خاطئ من الناحية الأخلاقية، وهذا ما أدى إلى أن تصبح المشكلات الأخلاقية في غاية التعقيد في نطاق واسع من القضايا والمواقف والحالات، لهذا أصبحت أكثر إثارة للاهتمام والجدل في الوقت الحاضر على صعيد البيئة الداخلية والخارجية للمنظمة؛[2]

3- ثمة مراجعة جدية للمفاهيم السائدة التي ترى أن منظمات الأعمال تهدف من أجل بقائها واستمرارها إلى تعظيم الربح، مما أدى إلى إضافة قدسية واضحة على الربح والربحية في هذه الشركات دون أن يرافق ذلك اهتمام واضح بالاعتبارات الأخلاقية والمعنوية؛

4- وجود وقوة الأسباب المؤدية إلى المعضلات، فالأفراد سواء في الإدارة أو في الوظائف الأخرى التابعة لها نجد أن لهم أسباب عديدة تدفعهم إلى الانتهاكات الأخلاقية.[3]

لذا فإن أهمية أخلاقيات الأعمال تبرز من خلال الآتي[4]:

أ- لا يمكن القبول بالمنظور التقليدي للعمل والذي يرى تعارضا بين تحقيق مصالح منظمة الأعمال المتمثلة بالربح المادي وبين الالتزام بالمعايير الأخلاقية والتي عرضت وكأنها تقلل من الكفاءة ضمن هذا المنظور التقليدي، ففي إطار المنظور الحديث نجد ارتباطا إيجابيا بين الالتزام الأخلاقي والمردود المالي الذي تحققه المنظمة وإن لم يكن ذلك على المدى القصير فإنه بالتأكيد سوف يكون واضحا على المدى الطويل؛

ب- قد تتكلف منظمات الأعمال كثيرا نتيجة تجاهلها الالتزام بالمعايير الأخلاقية وهنا يأتي التصرف اللاأخلاقي ليضع المنظمة في مواجهة الكثير من الدعاوى القضائية خاصة إذا ما تمادت المنظمة وأخذت تركز كثيرا على مبدأ الرشد والنموذج الاقتصادي بعيدا عن التوجه الاقتصادي الاجتماعي الأخلاقي؛

---

[1] المعاضيدي محمد عصام أحمد، **أثر أخلاقيات العمل في تعزيز إدارة المعرفة**، مذكرة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، 2005، ص6.

[2] تيتوش مفيدة، **تحليل الإشهار من منظور أخلاقي**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008، ص63

[3] نجم عبود نجم، **البعد الأخضر للأعمال المسؤولية البيئية لرجال الأعمال**، الطبعة الأولى، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008 ، ص ص382، 383.

[4] طاهر محسن منصور الغالبي، صالح مهدي محسن العامري، **المسؤولية الاجتماعية وأخلاقيات الأعمال**، الطبعة الثالثة، دار وائل للنشر، عمان- الاردن، 2010، ص ص138، 137.

ج .تعزيز سمعة المنظمة على صعيد البيئة المحلية والإقليمية والدولية وهذا أيضا له مردود إيجابي على المنظمة؛

د- إن الحصول على شهادات عالمية وامتيازات عمل خاصة (مثل ايزو 9000 وايزو 14000) يقترن بالتزام المنظمة بالعديد من المعايير الأخلاقية في إطار الإنتاج والتوزيع والاستهلاك والثقة ودقة وصحة المعلومة.

ثالثا: معايير أخلاقيات الأعمال: لأخلاقيات الأعمال عدة أبعاد نذكر من بينها:[1]

- **الاستقلالية والموضوعية:** وتعني أن يكون العاملين في الشركات محايدين وبعيدين عن أي تأثيرات جانبية، ويتمتعون باستقلال

فكري في جميع ما يتعلق بأعمالهم، وألا يكون لهم أي مصالح متعارضة، وأن يتجنبوا أي علاقات قد تبدو أنها تفقدهم موضوعيتهم واستقلالهم عند القيام بأعمالهم.

- **الأمانة والاستقامة:** وهي التجرد من الانحياز للمصلحة الشخصية وأن يكون العاملين في الشركات محل ثقة العميل ويحفظوا أسرارهم.

- **النزاهة والشفافية:** وتعني أن يتصف العاملين في الشركات بالعدل وأن يتحلون عند قيامهم بعملهم بالنزاهة والعفة والصدق في أدائهم لواجباتهم، وأن يتجردوا من المصالح الشخصية، كما ينبغي على العاملين ألا يضعوا نفسهم في مواقف تؤثر على حيادهم أو تجعلهم يقعون تحت تأثير الغير.

المبحث الثاني: تخطيط وتصميم الدراسة الميدانية:

بعد الانتهاء من تناول بعض المفاهيم والمعلومات المتعلقة بها والتي تمثل الجانب النظري من الدراسة ننتقل إلى الجانب التطبيقي والمتمثل في الدراسة الميدانية نستهله بأول خطوة وهي تحضير الدراسة الميدانية التي تعتبر من أهم الخطوات نظرا لصعوبة القيام بها.

أولا: تقديم الدراسة الميدانية

1- **المعلومات ومصادر الحصول عليها:** قمنا بمعرفة نوع المعلومات التي نود الحصول عليها من خلال الإشكالية الرئيسية، حيث وجدنا أن المعلومات المطلوبة من أجل الإجابة على هذه الإشكالية هي معلومات أولية والتي يتم الحصول عليها من خلال عمال المستشفى، وهذا النوع من المعلومات غير متوفر في المكتبات أو الدراسات السابقة كما هو الحال بالنسبة للمعلومات الثانوية.

2 - **مجتمع وعينة الدراسة:** تعتمد الدراسة بصفة أساسية على استقصاء ميداني للمستشفى، لقد أخذنا عينة من (40) فرد للعمال فيه وتم استرجاع (35) عينة أي بنسبة (87.5%) استبعد منها 5 عينات نظرا لعدم استكمال الشروط والإجابات فيها وبذلك أصبح عدد العينات المدروسة (30) عينة أي ما يعادل (75%) من العينة الإجمالية الموزعة وذلك حسب الجدول التالي:

---

[1] خالد عطا الله الطراونة، محمد منصور أبو جليل، **" أثر أخلاقيات الاعمال والمسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية"**، مداخلة بمؤتمر الدولي الثاني لكلية إدارة الأعمال ،جامعة مؤتة- الأردن، يومي 23-2013/04/25، ص03.

الجدول رقم (01): عدد الاستبيانات الموزعة

الاستبيان:	التكرار:	النسبة %:
الاستبيانات الموزعة:	40	100
الاستبيانات المسترجعة:	35	87.5
الاستبيانات المستبعدة:	5	12.5
الاستبيانات الصالحة للتحليل:	30	75

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج Spss19

ثانيا: إعداد الاستبيان: من أجل تقييم دور أخلاقيات الأعمال في تحسين أداء العاملين بمستشفى المدية تم الاعتماد على نموذج يعتمد على دراسة بعد الجوانب الأخلاقية لدى العاملين في المستشفى محل الدراسة، توجه العامل نحو أخلاقيات الأعمال وكذا علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين، قصد معرفة العلاقة بين هذه المكونات وكذا الطريقة التي تساهم بها في دراسة أخلاقيات الأعمال التي تمثل المحور الاساسي للدراسة.

الأسئلة الموجودة في الاستبيان صممت على أساس هذه المكونات، ومن أجل جمعها بغية تكوين اخلاقيات الاعمال ودورها في تحسين أداء العاملين بمستشفى بني سليمان تم الاعتماد على برنامج Spss وExcel.

1 – تحديد أهداف قائمة الاستبيان: هناك هدف رئيسي وأهداف ثانوية، فالهدف الرئيسي يتمثل في معرفة العلاقة بين المتغيرات قصد التأكد أو نفي الفرضيات والحصول على إجابات التي من شأنها أن تجيب على الإشكالية الرئيسية والمتمثلة في "**ما مدى إسهام أخلاقيات الأعمال في تحسين أداء العاملين؟**".

أما الأهداف الثانوية تتمثل في معرفة كيف تساهم التساؤلات في تبيين مستوى كل من أخلاقيات الأعمال وتحسين أداء العاملين بالمؤسسة وكذا أهم العناصر الموجودة فيها والتي يوليها العاملين اهتماما كبيرا .

2 – تحديد فرضيات الدراسة: قبل القيام بالاستقصاء لابد من توفر فرضيات الدراسة، والتي على ضوئها يتم تحديد الأسئلة من أجل إثبات صحة الفرضية من عدمها، وتتمثل فرضيات الدراسة فيما يلي:

أ _ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأخلاقيات الأعمال على تحسين أداء العاملين بمستشفى بني سليمان ولاية المدية؛

ب _ اتجاهات عمال المستشفى نحو أخلاقيات الأعمال سلبية؛

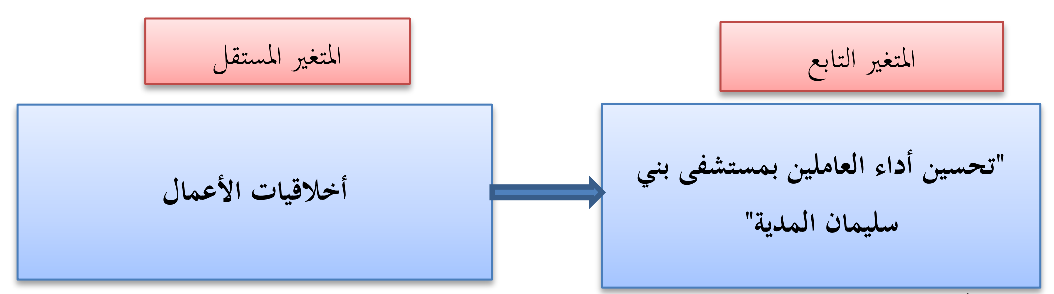
ج _ اتجاهات عمال المستشفى نحو تحسين الأداء سلبية؛

د- لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية بين أخلاقيات الأعمال على تحسين أداء العاملين عند مستوى دلالة 0.05.

3- تحديد الأسئلة: تم الاعتماد في إعداد الاستبيان على الجداول، والسبب يرجع لاستعمال سلم ليكارت الخماسي الذي يعتبر من بين الأساليب الأكثر استخداما في قياس الاتجاهات، وكذلك كل مكون من مكونات قياس الاتجاهات يحتوي على عدد كبير من المتغيرات المرتبطة به.

4- مخطط البحث: لغرض تحقيق أهداف البحث تم صياغة مخطط فرضي يوضح طبيعة العلاقة بين متغيري البحث والذي هو موضح في الشكل التالي:

الشكل رقم (01): أنموذج البحث



ثالثا: الاختبارات الأولية لأداة القياس: لكي يتم التأكد من صدق الإستبانة من عدمها قام الباحثين بإجراء مجموعة من الاختبارات عليها ذلك من خلال اللجوء إلى المحكمين بالإضافة إلى الاختبارات الإحصائية اللازمة لذلك.

1 - صدق الإستبانة: من أجل التأكد من صدق الإستبانة ومناسبة فقراتها قام الباحث بعرض الإستبانة على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص واللذين هم من أعضاء الهيئة التدريسية في كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير بجامعة يحي فارس بالمدية، حيث قاموا بإصدار حكمهم على درجة مناسبة الأسئلة ومدى سلامة ودقة الصياغة اللفظية والعلمية لعبارات الاستبيان ومدى شمول الاستبانة لمشكل الدراسة وتحقيق أهدافها، وتم تدوين ملاحظات وعلى ضوئها قمنا بإجراء تعديلات التي أشار عليها المحكمون، حتى تم الوصول للشكل النهائي للاستبانة.

2 - ثبات متغيرات الاستبانة: استخدمنا في الدراسة معامل الثبات ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha) لقياس ثبات الاستبانة، بحيث تكون قيمة ألفا كرونباخ مقبولة إذا تعدت قيمتها 0.60 وأوضحت النتائج أن قيمة الثبات كانت مرتفعة وذلك حسب ما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول (02): معامل ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha) لقياس ثبات الاستبانة

المعامل :	معامل ألفا	الثبات
الأسئلة :	0.848	25

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج Spss19

يتضح من الجدول (02) أن معامل ألفا كان مرتفعا بـ 0.848، كما كانت قيمة الثبات مرتفعة أيضا هذا ما يدل على ثبات متغيرات الاستبانة.

3 - **صدق الاتساق الداخلي:** صدق الاتساق الداخلي لفترات الاستبيان تم حساب الاتساق الداخلي لفقرات الاستبيان على عينة الدراسة الاستطلاعية والبالغ عددها 30 مفردة وذلك بحساب المتوسط الحسابي لكل محور، ثم قمنا بحساب معامل الارتباط بين المحور وعبارته لذا سنحسب الاتساق الداخلي لأجزاء الاستبيان (الجوانب الأخلاقية لدى العاملين، توجه العامل نحو أخلاقيات الأعمال وعلاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين في المستشفى) بحيث يتضمن المحور الأول الجوانب الأخلاقية لدى العاملين والمحور الثاني توجه العامل نحو أخلاقيات الأعمال أما فيما يخص علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين في المستشفى.

أ- صدق الاتساق الداخلي لفقرات الجوانب الأخلاقية لدى العاملين (الجزء الأول):

يتكون هذا المحور من مجموعة من الفقرات (من 01 إلى غاية 12)، ومن أجل معرفة مدى ثبات هذه المحاور ككل تطرقنا إلى استعمال معامل الارتباط بيرسون حتى يتبين مدى الاتساق الداخلي بين فقراته.

الجدول رقم (03): معامل الارتباط بيرسون لفقرات الجزء الأول لاستبانة الدراسة

الجوانب الأخلاقية لدى العاملين:	معامل الارتباط	Sig	النتيجة
هناك اسلوب لتقصي الجوانب الاخلاقية (الأمانة- النزاهة- الشفافية- الصدق- السرية في العمل .....) في المؤسسة	0.763**	0.000	دال
هناك تمييز عرقي أو ديني أو حتى بين الرجال والاناث بين العاملين من أجل الترقية المكافآت والتعيين	0.552**	0.002	دال
يتم عقد دورات تدريبية وتكوينية لعمال المؤسسة هدفها توجيه وتطوير وترسيخ أخلاقيات العمل	0.799**	0.000	دال
تراعي المؤسسة معايير الأمن والسلامة أثناء تقديم الخدمات الصحية	0.627**	0.000	دال
يتم اختيار العاملين بالمؤسسة على اساس مقاييس الكفاءة والفاعلية	0.823**	0.000	دال
تحترم المؤسسة التخصص الوظيفي وقدرات العاملين	0.926**	0.000	دال

يتم اجراء صيانة دورية للمعدات للمحافظة على سلامة المرضى والعاملين على حد سواء بالمؤسسة	**0.936	0.000	دال
تشجع المؤسسة كافة المبادرات المتعلقة بتحسين السلامة العامة	**0.842	0.000	دال
يوجد في المؤسسة نظام محدد ومكتوب يظهر صلاحيات ومسؤوليات ومهام الموظفين	**0.917	0.000	دال
عند قيام المؤسسة بوضع اجراءات جديدة تسعى دوما من خلالها الى تحقيق المصلحة العامة للمؤسسة بحيث تتلاءم مع القوانين	**0.901	0.000	دال

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج spss19

من خلال الجدول أعلاه نجد أن كل فقرة من فقرات هذا المحور والمحور الكلي لفقراته دالة احصائيا، ماعدا الفقرة 01 و06، ومنه تعتبر فقرات الاستبيان صادقة ومتسقة داخليا لما وضعت لقياسه.

ب - صدق الاتساق الداخلي لفقرات توجه العامل نحو أخلاقيات الأعمال (الجزء الثاني):

يتكون هذا المحور من مجموعة من الفقرات (من 01 إلى غاية 08)، ومن أجل معرفة مدى ثبات هذه المحاور ككل تطرقنا إلى استعمال معامل الارتباط بيرسون حتى يتبين مدى الاتساق الداخلي بين فقراته.

الجدول رقم (04):معامل الارتباط بيرسون لفقرات الجزء الثاني لاستبانة الدراسة

توجه العاملين نحو أخلاقيات الأعمال	معامل الارتباط	Sig	النتيجة
تلقيت دورات تدريبية لها علاقة بأخلاقيات الأعمال	**0.878	0.000	دال
تؤدي واجباتك ومهامك بأمانة ونزاهة ودقة مهنية عالية	**0.880	0.000	دال
تعطي عملك حقه من الوقت الرسمي المخصص له	**0.884	0.000	دال
تتصرف مع المرؤوسين وأي متعامل وفق القوانين المعمول بها	**0.675	0.000	دال
تتمتع بإحساس المسؤولية اتجاه المرضى	**0.702	0.000	دال

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج spss 19

من خلال الجدول أعلاه نجد أن كل فقرة من فقرات توجه العاملين نحو أخلاقيات الأعمال الكلي لفقراته دالة احصائيا، ماعدا الفقرات (08/06/04)، ومنه تعتبر فقرات الاستبيان صادقة ومتسقة داخليا لما وضعت لقياسه.

ج - صدق الاتساق الداخلي لفقرات علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين في المستشفى (الجزء الثالث):

يتكون هذا المحور من مجموعة من الفقرات (من 01 إلى غاية 08)، ومن أجل معرفة مدى ثبات هذه المحاور ككل تطرقنا إلى استعمال معامل الارتباط بيرسون حتى يتبين مدى الاتساق الداخلي بين فقراته.

الجدول رقم (05):معامل الارتباط بيرسون لفقرات الجزء الثالث لاستبانة الدراسة

علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين في المؤسسة	معامل الارتباط	Sig	النتيجة
تساهم القيم والمعتقدات السائدة لدى العاملين بالمؤسسة في تحسين أداء العمال	**0.614	0.000	دال
تعمل القواعد الأخلاقية على تسهيل انجاز العمل في المؤسسة	**0.724	0.000	دال
توفر المؤسسة البيئة المناسبة لإنجاز المهام في احسن الظروف	**0.750	0.000	دال

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج spss 19

من خلال الجدول أعلاه نجد أن كل فقرة من فقرات علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين في المستشفى الكلي لفقراته دالة احصائيا، ماعدا الفقرتين 03 و04، ومنه تعتبر فقرات الاستبيان صادقة ومتسقة داخليا لما وضعت لقياسه.

4- صدق الاتساق البنائي لأداة الدراسة:

يعتبر صدق الاتساق البنائي أحد مقاييس صدق أداة الدراسة، حيث يقيس مدى تحقق الأهداف التي تسعى الأداة للوصول إليها، ويبين صدق الاتساق البنائي مدى ارتباط كل محور من محاور أداة الدراسة بالدرجة الكلية لفقرات الاستبيان مجتمعة، والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (06): صدق الاتساق البنائي لأداة الدراسة

محاور الاستبيان	معامل الارتباط	Sig	النتيجة
الجوانب الأخلاقية لدى العاملين	**0.828	0.000	دال
توجه العاملين نحو أخلاقيات الأعمال	**0.511	0.004	دال
علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين في المؤسسة	**0.828	0.000	دال

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج spss19

من خلال الجدول رقم (06) نجد معاملات الارتباط بين كل محور والمعدل الكلي لفقرات الاستبيان دالة احصائيا، وعليه تعتبر المحاور صادقة ومتسقة لما وضعت لقياسه.

رابعا: أدوات تحليل البيانات: من أجل تحليل البيانات المتحصل علها من عملية الاستقصاء بشكل دقيق استعملنا كل من جداول التكرار والنسب المئوية وكذا جداول المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية من أجل معرفة العلاقة بين المتغيرات التابعة والمتغيرات المستقلة، وكذلك استعملنا تحليل T-Test لاختبار صحة الفرضيات.

المبحث الثالث: عرض نتائج الدراسة

سنتطرق في هذا المبحث إلى عرض وتحليل نتائج الاستبيان وذلك من خلال عرض وتحليل نتائج البطاقة الشخصية للمستجوب وعرض وتحليل نتائج الأسئلة.

أولا: وصف عينة الدراسة: بعد جمع البيانات اللازمة من عينة قدرها (30) تم ترميزها وحجزها ومعالجتها في جهاز الكمبيوتر بالاعتماد على كل من برنامج Spss وExcel، اللذان يسهلان الحصول على النتائج في وقت قصير، وتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجداول والأشكال المستعملة في عرض النتائج بالاعتماد على برنامجي Spss وExcel .

عرض النتائج الشخصية: قبل التطرق إلى عرض نتائج مضمون البحث نقوم في البداية بالتحليل الوصفي للأسئلة المتعلقة بالمستقصي والتي أدرجت في الأخير بهدف كسب ثقته .

أ – جنس المستجوب: تتكون الدراسة من 30 فرد والتي من خلالها تحصلنا على النتائج التالية:

الجدول رقم (07): جنس أفراد العينة

الجنس :	التكرار:	النسبة % :
ذكر	16	53.3
أنثى	14	46.7
المجموع	30	100

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج Spss19

من خلال الجدول (07) يظهر لنا أن عدد الذكور أكبر من عدد الإناث بحيث يمثلون 53.3% من عينة الدراسة.

ب – عمر المستجوب: يتوزع سن أفراد عينة الدراسة حسب سن الفئات المدرج في الاستبيان إلى:

الجدول رقم (08): سن أفراد العينة

السن :	التكرار:	النسبة % :
أقل من 25 سنة	4	13.3
من 25سنة إلى 35 سنة	11	36.7

من 36سنة الى 45سنة	15	50
المجموع	30	100

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج spss19

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ بأن (50%) من المستجوبين تتراوح سنهم من 36 سنة إلى 45 سنة، لتأتي بعدها نسبة (36.7%) كنسبة الأفراد الذين سنهم من 25 سنة الى 35 سنة لتليها نسبة (13.3%) اي الافراد الذين سنهم أقل من 25 سنة تتراوح، ومنه نلاحظ أن أغلب عمال المركز من الفئة الشبابية.

ت – المؤهل العلمي للمستجوب: يتوزع أفراد العينة حسب المؤهل العلمي إلى ستة مجموعات:

الجدول رقم (09) : المؤهل العلمي لأفراد العينة

المؤهل العلمي:	التكرار:	النسبة %:
ليسانس	9	30
تقني سامي	6	20
ماستر	2	6.7
دكتوراه	13	43.3
المجموع	30	100

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج Spss19

من خلال الجدول (09) يتضح لنا أن الأفراد الذين مؤهلهم العلمي دكتوراه يمثلون أكبر عدد بنسبة (43.3%)، في حين أن نسبة الافراد الذين مؤهلهم العلمي ليسانس تأتي بعد في المرتبة الثانية بحيث مثلت (30%) من عمال المؤسسة، لتليها يعد ذلك الافراد الذين مؤهلهم العلمي تقني سامي بنسبة (20%) وفي الاخير نجد الماستر بنسبة (6.7%).

ث – مجال الوظيفة الحالية: يتوزع أفراد العينة حسب مجال الوظيفة الحالية إلى أربع مجموعات والتي تتمثل في:

الجدول رقم (10): مجال الوظيفة الحالية لأفراد العينة

مجال الوظيفة الحالية:	التكرار:	النسبة %:
ممرض	6	20
مشغل أجهزة	2	6.7
مساعد تمريض	2	6.7
ISP	2	6.7

التحاليل الطبية	4	13.3
طب عام	5	16.7
جراح	1	3.3
طبيب الامراض الصدرية والحساسية	1	3.3
طبيب اعين	1	3.3
جراحة الاسنان	3	10
طبيب أطفال	1	3.3
أخصائية نفسية	2	6.7
المجموع	30	100

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج Spss 19

من خلال الجدول اعلاه نلاحظ أن الأفراد الذين مجال وظيفتهم الحالية ممرض يمثلون أكبر عدد بنسبة (20%) لتليها (16.7%) وهي تمثل نسبة الأفراد الذين مجال وظيفتهم طب عام لتليها وظيفة قطاع الصحة في التحاليل الطبية بنسبة (13.3%)، أما جراحة الاسنان فقد كانت بنسبة (10%) والباقي اي الافراد الذين مجال وظيفتهم (تشغيل أجهزة، مساعد تمريض، ISP، اخصائية نفسية) (جراح، طبيب الامراض الصدرية والحساسية، طبيب اعين، طبيب اطفال) فقد كانوا بنسبة (6.7%) و(3.3%) على التوالي.

ج – سنوات الخبرة: يتوزع أفراد عينة الدراسة حسب سنوات الخبرة إلى أربع مجموعات:

الجدول رقم (11): سنوات الخبرة

سنوات الخبرة:	التكرار:	النسبة % :
أقل من 5 سنوات	10	33.3
من 5 الى اقل من 10سنوات	12	40
من 10 الى اقل من 15 سنة	7	23.3
من 15 سنة فاكثر	1	3.3
المجموع	30	100

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج Spss 19

من خلال الجدول (11) يتبين لنا أن الأفراد الذين سنوات خبرتهم من 5 سنوات الى أقل من 10 سنوات تقدر نسبتهم (40%)، بينما نسبة (33.3%) فهي تمثل الأفراد الذين سنوات خبرتهم أقل من 5 سنوات، لتليها نسبة (23.3%) وهي تمثل الافراد من 10 الى اقل من 15 سنة، وأخيرا نسبة (3.3%) للأفراد الذين سنوات خبرتهم من 15 سنة فأكثر.

ثانيا: تحليل المحور الأول من الاستبانة: من خلال هذا الجزء سنقوم بتحليل نتائج الأسئلة التي تمثل الجوانب الأخلاقية لدى العاملين في المستشفى محل الدراسة، لكن قبل ذلك يجب توضيح المقياس الذي اتبع في الدراسة والمتمثل في مقياس ليكارت الخماسي.

الجدول رقم (12): مقياس ليكارت الخماسي

الدرجة:	**غير موافق بشدة**	**غير موافق**	**محايد**	**موافق**	**موافق بشدة**
المستوى	1	2	3	4	5
المتوسط الحسابي	1.79-1	2.59-1.80	3.39-2.60	4.19-3.40	5-4.20

المصدر: عز حسين عبد الفتاح، **مقدمة في الإحصاء الوصفي ولاستدلالي**، **خوارزمية العلمية للنشر والتوزيع**، جدة السعودية،2007 .

الجدول رقم (13): درجة الموافقة عن عبارات بعد الجوانب الاخلاقية لدى العاملين

الرقم	**الجوانب الأخلاقية لدى العاملين:**	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**	**اتجاه العينة**
01	يوجد لدى المؤسسة قاعدة أخلاقية (قانون أخلاقي معمول به مثل تعويض العامل عما لحقه من اصابات بسبب العمل ....)	**4.07**	**0.944**	**موافق**
02	هناك اسلوب لتقصي الجوانب الاخلاقية (الأمانة- النزاهة- الشفافية- الصدق- السرية في العمل .....) في المؤسسة	**3.33**	**1.155**	**محايد**
03	هناك تميز عرقي أو ديني أو حتى بين الرجال والاناث بين العاملين من أجل الترقية المكافآت والتعيين	**2.83**	**1.053**	**محايد**
04	يتم عقد دورات تدريبية وتكوينية لعمال المؤسسة هدفها توجيه وتطوير وترسيخ أخلاقيات العمل	**3.53**	**1.479**	**موافق**
05	تراعي المؤسسة معايير الأمن والسلامة أثناء تقديم الخدمات الصحية	**3.67**	**1.213**	**موافق**
06	يقوم العاملين بالمؤسسة بتجنب الضوضاء	**4.60**	**0.498**	**موافق**

	التي تحدث لخلق جو مريح للمريض			بشدة
07	يتم اختيار العاملين بالمؤسسة على اساس مقاييس الكفاءة والفاعلية	4.10	1.155	موافق
08	تحترم المؤسسة التخصص الوظيفي وقدرات العاملين	3.87	1.224	موافق
09	يتم اجراء صيانة دورية للمعدات للمحافظة على سلامة المرضى والعاملين على حد سواء بالمؤسسة	3.90	1.398	موافق
10	تشجع المؤسسة كافة المبادرات المتعلقة بتحسين السلامة العامة	3.87	1.196	موافق
11	يوجد في المؤسسة نظام محدد ومكتوب يظهر صلاحيات ومسؤوليات ومهام الموظفين	4	1.365	موافق
12	عند قيام المؤسسة بوضع اجراءات جديدة تسعى دوما من خلالها الى تحقيق المصلحة العامة للمؤسسة بحيث تتلاءم مع القوانين	3.87	1.383	موافق

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج برنامج Spss 19

من خلال هذا الجدول يتضح أن كل العبارات المتعلقة ببعد الجوانب الأخلاقية لدى العاملين كانت بمتوسط حسابي مرتفع على المتوسط الحسابي السلمي (3) وهي بذلك تعبر عن موافقة الأفراد على هذه العبارات إلا انه هناك تباين كبير في الإجابات هذا ما يظهره الانحراف المعياري.

بناءا على ما تقدم نستنتج أن مستوى الجوانب الأخلاقية لدى العاملين بمستشفى المدية جاء مرتفعا وفقا لمقياس الدراسة، إذ بلغ متوسط إجابات المبحوثين عن البعد ككل (3.8028) وهذا يدل على أن المبحوثين في مختلف مصالح المستشفى يتمتعون بالرغبة في استخدام الجانب الأخلاقي، والذي من شأنه أن يطور ويحسن من الأداء في المستشفى.

ثالثا: تحليل المحور الثاني من الاستبانة من خلال هذا الجزء سنقوم بتحليل جزء من نتائج الأسئلة التي تمثل مكون توجه العاملين نحو أخلاقيات الأعمال.

الجدول رقم (14): درجات الموافقة عن عبارات توجه العاملين نحو أخلاقيات الأعمال لعينة الدراسة

الرقم	توجه العاملين نحو أخلاقيات الأعمال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العينة
01	تلقيت دورات تدريبية لها علاقة بأخلاقيات الأعمال	2.33	1.626	غير موافق

02	تؤدي واجباتك ومهامك بأمانة ونزاهة ودقة مهنية عالية	3.07	1.639	محايد
03	تعطي عملك حقه من الوقت الرسمي المخصص له	3.90	0.923	موافق
04	تستغل امكانيات العمل المادية لحاجاتك الشخصية	1.27	0.450	غ موافق بشدة
05	تتصرف مع المرؤوسين وأي متعامل وفق القوانين المعمول بها	4.47	0.571	موافق
06	تقوم بالحفاظ على المعلومات السرية للمرضى	4.83	0.379	موافق بشدة
07	تتمتع بإحساس المسؤولية اتجاه المرضى	4.57	0.504	موافق بشدة
08	تقوم باستغلال المنصب والنفوذ الممنوح لك والتصرف حسب رغباتك الشخصية	1.30	0.466	غ موافق بشدة

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Spss 19

من خلال هذا الجدول يتضح أن كل العبارات (من 01 إلى 08) كانت بمتوسط حسابي أكبر من المتوسط الحسابي السلمي (3) وهي بذلك تعبر عن موافقة الأفراد على هذه العبارات إلا انه هناك تباين كبير في الإجابات هذا ما يظهره الانحراف المعياري .

بناءا على ما تقدم نستنتج أن مستوى توجه العاملين نحو أخلاقيات الأعمال بمستشفى المدية جاء مرتفعا وفقا لمقياس الدراسة، إذ بلغ متوسط إجابات المبحوثين عن البعد ككل (3.2167) وهذا يدل على أن المبحوثين في مختلف مصالح المستشفى يتمتعون بكفاءة ايجابية يتصف بالمحايدة نحو الرغبة في ان يكونوا اعضاء فاعلين بالمستشفى.

رابعا: تحليل المحور الثالث من الاستبانة من خلال هذا الجزء سنقوم بتحليل ما تبقى من نتائج الأسئلة التي تمثل مكون علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين في المستشفى.

الجدول رقم (15): درجات الموافقة عن عبارات علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين لعينة الدراسة

الرقم	علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين في المستشفى	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العينة
01	تساهم القيم والمعتقدات السائدة لدى العاملين بالمؤسسة في تحسين أداء العمال	3.90	0.803	موافق

02	تعمل القواعد الأخلاقية على تسهيل انجاز العمل في المؤسسة	4.30	0.651	موافق بشدة
03	العامل ذو الأخلاق العالية يمتاز بتفاني في العمل بشكل أكبر	4.73	0.450	موافق بشدة
04	يؤثر الافتقار الى العدالة والنزاهة في المؤسسة على اداء العاملين	4.53	0.571	موافق بشدة
05	توفر المؤسسة البيئة المناسبة لإنجاز المهام في احسن الظروف	3.40	1.221	موافق

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Spss 19

من خلال هذا الجدول يتضح أن كل العبارات (من 01 إلى 05) كانت بمتوسط حسابي أكبر من المتوسط الحسابي السلمي (3) وهي بذلك تعبر عن موافقة الأفراد على هذه العبارات إلا انه هناك تباين كبير في الإجابات هذا ما يظهره الانحراف المعياري .

بناءا على ما تقدم نستنتج أن مستوى علاقة أخلاقيات الأعمال بأداء العاملين بمستشفى المدية جاء مرتفعا وفقا لمقياس الدراسة، إذ بلغ متوسط إجابات المبحوثين عن البعد ككل (4.1733) وهذا يدل على أنه هناك علاقة بين أخلاقيات الأعمال وأداء العاملين، اذ أن العاملين في مختلف مصالح المستشفى يتمتعون بأخلاق ايجابية تتصف بالرغبة في ان يكونوا اعضاء فاعلين بالمستشفى.

المبحث الرابع: اختبار فرضيات الدراسة الميدانية

بعد أن تم جمع البيانات وتحليلها باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة وفي ضوء الفرضيات التي استهدفت هذه الدراسة اختبارها، سنتطرق من خلال هذا الجزء إلى اختبار الفرضيات المتعلقة بالدراسة الميدانية والتحقق من صحتها أو عدمها وذلك باستعراض نتائج تحليل بالنسبة لكل فرضية .

أولا: اختبار الفرضية الرئيسية الأولى

H_0: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير أخلاقيات الأعمال على تحسين أداء العاملين لدى عمال المستشفى؛

H_1: توجد فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير أخلاقيات الأعمال على تحسين أداء العاملين لدى عمال المستشفى. نتائج اختبار (t-test) لهذه الفرضية تظهر من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم (16): نتائج اختبار الفرضية الرئيسية الأولى

	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري	T	درجة الحرية	Sig

أخلاقيات الأعمال وتحسين اداء العاملين	0.10778	0.74572	0.13615	0.792	29	0.435

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على معطيات برنامج Spss 19

قيمة (t) تساوي 0.792 والاحتمالية المصاحبة لها 0.435 وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) ومنه نرفض الفرضية العدمية H_0 ونقبل الفرضية البديلة H_1 والقائلة "توجد فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير أخلاقيات الاعمال على تحسين أداء العاملين بمستشفى المدية " والخطأ المحتمل من نوع α.

ثانيا: الفرضية الرئيسية الثانية

H_0: اتجاهات عمال المستشفى نحو أخلاقيات الأعمال سلبية؛

H_1: اتجاهات عمال المستشفى نحو أخلاقيات الأعمال ايجابية.

لاختبار هذه الفرضية نعتمد على المتوسط الحسابي الإجمالي للبعد ككل التي تعبر عن اتجاهات عمال المستشفى نحو أخلاقيات الأعمال.

الجدول رقم (17): نتائج اختبار الفرضية الرئيسية الثانية

البعد:	المتوسط الحسابي :	الانحراف المعياري :
الجوانب الأخلاقية	3.8028	0.79494
المتوسط الحسابي (اتجاهات عمال المستشفى)	3.8028	0.79494

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على معطيات برنامج Spss19

حسب ما يوضحه الجدول (17)، بلغ المتوسط الحسابي العام لاتجاهات عمال المستشفى نحو أخلاقيات الأعمال (3.8028)، وهو يعبر عن مستوى درجة موافقة عمال المستشفى الذين يعتقدون أن أخلاقيات الأعمال تنال هذه الدرجة، وبتطبيق هذا المستوى على سلم ليكارت الخماسي يتضح أن المتوسط الحسابي العام يقع في الدرجة (3) وهو يشير الى درجة من الموافقة في مستوى تقييم عمال المستشفى لأخلاقيات الأعمال وهذا يعني رفض الفرضية العدمية التي تنص على أن اتجاهات عمال المستشفى نحو أخلاقيات الأعمال سالبة وقبول الفرضية البديلة التي تنص على عكس ذلك.

ثالثا: الفرضية الرئيسية الثالثة

H_0: اتجاهات عمال المستشفى نحو تحسين أداء العاملين سالبة؛ H_1 :

اتجاهات عمال المستشفى نحو تحسين أداء العاملين ايجابية.

لاختبار هذه الفرضية نعتمد على المتوسط الحسابي الإجمالي للبعد الذي يعبر عن تحسين أداء العاملين.

الجدول رقم (18): نتائج اختبار الفرضية الرئيسية الثالثة

الأبعاد:	المتوسط الحسابي:	الانحراف المعياري:

توجه العاملين نحو أخلاقيات الأعمال	3.2167	0.56661
علاقة اخلاقيات الأعمال بأداء العاملين في المستشفى	4.1733	0.44173
المتوسط الحسابي (اتجاهات عمال المستشفى)	3.6950	0.39627

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على معطيات برنامج Spss 19

حسب ما يوضحه الجدول (18)، بلغ المتوسط الحسابي العام لاتجاهات المستشفى نحو تحسين أداء العاملين (0.39627)، وهو يعبر عن مستوى درجة الموافقة من خلال عمال المستشفى الذين يعتقدون أن تحسين الأداء ينال هذه الدرجة، وبتطبيق هذا المستوى على سلم ليكارت الخماسي يتضح أن المتوسط الحسابي العام يقع في الدرجة (3) وهو يشير إلى مستوى من الموافقة في تقييم عمال المستشفى لتحسين أداء العاملين، وهذا يعني رفض الفرضية العدمية التي تنص على أن اتجاهات عمال المستشفى نحو تحسين أداء العاملين سلبية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على عكس ذلك.

رابعا: اختبار الفرضية الرئيسية الرابعة

H_0: لا يوجد اثر ذو دلالة احصائية بين استخدام أخلاقيات الأعمال وتحسين أداء العاملين في مستشفى بني سليمان ولاية المدية عند مستوى دلالة (0.05)؛

H_1: يوجد اثر ذو دلالة احصائية بين استخدام اخلاقيات الاعمال وتحسين أداء العاملين في مستشفى بني سليمان ولاية المدية عند مستوى دلالة (0.05).

الجدول رقم (19): نتائج اختبار الفرضية الرئيسية

المتغيرات المستقلة	B	T المحسوبة	مستوى الدلالة Sig	معامل الارتباط R	معامل التحديد R2
الثابت	-0.694	-0.600	0.554	0.669	0.448
توجه العامل نحو أخلاقيات الاعمال	-0.204	-0.997	0.327		
علاقة اخلاقيات الاعمال بأداء العاملين في المستشفى	1.236	4.680	0.000		

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على معطيات برنامج Spss 19

لدينا المعادلة: $y=\beta+\alpha x$ أي: $y=-0.694-0.204x_1+1.236x_2$

Y: تحسين أداء العاملين **X:** أخلاقيات الأعمال

استخدمنا تحليل الانحدار المتعدد لاختبار فرضية البحث الرئيسية الرابعة وقد تبين من خلال نتائج هذا التحليل الوارد في جدول اعلاه ما يلي: هناك علاقة ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المتغير المستقل المتمثل في أخلاقيات الأعمال والمتغير التابع المتمثل في تحسين أداء العاملين في مستشفى بني سليمان ولاية المدية إذا بلغ (t=-0.600) بمستوى دلالة (0.554)، وتشير قيمة معامل الارتباط (R) إلى ان قوة العلاقة بين المتغيرين السابقين هي (.6690) ،حيث فسر متغير أخلاقيات الأعمال (44.8%) من التباين في مستوى تحسين أداء العاملين بالاعتماد على قيمة معامل التحديد (R^2)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة H_1 التي تنص على انه "يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لأخلاقيات الأعمال لدى عمال المستشفى وذلك عند مستوى دلالة (0.05)".

الخاتمة:

من خلال الدراسة التي قمنا بها أتضح لنا أهمية الدور الذي تلعبه أخلاقيات الأعمال في تحسين أداء العاملين فهي أحد العوامل التي تساهم في تشكيل حس بالمسؤولية لدى العاملين، ولقد أظهرت الدراسة التي قمنا بها تلك العلاقة.

النتائج:

_ نقص كبير لدى العاملين بالمستشفى في استغلال واستخدام المدونات والعمل بها، بالرغم من توفرها في أغلب مصالحه؛

- غياب الاهتمام الكافي بعملية تقييم أداء العاملين مما ولد لدى غالبيتهم سلوك لا مبالي؛

- غياب دور ادارة المستشفى في توعية العاملين حول أهمية الأعمال، وكذا عدم اهتمامها بتحسين أداء العاملين؛

_ اظهرت الدراسة ان مستوى أخلاقيات الأعمال وتحسين أداء العاملين لدى عمال المستشفى كان مرتفعا وفقا لمقياس الدراسة؛ _ تقييم العاملين لعبارات بعد أخلاقيات الأعمال في المستشفى في تحسين أداء العاملين كان منخفضا اذ بلغ المتوسط الحسابي لبعد أخلاقيات الاعمال (3.0593) والمتوسط الحسابي لبعد تحسين أداء العاملين في المستشفى (2.8724).

التوصيات:

- وضع وتعزيز أخلاقيات الأعمال وضرورة أن يقوم المستشفى بتحديد السياسات الأخلاقية وتوزيعها عبر مختلف مصالحه وتدريب العاملين فيه على تعزيز قدرتهم لموجهة المشاكل الأخلاقية الصعبة؛

- اهتمام المستشفى بالموضوعية والاستقلالية والقدرة على مراعاة توازن المصالح والتحقق من القدرة على العمل وإتقانه؛

- ضرورة مراعاة مدى تقيد والتزام العاملين بقواعد السلوك الأخلاقي، مع ضرورة دراسة جميع هذه القواعد كونها تؤثر على أدائهم، وذلك من خلال اتباع الآليات التالية:

أ- التأكد من قدرة العاملين على نيل ثقة المرضى؛

ب – العمل على تطوير كفاءة العاملين المهنية وتحسين قدرتهم على العمل واتقانهم ومراعاتهم لأخلاق المهنة من خلال اقامة دورات خاصة في هذا الجانب؛

ج – التحقق من عدم قيام العاملين بأي عمل يسيء لسمعة المهنة والمستشفى على حد سواء.

دور المعرفة التسويقية بالزبون في تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية لعلامة كوندور

د. لعذور صورية
جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دور المعرفة التسويقية بالزبون في تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية لعلامة كوندور، من خلال التركيز على الخصائص الأساسية للمنتج وهي: الجودة، التصميم، الغلاف والعلامة التجارية، ولتحقيق أهداف الدراسة تم تصميم استبانة مكونة من 19 عبارة تم توزيعها على العاملين بإدارة التسويق، بالإضافة إلى الإدارات الأخرى التي لها علاقة بالنشاط التسويقي في مؤسسة كوندور للالكترونيك، وبعد تحليل النتائج توصلنا إلى أن المعرفة التسويقية بالزبون هي الأساس الذي تبنى عليه مختلف القرارات التسويقية داخل المنظمة، حيث تزود هذه الأخيرة بالفهم والإدراك الأفضل لزبائنها وهذا ما يمكنها من تصميم منتجات تلبي احتياجاتهم بشكل أفضل من الآخرين، وبتحليل إجابات الاستبانات إحصائيا تبين وجود علاقة ارتباط وتأثير معنوية للمعرفة التسويقية بالزبون في تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية.

الكلمات الدالة: المعرفة التسويقية، معرفة الزبون، خصائص المنتج، منتج اللوحات الالكترونية لعلامة كوندور.

Abstract:

The aim of this study was to identify the role of customer marketing knowledge in determining the characteristics of the Condor digital panel product by focusing on the basic characteristics of the product: quality, design, cover and brand. To achieve the objectives of the study a questionnaire was designed composed of 19 words were distributed to the staff of the Marketing Department and other in departments related to the marketing activity in the Condor Electronics,
After analyzing the results we concluded that customer marketing knowledge is the basis upon which various marketing decisions are based within the organization, In order to better understand their customers and this is what enables them to predict their needs and try to meet better than others, and by analyzing the answers of questionnaires statistically, there is a correlation relationship and a significant impact of the marketing knowledge of the customer in determining the characteristics of the product.

Keywords: marketing knowledge, customer knowledge, product characteristics, digital panel product for condor tag.

مقدمة:

تعتبر المعرفة التسويقية من المصادر الأساسية لاكتساب الميزة التنافسية للمنظمات، فهذه الأخيرة تحاول التحول شيئا فشيئا لتصبح مؤسسات قائمة على المعرفة، من خلال مهارتها في استقطاب كل

المعلومات اللازمة عن مكونات السوق الأساسية: المنتج، الزبون، المنافس،...إلخ، والاستفادة منها في زيادة فعالية أنشطتها التسويقية، وباعتبار المستهلك هو سيد السوق وسبب وجود المنظمة ومركز اهتمامها، فهي تبحث دائما عن الآليات الجديدة التي تمكنها من تطوير وتحسين منتجات جديدة له، من شأنها أن تميزها في سوقها المستهدف. والمعرفة بالزبون كان الشيء الجديد لتحقيق ذلك، الأمر الذي يتطلب المزيد من الجهد من قبل المنظمة للحصول على معلومات عالية الدقة عن حاجاتهم ورغباتهم، واستخدام هذه المعلومات في اتخاذ القرارات التسويقية الخاصة بتحديد خصائص المنتج (الجودة، التصميم، الغلاف، العلامة التجارية..)، الذي يقدم للزبون، فالمنظمات التي تريد البقاء في طليعة المنافسين هي التي تتمكن من ترجمة حاجات ورغبات زبائنها إلى منتجات وخدمات مطابقة تماما لحاجاته ورغباته، محققة بذلك أكبر إشباع له وبشكل أفضل من المنافسين.

من هذا المنطلق جاءت إشكالية هذا البحث لتعالج التساؤل الرئيسي التالي: **ما أثر المعرفة التسويقية بالزبون في تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية لعلامة كوندور؟**

وللإجابة عن الإشكال المطروح ارتأينا طرح التساؤلات التالية:

- هل تعتمد المنظمة على المعرفة التي تحصلت عليها والتي تمتلكها حول زبائنها في تحديد خصائص منتجاتها (الجودة، التصميم، الغلاف، العلامة التجارية) بالشكل الذي يلبي احتياجات زبائنها في أسواقها المستهدفة؟؛
- ما مدى إدراك المؤسسة محل الدراسة لأهمية العلاقة بين المعرفة التسويقية بالزبون، وعملية تحديد خصائص منتجاتها (الجودة، التصميم، الغلاف، العلامة التجارية) ؟؛
- هل يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين المعرفة التسويقية بالزبون وعملية تحديد خصائص المنتج (الجودة، التصميم، الغلاف، العلامة التجارية) ؟.

فرضيات الدراسة: محاولة للإجابة عن التساؤلات المطروحة سابقا، يمكن صياغة الفرضيتين التاليتين:

1- توجد علاقة ارتباط معنوية بين المعرفة التسويقية بالزبون وتحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية؛

2- توجد علاقة تأثير معنوية عند مستوى الدلالة الاحصائية ($\alpha \leq 0.05$) بين المعرفة التسويقية بالزبون وتحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية.

أهداف الدراسة: تأسيساً على ما سبق، سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على مدى إدراك مؤسسة كوندور المنتجة للالكترونيك بولاية برج بوعريريج لمفهوم المعرفة التسويقية بالزبون وأبعادها؛
- التعرف على مدى تطبيق مؤسسة كوندور للالكترونيك للمعرفة بالزبون في تحديد خصائص منتجاتها المتعلقة باللوحات الؤقمية ؛
- الكشف عن وجود تأثير ذو دلالة احصائية بين المعرفة التسويقية بالزبون وتحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية.

المحور الأول: الإطار النظري للبحث

أولا: مفهوم المعرفة التسويقية بالزبون، وأبعادها:

قبل التطرق إلى مفهوم المعرفة التسويقية بالزبون، نعرج أولا على مفهوم المعرفة التسويقية بشكل عام كما يلي:

1- تعريف المعرفة التسويقية: عرفت المعرفة التسويقية، على أنها:

- عبارة عن:" عملية جمع وتحليل المعلومات الخاصة بالزبائن والأسواق والمنتجات التي تساعد المنظمة على إنشاء هويات وعلامات تجارية قوية" [1].

- وعرفت أيضا على أنها " أحد مهارات المنظمة في الإكتساب والخلق والإحتفاظ والتشارك بالمعرفة المعتمدة على نظرة المنظمة لبيئتها التسويقية" [2].

- فيما يعدها (Wright) بكونها تمثل مجموعة من الأفكار والأحكام والإنطباعات والصور الذهنية المترسخة لدى إدارة المنظمة اتجاه متغيرات السوق والزبائن الحاليين والمحتملين [3].

مما سبق، من تعريفات نستنتج بأن المعرفة التسويقية هي عبارة عن مجموعة من المهارات التي تتمتع بها المنظمة في تحصيل المعلومات الخاصة بعناصر السوق المتمثلة في الزبائن، المنتجات، المنافسين، الموردين...الخ.

2- أبعاد المعرفة التسويقية: تمثل أبعاد المعرفة التسويقية بالآتي[4]:

أ- المحتوى: يمثل جوانب التميز والاختلاف لما تمتلكه المنظمة من سمات معرفية في المجال التسويقي والتركيز على المعلومات المرتبطة بالأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، بمعنى على المنظمة أن تدرك جيدا ما تحتاجه فعلا من المعرفة التسويقية سعيا لبلوغ أهدافها؛

ب- الثقافة: تعد الثقافة مرتكزا أساسيا من مرتكزات امتلاك المعرفة التسويقية ولا يمكن بأي حال من الأحوال صياغة معرفة تسويقية لمنظمة ما لم تمتلك ثقافة تمكنها من فهم التجارب المتميزة في السوق والممارسات المبتكرة، بما يؤدي إلى سهولة نقل وإدارة المعرفة التسويقية. وفي هذا الصدد ناقش (Zaltma) إشكالية تكوين المعرفة التسويقية في بعض المنظمات الخدمية وتوصل إلى أبرز المعوقات التي تحد من امتلاك المنظمة لمعرفة تسويقية متكاملة تتمثل في الجانب الثقافي الذي يعتبر في هذه الحالة سلاح ذا حدين.

ت- العملية: في مجال العمليات التي تجري داخل المنظمة فان هناك مراحل ينبغي توظيفها لتعزيز المعرفة التسويقية التي تمتلكها وأبرز تلك المراحل: تحديد أهداف المعرفة من خلال تشخيص الجوهر المعرفي

---

[1]: علاء فرحان طالب الدمعي وفاطمة عبد علي سلمان المسعودي، المعرفة السوقية والقرارات الاستراتيجية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011، ص 49.

[2]: ثامر ياسر البكري و هاشم سليمان، "إدارة المعرفة التسويقية وانعكاساتها على العلاقة مع الزبون لتحقيق الميزة التنافسية"، بحث مقدم في المؤتمر العلمي الثاني حول إدارة المعرفة في ظل الجودة الشاملة وتكنولوجيا المعلومات، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، عمان، الأردن، 26-27 نيسان، 2006، ص 10.

[3]: رعد عدنان رؤوف وسالم حامد حمدي، "المعرفة السوقية واستدامة الميزة التنافسية دراسة ميدانية في عينة من المنظمات الصناعية في محافظة نينوي"، كلية الإدارة والإقتصاد، مجلة تنمية الرافدين، مجلد 32، العدد 100، جامعة الموصل، العراق، 2010، ص 86.

[4]: المرجع نفسه، ص 88.

للمنظمة وتوظيف احتياجاتها المستقبلية من المعرفة، التميز المعرفي في الجانب التسويقي للمنظمة مقارنة بالمنافسين، ديمومة المعرفة التسويقية، نشر المعرفة التسويقية، إستخدام المعرفة التسويقية.

3- المعرفة التسويقية بالزبون: يعتبر المستهلكون (الزبائن) الحلقة الأخيرة أهمية في التسويق، وهم المصدر المتجدد لمعرفة الحاجة إلى تطوير المنتجات، وكلما كانت المنظمة أكثر قدرة على التفاعل مع البيئة والمستهلكين، كلما كانت الاستجابة أسرع وتطورت المعرفة لديها وتصبح أكثر فهما وتوجها نحو المستقبل، فالنجاح التسويقي يتطلب توجيه كافة الجهود لتحديد حاجات ورغبات المستهلكين والعمل على تقديم منتجات يكون المستهلك بحاجة إليها بما يؤدي إلى تحسين الصورة الذهنية لديه عن المنظمة ومنتجاتها، وهذا ما يتطلب تحليل الأنماط السلوكية الاستهلاكية لأفراد السوق[1]. ومنه يمكن تعريف الزبون على أنه:

- " رأس مال المنظمة وأحد أصولها والمساهم الأكبر في سير عملياتها لما له من دور فعال في تحقيق نجاح المنظمات واستمرار نموها، كونها تعتمد إلى حد كبير على مقدار حصولها على الزبائن وزيادة عددهم، فبدونهم ينعدم وجود أي نشاط انتاجي أو خدمي" [2].

- وعرف في موضع آخر على أنه: " ذلك الشخص الداخلي أو الخارجي الذي يقتني منتج منظمة ما من السوق الصناعي أو الاستهلاكي أو الداخلي (داخل المنظمة) لتحقيق حاجاته أو رغبات عائلته، عن طريق عملية الشراء أو المبادلة" [3].

أما مصطلح (معرفة الزبون) فيشير إلى درجة فهم المنظمة لزبائنها من حيث احتياجاتهم ورغباتهم وكيفية إشباع هذه الاحتياجات وإرضاء هذه الرغبات، وإلى جمع وتحليل المعلومات التي تحتاجها المنظمة عن الزبائن لإدراك احتياجاتهم وتوقعاتهم من أجل بناء علاقة قوية معهم [4]. وعرف في موضع آخر على أنه: " مهارات تعلم المؤسسة فن اكتساب المعرفة عن الزبائن وتوليدها وتحويلها والاحتفاظ بها، فضلا عن استخدام تلك المعرفة في سبيل تطوير الأداء أو الابداع في المنتجات والخدمات "[5]. وهذه المعرفة لا بد لها من إدارة حتى تحقق الأهداف المرجوة منها، لذلك جاءت إدارة معرفة الزبون كاستراتيجية أعمال تتكون من الحصول على معلومات ومعرفة عن سلوك الزبائن وحاجاتهم وعاداتهم ورغباتهم، لكي تستطيع المنظمة بيع

---

[1]: يوسف عبد العزيز مقدادي وآخرون، "المعرفة السوقية ودورها في تحديد الاستراتيجيات التنافسية للبرامج الاكاديمية في الجامعات الأردنية الخاصة بعمان"، المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالي، المجلد الخامس، العدد 10، 2012، ص 69-70.

[2]: علي فلاح الزعبي، "دور إدارة علاقات الزبائن في تعزيز الصورة الذهنية في شركات انتاج المياه المعدنية في مدينة عمان، الأردن(دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين)"، مجلة أبحاث اقتصادية وادارية، العدد 18، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة بسكرة، الجزائر، 2015، ص 8.

[3]: يوسف حجيم سلطان الطائي وهاشم فوزي دباس العبادي، إدارة علاقات الزبون، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص 60.

[4]: علاء فرحان طالب الدمعي وفاطمة عبد علي سلمان المسعودي، المعرفة السوقية والقرارات الاستراتيجية ، مرجع سبق ذكره، 57-58.

[5]: بن حمو نجاة، إدارة علاقات الزبائن كأداة لتحقيق الميزة التنافسية لمنظمات الأعمال (دراسة حالة مؤسسة كوندور للالكترونيك)، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015/2016، ص 41.

المزيد من منتجاتها أو خدماتها بكفاءة وفاعلية [1]. كما تساعد المنظمات على بناء علاقات قوية وذات فائدة مشتركة ومتبادلة مع زبائنها وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية[2]:

- من هم زبائننا؟؛
- كيف تساعد المعرفة المنظمة في المحافظة على زبائنها ودعمهم؟؛
- كيف تساعد المعرفة في الحصول على زبائن جدد؟؛
- كيف تستطيع المؤسسة استخدام معرفة الزبون في تحسين منتجاتها وخدماتها بشكل مستمر؟؛
- كيف تستطيع المؤسسة استخدام معرفة الزبون لإيجاد منتجات وخدمات جديدة؟؛
- كيف تستطيع المؤسسة استخدام معرفة الزبون للحصول على فهم أفضل للسوق الذي تنشط فيه؟.

أما فيما يخص أهمية إدارة معرفة الزبون، نذكر مايلي[3]:

- الاصغاء للزبون مما يعكس المعرفة التي يقدمها الزبون أثناء التعامل مع المنظمة، وهذه المعرفة تصبح ذات قيمة كبيرة عندما يتم جمعها من قبل المنظمات؛
- هذه العملية هي سلاح ذو بعدين، لأن التفاعل بين الزبائن والمنظمة سوف يعكس المعرفة التي يحتاجها الزبون والتي قد لا تمتلكها المنظمة، بينما تتعلم المنظمة من زبائنها، كما يستفيد الزبائن أيضا من آراء ومبادرات تصل إليهم من خلال رجال البيع؛
- تلبية حاجات الزبون من خلال الإصغاء إليه وإعطائه المعرفة التي ستسرع وتقوي العلاقة بين الزبون والمنظمة، وسوف تحصل المنظمة على المعرفة التي ستساهم في اختراع الخدمة أو المنتوج، إذ أن المنظمة التي تملك الفهم الأفضل لتوقعات وحاجات الزبائن ستكون قادرة على خدمة الزبون وتحقيق رضاه، وأشار (Murillo & Annabi) إلى أن ادارة معرفة الزبون تسهم في:

- تحسين جودة المنتجات؛
- تحسين خدمات الزبون؛
- تحقيق رضا الزبون؛
- تحسين الاحتفاظ بالزبون؛
- معرفة حاجات الزبون المتجددة.

[1]: درمان سليمان صادق، التسويق المعرفي المبني على إدارة علاقات ومعرفة الزبون التسويقية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012، ص 231.

[2]: بن حمو نجاة، إدارة علاقات الزبائن كأداة لتحقيق الميزة التنافسية لمنظمات الأعمال ، مرجع سبق ذكره، ص 42.

[3]: يوسف حجيم سلطان الطائي وهاشم فوزي دباس العبادي، إدارة علاقات الزبون، مرجع سبق ذكره، ص 361.

4- أبعاد معرفة الزبون: إن أبعاد معرفة الزبون تتجسد في:

أ- المعرفة الصريحة: هي المعرفة المتاحة للاستخدام مباشرة كونها مشكلة ومنظمة في وثائق وإجراءات، وبرمجيات، أو أي شكل آخر، وهكذا فهي معرفة عامة وخبرة مشتركة يمكن الوصول إليها، فهذا النوع من المعرفة يمكن التشارك فيه ومراكمته، ونقله، وتحليله[1]، في إطار هذه المعرفة نجد[2]:

- معرفة للزبون: يقصد بها المعلومات التي يرغب الزبون الحصول عليها من المنظمة، والتي تمكنه من تحديد المنتج أو الخدمة التي يريد أن يشتريها أو يهتم لشرائها وكيفية استعمالها، من خلال معلومات عنها وعن السوق وعن المورد، ولقد ازداد اهتمام المنظمات بهذا الجانب من المعرفة خاصة بعد إدراك الكثير منها لأهمية الزبون في العملية التسويقية وهذا ما يجعلها توظف كافة طاقاتها لمعرفة وفهم تفضيلاته وحاجاته وتزويده بالمعلومات التي يحتاجها؛

- معرفة حول الزبون: تتضمن المعلومات التي ترغب المنظمة معرفتها عن زبائنها الحاليين والمرتقبين، كمعرفة تاريخ العلاقة مع الزبائن ورغباتهم وحاجاتهم ومدى تمييزهم لعلامتها التجارية ومدى استمرارهم في التعامل معها، الأمر الذي يضع أمامها تصورات عن مدى ولائهم، وتعمل المنظمة على ترجمة هذه المعلومات إلى منتجات وخدمات مناسبة من خلال بناء وتطبيق استراتيجيات تسويقية تنطلق من الزبون وإلى الزبون طوال دورة حياته في تعامله مع المنظمة؛

ب- المعرفة الضمنية: وهي أشبه ما تكون بالمعرفة الصامتة المكتسبة والمسجلة في العقل فهي غير مرئية وغير ملموسة وغير معرفة ولا تظهر بوضوح إلا من خلال الحوار والنقاش[3]، وفي إطار هذه المعرفة نجد[4]:

- معرفة الأعمال للزبون: تبدأ هذه المعرفة من تعامل المنظمة مع الزبون وبتدرج من تعاملات الشراء ومراكز الاتصال والعاملين الذين يحتكون بالزبائن إلى المستويات الادارية الأعلى، وبالتالي فان تحويل هذه المعرفة إلى صيغ مختلفة كما يفترضها الزبون، أي تحويل هذه المعرفة إلى معرفة واضحة أو بتعبير آخر معرفة صريحة، هو ما يمكن من المحافظة على الزبون وتعزيز العلاقة معه؛

- معرفة زبون لزبون: يعتبر الالمام بتعاملات زبائن المنظمة مع بعضهم البعض من أهم أدوار إدارة المعرفة الضمنية، حيث هناك العديد من المنظمات التي تسعى بشكل متعمد لتسخير هذا النوع من المعرفة من خلال إتاحة الفرصة والمجال والموارد لهذا التعامل لكي يحصل ويمكنها ذلك من سماع ما يقال عنهم، وبالتالي استغلال هذا الجانب ورعاية الاتصال والتفاعل بين الزبائن أنفسهم حتى تتمكن من معرفة صورتها في الوسط الذي تعمل به، وتعتبر معرفة الزبون لزبون مجالا حرجا للقابلية على رسم دورة حياة الزبون الكاملة لأنها تفسر لماذا يصل الزبائن إلى المنظمة وما الذي يلهمهم للرحيل.

---

[1]: ربحي مصطفى عليان، إدارة المعرفة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص 80.

[2]: بن حمو نجاة، إدارة علاقات الزبائن كأداة لتحقيق الميزة التنافسية لمنظمات الأعمال ، مرجع سبق ذكره ص 43 – 44 .

[3]: حسان عبد المفلح المومني، "مدى استعداد المؤسسات العامة في الأردن لتطبيق إدارة المعرفة"، بحث مقدم في المؤتمر السنوي الدولي الخامس حول اقتصاد المعرفة والتنمية الاقتصادية، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة الأردنية، 2005، ص 16.

[4]: بن حمو نجاة، إدارة علاقات الزبائن كأداة لتحقيق الميزة التنافسية لمنظمات الأعمال، مرجع سبق ذكره، ص 44 – 45 .

ولهذا الخصوص طبقت إدارة العلاقة مع الزبون للتعرف على الزبائن وتطوير علاقة المنظمة معهم متأملة في ذلك زيادة رضا الزبون وولائه لها، باعتمادها صيغ في التعامل المشترك بينها وبين الزبائن من خلال التبادل المستمر في البيانات والمعلومات لتعزيز سبل المعرفة بين الطرفين، وهذا التبادل في المعلومات يتمثل في اتجاهين[1]:

- المعرفة التي يمتلكها الزبون بخصوص المواضيع المتعلقة بالمنتجات والخدمات التي يهتم بشرائها؛
- المعرفة التي يجب أن تمتلكها المنظمة والتي يمكن استخدامها لمساعدة الزبون في اتخاذ قرار الشراء.

إن السبب في هذا التقسيم هو وجود عملية تفاعلية لتبادل المعرفة بين المنظمة والزبون حيث يقدم الزبون المعرفة في بعض الأحيان في حين تقدم المنظمة هذه المعرفة في أحيان أخرى[2]، وبالتالي فاستراتيجية التسويق تهتم بخلق قيمة أكبر للزبون من خلال إشراكه كعنصر مؤثر في المنظمة حتى يرى البعض بأن الزبون جزءا داخليا من المنظمة [3]، لذا فعلى المنظمة أن تعمل على[4]:

أ- تقييم مستوى رضا عملائها من خلال إنشاء نظام معلومات خاص بذلك؛

ب- الحرص على تحديد احتياجاتهم وتوقعاتهم وأي تغييرات قد تحصل فيها؛

ت- العمل على إشباع تلك الحاجات كما ونوعا؛

ث- القيام بتطوير وتوطيد العلاقة معهم.

ثانيا: مفهوم المنتج وخصائصه:

يعتبر المنتج قلب الاستراتيجية التسويقية لأي مؤسسة، وهذه الأخيرة مطالبة بتصميم وتطوير منتجات تتلائم واحتياجات مستهلكيها في أسواقها المستهدفة.

1- تعريف المنتج: يمكن إعطاء المنتج أكثر من تعريف وذلك على النحو التالي:

- عرف كوتلر المنتج على أنه :" أي شيء يمكن عرضه في السوق لتلبية رغبة أو حاجة ما "[5].
- أما حميد الطائي وبشير العلاق فعرفاه على أنه:" مجموعة الخصائص الملموسة وغير الملموسة التي يمكن أن تشتمل على التعبئة واللون والسعر والجودة والعلامة التجارية بالإضافة إلى خدمات البائع وسمعته"[6].

---

[1]: درمان سليمان صادق، بحث حول "العلاقة بين إدارة معرفة الزبون والتوجهات السوقية للمنظمات"، كلية الإقتصاد والإدارة، جامعة دهوك، العراق، 2008، ص 6.

[2]: المرجع نفسه، ص6.

[3]: ثامر البكري، "الميزة التنافسية باستعمال تحليل swot لبناء استراتيجية التسويق حالة تطبيقية على مؤسسة تويوتا لصناعة السيارات"، بحث مقدم في الملتقى الدولي الرابع حول المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج المحروقات في الدول العربية، دون سنة، ص 4.

[4]: فتحي محمد بريدان، "متطلبات تطبيق التخطيط الاستراتيجي في مجال التعامل مع العملاء"، بحث مقدم في المؤتمر الدولي الثالث حول تكامل مخرجات التعليم مع سوق العمل في القطاع العام والخاص، كلية الاقتصاد والتجارة/الخمس، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، 2014، ص 3.

[5] : Kotler PH, Marketing Management Analysis Planing, Implementation and Control, Prentice- hallinc, 9ed, New Jersy, 1997, P. 110.

[6]: حميد الطائي وبشير العلاق، تطوير المنتجات وتسعيرها، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص 16.

- أما ماكارثي فإنه يرى في المنتج مصدرا لإشباع الحاجات والرغبات الاستهلاكية كما أنه مصدر للربح الذي يسعى إليه كل من المنتج والموزع، بل يتعداه إلى كل الأبعاد التي يمكن أن تحقق للمستهلك المنافع التي يسعى إلى تحقيقها[1].

إن المنتج من الناحية التسويقية، يتضمن الابعاد التالية هي[2]:

أ- المنتج الفعلي: وهو ما يتعلق بالخصائص الطبيعية للمنتج وتصميمه وغلافه الخارجي واسمه التجاري؛

ب- جوهر المنتج: ويمثل مجموعة المنافع الأساسية التي يستهدفها المستهلك من جراء شرائه للمنتج؛

ت- المنتج المدعم: ويتضمن مجموعة من المنافع المادية التي يحصل عليها المستهلك عند شرائه للمنتج مضافا إليه خدمات ما قبل وأثناء وبعد البيع.

2- خصائص المنتج: يمتلك المنتج العديد من الخصائص التي تجعل منه منتوجا تنافسيا في السوق، ومن خلال هذا البحث سيتم تركيزنا على الخصائص الأساسية التالية:

أ- جودة المنتج: عرفت جودة المنتج بأنها مجموعة المميزات والخصائص للسلعة أو الخدمة التي تحدد قدرتها على إرضاء حاجات المشترين وإشباعها [3]. ويعرف Bergman جودة المنتج على أنها قدرته على إرضاء حاجات أو تجاوز توقعات المستهلكين[4]. وهي كذلك: " مجموعة المميزات والخصائص للسلعة أو الخدمة التي تحدد قدرتها على إرضاء حاجات المشترين وإشباعها" [5]. وبالتالي تعد جودة المنتج من الوسائل الرئيسية التي تساعد المسوقين في ترسيخ صورة المنتج في ذهن المستهلك.

وفي نفس السياق، نجد للمنتج أبعاد متعددة مرتبطة بالجودة يؤدي تحقيقها الى تلبية متطلبات الزبائن، وهي[6]:

- مستوى الأداء: هل أن المنتوج يؤدي وظيفته بكفاءة؛
- الاعتمادية (المعولية): هل يحقق المنتوج عجزا، وإلى أي مدى يمكن الاعتماد عليه؟؛
- مدة الحياة: ماهي المدة التي يبقى فيها المنتوج قابلا للاستخدام؛
- إمكانية الصيانة: أي أن تكون صيانة المنتوج سهلة، مع توفر خدمات ما بعد البيع خاصة فيما يتعلق بالسلع المعمرة؛
- التطابق (التوافق) مع الموصفات: هل أن المنتوج مطابقا فعلا لما تم وضعه في التصميم؛
- المظهر: اللون، الطراز، الشكل...الذي يزيد من اختيار المنتوج؛

---

[1] : Mc Carthy,E Jerome, Essentials Of Marketing, Home-Wood Illinois : Richard D, Irwin Inc, 1979. P. 174.

[2]: محمد الصيرفي، التسويق الاستراتيجي، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2009، ص 113.

[3]: حميد الطائي وبشير العلاق، تطوير المنتجات الجديدة وتسعيرها، مرجع سبق ذكره، ص 48.

[4]: B. Bergman, B. Klefsjö, Quality from customer needs to customer satisfaction, Studentlitteratur, 3rd edition, Hungary, 2010, p.23.

[5]: حميد الطائي وبشير العلاق، تطوير المنتجات وتسعيرها، مرجع سبق ذكره ، ص 48.

[6]: سلطان كريمة، طرق تحسين جودة المنتوج الصناعي وأثرها في تخفيض التكاليف، مذكرة ماجستير، جامعة سكيكدة، الجزائر، 2007/2006، ص 12.

ز- الوظائف الثانوية: والتي توضح الفرق في الجودة التقنية بحيث تكون تكون التكلفة متساوية مثلا بين المنتجين ولكن المنتوج الجيد هو الذي يتفوق عن الآخر بتأدية بعض الوظائف الغير أساسية فيه؛

ع- تمييز الجودة: جد معقدة، تقوم على عدة عناصر ذاتية كاسم العلامة، الصلابة، الرفاهية...

ب- تصميم المنتج: يشير تصميم المنتج إلى تركيب الأنشطة أو الأجزاء والعناصر لضمان الحصول على منتج ذي كفاءة وجودة عالية[1]، ويجب على المنظمة أن تأخذ بعين الاعتبار عدة عوامل عند تصميمها للمنتجات منها دراسة السوق والسلعة التي هي من اختصاص قسم البحث والتطوير، متغيرات البيئة التسويقية، العلاقة بين قرارات التصميم وقرارات إدارة الإنتاج والعمليات الأخرى ونوع النظام الإنتاجي ودورة حياة المنتوج [2]. لأن التصميم الجيد يؤدي إلى تحسين إمكانيات تسويقه وتسهيل عمليات استخدامه أو استهلاكه بالإضافة إلى تعزيز أساليب الترويج له.

ج- تغليف المنتج: ينطوي التغليف على مجموعة من الأنشطة التسويقية المتعلقة بتصميم وإنتاج العبوة الحاوية للسلعة وكل ما يرتبط بها من عمليات لف وحزم ومستلزماتها، وعليه فإن التغليف هو مجموع العناصر التي تكون جزء من المنتج والتي تباع معه من أجل حفظ محتوياته[3]. وعرف في موضع آخر على أنه: " الصورة المرئية للسلعة وهو الرمز الذي يحكم عليه المستهلك قبل أن يحكم على السلعة، فعن طريق الغلاف يتمكن المستهلك من التعرف على ما بداخله"[4].

وينقسم الغلاف إلى نوعين الغلاف الخارجي الذي يعد بمثابة الديكور الذي يشمل الرسومات، الألوان المستعملة، الرموز أو الإشارات أو الدلالات، أما العبوة فهي محتوى الغلاف وتمثل المادة المستعملة فيه سواء كانت زجاج أم بلاستيك، أم كارتون أم حديد يستغني عنها المستهلك بمجرد استخدام السلعة[5]. وعليه فمن وجهة نظر المستهلك يجب أن تتوافر فيه المعايير التالية[6]:

- أن يكون حجم الغلاف مناسبا للكمية من المنتج التي يراها المستهلك متوافقة مع احتياجاته وعاداته الشرائية؛
- أن يكون الغلاف قادرا على الحفاظ على السلعة من التلف أو الصدأ أو التسرب؛
- أن يبعث الغلاف في نفس المستهلك شعورا بالارتياح؛
- أن يكون شكل الغلاف جذاب للمستهلك متماشيا مع ذوقه وميوله؛
- أن يكون الغلاف متماشيا مع القيم السائدة في السوق، من حيث النظافة مثلا؛

---

[1]: غسان قاسم داود اللامي وأميرة شاكرولي البياتي، إدارة الإنتاج والعمليات (مرتكزات كمية ومعرفية)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص 81.

[2]: المرجع نفسه، ص 83.

[3]: إياد عبد الفتاح النسور، استراتيجيات التسويق مدخل نظري وكمي، ط1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012، ص 238.

[4]: زهير الحدرب، التسويق المعاصر، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الاردن، 2012، ص 121.

[5]: المرجع نفسه.

[6]: صادق محمد عفيفي، التسويق الدولي نظم التصدير والاستيرا د، الطبعة 10 ، مكتبة عين شمس، مصر، 2003 ، ص 326.

- أن يكون الغلاف ملائما لاحتياجات الموزع من جميع الوجوه حتى يقدم الخدمة المناسبة للمستهلك بشأن السلعة المعينة.

وإضافة لما سبق، تكمن كذلك أهمية التغليف في الأتي[1]:

- المحافظة على محتويات المنتج وحمايته أثناء عملية التعبئة والنقل والتداول والخزن حيث يقلل من احتمالات تعرضه للكسر؛
- يعد التغليف وسيلة اتصال مع جمهور المستهلكين وذلك من خلال تعريفه بالمنظمة وتعليماتها الخاصة باستخدام المنتج؛
- يعد أداة للشهرة والتمييز؛
- يعتبر التغليف عاملا مهما في نجاح المنتجات الجديدة؛
- يساعد التغليف المنظمة على اتباع سياسة التغيير فيه من أجل خفض التكاليف عندما ترتفع وكذلك عندما تنخفض المبيعات نتيجة لتقادم الغلاف، وظهور مواد جديدة للتعبئة مثل التغيير في العبوات الزجاجية إلى العبوات الكارتونية أو البلاستيكية؛
- حماية البيئة، تحت ضغط حركات حماية البيئة فان المنتجين بدءوا في تصميم أغلفة منتجاتهم بما يتلائم مع البيئة وعدم تلوثها.

د- العلامة التجارية: تعتبر العلامة التجارية صورة المنظمة في أسواقها المستهدفة وهي عبارة عن اسم أو مصطلح أو إشارة أو رمز أو تركيبة منها جميعا، هدفها تمييز السلع أو الخدمات المقدمة من بائع ما عن ما يقدمه المنافسون الآخرون[2].

- ويعرفها George lewi على أنها: " دليل مرجعي في السوق يعتمد على قيمتها الملموسة (جودتها الموضوعية)، وعلى قيمتها غير الملموسة (الجودة الذاتية، صورة العلامة، المشتركة)"[3].

وللعلامة التجارية أهمية كبيرة بالنسبة للمؤسسة والمستهلك على حد سواء، يمكن ايجازها فيما يلي[4]:

- بالنسبة للمستهلك:

✓ التعريف بالمنتج: حيث تساعد العلامة التجارية المستهلك على التعرف على المنتجات التي يرغب فيها بسرعة، في ظل تزاحم المنتجات وهكذا يلجأ إلى العلامة التجارية لتسهيل عملية تسوقه؛

✓ العلامة ضمان للمستهلك: تضمن العلامة التجارية للمستهلك مستوى مماثل من الرضا (الاشباع) مهما اختلف مكان شراء المنتوج أو أسلوب توزيعه، وهكذا فالعلامة تقلص درجة الخطر المدرك من خلال تسهيل عملية الشراء بتأمين جودة المنتج؛

---

[1] : www.abahe.co.uk

[2]: بشير العلاق وقحطان العبدلي، إدارة التسويق، دار زهران للنشر، عمان، الأردن، 1999، ص 149.

[3] :gorges lewi, la Marque, libraire Vuibert, 3éme éditions, , France , 2004, p. 24.

[4]: هاجر حميود، " الصورة الذهنية للعلامة التجارية وسلوك المستهلك" ، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد السابع، مارس، 2017، ص 277- 278.

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

✓ العلامة تمنح قيمة للمستهلك: فالتقييم الصحيح للعلامة والمنتجات التي يعلم بها المستهلك تساعده على ايجاد المنتجات التي تتناسب مع قيمته ومستواه الاجتماعي؛

✓ العلامة تسهل كسب ولاء المستهلك: من خلال توجيه قرار الشراء خاصة بالنسبة للمنتجات واسعة الاستهلاك، مما يسمح بكسب ولاء المستهلك .

- بالنسبة للمؤسسة:

✓ التعريف بمنتجاتها وحمايتها: تتيح العلامة التجارية للمنظمات تمييز منتجاتهم عن المنتجات المنافسة، كما توفر الحماية القانونية لمنتجاتهم من خلال الجانب القانوني للعلامة أو ما يعرف بالعلامات أو الماركات المسجلة، كما تساعد على تنفيذ الاستراتيجيات التسويقية وزيادة الرقابة على السوق وحساب حصتها السوقية لمنتجاتها وكل منتج على حدى؛

✓ تكرار البيع: تساهم العلامة التجارية في تكرار البيع الذي يكون نتيجة سهولة تعرف المستهلك عليها وارتباطها لديه بأمور جيدة وبالتالي رسوخ صورتها الجيدة في ذهنه، مما يساعد على خلق نوع من الولاء لديه؛

✓ حماية الحصة السوقية: تعتبر العلامة التجارية من الحواجز التي تمنع المنافسين من الدخول لقطاع النشاط؛

✓ عامل استقطاب: تعتبر عامل استقطاب لبعض أصحاب المصالح كالمساهمين، والكفاءات والمهارات للعمل بالمنظمة لأن هذه الأخيرة اذا كانت صاحبة علامة قوية يبعث ذلك الثقة لدى المساهمين بالتعامل مع المنظمة.

إضافة لما سبق، نجد المنظمة تعتمد على مجموعة من الاستراتيجيات تستهدف إلى تمييز المنتجات بالعلامات التجارية، ومنها[1]:

- إستراتيجية العلامة المتعددة؛ وفيها تقوم المنظمة المنتجة بوضع علامة مميزة على كل سلعة تقوم بانتاجها؛
- إستراتيجية العلامة الواحدة للسلع كافة التي تنتجها المنظمة؛ وهذا بوضع علاماتها المميزة على أنواع السلع كافة التي تقوم بإنتاجها؛
- إستراتيجية العلامة المميزة لكل مجموعة سلعية؛ في هذه الحالة تختار المنظمة مجموعة سلعية وتضع على كل مجموعة علامة تجارية مختلفة؛
- إستراتيجية العلامة التجارية الجامعة بين إسم المنظمة وإسم السلعة.

وخلاصة لما سبق يمكن القول، أن المعرفة التسويقية ساعدت المنظمات في اتخاذ القرارات المناسبة في الأوقات المناسبة باتجاه تغيير وتطوير المنتجات والخدمات تجاوباً مع تغير رغبات واهتمامات الزبون، فمن خلال التراكم المعرفي تكون المنظمة قادرة على تفسير المعلومات وتنظيم دراسات أفضل للسوق مما يجعلها تتعامل بشكل أفضل مع متغيراته، وقاعدة المعلومات التي ستبنيها المنظمة لتحقيق هذا الجانب ستكون

[1]: حميد الطائي وبشير العلاق، تطوير المنتجات وتسعيرها، مرجع سبق ذكره، ص 42.

مصدر مهم للمعلومات التي ستجعلها أقدر في اكتشاف أسواق جديدة واكتساب زبائن جدد، فضلاً عن المحافظة على الزبائن الحاليين[1].

المحور الثاني: الاطار العملي (الميداني) للدراسة:

1- التعريف بمؤسسة كوندور للالكترونيك[2]: مؤسسة كوندور للالكترونيك هي مؤسسة مختصة في الصناعة الالكترونية والكهرومنزلية، وهي مؤسسة خاصة ذات مسؤولية محدودة، تنشط وفق أحكام القانون التجاري، تحصلت على السجل التجاري في أفريل 2002، وباشرت النشاط الفعلي لها في فيفري سنة 2003 .

والعلامة التجارية لمؤسسة عنتر تراد هي: Condor ، ويعني الرمز الموجود أمام هذه الكلمة طائر يعيش في جبال أمريكا ، وبالنسبة لحرف R فيعني أنها مسجلة في الديوان الوطني للمؤلفات والابتكارات، أما (Antar Trade) فهو الاسم التجاري للمؤسسة بالإنجليزية، ومعناه بالعربية عنتر للتجارة. وهي إحدى المؤسسات المكونة لمجموعة بن حمادي التي تحتوي على خمس مؤسسات بما فيها كوندور، وهي:

- مؤسسة Argilor وهي وحدة لإنتاج الآجر.
- مؤسسة Gerboir وهي وحدة لإنتاج القمح الصلب ومشتقاته.
- مؤسسة Plyben وهي وحدة لإنتاج الأكياس البلاستيكية.
- مؤسسة Gemac وهي وحدة لإنتاج البلاط ومواد البناء.

2- أنواع اللوحات الرقمية لمؤسسة كوندور: إن مؤسسة "كوندور" تنوع في منتجاتها بين الهواتف واللوحات حتى تصل إلى كل الزبائن وتستجيب لتطلعات أكبر قدر ممكن منهم، وفي مجال اللوحات الالكترونية " كوندور" تعرض حتى الآن 19 نوعا بما فيها اللوحات الموجهة للأطفال بتصميم وتطبيقات خاصة بأطفال الجزائر وفق المناهج الدراسية المعتمدة في بلادنا. ومن بين لوحات كوندور نجد[3]:

- لوحة TGW706 ولوحة TGW 703G لوحتين عاليتي السرعة مزودتين بمعالج ثنائي النواة وشاشة 7 بوصة وهي عالية الدقة تشتغل بنظام أندرويد كيت كات للاستفادة من كل خدمات جوجل؛
- لوحة TFX-708 G مصممة بشكل أنيق مزودة بشريحة مزدوجة ومعالج ثنائي النواة قادرة على تشغيل كل الألعاب، تزن 265 غ وهي بسمك 8.8 ملم وشاشة 7 بوصة لاستعمال مريح، تتوفر بالألوان الأبيض، الأسود والأزرق؛

[1]: ثامر ياسر البكري و هاشم سليمان، "إدارة المعرفة التسويقية وانعكاساتها على العلاقة مع الزبون لتحقيق الميزة التنافسية"، بحث مقدم في المؤتمر العلمي الثاني حول ادارة المعرفة في ظل الجودة الشاملة وتكنولوجيا المعلومات، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، عمان، الأردن، 26-27 نيسان، 2006، ص 15.

[2]: وثائق داخلية للمؤسسة.

[3] :https://magazine.echoroukonline.com/articles/941.html

- لوحة TRA 901G من الجيل الجديد التي كانت ثمرة شراكة العملاق الجزائري والعملاق الأمريكي "إنتل" وهي الأولى من نوعها في إفريقيا والعالم العربي، مجهزة بنظام معالجة وتحليل من صنع "إنتل"، وهي لوحة إلكترونية مصممة للعمل بشريحة من الجيل الثالث والربط المباشر عبر "الويفي"، "901 جي" الجديدة مجهزة بأحدث التكنولوجيات من خدمة "الجي بي أس"، كاميراتين أمامية وخلفية، منفذ وقدرة تخزين هامة، تقنية بلوتوث...

فضلا عن العديد من الأنواع على غرار CTAB /CTAB785G/ TCV101G/ REVOLT W10/ 890 RI وغيرها.

3- تقديم عينة الدراسة: من أجل اختبار الفرضيات تم اختيار عينة شملت مجموعة الإداريين، والأفراد المسؤولين العاملين بإدارة التسويق، البحث والتطوير، والإدارات الأخرى التي لها علاقة بالنشاط التسويقي بالمؤسسة، وقد تم اعتبار هذه الفئة عينة الدراسة المقصودة بالاستبيان، حيث بلغ عدد الاستمارات المعتمدة في التحليل (36) استمارة.

4- أدوات جمع البيانات ومتغيرات الدراسة:

أ- أدوات جمع البيانات وتحليلها: لتحقيق أهداف الدراسة تم تصميم وتطوير استبانة مكونة من جزئين، استهدف الجزء الأول المعرفة التسويقية بالزبون، أما الجزء الثاني من الاستبيان فكان حول خصائص المنتج (الجودة، التصميم، التغليف، العلامة التجارية). واعتمدنا في تحليل بيانات الاستبيان على برنامج الإحصاء (SPSS). أما طريقة الإجابة عن الأسئلة الخاصة بالاستبيان فقد كانت وفق مقياس **Likert** الذي يحتوي على خمس درجات، **غير موافق بشدة** لها درجة واحد (1)، **غير موافق** لها درجة اثنان (2)، **محايد** لها درجة ثلاثة (3)، **موافق** لها درجة أربعة (4)، **موافق بشدة** لها درجة (5). وحسب الدراسات السابقة تم تقسيم مقياس ليكرت كما يلي:

الجدول رقم (01): معيار مقياس التحليل

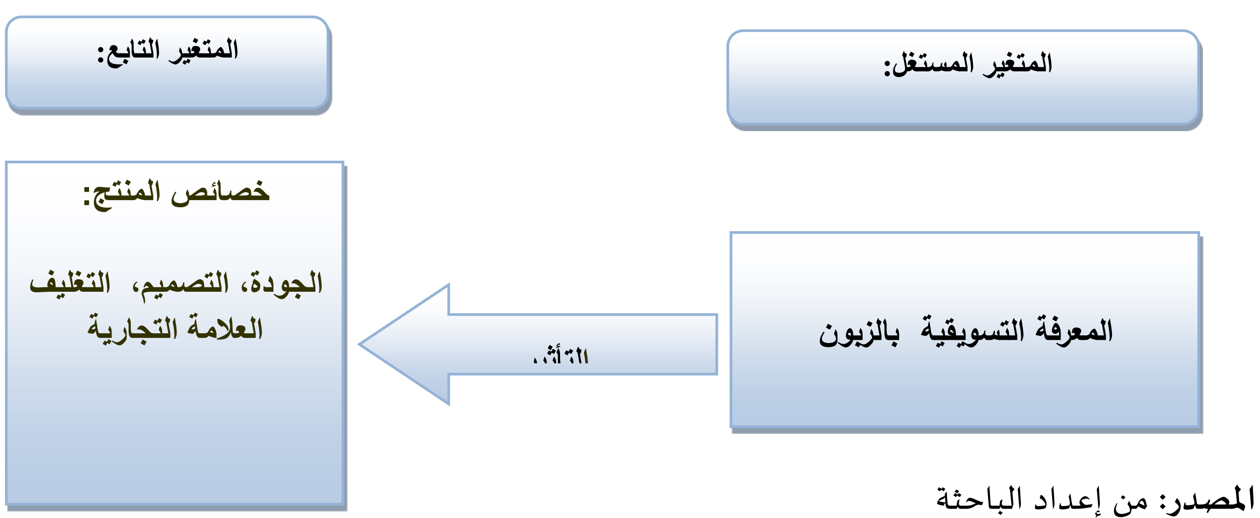
المتوسط المرجح	القرار
1 - 1.79	غير موافق اطلاقا
1.80- 2,59	غير موافق
2,60- 3,39	محايد
3,40- 4,19	موافق
4,20- 5	موافق بشدة

ب- متغيرات الدراسة والمؤشرات البحثية:

- **المتغير المستقل (المعرفة التسويقية بالزبون):** وتشتمل على تقييم عناصر المعرفة التسويقية بالزبون؛

- **المتغير التابع (تحديد خصائص المنتج):** وتعكس مدى الاعتماد على المعرفة التي تحصلت عليها فيما يخص الزبون في تحديد خصائص منتج اللوحات الالكترونية الأساسية المتمثلة في: الجودة، التصميم، الغلاف، العلامة التجارية.

5- نموذج البحث:



المصدر: من إعداد الباحثة

ثالثا- وصف متغيرات الدراسة:

1- المعرفة بالزبون:

الجدول رقم (02): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات عينة الدراسة حول المعرفة بالزبون

العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
1- تقوم المنظمة بجمع المعلومات التي تحتاجها عن زبائنها الحاليين والمحتملين، وتحليلها لإدراك احتياجاتهم وتوقعاتهم	4.36	0,72	موافق بشدة
2- تستخدم المؤسسة المعلومات التي تحصلت عليها عن زبائنها في اتخاذ القرارات التسويقية الخاصة بمواصفات المنتوج ، تصميم الرسالة الترويجية... الخ	4,33	0,82	موافق بشدة
3- امتلاك المنظمة المعلومات المناسبة عن زبائنها في الوقت المناسب يساعدها على الاستجابة السريعة لاحتياجاتهم المتغيرة.	4,41	0,64	موافق بشدة
4- تعمل المؤسسة على تطوير وبناء علاقات مع زبائنها لمعرفة المزيد عن حاجاتهم ورغباتهم	4,36	0,63	موافق بشدة
5- تهتم المؤسسة بتزويد زبائنها بكافة المعلومات التي يحتاجونها عن المؤسسة، والتي تمكنهم من اختيار المنتجات التي يريدون شراءها وكيفية استعمالها	4,25	0,84	موافق بشدة
6- تعمل المؤسسة على إحداث الاتصال والتفاعل بين الزبائن أنفسهم حتى تتمكن من معرفة صورتها في الوسط الذي تعمل به.	4,05	0,75	موافق

معدل النسب	4,29	0,51	موافق بشدة

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات برنامج spss.

يتضح من الجدول أعلاه اتفاق أفراد العينة على المعرفة التسويقية بالزبون، حيث تراوحت قيم المتوسطات الحسابية لإجابات المبحوثين على هذا المتغير بين (4,05 و 4,41) وهي قيم مرتفعة جدا ضمن مجال مقياس ليكرت الخماسي المعتمد في البحث، وهذا مؤشر جيد على اهتمام مؤسسة كوندور للالكترونيك بالمعرفة التسويقية بزبائنها وهذا من خلال: قيامها بجمع وتحليل مختلف المعلومات عنهم من أجل الاستجابة السريعة لاحتياجاتهم المتغيرة، واستخدام هذه المعلومات في اتخاذ القرارات التسويقية الخاصة بمواصفات المنتوج، تصميم الرسالة الترويجية... الخ، ، كما تهتم المؤسسة بإحاطة زبائنها بكافة المعلومات التي تساعدهم في اختيار المنتجات التي يريدون شراءها وكيفية استعمالها، إضافة إلى قيامها ببناء علاقات مع زبائنها لمعرفة المزيد عن حاجاتهم ورغباتهم، والعمل على إحداث الاتصال والتفاعل بين الزبائن أنفسهم حتى تتمكن من معرفة صورتها في الوسط الذي تعمل به.

خلاصة لما سبق يمكن القول، بأن مؤسسة كوندور للالكترونيك على درجة عالية من الفهم بحاجات ورغبات زبائنها وتعتبرها الخصائص الأكثر أهمية لمنتجاتها، وتدرك كذلك بأن معلومات الزبون عامل مهم لنجاح أعمالها، حيث بلغت قيمة المتوسط الحسابي العام لاجابات المبحوثين حول عبارات هذا المتغير (4,29) وهي بالمجمل قيمة مرتفعة.

2- تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية:

الجدول رقم (03): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات عينة الدراسة حول خصائص منتج الألواح الرقمية

العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
7- تعمل المؤسسة على تقديم منتجات جديدة إلى السوق وفقا لما يطلبه الزبون	4,25	0,96	موافق بشدة
8- منتج اللوحات الرقمية الذي تقدمه مؤسستكم ذو جودة وكفاءة عالية ووفق المواصفات العالمية	4,58	0,55	موافق بشدة
9- تتميز منتجات اللوحات الرقمية لعلامة كوندور بسرعة أداء عالية	4,22	0,89	موافق بشدة
10- تقدم المؤسسة خدمات صيانة وإصلاح لمنتج اللوحات الرقمية.	4,38	0,64	موافق بشدة
11- تعمل المؤسسة على اكتشاف العيوب التي يواجهها المستهلك عند استخدامه لمنتج اللوحات الرقمية ، وتحاول تخفيضها بإدخال التعديلات اللازمة عليه وفقا لاحتياجاته.	4,44	0,65	موافق بشدة
12- عند تصميم منتج اللوحات الرقمية يراعى الوزن والحجم الذي يريده المستهلك.	4,41	0,64	موافق بشدة

موافق بشدة	0,47	4,66	13- تعمل المؤسسة على تطوير تصاميم منتج اللوحات الرقمية وفقا لتطلعات زبائنها.
موافق بشدة	0,67	4,33	14- يراعى في تصميم غلاف علبة اللوحات الرقمية الجودة والمنفعة التي يتوقعها الزبون.
موافق بشدة	0,65	4,55	15- يحتوي التبيين الموجود على الغلاف الخارجي على جميع المعلومات التي يحتاجها المستهلك.
موافق بشدة	0,81	4,47	16- يرفق منتج اللوحات الرقمية بنشرة إرشادية حول طريقة استخدامه
موافق بشدة	0,55	4,41	17- التصميم الفني للغلاف (الرسوم والصور والألوان) يتماشى مع ذوق المستهلك وميوله.
موافق بشدة	0,64	4,41	18- تراعى الجاذبية في تصميم العلامة التجارية لمنتج اللوحات الرقمية.
موافق بشدة	0,65	4,5	19- يتم التركيز في تصميم العلامة التجارية لمنتج اللوحات الرقمية السهولة في الفهم والنطق والتذكر من قبل المستهلك.
موافق بشدة	**0,41**	**4,43**	**معدل النسب**

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات برنامج spss.

يتضح من الجدول أعلاه اتفاق أفراد العينة على دور المعرفة التسويقية بالزبون في تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية، وهذا من خلال: تقديم المنتج بجودة وكفاءة عالية ووفق المواصفات العالمية، وبسرعة أداء عالية، وفقا لما يطلبه الزبون، تقديم خدمات صيانة وإصلاح لهذا المنتج، أما من ناحية التصميم فكان هناك اتفاق كبير من قبل المبحوثين حول مراعاة الوزن والحجم الذي يريده المستهلك، تطوير تصاميم منتج اللوحات الرقمية وفقا لتطلعات زبائنها، وفيما يخص التغليف فكان ذو تصميم يتماشى مع ذوق المستهلك وميوله وذو الجودة والمنفعة التي يتوقعها الزبون، إضافة إلى احتوائه على جميع المعلومات التي يحتاجها المستهلك، وارفاقه بنشرة إرشادية حول طريقة استخدامه، كذلك اتفق جميع أفراد العينة على جاذبية العلامة التجارية وتميزها بالسهولة في الفهم والنطق والتذكر من قبل المستهلك، حيث تراوحت قيم المتوسطات الحسابية لاجابات المبحوثين على هذا المتغير بين (4,5 و 4,66) وهي قيم متقاربة ومرتفعة جدا ضمن مجال مقياس ليكرت الخماسي المعتمد في البحث، كما بلغت قيمة المتوسط الحسابي العام (4,29) وهي بالمجمل قيمة مرتفعة.

خلاصة لما سبق يمكن القول، بأن مؤسسة كوندور للالكترونيك تدرك بأن التوجه بالزبون هو أساس النجاح والسيطرة على السوق، وإدراكها كذلك بأن معرفتها الجيدة بزبائنها تزيد من ملائمة منتجاتها لحاجاتهم ومتطلباتهم من خلال قيامها بتحسين قيمة المنتجات التي تقدمها وكل ما يرتبط بها من جودة، خدمات ما بعد البيع، تصميم، تغليف، علامة التجارية...الخ، بصفة مستمرة طبقا للمستوى الذي يحدده

الزبون ويرغب فيه، الأمر الذي مكنها من احتلال الريادة وطنيا وقدرتها على منافسة أكبر العلامات العالمية بتقديم عدة أنواع من اللوحات الالكترونية العالية التكنولوجيا.

ثانيا- تحليل نتائج البحث:

- تحليل علاقة الارتباط:

1- تحليل نتائج علاقة الارتباط بين المعرفة التسويقية بالزبون وتحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية:

الجدول رقم (04): نتائج علاقة الارتباط بين المعرفة التسويقية بالزبون وتحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية

		المعرفة التسويقية بالزبون	خصائص منتج اللوحات الرقمية
المعرفة التسويقية بالزبون	معامل ارتباط بيرسون	1	,573 **
	مستوى الدلالة		0,000
	العدد	36	36
خصائص منتج اللوحات الرقمية	معامل ارتباط بيرسون	,573 **	1
	مستوى الدلالة	0,000	
	العدد	36	36

**: دال احصائيا عند مستوى الدلالة الاحصائية (0.01).

الجدول رقم (03) يوضح معطيات علاقات الارتباط بين المعرفة التسويقية بالزبون باعتبارها متغيرا مستقلا، وتحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية بوصفها متغير تابع، والتي تمثل اختبارا لفرضية البحث الأولى التي تنص على وجود علاقة ارتباط معنوية بين المعرفة التسويقية بالزبون وعملية تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية، حيث تشير القيم الواردة في الجدول أعلاه إلى وجود علاقة ارتباط معنوية موجبة بين متغيري الدراسة (المعرفة التسويقية بالزبون وخصائص المنتج) إذ بلغت قيمة معامل الارتباط (0,57) عند مستوى معنوية (0.01) وهذا دليل على اعتماد المؤسسة المبحوثة لمعرفتها عن زبائنها في تحديد خصائص منتجاتها المتعلقة باللوحات الرقمية. وبذلك تحققت فرضيت البحث الأولى.

2- تحليل علاقة التأثير: يمثل مضمون هذا التحليل اختبار الفرضية الثانية التي تشير الى وجود تأثير معنوي للمعرفة التسويقية بالزبون في تحديد خصائص منتج اللوحات الالكترونية ، وفيما يلي نتائج هذا التأثير:

الجدول رقم (04): نتائج علاقات التأثير بين التغيير المعرفة التسويقية بالزبون وتحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية

	المعايير الاحصائية				المعلمات المقدرة	
معامل التحديد R^2	R	D	Bêta	مستوى الدلالة	الثابت	b1
0,32	0,573	16,633	0,573	,000[a]	2,47	0,458

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات برنامج spss.

تدل نتائج اختبار الانحدار البسيط معنوية النموذج حيث نلاحظ أن مستوى الدلالة المحسوب (0,000) أقل من مستوى الدلالة المعتمد (0,05) وهذا ما يوضح وجود علاقة بين المتغيرين أي أن المعرفة التسويقية بالزبون تؤثر على تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية لعلامة كوندور. كما نجد القدرة التفسيرية للمتغير المستقل (المعرفة التسويقية بالزبون) في المتغير التابع (تحديد خصائص منتج اللوحات الالكترونية) حسب معامل التحديد (0,32) أي أن ما نسبته 32 % من استجابة المتغير التابع للمتغير المستقل تعود للمعرفة التسويقية بالزبون والنسبة المتبقية ترجع لمتغيرات أخرى خارجية، بالإضافة للأخطاء العشوائية الناتجة عن دقة اختيار العينة ودقة وحدات القياس وغيرها. كما نلاحظ أن قيمة Beta موجبة مما يدل على وجود علاقة طردية ما بين المتغيرين وبالتالي فان المعرفة التسويقية بالزبون تؤدي إلى التغير في تحديد خصائص منتج اللوحات الالكترونية. أما قيمة المعلمة **b1** والتي بلغت 0,45 فتوضح قوة تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع فكلما ارتفعت المعرفة التسويقية بالزبون بوحدة واحدة ارتفعت قيمة تحديد خصائص منتج اللوحات الالكترونية بـ 0,45 وحدة

يستدل من نتائج علاقة التأثير أن المؤسسة محل الدراسة عند تحديدها لخصائص منتجاتها تعتمد إلى حد كبير على المعرفة بالزبون، حيث كلما امتلكت المؤسسة لهذه المعرفة كلما تمكنت من تحديد أدق لخصائص منتجاتها المتعلقة بالألواح الرقمية، وبذلك تحققت فرضيت البحث الثانية.

رابعا- النتائج:

لقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- من خلال تحليل إجابات عينة البحث اتجاه المعرفة التسويقية بالزبون تبين وجود اتفاق عام بين أفراد عينة البحث اتجاه العبارات المتعلقة به، ويدعم ذلك قيمة الوسط الحسابي العام، وهذا يعني أن المؤسسة

على درجة عالية من الفهم بأهمية الزبون في العملية التسويقية وهذا ما جعلها توظف كافة طاقاتها لمعرفة وفهم تفضيلاته وحاجاته وترجمة هذه المعرفة إلى منتجات وخدمات مناسبة، إضافة إلى بناء وتطوير علاقات طويلة الأمد معهم وتزويده بالمعلومات التي يحتاجونها في اتخاذ قراراتهم الشرائية؛

- من خلال تحليل إجابات عينة البحث اتجاه تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية، تبين وجود اتفاق عام بين أفراد عينة البحث اتجاه العبارات المتعلقة بهذا المتغير، ويدعم ذلك قيمة الوسط الحسابي العام، وهذا يعني أن المؤسسة على دراية تامة بأهمية تحديد خصائص منتجاتها وفقا لما يرغب به الزبون وليس وفقا لتصوراتها فالاهتمام بحاجات ورغبات الزبون هو المدخل الأساسي للنجاح التسويقي، ومهمة المؤسسة هي البحث عن الزبون واكتسابه والمحافظة عليه من خلال كسب رضاه وولائه.

- تشير نتائج التحليل الاحصائي إلى وجود علاقة ارتباط معنوية وموجبة بين المعرفة التسويقية بالزبون وتحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية.

- تشير نتائج التحليل الاحصائي إلى وجود علاقة تأثير معنوية للمعرفة التسويقية بالزبون على تحديد خصائص منتج اللوحات الرقمية لعلامة كوندور.

خامسا- قائمة المراجع:

1. إياد عبد الفتاح النسور (2012)، استراتيجيات التسويق مدخل نظري وكمي، ط1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
2. بريدان فتحي محمد (2014)، متطلبات تطبيق التخطيط الاستراتيجي في مجال التعامل مع العملاء، بحث مقدم في المؤتمر الدولي الثالث حول تكامل مخرجات التعليم مع سوق العمل في القطاع العام والخاص، كلية الإقتصاد والتجارة/الخمس، جامعة البلقاء التطبيقة، الأردن.
3. البكري ثامر ياسر (دون سنة)، "الميزة التنافسية باستعمال تحليل swot لبناء استراتيجية التسويق حالة تطبيقية على مؤسسة تويوتا لصناعة السيارات"، بحث مقدم في الملتقى الدولي الرابع حول المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج المحروقات في الدول العربية.
4. البكري ثامر ياسر و هاشم سليمان(2006)، إدارة المعرفة التسويقية وانعكاساتها على العلاقة مع الزبون لتحقيق الميزة التنافسية، بحث مقدم في المؤتمر العلمي الثاني حول إدارة المعرفة في ظل الجودة الشاملة وتكنولوجيا المعلومات، كلية الإقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، عمان، الأردن، 26-27 نيسان.
5. بن حمو نجاة (2016/215)، إدارة علاقات الزبائن كأداة لتحقيق الميزة التنافسية لمنظمات الأعمال (دراسة حالة مؤسسة كوندور للالكترونيك)، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
6. الحدرب زهير (2012)، التسويق المعاصر، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الاردن.
7. حميود هاجر (2017)، الصورة الذهنية للعلامة التجارية وسلوك المستهلك، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد السابع، مارس.

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

8. درمان سليمان صادق(2008)، بحث حول العلاقة بين إدارة معرفة الزبون والتوجهات السوقية للمنظمات، كلية الإقتصاد والإدارة، جامعة دهوك، العراق.

9. درمان سليمان صادق(2012)، التسويق المعرفي المبني على إدارة علاقات ومعرفة الزبون التسويقية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

10. الدمغي علاء فرحان طالب وفاطمة عبد علي سلمان المسعودي(2011)، المعرفة السوقية والقرارات الاستراتيجية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

11. ربحي مصطفى عليان(2008)، إدارة المعرفة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

12. رعد عدنان رؤوف وسالم حامد حمدي(2010)، "المعرفة السوقية واستدامة الميزة التنافسية دراسة ميدانية في عينة من المنظمات الصناعية في حافظة نينوي"، كلية الإدارة والإقتصاد، مجلة تنمية الرافدين، مجلد 32، العدد 100، جامعة الموصل، العراق.

13. الزعبي علي فلاح (2015)، دور إدارة علاقات الزبائن في تعزيز الصورة الذهنية في شركات انتاج المياه المعدنية في مدينة عمان، الأردن(دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين)، مجلة أبحاث اقتصادية وادارية، العدد 18، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة بسكرة، الجزائر.

14. سلطان كريمة(2007/2006)، طرق تحسين جودة المنتوج الصناعي وأثرها في تخفيض التكاليف، مذكرة ماجستير، جامعة سكيكدة، الجزائر.

15. صادق محمد عفيفي(2003)، التسويق الدولي نظم التصدير والاستيراد، الطبعة10 ، مكتبة عين شمس، مصر.

16. الصيرفي محمد (2009)، التسويق الاستراتيجي، المكتب الجامعي الحديث، مصر.

17. الطائي حميد والعلاق بشير (2006)، تطوير المنتجات وتسعيرها، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

18. الطائي يوسف حجيم سلطان والعبادي هاشم فوزي دباس (2009)، إدارة علاقات الزبون، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

19. العلاق بشير والعبدلي قحطان (1999)، إدارة التسويق، إدارة التسويق، دار زهران للنشر، عمان، الأردن.

20. اللامي غسان قاسم داود وأميرة شاكرولي البياتي(2008)، إدارة الإنتاج والعمليات (مرتكزات كمية ومعرفية)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

21. المومني حسان عبد المفلح (2005)، "مدى استعداد المؤسسات العامة في الأردن لتطبيق إدارة المعرفة". بحث مقدم في المؤتمر السنوي الدولي الخامس حول اقتصاد المعرفة والتنمية الاقتصادية، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة الأردنية.

22. ي مقدادي وسف عبد العزيز وآخرون(2012)، المعرفة السوقية ودورها في تحديد الاستراتيجيات التنافسية للبرامج الاكاديمية في الجامعات الأردنية الخاصة بعمان، المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالي، المجلد الخامس، العدد 10.
23. Mc Carthy,E Jerome, (1979) Essentials Of Marketing, Home-Wood Illinois : Richard D, Irwin Inc,. P. 174.
24. Kotler PH(1997), Marketing Management Analysis Planing, Implementation and Control, Prentice- hallinc, 9ed, New Jersy , P. 110.
25. B. Bergman, B. Klefsjö(2010), Quality from customer needs to customer satisfaction, Studentlitteratur, 3rd edition, Hungary, p.23.
26. gorges lewi(2004), la Marque , libraire Vuibert, 3éme éditions, France, p. 24.
27. https://magazine.echoroukonline.com/articles/941.html
28. https://magazine.echoroukonline.com/articles/941.html
29. www.abahe.co.uk

أثر المسؤولية الاجتماعية في الأداء الاستراتيجي

في الشركات الصناعية المدرجة في سوق عمان المالي (2000– 2016)

(دراسة ميدانية على الشركات الصناعية الأردنية المدرجة في سوق عمان المالي)

أ. إسماعيل يوسف البحري

الأردن

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مدى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية، وأثر ذلك في تحسين مستوى الأداء الاستراتيجي، وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة؛ من أبرزها وجود أثر ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لأبعاد المسؤولية الاجتماعية (المجتمع، الزبائن، البيئة) على الميزة التنافسية، وعدم وجود ذلك الأثر على الحصة السوقية في الشركات الصناعية الأردنية.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية الاجتماعية، الأداء الاستراتيجي، الميزة التنافسية، الحصة السوقية.

Abstract

This study aims to identify the Extent of the Jordanian companies Commitment at Social Responsibility and its Impact on Improving The strategic performance Level

Results of the study showed:

1) The impact of the presence of a statistically significant at the significance level ($\alpha \leq 0.05$) to the dimensions of social responsibility towards the (community, customers, the environment) a competitive advantage in the Jordanian industrial companies.

2) The lack of effect is statistically significant at the level of significance ($\alpha \leq 0.05$) to the dimensions of social responsibility towards the (community, customers, the environment) market share in the Jordanian industrial companies.

Keywords: Social responsibility, the strategic performance, Competitive Advantage, Market Share

المقدمة

أضحت المسؤولية الاجتماعية من الموضوعات المهمة التي ظهرت في حقول العلوم الاجتماعية، ومنها الإدارة، وذلك بسبب التطور المتزايد والمستمر في هذه العلوم، فالمسؤولية الاجتماعية من الركائز الأساسية التي ارتبط قياس مدى نجاح الشركات بها، وقد بدأت الشركات في العصر الحالي بالعمل على تعزيز برامج المسؤولية الاجتماعية في مختلف مجالات عملها؛ فلم يعد دورها مقتصرًا على المبادرات الخيرية فقط، بل تعداه ليشمل استدامة الأعمال، وضبط إيقاع تصرفات الشركة لتتوافق مع برامج المشاركة المجتمعية، والامتثال للمتطلبات القانونية، وحماية البيئة، الأمر الذي فرض على الشركات الموازنة بين الجوانب الاقتصادية المتمثلة بتحقيق الأرباح، والجوانب الأخلاقية والاجتماعية تجاه البيئة بصفتها الإطار الذي توجد فيه تلك الشركات.

وتعد المسؤولية الاجتماعية في الشركات أحد أهم المقاييس التي تستخدم في الحكم على مدى تميز الشركات، فالاهتمام بموضوع الإعداد والبناء الأخلاقي للعاملين يوفر نخبة إدارية، وقيادية واعية، وملتزمة، مما يؤدي إلى التزام وانضباط الآخرين ممن يعملون تحت سلطتهم على النحو الذي يسهم في ديمومة عمل الشركة وتميزها.

من هنا تبرز أهمية الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية، فهو يسهم في خلق مشاعر الانتماء والولاء لدى الموظف إزاء رؤسائه، وبيئة العمل، والمجتمع، مما يحفزه إلى بذل قصارى جهده في العمل ويشعره بالرضا الوظيفي والاستقرار والأمن، ويساعد أيضا على رفع معدل الانجاز في العمل، وهذا ينعكس على الأداء الوظيفي للعاملين الذي ينعكس على الأداء الاستراتيجي في الشركات.

ونظرًا لكون الشركات الصناعية الأردنية إحدى منظمات الأعمال التي تشهد منافسة عالية، فإن هذه الدراسة ستظهر أثر الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية في تحسين مستوى الأداء الاستراتيجي لهذه الشركات ممثلا بتحقيق الميزة التنافسية التى تسعى اليها هذه الشركات ومن ثم الحصول على أكبر حصة سوقية لضمان استمرارها وتطورها.

مشكلة الدراسة:

يتأثر مدى نجاح عمل الشركات الأردنية- كما هو الحال بالنسبة إلى الشركات الأخرى- بمتغيرات عدة؛ لعل أهمها أخلاقيات الأفراد العاملين في تلك الشركات؛ فبالنظر إلى أخلاقيات أفراد الشركة يمكن معرفة مدى ثقة تلك الشركة بأفرادها من جهة، ومدى ثقة المجتمع بها من جهة أخرى، وعليه؛ فإن معرفة الشركة وأفرادها بالمسؤولية الاجتماعية يسهم- بشكل أو بآخر- في تعزيز أدائها وتخفيض الكلف المترتبة عليها.

بناءً على ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة بمحاولة الباحث استقصاء مدى الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية في الأنشطة الرئيسة للشركات الصناعية الأردنية المدرجة في سوق عمان المالي، علاوة على تحديد الأثر المترتب على التزام الشركات بالمسؤولية الاجتماعية على الأداء الاستراتيجي للأعمال (الذي يظهر بوضوح في زيادة قيمة الحصة السوقية للشركة وتحقيق الميزة التنافسية لها).

أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الرئيسة التالية:

1. ما أبعاد **المسؤولية الاجتماعية** (تجاه كل من المجتمع، والزبائن، والبيئة) لدى العاملين في الشركات الصناعية الأردنية المدرجة في سوق عمان المالي على تحسين الأداء الاستراتيجي فيها؟
2. ما أثر **الأداء الاستراتيجي** ببعدي الميزة التنافسية، والحصة السوقية في تلك الشركات؟

أهمية الدراسة:

أولًا: الأهمية النظرية

تبرز الأهمية النظرية لهذه الدراسة من خلال محاولتها توفير إطار نظري حول مدى التزام الشركات الصناعية الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية تجاه كل من المجتمع، والزبائن، والبيئة، وأثر ذلك في تحسين

مستوى الأداء الاستراتيجي ببعدي الميزة التنافسية، والحصة السوقية، حيث من المُؤمل أن تكون الدراسة الحالية ممهدة لإفادة الباحثين والدراسين لاحقًا بما تضيفه من أدبيات نظرية ترفد المكتبة الإدارية العربية بمعارف جديدة حول المسؤولية الاجتماعية والأداء الاستراتيجي، بحيث تصبح نقطة انطلاق دراسات جديدة في هذا المجال.

ثانيًا: الأهمية التطبيقية

تنبثق الأهمية التطبيقية للدراسة الحالية من مجتمعها، أي قطاع الشركات الصناعية؛ بصفته عنصرًا فاعلًا في تعزيز الاقتصاد الوطني، حيث تعد هذه الدراسة- في حدود علم الباحث- الأولى من نوعها في المملكة الأردنية الهاشمية، ومن ثم قد تساعد الشركات الصناعية على الاستفادة من نتائجها ومعرفة ما يستوجب تطبيقه من أجل تلبية حاجات العملاء، ومن ثم تحقيق الميزة التنافسية والحصول على أكبر حصة سوقية ممكنة تضمن لها الاستمرار والتطور.

أهداف الدراسة:

1. التعرف إلى مستوى المسؤولية الاجتماعية (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة) لدى العاملين في الشركات الصناعية الأردنية المُدرجة في سوق عمّان المالي.
2. التعرف إلى مستوى الأداء الاستراتيجي ببعدي الميزة التنافسية، والحصة السوقية في تلك الشركات.

فرضيات الدراسة:

استنادًا إلى مشكلة الدراسة ومن أجل الإجابة عن أسئلتها؛ فقد وضعت الفرضيات التالية:

<u>الفرضية الرئيسة:</u>

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لمدى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية وكل بعد من أبعاده تجاه (المجتمع، والزبائن، والبيئة) في الأداء الاستراتيجي ببعدي الميزة التنافسية، والحصة السوقية، وينبثق عنها الفرضيات الفرعية التالية:

الفرضية الفرعية الأولى:

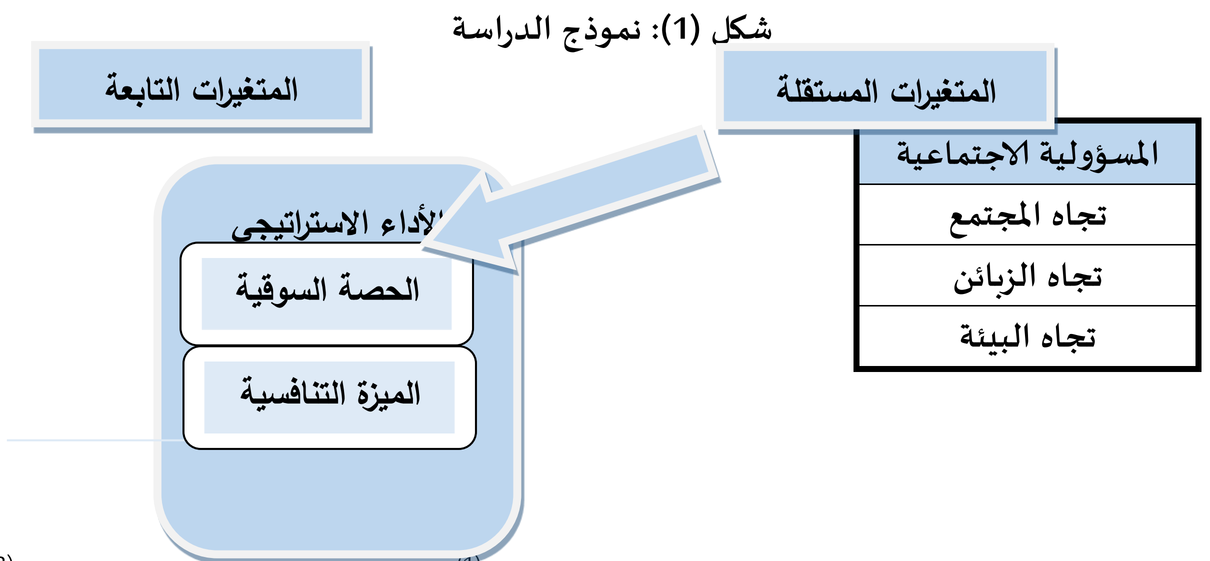
لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لمدى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية في الميزة التنافسية.

الفرضية الفرعية الثانية:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لمدى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية في الحصة السوقية.

نموذج الدراسة:

شكل (1): نموذج الدراسة



المصدر: من إعداد الباحث بالاستناد إلى دراسة القاضي (2012)[1]، ودراسة الطراونة وأبو جليل (2013)[2].

مصطلحات الدراسة:

- **المسؤولية الاجتماعية:** "التزام على منشأة الأعمال تجاه المجتمع الذي تعمل فيه يتمثل في الإسهام بالأنشطة الاجتماعية؛ مثل محاربة الفقر، وتحسين جودة الخدمة، ومكافحة التلوث، وخلق فرص عمل، وحل مشكلة الإسكان والمواصلات وغيرهما.
- **الأداء الاستراتيجي:** الدرجة التي يمارس فيها العاملون السلوك الذي يسهم في تحقيق أهداف الإدارة.

الدراسات السابقة:

لقد وجدت العديد من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة الحالية وبدرجات متفاوتة في العديد من دول العالم، وبالرغم من اختلاف مجتمعات تلك الدراسات وطرائق بحثها، إلا أنني اعتمدت على أهمها، وذلك في محاولة الاستفادة منها؛ من خلال التعرف إلى طرقها، وإجراءاتها، وأهم نتائجها، ومن ثم تحديد ما تميّزت به هذه الدراسة قياسًا بتلك الدراسات السابقة، عدا عن تقديم أهم النقاط التي أضافتها هذه الدراسة من خلال سرد نتائجها، على النحو التالي:

- دراسة الطراونة وأبو جليل (2013)[3]: هدفت الدراسة إلى التعرف إلى أثر أخلاقيات الأعمال والمسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية؛ فاستقصت آراء المبحوثين من المديرين العاملين في الإدارات العليا في الشركات الصناعية المدرجة في سوق عمان للأوراق المالية، وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر ذي دلالة إحصائية لأخلاقيات الأعمال في تحقيق أبعاد الميزة التنافسية (تخفيض التكلفة، والابتكار، والتجديد) في

---

[1] القاضي، زياد (2012) **علاقة الممارسات الاستراتيجية لإدارة الموارد البشرية وأداء العاملين وأثرهما على أداء المنظمات: دراسة تطبيقية على الجامعات الخاصة الأردنية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط: عمان.

[2] الطراونة، خالد، وأبو جليل، محمد (2013) **أثر أخلاقيات الأعمال والمسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة ميدانية في الشركات الصناعية المدرجة في سوق عمان المالي**، المؤتمر الدولي الثاني لكلية إدارة الأعمال: عمان/ جامعة مؤته.

[3] الطراونة، خالد، وأبو جليل، محمد، مرجع سابق.

الشركات الصناعية الأردنية، وأوصت الدراسة بتعزيز أخلاقيات الأعمال، وضرورة أن تحدد تلك الشركات السياسة الأخلاقية فيها، وتدريب العاملين على تعزيز قدرتهم على مواجهة الصعوبات الأخلاقية.

- دراسة القريوتي وآخرون (2014)[(1)] توصلت الدراسة إلى وجود دور إيجابي للمسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية في شركة زين للاتصالات الخلوية، كما تبين وجود أثر ذي دلالة إحصائية لكل من التركيز على العميل، والاهتمام بكل من العاملين، والبيئة، وحل المشكلات الاجتماعية، وتحقيق المنافسة الشريفة، والإسهام في دعم الخطط التنموية من أجل تحقيق الميزة التنافسية للشركة محل البحث.
- دراسة (Gayathri & Rekha, 2013)[(2)]: عنيت بالعلاقة بين الموارد البشرية والمسؤولية الاجتماعية للشركات، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها ضرورة التزام الشركات بتطبيق المسؤولية الاجتماعية تجاه البيئة التي تعمل فيها، وأن الشركات التي لا تلتزم بتطبيق المسؤولية الاجتماعية تعد شركات غير قابلة للحياة، وأكدت ضرورة إعادة تأهيل الموارد البشرية وتزويدها بالمهارات اللازمة كي تكون قادرة على الإبداع في مجال المسؤولية الاجتماعية.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة، وفي ضوء الأساليب والطرق المستخدمة في تلك الدراسات، ووفقًا لما جاءت به تلك الدراسات من نتائج وتوصيات، فقد عملت هذه الدراسة على الاستفادة من نقاط القوة، وتجنب نقاط الضعف في تلك الدراسات، وفي ضوء ذلك يمكن إدراج بعض النقاط التي تمثل اختلافات في بعضها، وإضافات في بعضها الآخر لهذه الدراسة قياسًا بتلك الدراسات، وذلك كما يأتي:

مجتمع هذه الدراسة هو أحد القطاعات الاقتصادية المهمة (قطاع الشركات الصناعية المدرجة في سوق عمان المالي)، وعددها (42) شركة وقد استثنيت شركتان تعملان في مجال صناعة التبغ والدخان، لأن هذه الدراسة تبحث في المسؤولية الاجتماعية، وأن السلع التي تعرضها هاتان الشركتان يتنافى من وجهة نظري مع أهداف هذه الدراسة.

إن نموذج الدراسة يعد أهم ما يميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات، فيشير إلى الوظائف الرئيسة للشركة المتمثلة بوظيفة العمليات والتسويق والموارد البشرية، حيث وسعت هذه الدراسة دائرة البحث لتشمل متغيرات أوسع نطاقًا حول موضوع الدراسة، في حين لم تتناول أغلب الدراسات السابقة سوى بعض هذه المتغيرات، إضافة إلى شمول هذه الدراسة بعض المتغيرات التابعة التي من شأنها قياس مستوى الأداء الاستراتيجي ببعدي الحصة السوقية، والميزة التنافسية.

هيكل البحث:

انقسمت الدراسة إلى مبحثين –علاوة على المقدمة والخاتمة- على النحو التالي:

---

[1] القريوتي، موسى (2014) دور المسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة حالة؛ شركة زين للاتصالات الخلوية، **دراسات- العلوم الإدارية: الأردن**، مج (41) ع(1)، 37-55.

[2] Rekha G.Sai, & Gayathri K. (2013), Human Resource Management and Corporate Social Responsibility, International Journal of Applied Research & Studies ISSN 2278– 9480iJARS/ Vol. II/ Issue 3/Mar, 1 378/2013

المبحث الأول: إجراءات الدراسة.

المبحث الثاني: عرض النتائج.

المبحث الأول: إجراءات الدراسة

منهج البحث

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ فأجريت المسح المكتبي، واطلعت على الدراسات والبحوث النظرية والميدانية؛ وحللت البيانات من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة واختبار فرضيتها المتمثلة بفقرات أداة الدراسة (الاستبانة) والتي حللت إحصائيًا [(1)].

مصادر جمع البيانات والمعلومات

أولًا: المصادر الثانوية

التي تتمثل في الكتب والمراجع العربية والأجنبية ذات العلاقة، والدوريات والمقالات والتقارير، والأبحاث والدراسات السابقة التي تعرضت إلى مشكلة الدراسة بشكل أو بآخر، وبما أن هذه الدراسة تعد دراسة ميدانية فسألجأ إلى هذه المصادر كلما اقتضت الحاجة ذلك، وسأركن إلى المصادر الأولية في معظم جزئيات هذه الدراسة.

ثانيًا: المصادر الأولية

أعد الباحث استبانة ذات علاقة بموضوع الدراسة بالاعتماد على بعض الدراسات السابقة، حيث صيغت فقرات الاستبانة بعد الاطلاع على دراسات متعددة [(2)].

المقياس: لتحليل بيانات واختبار فرضيات الدراسة، ومن أجل تفسير المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات الاستبانة وعلى كل مجال من مجالاتها؛ استخدمت مقياس ليكرت الخماسي، وعلى النحو المبين في الجدول (1)

جدول (1): اختبار مقياس الاستبانة

الدرجة	5	4	3	2	1
مستوى الموافقة	موافق بدرجة *عالية* جدًا	موافق بدرجة عالية	موافق بدرجة متوسطة	غير موافق	غير موافق على الإطلاق

[1] مركز أسلوب للخدمات الطلابية، (2016). التحليل الإحصائي، الأردن: إربد

[2] النويقة، عطا الله (2016) أثر أخلاقيات الأعمال والمسؤولية الاجتماعية في تعزيز الميزة التنافسية في البنوك التجارية العامة في منطقة مكة المكرمة، **العلوم الإدارية**، مج43، ع(1). ودراسة: القريوتي وآخرون، مرجع سابق. ودراسة: المومني، حذيفة (2015) **أثر التدقيق الاستراتيجي لإدارة الموارد البشرية في تحقيق الأهداف الاستراتيجية للمنظمة: دراسة حالة وزارة الصحة الأردنية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة جدارا: إربد. ودراسة: المناصير، عمر (2013) **أثر تطبيق قواعد حوكمة الشركات على أداء شركات الخدمات المساهمة العامة الأردنية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الهاشمية: الزرقاء.

يظهر من الجدول رقم (1) الحدود التي اعتمدتها هذه الدراسة عند التعليق على المتوسط الحسابي للمتغيرات الواردة في نموذج الدراسة فهي لتحديد درجة الموافقة فقد حدد الباحث ثلاثة مستويات هي (مرتفع، ومتوسط، ومنخفض) بناءً على المعادلة التالية:

طول الفترة= (الحد الأعلى للبديل- الحد الأدنى للبديل)/ عدد المستويات

(5-1)/3 = 4/3 =1.33

والجدول رقم (2) يوضح المقياس في تحديد مستوى ملاءمة الوسط الحسابي للاستفادة منه عند التعليق على المتوسطات الحسابية.

جدول (2): مقياس تحديد مستوى تقييم الوسط الحسابي

الوسط الحسابي	درجة التقييم
1-أقل من 2.33	منخفضة
2.33-أقل من 3.66	متوسطة
3.66- 5	مرتفعة

مجتمع البحث

تألف مجتمع الدراسة من مجموعة الشركات الصناعية التي يتوفر لديها الشرطان التاليان:

1. مدرجة في سوق عمان المالي.
2. عدد موظفيها يبلغ (200) موظف فأكثر.

وقد بلغ عدد هذه الشركات (37) شركة، ولأن هذه الدراسة تعنى بالمسؤولية الاجتماعية فقد استبعد الباحث شركتين ينصب نشاطهما التجاري في صناعة السجائر والتبغ.

عينة البحث

تمثلت وحدة التحليل لهذه الدراسة في فئة الإداريين في مستوى الإدارة الوسطى؛ لامتلاك هذه الفئة المعلومات التي تعنى بموضوع الدراسة، حيث سحبت عينة تتراوح بين (10-11) موظف من كل شركة، حيث وزع الباحث (378) استبانة على أفراد عينة الدراسة، واسترد منها (349) استبانة، وكان عدد الاستبانات الصالحة للتحليل (341) استبانة، تشكل نسبة (90.2%) من عينة الدراسة.

صدق أداة الدراسة وثباتها

أولًا: الصدق الظاهري لأداة الدراسة

عرض الباحث أداة الدراسة على (9) محكمين من ذوي الاختصاص والخبرة من أعضاء هيئة التدريس في أقسام كليات الإدارة في الجامعات الأردنية للحكم على مدى صدقها وصلاحيتها، وقد طلب من المحكمين تقدير مدى جودة محتوى الفقرات، ومدى ملاءمة الفقرة للمجال التي اندرجت تحته، ومدى سلامة الصياغة اللغوية، وتحديد ما يرونه مناسبًا سواء أكان بالحذف أم الدمج أم الإضافة، وقد أخذت بتوجيهات

أعضاء لجنة التحكيم، حيث أجريت ما يلزم من حذف وتعديل في ضوء المقترحات المقدمة وبذلك ظهرت الاستبانة في صورتها النهائية.

ثانيًا: ثبات أداة الدراسة

للتأكد من ثبات أداة الدراسة، تم التحقق من ثبات التطبيق من خلال توزيع أداة الدراسة على عينة استطلاعية مكونة من (30) موظف وموظفة من خارج عينة الدراسة مرتين بفارق زمني مدته (أسبوعين) واستخراج معامل الارتباط بيرسون (Pearson Correlation) بين إجاباتهم على مجالات الدراسة في المرتين، حيث أن جميع معاملات الارتباط بين التطبيقين لمجالات أداة الدراسة كانت قيم دالة إحصائيًا وهذا يدل على ثبات التطبيق للدراسة.

وتم تطبيق معادلة كرونباخ ألفا (Chronbach Alpha) على جميع فقرات أبعاد الدراسة، كما هو مبين في جدول رقم (3)، الذي يوضح معاملات الثبات ومعامل ارتباط بيرسون لأبعاد الدراسة ومجالاتها، حيث يتبين من الجدول أن معاملات الثبات لأبعاد الدراسة تراوحت بين (0.70-0.85)، وجمعيها قيم مرتفعة ومقبولة لأغراض التطبيق أيضًا؛ إذ أشارت معظم الدراسات إلى أن نسبة قبول معامل الثبات (0.60).

جدول (3): معامل الثبات (كرونباخ ألفا) ومعامل ارتباط بيرسون لأداة الدراسة

المجال	البُعد	معامل ثبات الاتساق الداخلي (كرونباخ الفا)
المسؤولية الاجتماعية	تجاه المجتمع	0.73*
	تجاه الزبائن	0.71*
	تجاه البيئة	0.72*
	مجال المسؤولية الاجتماعية ككل	0.72*
مستوى الأداء الاستراتيجي	الميزة التنافسية	0.73*
	الحصة السوقية	0.72*
	مجال مستوى الأداء الاستراتيجي ككل	0.72*

الأساليب الإحصائية

لتحقيق أغراض الدراسة والتحقق من فرضياتها فقد استعان الباحث بالأساليب الإحصائية في تحليل البيانات التي جمعها من خلال الدراسة الميدانية، وذلك بإدخالها في الحاسوب ضمن برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية والاقتصادية (SPSS)، كما استخدم مجموعة من أساليب الإحصاء الاستدلالي لاختبار فرضيات الدراسة وبالتحديد فقد استخدم الباحث الأساليب الإحصائية التالية:

1- معادلة كرونباخ ألفا: للتحقق من ثبات أداة الدراسة وثبات تطبيقها.

2- اختبار التوزيع الطبيعي لبيانات الدراسة، وذلك باستخدام اختبار (One-Sample Kolmogorov-Smirnov Test).

3- اختبار معامل تضخم التباين (VIF) :Variance Inflation Factor واختبار التباين المسموح (Tolerance) للتأكد من عدم وجود ارتباط عال بين المتغيرات المستقلة.

4- التكرارات والنسب المئوية: للتعرف على توزيع أفراد العينة تبعًا للمتغيرات الشخصية.

5- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية: للتعرف إلى مستوى التزام الشركات بالمسؤولية الاجتماعية ومستوى الأداء الاستراتيجي.

6- معادلة الانحدار المتعدد: للتعرف إلى أثر المتغيرات المستقل المتمثلة بالتزام الشركات بالمسؤولية الاجتماعية على المتغير التابع المتمثل بمستوى الأداء الاستراتيجي.

وصف خصائص عينة الدراسة

تكوّنت عينة الدراسة من (341) موظفًا وموظفة من الإداريين العاملين في الشركات الصناعية الأردنية المدرجة في سوق عمّان المالي، والجدول رقم (4) يوضح توزيع أفراد العينة تبعًا للمتغيرات الديموغرافية والوظيفية.

جدول (4): توزيع أفراد العينة تبعًا للمتغيرات الشخصية(ن=341)

المتغير	المستوى/الفئة	النسبة المئوية	التكرار
الجنس	ذكر	146	42.8
	أنثى	195	57.2
	المجموع	341	100.0
العمر	أقل من 25 سنة	68	19.9
	25 سنة - أقل من 35 سنة	69	20.2
	35 سنة - أقل من 45 سنة	59	17.3
	45 سنة - أقل من 55 سنة	63	18.5
	55سنة فأكثر	82	24.0
	المجموع	341	100.0
المؤهل العلمي	اقل من بكالوريوس	106	31.1
	بكالوريوس	121	35.5
	دراسات عليا	114	33.4
	المجموع	341	100.0
المسمى الوظيفي	رئيس إدارة	54	15.8
	مدير دائرة	93	27.3

المتغير	المستوى/الفئة	النسبة المئوية	التكرار
	رئيس قسم	89	26.1
	موظف	105	30.8
	المجموع	341	100.0
سنوات الخدمة في الشركة	اقل من 5 سنوات	29	8.5
	من 5 – اقل من 10 سنوات	49	14.4
	من 10–أقل من 15 سنة	120	35.2
	15سنة فأكثر	143	41.9
	المجموع	341	100.0

يظهر من الجدول رقم (4) ما يأتي:

1. بلغت النسبة المئوية للذكور في العينة (57.2%)، بينما بلغت النسبة المئوية للإناث (42.8%).
2. بلغت أعلى نسبة مئوية لتوزيع أفراد العينة تبعًا لمتغير العمر (24.0%) للفئة العمرية (55سنة فأكثر)، بينما بلغت أدنى نسبة مئوية (17.3%) للفئة العمرية (35 سنة - أقل من 45 سنة).
3. بلغت أعلى نسبة مئوية لتوزيع أفراد العينة تبعًا لمتغير المؤهل العلمي (35.5%) للمؤهل العلمي (بكالوريوس)، بينما بلغت أدنى نسبة مئوية (31.1%) للمؤهل العلمي (اقل من بكالوريوس).
4. بلغت أعلى نسبة مئوية لتوزيع أفراد العينة تبعًا لمتغير المسمى الوظيفي (30.8%) للمسمى الوظيفي (موظف)، بينما بلغت أدنى نسبة مئوية (15.8%) للمسمى الوظيفي (رئيس إدارة)
5. بلغت أعلى نسبة مئوية لتوزيع أفراد العينة تبعًا لمتغير سنوات الخبرة في الشركة (41.9%) لفترة الخبرة (15 سنة فأكثر)، بينما بلغت أدنى نسبة مئوية (8.5%) لفترة الخبرة (أقل من 5 سنوات).

المبحث الثاني: عرض النتائج

المطلب الأول: إجابة أسئلة الدراسة ومناقشتها

1. ما مستوى المسؤولية الاجتماعية (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة) لدى العاملين في الشركات الصناعية الأردنية المدرجة في سوق عمان المالي؟

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن أبعاد المسؤولية الاجتماعية، الجدول رقم (5) يوضح ذلك.

الرتبة	الرقم	البُعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
1	1	تجاه المجتمع	4.26	0.48	مرتفعة
2	3	تجاه البيئة	3.70	0.54	مرتفعة

3	2	تجاه الزبائن	3.58	0.55	متوسطة
مجال المسؤولية الاجتماعية ككل			3.85		مرتفعة

يظهر من الجدول رقم (5) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن أبعاد مجال المسؤولية الاجتماعية تراوحت بين (3.58-4.26)، حيث جاء في المرتبة الأولى بعد "تجاه المجتمع" بمتوسط حسابي (4.26) ودرجة تقييم مرتفعة، وفي المرتبة الثانية جاء بعد "تجاه البيئة" بمتوسط حسابي (3.70)، واحتل المرتبة الثالثة والأخيرة بعد "تجاه الزبائن" بمتوسط حسابي (3.58)، وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (3.85) بدرجة تقييم مرتفعة، وهذا يدل على أن مستوى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية جاء مرتفعًا من وجهة نظر العاملين فيها.

من جهة أخرى فقد استخرج الباحث المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات كل بعد من أبعاد مجال "المسؤولية الاجتماعية" بشكل منفرد، الجداول (6، 7، 8) توضح ذلك.

جدول (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات بعد تجاه المجتمع وبالبعد ككل مرتبة تنازليًا

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
1	3	تشارك الشركة في وضع الخطط والاستراتيجيات الوطنية المسؤولة عن تحسين مستوى وجودة حياة المواطن .	4.56	0.73	مرتفعة
2	2	تسهم الشركة في تخفيف معدلات البطالة في الأردن	4.50	0.57	مرتفعة
3	1	تشارك الشركة بدعم برامج مكافحة الفقر وتقديم الدعم المباشر والغير مباشر لسكان المناطق الفقيرة والمناطق النائية .	4.46	0.61	مرتفعة
4	4	تتوافق رسالة الشركة وأهدافها مع أهداف وقيم المجتمع	4.23	0.83	مرتفعة
5	7	توفر الشركة فرص التوظيف المناسبة لذوي الاحتياجات الخاصة	4.15	0.83	مرتفعة
6	6	تقدم الشركة التبرعات لصالح الجمعيات الخيرية والمراكز الثقافية والرياضية	4.05	0.85	مرتفعة
7	5	تقوم الشركة بدعم الاقتصاد الوطني وتحريك عملية النشاط الاقتصادي من خلال دعم المشاريع	3.86	0.90	مرتفعة

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
		والمؤسسات الوطنية			
بُعد تجاه المجتمع ككل			4.26		مرتفعة

يظهر من الجدول رقم (6) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات بعد "تجاه المجتمع" تراوحت بين (3.86-4.56) بدرجة تقييم مرتفعة، حيث كان أعلاها للفقرة (3) "تشارك الشركة في وضع الخطط والاستراتيجيات الوطنية المسؤولة عن تحسين مستوى وجودة حياة المواطن" بمتوسط حسابي (4.56)، وأدناها للفقرة (5) "تقوم الشركة بدعم الاقتصاد الوطني وتحريك عملية النشاط الاقتصادي من خلال دعم المشاريع والمؤسسات الوطنية" بمتوسط حسابي (3.86)، وبلغ المتوسط الحسابي لبعد تجاه المجتمع ككل (4.26) بدرجة تقييم مرتفعة.

جدول (7): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات بعد تجاه الزبائن وبالبعد ككل مرتبة تنازليًا

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
1	2	وضوح الشروط التي تحدد طبيعة العلاقة مابين الشركة والعملاء.	4.27	0.70	مرتفعة
2	4	توفر الشركة خدماتها لعملائها بدرجة عالية من الجودة والكفاءة	4.23	0.86	مرتفعة
3	3	تلتزم الشركة بتنفيذ الاتفاقيات التي تبرمها مع عملائها وبالوقت المناسب.	3.90	0.87	مرتفعة
4	6	الإعلانات التي يتم عرضها من قبل الشركة تمتاز بالمصداقية والأمانة	3.42	1.05	متوسطة
5	1	تهتم الشركة بشكاوى العملاء والعمل على حلها بصورة عاجلة.	3.22	1.14	متوسطة
6	5	تراعي الشركة عند تسعير خدماتها مختلف الشرائح والطبقات خصوصا الطبقات ذات الدخل المحدود	3.01	1.19	متوسطة
7	7	تتناسب أسعار الخدمات مع جودة وطبيعة الخدمة المقدمة	3.00	1.20	متوسطة
بُعد تجاه الزبائن ككل			3.58		متوسطة

يظهر من الجدول رقم (7) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات بعد "تجاه الزبائن" تراوحت بين (3.00-4.27)، حيث كان أعلاها للفقرة (2) "وضوح الشروط التي تحدد طبيعة العلاقة مابين الشركة والعملاء" بمتوسط حسابي (4.27) بدرجة تقييم مرتفعة، وأدناها للفقرة (7) "تتناسب أسعار الخدمات مع جودة وطبيعة الخدمة المقدمة" بمتوسط حسابي (3.00) بدرجة تقييم متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي لبعد تجاه الزبائن ككل (3.58) بدرجة تقييم متوسطة.

جدول (8): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات بعد تجاه البيئة وبالبعد ككل مرتبة تنازليًا

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
1	4	تتبع الشركة أساليب حديثة في تصميم المنتجات بطريقة تكفل تقليل المخلفات.	4.36	0.67	مرتفعة
2	5	تعد حماية البيئة من أهم مرتكزات قيم الإدارة وثقافة الشركات الأردنية بشكل عام.	4.12	0.99	مرتفعة
3	1	تمتاز منتجات الشركات الأردنية بأنها آمنة وغير ضارة بالبيئة	4.09	0.85	مرتفعة
4	6	لدى الشركات الأردنية خطة للطوارئ في حال حدوث كوارث بيئية.	4.02	0.77	مرتفعة
5	7	تستخدم الشركات الأردنية تقنيات حديثة لتجنب مسببات تلوث التربة والماء والهواء.	3.19	1.36	متوسطة
6	2	لا تؤدي منتجات الشركات الأردنية إلى تلوث الماء أو الهواء أو التربة	3.09	1.30	متوسطة
7	3	تقوم الشركات الأردنية بالاستخدام الأمثل للموارد التي تستخدمها في العملية الإنتاجية	3.05	1.20	متوسطة
بُعد تجاه البيئة ككل			3.70		مرتفعة

يظهر من الجدول رقم (8) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات بُعد "تجاه البيئة" تراوحت بين (3.05-4.36)، حيث كان أعلاها للفقرة (4) "تتبع الشركة أساليب حديثة في تصميم المنتجات بطريقة تكفل تقليل المخلفات" بمتوسط حسابي (4.36) بدرجة تقييم مرتفعة، وأدناها للفقرة (3) "تقوم الشركات الأردنية بالاستخدام الأمثل للموارد التي تستخدمها في العملية الإنتاجية" بمتوسط حسابي (3.05) بدرجة تقييم متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي لبعد تجاه البيئة ككل (3.70) بدرجة تقييم مرتفعة.

2. ما مستوى الأداء الاستراتيجي ببعدي الميزة التنافسية، والحصة السوقية في الشركات الصناعية الأردنية المُدرجة في سوق عمّان المالي؟

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن أبعاد الأداء الاستراتيجي، الجدول رقم (9) يوضح ذلك.

الجدول رقم (9): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن أبعاد مجال الأداء الاستراتيجي مرتبة تنازليًا

الرتبة	الرقم	البُعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
1	1	الميزة التنافسية	4.07	0.40	مرتفعة
2	2	الحصة السوقية	3.79	0.42	مرتفعة
مجال الأداء الاستراتيجي ككل			3.93		مرتفعة

يظهر من الجدول رقم (9) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن أبعاد مجال الأداء الاستراتيجي تراوحت بين (3.79-4.07) بدرجة تقييم مرتفعة لجميع الأبعاد؛ حيث جاء في المرتبة الأولى بعد "الميزة التنافسية" بمتوسط حسابي (4.07) بدرجة تقييم مرتفعة، واحتل المرتبة الثانية والأخيرة بعد "الحصة السوقية" بمتوسط حسابي (3.79) بدرجة تقييم مرتفعة، وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (3.93) بدرجة تقييم مرتفعة، وهذا يدل على أن مستوى الأداء الاستراتيجي في الشركات قيد البحث يعد مرتفعًا من وجهة نظر العاملين فيها.

كما استخرج الباحث المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات كل بعد من أبعاد مجال "الأداء الاستراتيجي" بشكل منفرد؛ الجداول (10، 11) توضح ذلك.

جدول (10): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات بعد الميزة التنافسية وبالبعد ككل مرتبة تنازليًا

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
1	8	تعمل الشركة على إيجاد بيئة تفاعلية للتعامل مع الخبرات التراكمية المكتسبة من الصفقات والعمليات التجارية السابقة	4.39	0.56	مرتفعة
2	3	تستخدم الشركة أساليب متنوعة لتحسين الجودة	4.30	0.96	مرتفعة
3	7	تمتاز الشركة بتطوير قنوات التوزيع	4.29	1.13	مرتفعة

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
		السريعة والفعالة لإيصال منتجاتها للعملاء بصورة افضل من المنافسين			
4	4	يَمتلك العاملون في شركتنا مهارات مُتعددة تجعلهم قادرين على أداء أكثر من وظيفة أو عمل.	4.07	0.70	مرتفعة
5	1	تستخدم الشركة الموارد المتاحة بصورة اقتصادية ورشيدة	3.98	0.81	مرتفعة
6	5	تقدم الشركة منتجاتها بمزايا ومواصفات عالية تنفرد بها عن غيرها من المنافسين	3.97	1.09	مرتفعة
7	2	تستخدم الشركة البحث والتطوير لتحديث عملياتها الإنتاجية للوصول إلى غاياتها بأقل تكلفة	3.87	0.50	مرتفعة
8	6	تمتاز الشركة بسرعة الاستجابة لطلبات السوق	3.70	0.94	مرتفعة
بُعد الميزة التنافسية ككل			4.07		مرتفعة

يظهر من الجدول رقم (10) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات بعد "الميزة التنافسية" تراوحت بين (3.70-4.39) بدرجة تقييم مرتفعة لجميع الفقرات؛ حيث كان أعلاها للفقرة (8) "تعمل الشركة على إيجاد بيئة تفاعلية للتعامل مع الخبرات التراكمية المكتسبة من الصفقات والعمليات التجارية السابقة" بمتوسط حسابي (4.39) بدرجة تقييم مرتفعة، وأدناها للفقرة (6) "تمتاز الشركة بسرعة الاستجابة لطلبات السوق" بمتوسط حسابي (3.70) بدرجة تقييم مرتفعة، وبلغ المتوسط الحسابي لبعد الميزة التنافسية ككل (4.07) بدرجة تقييم مرتفعة.

جدول (11): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات بعد الحصة السوقية وبالبعد ككل مرتبة تنازليًا

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
1	1	تحديد الموقع التنافسي يساعد على تزايد عدد المنتجات البديلة	4.30	0.80	مرتفعة
2	5	رعاية النشاطات الثقافية والاجتماعية والرياضية	4.07	0.70	مرتفعة

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
		يعزز الصورة الجيدة للشركة			
3	6	يجب ان يكون المنتج فريدا ومميزا	3.98	1.09	مرتفعة
4	3	يتم التركيز على المنفعة ذات الأهمية من وجهة نظر المستهلك.	3.81	0.81	مرتفعة
5	4	الاهتمام بالعميل يخلق صورة ذهنية جيدة عن الشركة	3.77	0.42	مرتفعة
6	7	يجب ان تكون تكاليفه مقبولة بالنسبة للعميل وسهل الاستخدام	3.70	0.94	مرتفعة
7	2	هناك قدرة على إقناع السوق المستهدف بمحتوى الموقع التنافسي.	3.34	0.90	متوسطة
8	8	يساعد معرفة الموقع التنافسي للشركة على استغلال الثغرات الموجودة في السوق.	3.33	0.90	متوسطة
بُعد الحصة السوقية ككل			3.79		مرتفعة

يظهر من الجدول رقم (11) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات بعد "الحصة السوقية" تراوحت بين (3.33-4.30)؛ حيث كان أعلاها للفقرة (1) "تحديد الموقع التنافسي يساعد على تزايد عدد المنتجات البديلة" بمتوسط حسابي (4.30) بدرجة تقييم مرتفعة، وأدناها للفقرة (8) "يساعد معرفة الموقع التنافسي للشركة على استغلال الثغرات الموجودة في السوق" بمتوسط حسابي (3.33) بدرجة تقييم متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي لبعد الحصة السوقية ككل (3.33) بدرجة تقييم مرتفعة.

المطلب الثاني : اختبار فرضيات الدراسة

الفرع الأول: التوزيع الطبيعي

للتحقق من طبيعية المتغيرات المستقلة والمتغير التابع (Normality) تم استخدم اختبار (One-Sample Kolmogorov-Smirnov Test) والجدول رقم (12) يبين ذلك.

جدول (12): اختبار (One-Sample Kolmogorov-Smirnov Test) على المتغيرات المستقلة والمتغير التابع

مجال	قيمة One-Sample Kolmogorov-Smirnov Test
المسؤولية الاجتماعية	1.28
مستوى الأداء الاستراتيجي	3.14

يظهر من الجدول رقم (12) أن قيم الاختبار (One-Sample Kolmogorov-Smirnov Test) لمتغيرات الدراسة كانت مقبولة، مما يدل على أن البيانات تتبع التوزيع الطبيعي (Normal Distribution) وكذلك استناد النظرية إلى النزعة المركزية التي تنص على أنه إذا كان حجم العينة أكبر من (30) وله وسط حسابي (μ) وتباين (σ^2)، فإن توزيع المعاينة للوسط الحسابي تقترب من التوزيع الطبيعي.

الفرع الثاني: النتائج المتعلقة باختبار الفرضيات

الفرضية الرئيسة: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لمدى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية وكل بعد من أبعاده تجاه (المجتمع، والزبائن، والبيئة) في الأداء الاستراتيجي وكل بعد من أبعاده (الميزة التنافسية، والحصة السوقية)

يتطلب التحقق من ملاءمة البيانات لافتراضات تحليل الانحدار الخطر المتعدد، وقد استخدمت اختبار الارتباط الخطي بهدف التأكد من أنه لا يوجد ارتباط عال بين المتغيرات المستقلة، وذلك بالاعتماد على اختبار معامل تضخم التباين (VIF)، واختبار التباين المسموح به (Tolerance) لكل متغير من المتغيرات المستقلة، حيث يجب أن تكون المتغيرات المستقلة للنموذج مستقلة فيما بينها، وللتأكد من ذلك الغرض نستعين بهذا الاختبار، مع العلم أنه من الضروري عدم تجاوز معامل تضخم التباين للقيمة (10)، وقيمة اختبار التباين المسموح لابد أن يكون من (0.05)، وبحساب المعاملات السابقة لكل المتغيرات المستقلة، كانت النتائج المتحصل عليها مدرجة في الجدول رقم (13) كالآتي:

جدول (13): اختبار معامل تضخم التباين والتباين المسموح لمتغيرات الدراسة

البعد	التباين المسموح (Tolerance)	معامل تضخم التباين (VIF)
تجاه المجتمع	0.89	1.13
تجاه الزبائن	0.79	1.27
تجاه البيئة	0.88	1.14

يظهر من الجدول رقم (13) أن قيم اختبار معامل تضخم التباين (VIF) لجميع المتغيرات المستقلة أقل من (10)، حيث تراوحت بين (1.13-1.27)، بينما كانت قيمة اختبار معامل التباين المسموح به (Tolerance) لجميع المتغيرات المستقلة أكبر من (0.05) حيث تراوحت قيمه بين (0.79-0.89)، ومن ثم يمكن القول إنه لا توجد مشكلة ارتباط عال بين المتغيرات المستقلة، وهذا يعزز إمكان استخدامها في النموذج، ومن ثم إدخال المتغيرات المستقلة في تحليل الانحدار الخطي المتعدد، الذي يستخدم لمعرفة أي من المتغيرات المستقلة لها أثر دال إحصائيًا على المتغير التابع، وكذلك معرفة النسبة المئوية لذلك الأثر إن وجد.

الفرضية الفرعية الأولى: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لمدى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية وكل بعد من أبعاده (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة) في الميزة التنافسية.

للتحقق من أثر كل بعد من أبعاد المسؤولية الاجتماعية على الميزة التنافسية تم استخدام تحليل الانحدار الخطي المتعدد (Multiple Linear Regression) لمعرفة إن كان هناك أثر ذو دلالة إحصائية للمتغيرات المستقلة عند مستوى الدلالة الإحصائية ($0.05 \geq \alpha$)، الجدول رقم (14) يوضح ذلك.

جدول (14): نتائج تطبيق معادلة الانحدار المتعدد لدراسة أثر مدى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية وكل بعد من أبعاده (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة) في الميزة التنافسية

البُعد	ß	T	الدلالة الإحصائية	R	R^2	Adjusted R Square	F	الدلالة الإحصائية
تجاه المجتمع	0.05	0.90	0.37	0.18	0.03	0.02	3.54	0.01
تجاه الزبائن	0.16	2.64	0.01					
تجاه البيئة	0.09	1.64	0.10					

يظهر من الجدول رقم (14) وجود أثر ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لأبعاد المسؤولية الاجتماعية على الميزة التنافسية في الشركات محل الدراسة، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط (R) (0.18) وهي قيمة دالة إحصائيًا وتدل على درجة ارتباط دالة إحصائيًا بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع، وبلغت قيمة (R-square) (0.03)، وأن قيمة معامل التحديد المعدل (Adjusted R Square) (0.02)، وهي قيم دالة إحصائيًا تفسر قدرة أبعاد المسؤولية الاجتماعية في التأثير على الميزة التنافسية، أي أن أبعاد المسؤولية الاجتماعية تفسر ما قيمته (3%) من التغيير الحاصل في الميزة التنافسية، وبلغت قيمة الاختبار (F) (3.54) بدلالة إحصائية (0.01) وهي قيمة دالة إحصائيًا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) وهي تدل على وجود تباين في قدرة المتغيرات المستقلة في التأثير على المتغير التابع.

الفرضية الفرعية الثانية: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لمدى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية وكل بعد من أبعاده (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة) في الحصة السوقية.

للتحقق من أثر كل بعد من أبعاد المسؤولية الاجتماعية على الحصة السوقية تم استخدام تحليل الانحدار الخطي المتعدد (Multiple Linear Regression) لمعرفة إن كان هناك أثر ذو دلالة إحصائية للمتغيرات المستقلة عند مستوى الدلالة الإحصائية ($0.05 \geq \alpha$)، الجدول رقم (15) يوضح ذلك.

جدول (15): نتائج تطبيق معادلة الانحدار المتعدد لدراسة أثر مدى التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية وكل بعد من أبعاده (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة) في الحصة السوقية

البُعد	ß	T	الدلالة الإحصائية	R	R^2	Adjusted R Square	F	الدلالة الإحصائية
تجاه المجتمع	0.01	0.11	0.91	0.13	0.02	0.0001	1.98	0.11
تجاه الزبائن	0.13	2.08	0.04					

تجاه البيئة	0.02	0.30	0.76					

يظهر من الجدول رقم (15) عدم وجود أثر ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لأبعاد المسؤولية الاجتماعية على الحصة السوقية في الشركات محل الدراسة، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط (R) (0.13) وهي قيمة غير دالة إحصائيًا وتدل على درجة ارتباط غير دالة إحصائيًا بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع، وبلغت قيمة (R-square) (0.001) وأن قيمة معامل التحديد المعدل (Adjusted R Square) (0.0001) وهي قيم غير دالة إحصائيًا تفسر عدم قدرة أبعاد المسؤولية الاجتماعية على التأثير في الحصة السوقية؛ أي أن أبعاد المسؤولية الاجتماعية تفسر ما قيمته (0.01%) من التغيير الحاصل في الحصة السوقية، وبلغت قيمة الاختبار (F) (1.98) بدلالة إحصائية (0.11)، وهي قيمة غير دالة إحصائيًا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) وهي تدل على عدم وجود تباين في قدرة المتغيرات المستقلة في التأثير على المتغير التابع.

مما سبق تقبل الفرضية الرئيسة فيما يتعلق بأثر التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية وكل بعد من أبعاده (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة) في الميزة التنافسية، وترفض فيما يتعلق بأثر التزام الشركات الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية وكل بعد من أبعاده (تجاه المجتمع، الزبائن، البيئة) في الحصة السوقية.

الخاتمة/ النتائج والتوصيات

أولًا: ملخص النتائج

تراوحت المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن أبعاد مجال المسؤولية الاجتماعية بين (3.58-4.26)، حيث جاء في المرتبة الأولى بعد "تجاه المجتمع" بمتوسط حسابي (4.26) بدرجة تقييم مرتفعة، وفي المرتبة الثانية جاء بعد "تجاه البيئة" بمتوسط حسابي (3.70)، واحتل المرتبة الثالثة والأخيرة بعد "تجاه الزبائن" بمتوسط حسابي (3.58)، وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (3.85) بدرجة تقييم مرتفعة، وهذا يدل على أن مستوى التزام الشركات الصناعية الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية جاء مرتفعًا من وجهة نظر العاملين فيها.

1. تراوحت المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن أبعاد مجال الأداء الاستراتيجي بين (3.79-4.07) بدرجة تقييم مرتفعة لجميع الأبعاد، حيث جاء في المرتبة الأولى بعد "الميزة التنافسية" بمتوسط حسابي (4.07) بدرجة تقييم مرتفعة، واحتل المرتبة الثانية والأخيرة بعد "الحصة السوقية" بمتوسط حسابي (3.79) بدرجة تقييم مرتفعة، وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (3.93) بدرجة تقييم مرتفعة، وهذا يدل على أن مستوى الأداء الاستراتيجي في الشركات الصناعية الأردنية جاء مرتفعًا من وجهة نظر العاملين فيها.
2. وجود أثر ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لأبعاد المسؤولية الاجتماعية (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة) على الميزة التنافسية في الشركات الصناعية الأردنية.

3. عدم وجود أثر ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لأبعاد المسؤولية الاجتماعية (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة) على الحصة السوقية في الشركات الصناعية الأردنية.

ثانيًا: التوصيات

- العمل على تثقيف الموظفين وتهيئتهم للالتزام بالمسؤولية الاجتماعية، من خلال عقد برامج توعية بأهميتها؛ سواء قبل الالتحاق بالخدمة أو في أثنائها.
- إعادة النظر في الأساليب المستخدمة من أجل المحافظة على الأداء الاستراتيجي المرتفع والمتحقق في الشركات الصناعية الأردنية من خلال استقطاب أفضل الكفاءات البشرية.
- ضرورة إدراك الإدارة العليا أهمية تعزيز التزام العاملين في الشركات الصناعية الأردنية بالمسؤولية الاجتماعية (تجاه المجتمع، والزبائن، والبيئة)، من أجل تعزيز الأداء الاستراتيجي ببعديه (الميزة التنافسية، والحصة السوقية).
- إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول أثر الأبعاد الأخرى لكل من المسؤولية الاجتماعية والأداء الاستراتيجي.

قائمة المراجع

- الطراونة، خالد، وأبو جليل، محمد (2013) **أثر أخلاقيات الأعمال والمسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة ميدانية في الشركات الصناعية المدرجة في سوق عمان المالي**، المؤتمر الدولي الثاني لكلية إدارة الأعمال: عمان/ جامعة مؤته.
- القاضي، زياد (2012) **علاقة الممارسات الاستراتيجية لإدارة الموارد البشرية وأداء العاملين وأثرهما على أداء المنظمات: دراسة تطبيقية على الجامعات الخاصة الأردنية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط: عمان.
- القريوتي، موسى (2014) دور المسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة حالة؛ شركة زين للاتصالات الخلوية، **دراسات- العلوم الإدارية: الأردن**، مج (41) ع(1)، 37-55.
- المناصير، عمر (2013) **أثر تطبيق قواعد حوكمة الشركات على أداء شركات الخدمات المساهمة العامة الأردنية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الهاشمية: الزرقاء.
- المومني، حذيفة (2015) **أثر التدقيق الاستراتيجي لإدارة الموارد البشرية في تحقيق الأهداف الاستراتيجية للمنظمة: دراسة حالة وزارة الصحة الأردنية**، رسالة ماجستير غير منشروة، جامعة جدارا: إربد.
- النويقة، عطا الله (2016) أثر أخلاقيات الأعمال والمسؤولية الاجتماعية في تعزيز الميزة التنافسية في البنوك التجارية العامة في منطقة مكة المكرمة، **العلوم الإدارية**، مج43، ع(1).

Rekha G.Sai, & Gayathri K. (2013), *Human Resource Management and Corporate Social Responsibility*, International Journal of Applied Research & Studies ISSN 2278 – 9480 iJARS/ Vol. II/ Issue 3/Mar, 2013/378 1

انسجام مستويات التحليل اللساني

في قصيدة "ملحمة كنعان" لإبراهيم السعافين

د.هناء عمر خليل- جامعة الإسراء
- عمّان- الأردن

الملخص:

تنهض هذه الدراسة على قراءة قصيدة "ملحمة كنعان" لإبراهيم السعافين على وفق معطيات التحليل اللساني للمنهج البنيوي، وذلك من خلال الكشف عن العلاقات الجزئية التي تتشابك لتؤلف البنية العامة للنص الشعري، وقد جاءت هذه العلاقات على شكل مستويات أربعة، هي: الصوتي، والمعجمي، والتركيبي، والبلاغي. ولا تفوت الدراسة إبراز التقابلات الضدية التي اكتنفت الفضاء الشعري.

الكلمات المفتاحية: البنيوية – الثنائيات التقابلية – الصوتي – المعجمي – التركيبي – البلاغي

Abstract

This study is based on reading the poem "The Epic of Canaan" by Ibrahim Al-Saafin according to the linguistic analysis of the structural method by revealing the partial relations that intertwine to form the general structure of the poetic text. These relations came in the form of four levels: Audio, Syntactic, and rhetorical and this study didn’t ignore to highlight the adverse interactions that surrounded the poetic space

المقدمة

جاءت كلمة (البنيوية) مشتقة من كلمة (structure) الإنجليزية، ولهذه الكلمة دلالات مختلفة في الدرس اللساني، وهي:" النظام، والتركيب، والهيكلة، والشكل،... والواقع أن المعنى الدقيق لكلمة (structure) لم يتمّ تحديده إلا في عام 1926م، وعلى يد مدرسة "براغ" اللسانية، ويفيد هذا المصطلح معنى الترتيب الداخلي للوحدات التي تكون النظام اللساني"[1]، وحينما امتدت الدراسات اللسانية وتطوّرت فقد احتاجت إلى توفير أدوات للتحليل اللساني، وإثراء المستويات اللغوية التابعة له، مما أمكن تشكيل إطار مرجعي يعود إليه الدارس ويفيده في التحليل وقراءة النص الأدبي.

ويمكن القول إن البداية الحقيقية التي نهضت منها البنيوية اعمدت على إنجازات العالم اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير"، ودراساته عن اللغة والكلام، وأهم ما جاء في آرائه "نظرية النظام أو النسق (System) اللغوي الذي يحكم الاستخدام الفردي للغة، هذا بالإضافة إلى تطوير مفهوم العلامة (Sign) اللغوية بشقيها الدال (Signifier) والمدلول (Signified)"[2]، وقد اتخذت البنيوية بعد ذلك من الدال

---

[1] نعملن بو قرة(2009)، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، الأردن: جدارا للكتاب العالمي، ص94-95.

[2] عبد العزيز حمودة(1998)، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص222.

والمدلول القاعدة التي بنت عليها اتجاهاتها وقوانينها، إذ رأت أن التعامل مع النص الأدبي ينبغي أن ينطلق من وجهي الدال والمدلول ووظائفهما داخل هيكلية النصّ.

تسعى المقاربات البنيوية في تحليل النص الأدبي إلى اعتباره بناءً لغويا مكتملا بأجزائه وتفاعلاته النصية، وعليه، فالمنهج البنيوي طريقة في قراءة النص الأدبي قراءة داخلية بعيدة عن أيّ تصوّرات خارجية من شأنها أن توجه الدلالة إلى معانٍ لها علاقة بالسياقات النفسية والاجتماعية والتاريخية، ممّا يعني انغلاق النص على ذاته معتمدا النظام اللغوي الركيزة في تحليله وفهم العلاقات المتشابكة التي تكتنفه، وهذا يعني أنّ البنيوية ما هي إلا " آلية للدلالة وديناميكية بتجسيد الدلالة في سلسلة من المكونات الجذرية والعمليات المتصلة، وفي شبكة من التفاعلات التي تتكامل لتحوّل اللغة –بمعناها الأوسع- إلى بنية معقدة تجسّد البنية الدلالية تجسيدًا مطلقا في اكتماله"[1].

وبما أن المنهج البنيوي منهج وصفي فهذا يعني الوقوف عند وصف الظواهر اللغوية وصفا يعمل على اعتبارها كائنا يتداخل وسيرورة النصّ وعاملا فاعلا في تحديد هويته الأدبية، الأمر الذي يُسهم في الكشف عن خصوصية النص الأدبي بعزله عزلا تاما عن فكرة المعيارية في الحكم على النص ذاته، وتقويمه على مبدأي الصواب والخطأ، "فلا مجال لتدخل الذات في الدراسة، وإن كل اللغات متساوية أمام البحث العلمي، ولا فرق بين لغة قديمة وأخرى حديثة، ولا فرق بين لغات الأمم المتخلفة ولغات الأمم المتحضرة، وليست هناك لغة جيدة وأخرى رديئة"[2]، فالمعوّل الوحيد هنا هو اعتبار النص نسقا من العلاقات الداخلية البعيدة عن سيطرة الأحكام الخارجية.

ويتميز المنهج البنيوي بخصائص تسهم مجتمعة في تحديد النص الأدبي على مبدأ الدرس البنيوي اللساني، وهي: العمومية التي تحيل على التماسك الداخليّ للعلاقات التي تنتظم النسق، والتحولات التي تعيّن عدم ثبات البنية، وتحرص على تجددها الدائم، وتغيرها المستمر، وأخيرا ذاتية الانضباط التي تتكفل بوقاية البنية، وحفظها حفظا ذاتيًا ينطلق من داخلها، "بمعنى أن اللغة لا تبني تكويناتها ووحداتها من خلال رجوعها إلى أنماط "الحقيقة" الخارجية، بل من خلال أنظمتها الداخلية الكاملة"[(3)].

بناء على ما سبق، فإن هذه الدراسة ستركز على معطيات المنهج البنيوي في تحليل قصيدة "ملحمة كنعان" لإبراهيم السعافين، متخذة من أدوات الدرس اللساني الركيزة في قراءة النص، واستجلاء علاقاته الداخلية على شكل مستويات لغوية، من شأنها النهوض بمقومات النظام الذي يؤلف نسيج أجزائه في وحدة واحدة، تخدم عناصر النص الأدبي وتكشف عن محمولاته الدلالية التي لا يمكن فهمها وإدراكها إلا داخل هذه البنية النصية.

مستويات التحليل اللساني

أولا: المستوى الصوتي

---

[1] كمال أبو ديب(1979)، جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، ص9.

[2] محمد الفتحي(2015)، انتظام مستويات اللغة في اللسانيات البنيوية، تبيّن للدراسات الفكرية والثقافية، مج(3)، ع(11)، ص58.

[3] محمد الفتحي، انتظام مستويات اللغة في اللسانيات البنيوية ، ص 37.

يعتمد المستوى الصوتي للنص الشعري على معرفة خصائص الحروف الصوتية، بحيث يتم تحليل صوت الحرف ودلالته ومدى تواتره في الأسطر الشعرية وترتيبه بين الأصوات الأخرى، الأمر الذي يؤدي تغييره في السطر إلى تغيير في الدلالة. ويُطلق الحرف الذي ينشأ من تشكله بغيره من الحروف الكلمة الفونيم الذي يعد بدوره "أصغر وحدة صوتية يؤدي استبدالها إلى تغيير معنى الكلمة"[1].

وعلاوة على ما سبق، فالمستوى الصوتي يتدرّج من تناول الحرف وصوته باعتباره الوحدة الصوتية الأولى في مستويات البناء النصي، لنجده يتناول كذلك " تحليل الملامح الصوتية كتكرار أصوات بعينها ساكنة أو متحركة، مهموسة أو مهجورة، مرتكزة أو منبورة، وكاستخدام أنواع معينة من المقاطع: طويلة أو متوسطة أو قصيرة، وكالعلاقة بين الإيقاع، والنبر، والارتكاز، والطول، وتوزيع الظواهر البديعية من طباق وجناس وسجع"[2]. وسنستهل قراءتنا للقصيدة بالإيقاع الداخلي الذي يظهر في التجمعات الصوتية للحروف من حيث تكرارها، وتبيان صفاتها وعلاقاتها بما قبلها وما بعدها، ثمّ سيتم الانتقال إلى تبيّن الجرس الموسيقي الذي تحققه المفردات من خلال التكرار المفردي، وبعدها سيتم تناول الإيقاع الخارجي الممثل بوزن القصيدة ورويها ومدى تأثير الدفقة الشعورية في طول السطر الشعري.

ينفتح نصّ "ملحمة كنعان" الشعري على مجموعة كبيرة من الأصوات المجهورة التي تخدم دلالة البنية العامة للقصيدة، والمعروف أنّ الحرف المجهور في علم الصوتيات هو:" الذي يهتز معه الوتران الصوتيان، نتيجة انقباض فتحة المزمار، وضيق مجرى الهواء، واقتراب الوترين الصوتيين اقترابا يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالاهتزاز"[3]. وقد تعاضدت صفات الحرف الجهوري مع دلالة النص الكبرى في الوقوف على قضية فلسطين والحديث عن تاريخها وقصة الاحتلال اليهودي التي تركت أثرا واضحا في رفد النص بكلمات تصدح أصواتها بوضوح لتؤكد أهمية تلك القضية.

والقارئ للنصّ الشعري يلحظ التواتر الملحوظ لصوت الراء الجهوري على جسد القصيدة بأكملها، إذ بات هذا الحرف لازمة صوتية يرنّ صداها في مقاطع النصّ الشعري، ويجد حضورًا واضحا على مستوى الأسطر الشعرية وترداده كذلك على مستوى الكلمات المتجاورة، ومثال هذا التكرار للحرف ما جاء في مستهل القصيدة الشعرية:

كنعانُ يشرق في الجليل

عشقا ربيعيا

وتنتشر الصبايا حول نبع الماء

يملأن الجِرارْ

همست جميلةُ:

عرّاف قريتنا رأى حُلما

---

[1] محمد علي الخولي(1982)، معجم علم الأصوات، ط1، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، ص127.

[2] محمد عزام(1994)، التحليل الألسني للأدب، ط1، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ص132.

[3] عبد الغفار حامد هلال(2009)، الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، ط1، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ص185.

تضيق به العبارةُ:

حوريّة رقصت قبيل الفجر

فارتعشت خيوط الشمس

في الآفاق

وانتثرت زهور الأقحوان

نديّة رحب المدى"[1].

يشهد هذا المقطع الشعري تكرّر حرف الراء (16)مرة متوزعة في أوائل الألفاظ وأواسطها وخواتيمها (ربيعيا، انتثرت، الفجر، الجرار)، والمعروف عن هذا الصوت أنه صوت ذلقي واضح النبرة، قوي التأثير في السمع، كما أنه صوت يجمع بين الشدة والرخاوة، فمثل هذه الأصوات " ليست شديدة أي لا يُسمع معها انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة"[2]، كما أن هذا الحرف يسمح بامتداد الصوت على مدى الأسطر الشعرية بوضوح ترفده قوة الدلالة وتأكيد الحالة الشعورية التي انبثقت من وراء اللفظة الدالة، فبدهيّ أن نلمح حضور السرد القصصي الذي ابتدأ به النص الشعري على وتيرة إغناء الأحداث التي زخرت بها أرض كنعان، وهذا التمدد في سرد الأحداث أعطى وضوحا وجلاء للمضامين التي تختبئ خلف ستار اللفظة بما يكتنفها من حروف متفاوتة الصفات، يجمعها نسق صوتي واحد، يتداخل فيما بينها ويفرض سيطرته وصفته على باقي الصفات الأخرى.

ولما كان المقطع السابق يشي بتكرار الصوت الجهوري للراء ليؤدي الصوت وضوحه، فقد تجاورت مع هذا الصوت أصوات أخرى لحروف مهموسة تختلف معه في الصفات، ولعل أهمها استغلال فونيم "الحاء" ليدل على خاصية الحرف المهموس الذي يعني:" الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، نتيجة انبساط فتحة المزمار، واتساع مجرى الهواء، وابتعاد الوترين الصوتيين، بحيث لا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز"[3]. ويأتي هذا التعريف متوائما مع الوظيفة التي نهض بها هذا الصوت باعتباره صوتا حلقيا احتكاكيا مهموسا، يشي بنبرة الذكريات الحزينة التي تم استحضارها في خطاب السرد الشعري، موظفة في دوالّ:(حورية، الأقحوان، رحب)، ومثل هذه الدوالّ تعبّر عن أحاسيس مكبوتة تنضوي في حروف الكلمات لعلها تكون بلسما شافيا لو أثبتت حضورها في جسم القصيدة، غير أنها بقيت متوارية خلف كلمات النصّ التي سبقت ظهورها ممثلة بجملة (تضيق بها العبارة). وهذا التناغم الوظيفي بين حرفي الراء والحاء، أعطى انفساحا وتمددا لمعنى الصوت المهموس، وفي الوقت نفسه جعل لقوة الصوت المجهور الذي يسيطر عليه حضورا ماثلا في هيكلية البناء النصيّ.

وقد توالى تكرار حرف العين في القصيدة مشكلا بتكراره ظاهرة صوتية جديرة بالاهتمام، وقد جاء تواليه مكررا في كل سطر مرة أو مرتين كما في المقطع الآتي:

---

[1] إبراهيم السعافين(2005)، أفق الخيول، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص61.

[2] إبراهيم أنيس(2010)، الأصوات اللغوية، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، ص63-64.

[3] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص185.

يا غزة، هذا كنعانُ،

وهذا مقلاع فلسطين

فأنت الوعد،

فكوني زادا للمقلاع

الطالعِ من عين الشمس

تشتعل عيون المرج

بلهيب الأحلام يُخشخش" [1].

فقد تكرر فونيم العين (8)مرات، والمعروف أن هذا الصوت يشبه صوت (النون) في صفته الجهورية الممتدة بين الرخاوة والشدة، واستحضار هذا الصوت في المقطع السابق يؤكد فكرة استحضار أحقية فلسطين لكنعان، وهو إخبار جازم بالاعتراف بهوية فلسطين العربية يرفدها أمل تستشرفه دوال (الوعد، والمقلاع، وعين الشمس)، وكما يُرى فهي تلتقي عند حُلم العودة والاستقرار في الوطن المحتلّ، وقد جاء ترداد صفة صوت العين متوائمة مع صوت النون ليدلا على فكرة ثبوت الرؤية وترسيخها في الأسطر الشعرية، مع انسجام هذين الصوتين وامتدادهما في أفق المساحة النصية ليلتقيا مع الأصوات المهموسة كالشين (كالشمس، ويخشخش) ليؤكد فكرة انبساط الصوت وانسيابيته بين نغمة التأكيد والرسوخ، ونغمة الامتداد وطول النفس الشعري، والمعروف أنّ مثل هذه الأصوات (الخاء، والعين، والشين) تسمى الاحتكاكية أو الرخوة (Fricative) وهي "التي لا يتوقف النفس عند النطق بها توقفا تاما، بل يسمح للهواء بالانطلاق محتكا بجدران الممرّ الصوتي محدثا صوتا مصاحبا يشبه الضوضاء أو الحفيف أو الخشخشة"[2]، فهذه الفونيمات لا تظهر قوتها أو شدة مجالها الصوتي إلا باحتكاكها فيما بعدها أو قبلها، وهذه الفكرة المتوالدة من تآزر الأصوات –على اختلاف صفاتها- تلتقي على واقع يومي يعيشه الشعب الفلسطيني من إحساس بالظلم والقهر، مع أمل يستبطن النفوس بزوال القهر، وعودة فلسطين إلى عروبتها، وبين هذين المفهومين تبدت حركة الأصوات المهجورة القوية وحركة الأصوات المهموسة الممتدة في فضاء النص الشعري بأكمله.

وإذا كانت ظاهرة التجمعات الصوتية تركت أثرا واضحا في انسيابية العبارات إحداث جرس موسيقي من نوع خاصّ، فإنّ التكرار الصوتي شكل ظاهرة جديرة بالنظر وأثيره بالاهتمام في قصيدة "ملحمة كنعان"، وقد جاء التكرار هنا على مستوى الوحدة الدلالية في الكلمة، وعلى مستوى العبارة، وفي كلا الحالين نهضت هذه الظاهرة بوظيفتين في القصيدة: الأولى إيقاعية من خلال ترداد دوال وعبارات معينة لزيادة التنغيم، وتقوية الجرس الموسيقي لها، والثانية دلالية لتأكيد المعنى الذي ينطوي خلف اللفظة ويبرز أهميته في فضاء النص الشعري.

---

[1] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص65.

[2] إبراهيم خليل(2007)، في اللسانيات ونحو النص، ط1، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص50.

وقد ازدحم النص الشعري بسلسلة من التكرارات على مستوى الكلمة، ومن أمثلة التكرار الفعلي، تكرار الفعل "اقرأ" الذي يخاطب بها الشاعر "كوهين":

اقرأ يا كوهين العائدُ

من أدغال الأمميّين

اقرأ في أسفار "المنفيين"

اقرأ في أسفار "أريحا"

اقرأ في أسفار "الدير"

وفي أسفار" الكفر" و"قبية"

واقرأ "نحّالين" " [1]

يشهد المقطع السابق على تكرار فعل الأمر "اقرأ" في مستهل الأسطر الشعرية بتوازٍ منغّم، وهذا التكرار بمثابة لازمة إيقاعية تفصح عن جرس موسيقي لدال اللفظة، فالكلمة بما فيها من طاقة تعبيرية عالية اللهجة جاءت لتؤكد المعنى الذي يقوله المقطع الشعري من مسيرة التضحيات والمآسي التي مرّ بها الشعب الفلسطيني في تاريخهم المسطور، ولم تكتف تلك اللفظة بقوة نبرها ووضوح نغمتها الموسيقية، وإنما حشدت معها طائفة من الدلالات المكانية والإشارات التاريخية التي تناثرت في بطون التاريخ فصارت رمزا للنضال والتضحية، "فالكفر، وقبية، ونحالين، وأريحا" كلها أماكن تشهد على رحلة الفداء التي عاشها الشعب وسيعيشه، لذلك جاءت لفظة اقرأ الموجهة إلى كوهين، وهو رمز من رموز الاستبداد والقهر، لتكون أداة تخاطب المستبد وتلزمه بما حوته مدن فلسطين وقراها من قصة معاناة مريرة سطرتها يد الاحتلال فشهدت تضحيات أبنائها رمزا للمقاومة، كما أن تلك الدالة تشي بنوع من العقم التاريخي الذي يأبى المستبد تصديقه من حوادث الأزمان وما شهدته أياديه من قتل وتخريب وانتهاك للحرمات المقدسة.

وفي موضع آخر من النص الشعري يحتل التكرار الاسمي حضورًا بارزا على مستوى البناء النصيّ، كتكرار كلمة "وجه" في مواضع متعددة من الأسطر الشعرية المتتالية:

" فتجلى وجه فلسطينْ

يا هذا الوجه الطالعُ من

أعماق الظلماتْ

......

يا هذا الوجه الدامي،

سبحانك، يا وجه الله،

فهذا وجه فلسطينْ

وجه المظلومينَ، ووجهُ

[1] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص70.

المنفيينُ
هذا وجه الشرّ
وهذا زمن القرّ"[1].

يشكل ترديد دالة "وجه" بكثافة في هذا المقطع ظاهرة تسترهي الانتباه، فقد جاء هذا المقطع لاحقا للمقطع السابق الذي أفصح عن تذكير بتاريخ فلسطين وماضيها الحافل من خلال لفظة "اقرأ"، بنبرة انفعالية حادة، لينتقل الصوت هنا من خلال لفظة "وجه" هادئا متناغما مع الحقيقة التي أثارتها الكلمة في كل مرة ترد فيها، فيندغم الصوت المتكرر هنا مع لحمة العلاقة الثنائية التي أفرزتها العبارات المتصلة بالكلمة ضمن ثنائية (الحق / الباطل)، فتشكل لازمة الصوت علاقة تضادية بين حقلين متغايرين في الدلالة متجاورين في مساحة النصّ الشعري:(الوجه الدامي، وجه الله، وجه فلسطين، وجه المظلومين، وجه المنفيين) في مقابل (وجه الشر)، وقد رشحت دلالة الثورة والحق وأمل النصر الذي يرفرف على وجه المظلومين نفسا شعريا ممتدا على نسقية المقطع، لتقابل في معناها المعاكس وجه الشر التي تختصر كل معاني القهر والاستبداد والظلم، وهذا التكرار الصوتي الذي تجأر به الكلمة يؤكد بدلالة الإشارة (هذا) الذي يتكرر هو الآخر ليمنح الدلالة خصوصية، ويفسح بتقريب أوجه التقابل الضدي بين حقلي الكلمة المتناقضتين.

ونلتقي بمظهر آخر يتجلى في الإيقاع الداخلي للمستوى الصوتي، وهو البديع اللفظي الذي يتميز بترديد الأصوات في الكلام ليحقق نغما موسيقيا فيسترعي الآذان بلفظه، ويأسر العقول بمعانيه، وهذا النوع من البديع يُعنى " بحُسن الجرس، ووقع الألفاظ في الأسماع، ومجيء هذا النوع من الشعر يزيد من موسيقاه؛ وذلك لأن الأصوات التي تتكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم، مختلفة الألوان"[2]. ويدخل في هذا الباب أنواع البديع من جناس وسجع وموازنة، وأثرها في ترتيب الوزن الشعري من خلال تراتب حروفها المتماثلة وفق نسق معين.

وعلى مستوى الجناس فنلتقي بتوالي لفظتين يتجاوران في السطر الشعري الواحد:

"احتشد الموت، ودوّى صوتٌ
محموم مسموم"[3]

فلفظتا (محموم، ومسموم) تلتقيان على جرس موسيقي واحد يشي بتفجر الغضب والرفض، ذلك لأنهما سبقتا بعبارة الموت والصوت المدوّي الذي يتمدد ليترك في فضاء النص الشعري فرصة امتداد النفس الشعري الصاخب الذي أكدته اللفظتان المتجانستان لتوحي بروح الرفض التام للغدر اليهودي الذي عُبّر عنه بالموت المحتّم.

---

[1] المرجع السابق، ص70-71.

[2] إبراهيم أنيس(2010)، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص45.

[3] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص70.

وفي موضع آخر، تتجاور الألفاظ في بنية الفضاء الشعري لتكوّن عبارات تتوافق في وزنها وموسيقاها الشعرية، لتمنح الأسطر الشعرية تنغيما صوتيا، وتعمق الدلالة التي تفرزها الكلمات المتجاورة والمتجانسة، وهذا ما يُعرف في باب البلاغة السجع المرصّع الذي يعني: "ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية"[1]، ومثاله في السطرين الآتيين:

"قطعوا وريد اللوز والليمونْ

قلعوا جذور التين والزيتونْ"[2]

تتكاثف في هذين السطرين الشعريين سلسلة من الدوال التي تنسجم موسيقيا وصوتيا مع الدفقة الشعورية التي صاحبتها، وتفصيل ذلك أن كل لفظة في السطر تلتقي مع ما يقابلها من لفظ في الوزن والإيقاع، فقد تشابهت لفظتا (قطعوا، وقلعوا) وزنا وقافية، وتطابقت خاتمتا السطر الشعري وزنا وقافية كذلك: (الليمون، والزيتون)، وهذا التطابق بين تلك الدوالّ يثري البناء النصي بمزيد من الموسيقا الداخلية التي تبدت في قافية الكلمات وتتابع ألفاظها، علاوة على ذلك، فقد ساعد ترديد السطرين على إحداث لحن شجيّ رتيب يتمدد ويتسع لكل حالات الحزن والشعور بالقهر الذي آلت إليه حالُ فلسطين، والضمير الغائب في مستهل السطرين يعمّق رفض الوجود الصهيوني الذي فرض وجوده على تلك الأرض المنبتة عنه، فكان استحضار الضمير هنا وتكراره يؤكد حالة نكران إقامتهم واستحلالهم أرض فلسطين، كما جاءت صيغة النبر التي انتهى إليها السطران في رويّ النون تؤكد خيرات البلاد التي آلت إلى غير مستحقيها، ولا يخفى ما لصوت النون الجهوري هنا من تعميق حالة الأسى فهو أشبه بالصوت النوّاح الذي يندب هذه الخيرات ويبكي حال فلسطين وما آلت إليه.

وعلى مستوى الإيقاع الخارجي، فقد ساعد تكرار تفعيلة (متفاعلن) مع زحافها (متْفاعلن) وعلتها (متْفاعْ) على مدى السطرين الشعريين بتوازٍ وانتظام على تحقيق التلاؤم الصوتي، وتوضيح ذلك كما يأتي:

قـ ط عو و ري // دلْ لو ز ولْ // لِيْ مونْ = قـ لـ عو جـُ ذو // رتْ تي نِ وزْ // زيْ تونْ

ب ب – ب - // - - ب - // - -ْ = ب ب – ب - // - - ب - // - -ْ

مُتَفاعِلنْ // مُتْفاعِلن // مُتْفاعْ = مُتَفاعلن // مُتْفاعلن // مُتْفاعْ

وفي هذا الترتيب الموسيقي لتفعيلات (متفاعلن) يتحقق للسطرين الشعريين غايتهما من تفجير طاقات الشعور الداخلي الذي ينفعل مع تناغم المقاطع الصوتية، وبدهي أن "حُسن الصوت وتلاؤمه أصلان لكل لذة نشعر ونحسّ بها، هذا لا يعني أننا نهمش الجانب الإدراكي في هذا كله، بل إن الأذن تلعب دورا أساسيا في تمييز المتلائم والمتنافر"[3]، ولا يمكن للأذن أن تسمو بهذا الإدراك الحسيّ إلا بتناغم حروف الدوالّ وانسجامها لتحقق بهذا الانسجام المعنى الذي يكتنفها.

---

[1] أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري المصري(1998)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص 251.

[2] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص69.

[3] عبد الحميد زاهيد(2010)، علم الأصوات وعلم الموسيقى، دراسة صوتية مقارنة، ط1، عمّان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ص77.

ثانيا: المستوى المعجمي

يرتكز المستوى المعجمي على تناول المفردات ودلالاتها، وكيفية استعمالها بالطريقة الأدبية على مستوى البناء النصي للقصيدة، وعليه، فإن هذا المستوى يُعنى بالنظر إلى المعجم على أنه " قائمة من الكلمات المنعزلة التي تتردد بنسب مختلفة أثناء نصّ معين، وكلما تردّدت بعض الكلمات بنفسها أو بمرادفها أو بتركيب يؤدي معناها كوّنت حقلا أو حقولا دلالية"[1]. من هنا كان الاهتمام بالمستوى المعجمي كبيرا؛ ذلك لأنه يتناول دلالة اللفظة وعلاقتها بدوال الألفاظ الأخرى ضمن علاقات تتحدد بينها بحسب التجربة الشعرية التي تسمح بالغوص في عوالمها الداخلية من خلال العلاقات التي تربط دوالّها بعضها ببعض.

وبالنظر إلى الآليات التي تشتغل في إظهار مدى الاتساق المعجمي بين الدوالّ، يمكن القول إنّ تقنية التكرير باللفظ قد أخذت حيّزا واسعا لدى بعض الدارسين لهذا المستوى اللساني، على اعتبار أن تكرير اللفظة نفسها يُفضي إلى نوع من التأكيد الدلالي لمدلول الكلمة، وبمدى ارتباطها بما قبلها وما بعدها بالمعنى الذي يوحدها، وقد يكون التكرير من غير وجود علاقات إحالية بين الدوالّ، فينبني التماسك الدلالي للمفردات من خلال فهم دواعي التكرير المعجمي بحسب التجربة الشعورية التي تنجلي في هيكلية البناء النصي للقصيدة، فتنشأ بذلك شبكة دلالية لوصف اتساق النصّ معجميا " تكمن ليس في رصد العلاقات تكريرًا وتضامّا، وإنما في إبراز المسافة الفاصلة بين العناصر المكرّرة، أو المتضامّة في النص"[2]، ومن هذه الشبكة الدلالية نستطيع تحديد الحقول الدلالية التي انبثقت عن هيكلية النصّ العامة، ونستطيع تبيّن الآليات التي يتم من خلالها توليف مفردات المعجم ضمن الحقل الواحد، ومدى علاقته بالحقول الدلالية الأخرى التي تتجاور معها.

وبالعودة إلى نصّ "ملحمة كنعان" الشعري، سنلحظ أنّ بنائية الحقول الدلالية التي يتشكل منها البناء العام تندرج ضمن المستوى الهرميّ الذي يبدأ بحقل دلالي أساسي شكل لبّ القصيدة ومحور التجربة الشعرية وهو حقل "الأرض" التي رمز إليها بكلمة "كنعان"، وحول هذه الأرض تدور جميع الحقول الدلالية الأخرى التي تتراتب في أسفلية البناء الهرمي لتترابط فيما بينها بعلاقات سنذكرها لاحقا، ولكنها جميعا تعود إلى هذا الحقل المعجمي الذي جمعها في اتساق لغويّ واحد.

"الأرض" تندرج تحتها دوالّ شتى، وكلها ترتبط بهذا الحقل الواسع بعلاقات الجزء بالكلّ، وكلّ علاقة من هذه العلاقات تتصل فيما بينها بعلاقات المشابهة. وتتجاور مع العلاقات الجزئية الأخرى لتؤكد حقيقة الأرض، ومعناها المستقرّ في التجربة الشعرية، ويمكن أن نقسم هذه العلاقات بحقول دلالية جزئية تعود في مجملها إلى حقل الدلالة الأم، وهي:

الحقل الدلالي العام "الأرض"	
حقل دلالي خاصّ 1	ثمر/ غيمة/ اللوز/ الليمون/ التين/ الزيتون/ سواقينا/ البيّارات

[1] محمد مفتاح(2005)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط4، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص58.

[2] محمد خطابي(1991)، لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص248.

حقل دلالي خاصّ 2	كنعان/ الجليل/ الخليل/ فلسطين/ غزة/ أريحا/ الكفر/ قبية/ نحّالين
حقل دلالي خاصّ 3	قريتنا/ الطرقات/ الجدار/ الحجارة/ مقلاع/ الديار/ أهل الدار/ الجدران/ الدار/ القرية/ طفل/ عربيّ/ وادينا/ الأطفال/ الحارات

هذه الحقول الدلالية الثلاث تكوّن مجتمعة حقولا متضامّة تندرج تحت الحقل الدلالي الأساس وهو "الأرض"، ويُلحظ أنّ مجموع هذه الحقول الدلالية تتصل بالحقل الأساسي بنوع من العلاقة الخاصة يمكن أن نسميها علاقة الجزء بالكل، فكلّ وحدة دلالية معجمية هي بمثابة جزء لا يتجزأ من حقل "الأرض"، فهي بمثابة الفرع للأصل، وهذا التأكيد على هذا النوع من العلاقة يجسّد الرؤية الشعرية العامة التي بُنيت عليها التجربة الشعرية من تثبيت البؤرة على مفهوم عامّ ومن ثمّ الخروج منه إلى مفاهيم تعود إليه وتندرج تحته.

وبالعودة إلى الوحدات الدلالية، سنجد أن كلّ وحدة دلالية تتصل بالحقل الدلالي الخاصّ بها بعلاقة خاصّة، فالحقل الأول تندرج فيه وحدات تتعلق بخيرات أرض فلسطين التي جاءت لتؤكد جمالية الأرض وبما تحويه من عناصر طبيعية تستلزم الوقوف عندها والكشف عن مظاهر السحر فيها. أما الوحدات الدلالية في الحقل الدلالي الثاني فيسيطر عليها ذكر أسماء أعلام المدن والقرى الفلسطينية، وبدهيّ أن هذا التصريح باسم العلم يحمل معه تداعيات لقصص تاريخية وأخرى أسطورية، وتكشف من جانب آخر على أحداث المنطقة التي حصلت في التاريخ أكثر من التركيز على أوضاعها الراهنة التي تشهدها ساحة فلسطين.

أمّا الوحدات الدلالية للحقل الدلالي الثالث فيغلب عليها توصيف مادي لكل أمكنة فلسطين، وذكر العنصر البشري الذي ينتمي إلى أرضها، ويعطيها حق الملكية لهذه الأرض والعيش فيها بحرية وكرامة، فتعاضد المستويان المكاني والإنساني ليؤكدا مدى الارتباط الروحي والجسدي لأهل فلسطين بأرضهم، وهذا التأكيد جاء متشعبا في جميع العلاقات الجزئية التي تعود إلى الحقل الدلالي العامّ. هذا الزخم المكثف لإشارات المكان وأسماء الأعلام البيّن في هذه الوحدات الدلالية تشكل " علامات تتحرّر من دلالاتها الوضعية لتصبح رموزا للتعبير عن موقف سياسيّ، علاوة على التصريح، من حين لآخر، بهواجس الشاعر أو المتكلم، في القصيدة، فيكثر الحديث عن العودة، وعن الأحباب، الذين ينتظرون خلف الحدود عودة الغائبين"[1]، وهو يبرهن من جهة أخرى على شدة ارتباطهم بالأرض التي أنجبتهم، والوطن الذي بات حُلمًا في مخيلتهم، بعد أن كان ذكرى تجسّد مرارة حياة القهر والسلب.

وتتكشف لقارئ القصيدة حقول دلالية أخرى تتجاور في علاقتها بالأرض الدال الأكبر فيها، ونستطيع تبين ذلك من خلال الوحدات المعجمية التي استهل بها البناء النصيّ وتعود كلها إلى حقل دلالي زاخر نطلق عليه بـ(الرؤية الحالمة)، وفي هذا الحقل تتفجر طاقات إيحائية من الوحدات الدلالية التي تتصل بهذا الحقل بعلاقة اقتضائية، فالحُلم يقتضي في حقيقة الأمر رؤية استشرافية مملوءة بدوالّ تبعث على التفاؤل والخلاص من العبودية والقهر، وقد جاءت هذه الرؤية في علاقة ترابط وتماسك مع حُلم تخيّلي أسطوري

[1] إبراهيم خليل(2016)، حاضر الشعر وتحوّلات القصيدة، نحو قراءة جديدة للشعر العربي الحديث، ط1، عمّان: الآن ناشرون، ص 112.

يشكل مفتاح العبور لتخيّل واقع أفضل لأرض فلسطين، وتتجاور الوحدات الدلالية ضمن هذا الحقل بصورة تتابعية على شكل سرد ممتدّ تتناوب فيه دوالّ الأفعال والأسماء بصورة اعتباطية على النحو الآتي: (يشرق/ عشقا/ ربيعيا/ تنتشر/ الصبايا/ يملأن الجرار/ عرّاف/ حُلما/ حورية/ رقصت/ الفجر/ خيوط الشمس/ انتثرت/ زهور الأقحوان/ ندية/ رحب المدى/ السحريّ/ بمولد/ القمر الجميل/ رحيق القلب/ فجر ربيعيّ/ قصائد الغزل/ توسدي أحلامهم/ الفجر الطليق).

تتعاضد هذه الدوالّ في مساحة النص الشعري، التي تكاثفت في بدايته تحديدا، لترسم رؤية استشرافية ملؤها الأمل بالتحرّر، والعودة إلى الوطن المحتلّ، مع إضفاء لمحة أسطورية تضفي على تلك الدوال جمالية في التعبير الدلالي وتعميقا للتجربة الشعرية، والملاحظ أن مثل هذه الدوال جاءت إمّا منفردة في النصّ، أو وصفا لكلمة قبلها، أو بصيغة الأفعال المضارعة التي تدعو في مجموعها إلى الاستمرار في الحُلم والعمل على تحقيقه.

ونلتقي مع امتداد النصّ الشعري بحقلين دلاليين يتجاوران في مساحة البناء النصي، ويتقابلان في الدلالة المعجمية التي تكتنف وحداتها الدلالية، وهما يتعلقان بمفردات الجهاد والنضال ضمن حقل "البطولة" الخاصّ بالشعب الفلسطيني، ومفردات القهر والعبودية ضمن حقل "الاستبداد" الخاص بالصهيوني المستعمِر، وتتوزع هذه الوحدات الدلالية على امتداد النصّ بأكمله لتفرز كلّ وحدة دلالية مع أخواتها معاني تواجه معاني الوحدات الدلالية من الحقل الآخر.

وتُؤسّس هذه الدوال المعجمية المتقابلة كلمات مفتاحية عامة، تتكرّر في هيكلية النص إمّا بلفظها أو بمترادفاتها التي تمّ اختيارها من المعجم اللفظي لها، ومثل هذه الكلمات المفتاحية الخاصة تعدّ "مدخلا لحركة الإبداع الداخلية للنصّ ذاته، فلا تتحوّل من عمل فني إلى آخر، فإذا انتقلت من مكانها فقدت هويتها الدالة، وأصبحت كلمات عادية"[1]، فالذي يمنح هذه الكلمات خصوصيتها الأدبية هو تموضعها ضمن بنية النصّ، ومدى علاقتها بغيرها من الكلمات ضمن نسيج نصيّ متماسك.

تشترك جميع الوحدات الدلالية في كلا الحقلين الدلاليين على معنى الصخب والقوة التي تمنح للنص سيرورته الشعرية في ظلّ الثورة الجامحة التي يغذيها الحقل (أ)، في مقابل إحكام السيطرة وفرض القوة التي يفرزها الحقل (ب)، وفي إطار هذين القوتين تتشكل البنى الموضعية للألفاظ على شكل تجانسات في الشكل العام، غير أنها تلتقي بمتقابلات ضدّية على شكل ثنائيات عكسية تمنح التجربة الشعرية الروح العالية الصاخبة التي تحكم إطار البنى الموضعية المتوزعة في نسق البناء الشعري.

وأولى هذه الثنائيات الضدية تظهر في ثنائية (التاريخ/ الواقع) التي جسّدتها وحدات أدوات الحرب والقتال، فحيث نجد أدوات الحقل الدلالي (أ) تتوسّل بوسائل القتال البسيطة التي ترمز إلى القدم والتذكير بمعارك التاريخ، بالإضافة إلى العودة إلى الحياة الكريمة التي عاشها المجاهدون الأبطال على الرغم من قلة إمكاناتهم الماديّة، ممثلة بأدوات: (السيف، والخيل، والمقلاع، والحجارة، والسنابك)، وقد قابلتها في الحقل

[1] يوسف مسلم أبو العدوس(2016)، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط4، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص196.

الدلالي (ب) أدوات الحرب الحديثة التي تعرّي فساد الواقع الراهن لدى المستبد، وغنى إمكاناته المادية الحربية التي توحي بالموت الزؤام الغاشم الذي ينخر في صفوف الأبطال، ممثلة بأدوات (الخوذة، والرصاص، والرشاش، والبزة، إلخ).

وتمضي هذه الثنائيات الضدية لتفرض سيطرتها على بنائية النصّ الشعري، لتعرض لنا وحدات الحقل (أ) إشارات دلالية توحي بعظم المعاناة والشعور بالأسى في دوالّ، مثل (دماؤنا، الأكفان، دامية..إلخ)، نجد في دوالّ الحقل (ب) إشارات توحي بعظم البطش وبشاعة الوجه المستبدّ الذي يلحّ صوته في فضاء النص الشعري، في دوالّ مثل:(يدوس، يجأر، عطش، جفّت، رقصوا..إلخ)، فتنفتح هذه التقابلات الدلالية على تضادات ثنائية تزاحمت في مساحة النصّ الشعري من مثل:(الحياة/الموت)، و(الحق/ الباطل)، و(الشجاعة/ الجبن)، وهذه التقنية العكسية هي مكوّن بنائي عميق يؤسس فجوة، ومسافة توتر حادة الصوت ضمن شبكة من العلاقات الكونية، بحيث "يتكون الفيض الشعري في القصيدة من فاعلية الإخصاب المتبادل بين العلاقتين، بحيث يغذي المكوّن الشعري النابع من العلاقة الثانية الفيض الشعري النابع من العلاقة الأولى ويعمقه ويرفده"[1]، بمعنى أنّ دوال البطولة والفروسية ومقاومة الظلم التي رشحتها وحدات الحقل (أ)، لم تكن لتنمو وتزداد حدّتها لولا وجود دوالّ الظلم وفرض السيطرة، والتدمير التي أفرزتها وحدات الحقل (ب)، ومن هذا التفاعل النصيّ لوحدات كل حقل ينشأ الإخصاب الدلالي للنصّ الشعري، وتكسبه خصيصة فنية داخل العمل الأدبي.

ثالثا: المستوى التركيبي

يعتمد المستوى التركيبي على دراسة الظاهرة اللغوية النحوية من خلال الكشف عن العلاقات النحوية التي تربط بين أجزاء التركيب، ابتداءً من مستوى الجملة ثم التسلسل لتكوين الخطاب الشعري. وإذا كان المستوى المعجمي يعتمد على اللفظة الواحدة باعتبارها البؤرة التي تكشف عن رصيد المعجم الشعري الذي تكوّن منه البناء النصي العام للقصيدة، فإن المستوى التركيبي يعتمد الجملة المحرّك القوي الفاعل للنصّ، وعاملا مهما لضبط الممارسة الكلامية.

ويعتمد تشكيل هذا المستوى في الحدث اللساني على العلاقات الركنية التي تنتظم أجزاء الخطاب الشعري، باعتبارها محصول عملية ثانية تلحق عملية اختيار المتكلم من رصده لأدواته التعبيرية ، وتتمثل في "رصف هذه الأدوات وتركيبها حسب تنظيم تقتضي بعضه قوانين النحو ، وتسمح ببعضه الآخر مجالات التصرف ، وسميت علاقات ركنية باعتبار أنّها تخضع لقانون التجاور"[2]. وهذا هو الفارق بين محاور هذا المستوى ومحاور سابقه المعجمي ، إذ تتوزع فيها التمفصلات الصياغية في بنية القصيدة دون القيام بعملية اختيارها من الرصيد الشعري الذي ضمّ البناء النصيّ.

[1] كمال أبو ديب(1987)، في الشعرية، ط1، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ص72.

[2] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، تونس: الدار العربية للكتاب، ص 140.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ التشكيلة التي يتكون منها الكلام تعتمد بالدرجة الأولى على الجملة الأسلوبية وليس على الجملة النحوية التي يتألف منها الكلام العادي، ومن هذا التشكيل الجديد الأسلوبي يتفتق الكلام الأدبي الذي يمنح للجملة الشعرية خصوصيتها الفنية وموقعها في الخطاب الشعري، "غير أن سلامة الكلام الأدبي مشروطة بامتثاله لحدود البناء النحويّ في اللغة، والذي أعوز النقد البنيوي إلى حد الآن هو ضبط المقاييس التي تمكّن من السيطرة على تشكل الدلالة داخل سياق الجملة الأسلوبية ودون اختراق لمعايير البنية النحوية"[1]، بمعنى أنّ التحليل اللساني يعتمد على الأساليب النحوية التي أصبحت ظاهرة شائعة في بنية الخطاب الشعري، والتي لم تخرج في حدودها التركيبية عن القوانين العامة التي وضعها علم النحو، بل تنطلق من القاعدة الأساس لتعيد صياغة التراكيب بأسلوب غير مباشر لإضفاء نوع من الجمالية والبلاغة على التركيب والعبارة المتشكلة من البناء العامّ المكوّن لها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ تبصر تلك الظواهر التعبيرية التي تتوالد في السياق الشعري يتمايز فيما بينها حول دورها الفعّال في التشكيل الصياغي، سواء أكان هذا التمايز على مستوى الدال الواحد أم على امتداد أثره ليغطي التركيب في مجمله ، وفي كلا الحالتين فإنّ الدور الذي تنهض به الجزئية الواحدة للصياغة تعطي أثرا واضحا على مستوى التركيب السياقي ، وبالمقابل فإنّ التركيب الناجم عن هذه التمفصلات الصغرى يشكل رؤية جديدة لم تكن موجودة في الأصل المثاليّ الذي خضع إليه التركيب النحويّ أصلا.

وأوّل ما يطالعنا من في هذا المستوى ظاهرة التقديم في قصيدة "ملحمة كنعان"، حيثُ يشير هذا المصطلح إلى "تبادل في المواقع تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى، لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي"[2]. ولهذه الظاهرة الأسلوبية اهتمام أثير لدى البلاغيين القدامى، ولعلّ أهمهم عبد القاهر الجرجاني الذي أشار إليه بقوله:" هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة....ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[3]. ونحن في هذا الصدد سنشير إلى تقديم شبه الجملة الذي جاء على نوعين اثنين:

1- تقديم تتصدّر فيه شبه الجملة التركيب. 2- تقديم تتوسّط فيه شبه الجملة التركيب.

أمّا النوع الأول فيبرز لنا تركيب شبه الجملة في موقع الخبر الذي تقدم على المبتدأ ليؤكد بذلك أهميته في صدارة الجملة، ومن أمثلته:

" هذي فلسطين المدى،

ولها سنابك خيلنا،

ولها أعنّتها،

---

[1] عبد السلام المسدي(1991)، قضية البنيوية: دراسة ونماذج، تونس: المطبعة العربية بن عروس، ص76.

[2] منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، الإسكندرية: منشأة المعارف، ص 138.

[3] عبد القاهر الجرجاني(2001)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، ط3، بيروت: دار المعرفة، ص85.

ولها رحيق القلبْ،" [1].

يبتدئ المقطع الشعري السابق بالتعريف عن فلسطين في سياق الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر المنعوت بصفة (المدى) ليثبت امتداد الاسم وأحقيته في الأرض زمنا طويلا، ثم يتتابع تركيب شبه الجملة (ولها) في مستهل كلّ سطر شعري ليبدو كلازمة موسيقية حينا، وتكثيفا دلاليا حينا آخر، يعود على الاسم السابق، وبدهي أن استحضار الضمير (الهاء) الغائب في سياق شبه الجملة يبرهن على تعميق الاتصال وتوطيد الرابطة بين الأسطر القابلة والسطر السابق الذي تدور محاورها جميعا عن فلسطين وحدها. كما أنّ التمفصلات الدلالية لشبه الجملة التي يمكن تحليلها بـ(حرف الجر اللام "الملكية، والضمير، الأداة الرابطة) تشي بثبوت اختصاصها بالبطولة والحياة الممثلتين بسنابك الخيل وأعنتها رمزا للنضال والأصالة، ورحيق القلب رمزا للارتباط الوجداني الذي يؤلف بين البلاد وأهلها، وهذا التركيب - بالإضافة إلى تكراره في الأسطر- أعطى اندغاما داخليا لتركيب الجملة الاسمية من حيثُ الفائدة النحوية التي قدمتها، بالإضافة إلى الفائدة البلاغية من التقديم الذي منحه شبه الجملة في الأسطر الشعرية.

ويأتي شبه الجملة في موضع آخر متوسطا بين المسند والمسند إليه؛ ليشكل مركز الاهتمام وبؤرة التركيز في سياق الخطاب الشعري، ومثاله:

" ولكَمْ مضى في كلّ دربٍ فتيةٌ   ولهم على كلّ الجهاتِ مدارُ
طافتْ بآفاقِ النجوم جباهُهم   وهم على طولِ البلاد شعارُ"[2]

يستحضر كلّ شطر شعري – الذي صيغ على وفق القصيدة العمودية في المقطع السابق- توسّط الخبر بين التراكيب الإسنادية فيما يأتي:

1- مضى + في كلّ درب + فتيةٌ = فعل (مسند) + شبه الجملة+ فاعل (مسند إليه)
2- لهم + على كلّ الجهات + مدارُ= خبر (مسند) + شبه الجملة + مبتدأ مؤخر(مسند إليه)
3- طافت+ بآفاق النجوم+ جباهُهم = فعل (مسند) + شبه الجملة + فاعل (مسند إليه)
4- هم + على طول البلاد + شعارُ= مبتدأ (مسند إليه) + شبه الجملة+ خبر (مسند)

هذه التوسطات لأشباه الجمل بين التراكيب الإسنادية منحت الخطاب الشعري خاصية جمالية أسلوبية تتعلق بالتمدّد النصيّ على هيكلية البناء النصيّ، كما أن المعنى الناجم عن هذا التوسّط يتماثل في جميع التمفصلات التركيبية للمقطع السابق، فالسعة والانتشار التي وشت بها ألفاظ الدروب والجهات، والامتداد والعلوّ التي وشت بها ألفاظ آفاق النجوم، وطول البلاد، منحت على مستوى النسق الشعري تركيزا واهتماما للأثر الذي يجنيه فتيان الانتفاضة وأبطال المقاومة على أرضهم من استمرار قضيتهم والدفاع عنها مهما تطاولت الأمكنة وامتدت الأزمنة، فالتوسّط المكاني لشبه الجملة بين التراكيب النحوية غذى الخطاب الشعري بمعان جديدة تكشفت من خلال تجاور الجمل بعضها ببعض، بحيث إن مثل هذه التراكيب لا

---

[1] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص63.
[2] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص68.

نعدّها ميتة منفصلة عن التراكيب الأخرى، "ولكنها تراكيب تؤدي جزءًا من معنى القصيدة وجماليتها، وإذا صحّ هذا، فإنّ التراكيب النحوية في القصيدة الشعرية تتناغم مع باقي العناصر الأخرى"[1]، وينشأ هذا التناغم بحدّ ذاته من ارتباط الجمل بعلاقات خاصّة يقتضيها سياق النصّ الشعري.

ويُطالعنا في موضع آخر توالي الجمل الخبرية والإنشائية باتساق بنائي متين، وهذا التوالي لا يعني رصف الجمل بعضها ببعض، وإنما تكثيف الجمل الخبرية لتندغم في طياتها التراكيب الإنشائية لتؤدي وظيفتها النصيّة باقتدار دلاليّ مكين. والمعروف من الناحية البلاغية أن الخبر والإنشاء يحققان فوائد كثيرة في سياق الخطاب اللغوي، وهما إلى ذلك يبرزان فرقا بيّنا بينهما في أن:" الخبر لا يتوقّف تحققه ووجوده على قول المتكلم، أمّا الإنشاء؛ فهو ما يتوقف تحققه على تلفظ المتكلم به"[2]، بمعنى أنّ سياق الجملة الخبرية تتحقق من غير اعتماد لحظة القول، أما سياق الجملة الإنشائية فيعتمد تحققها على لحظة القول، من هنا كانت الأولى خبرًا عاما يحتمل قبول الخبر أو ردّه، أما الثانية فلا تحتمل مثل هذا المعنى.

وقد تكاثفت صيغ الإنشاء الطلبي: الأمر، والنداء، والاستفهام في بنية النصّ الشعري، واحتلت أمكنتها النصية في مواضع سابقة أو لاحقة للجمل الخبرية لتعضد الدلالة بنبرة شعرية عالية، كما نجدها بكثرة في صيغ الأمر التي دلّت على القوة والدعوة إلى نبذ المحتل وطرده، كما في المثال الآتي:

" ويهوذا الرّهيبُ يدنّسُ
الطرقات بالقهر،
انطلِق كنعانُ سيفًا،
انتصِبْ جبلا يصدّ الموت،
يهوذا الرهيبُ يطاول الآفاق
قهرًا
فانتصِب قهرًا"[3].

يتأكد في المقطع السابق تمايز بين نوعين من التركيب: الأول خبريّ أفرزته الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر (يهوذا+ يدنّس)، والثاني إنشائي تصدرته صيغة الأمر (انطلِق)، وعلى الرغم من تمايز التركيبين من حيث الوظيفة النحوية والبلاغية إلا أن مظهر الاتساق التركيبي يعود من خلال حركة التجاور التي تربط بين الأسلوبين، فالتركيب الخبريّ يستهلّ بظاهرة التقديم التي يشهدها تقديم المبتدأ على الخبر الجملة الفعلية، ذلك أن الأصل في تركيب الجملة العربية الاستهلال بالجملة الفعلية، لكن التقديم هنا جاء للفتة بلاغية وأسلوبية وهو ممارسة الضغط الدلالي على الاسم العلم (يهوذا) الذي تكرّر ذكره في موضع آخر من المقطع:(يهوذا+ يطاول الآفاق)، وهذا التقديم للمبتدأ العلم مع التصدير بالجملة الخبرية جاء لفائدة تثبيت

---

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص70.

[2] فضل حسن عباس(2007)، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ط11، عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ص102.

[3] إبراهيم السعافين، ص62-63.

الخبر وتأكيد تحققه على مساحة النصّ الشعري ليفسح المجال لتوالي صيغ الأمر الإنشائية التي تتصل معها برباط السبب والنتيجة، وتفصيل ذلك كما يأتي:

يهوذا (المبتدأ)+ الرهيب (الصفة)+ يدنّس الطرقات (الخبر/ الجملة الفعلية)= السبب

انطلِق (الأمر)+ كنعان (المنادى)+ سيفا (حال)= النتيجة

انتصِبْ (الأمر)+ جبلا(حال)+ يصد الموت(صفة)= النتيجة

يهوذا(المبتدأ)+ الرهيب(الصفة)+ يطاول الآفاق(الخبر/الجملة الفعلية)+ قهرا (حال)= السبب

فانتصِب (الأمر)+ قهرًا(حال)= النتيجة

وهكذا، يمارس توالي التراكيب الخبرية التي تأكدت بظاهرة التقديم وتكراره في موضع آخر تحقيق المعنى الذي تفتق عنه النصّ الشعري، وهو ثبوت حالة القهر واستمراره من خلال المستعمر الذي رُمز إليه ب(يهوذا)، فكان هذا التعاقب الترتيبي بمثابة العلة التي تُفصح عن مدى بشاعة الظلم والاستبداد المتأصّل في هذا العنصر المتسلّط، ثمّ تأتي التراكيب الإنشائية الممثلة بصيغ الأمر المتوالية في تراتبية مقصودة لتكون بمثابة ردة الفعل المتحصّلة من هذا العدوان، فجاءت صيغ الأمر ذات دلالة إيحائية تشي بالقوة والاستعلاء، تعضدها صيغة النداء لاسم العلم (كنعان) الذي يُرمز إلى المناضل الفلسطيني، ومن خلال هذا التجاور النصيّ الذي يتميز بالتوازي والانتظام يتحقق للبناء النصي اكتمال وشائجه عن طريق سبر العلاقات التركيبية التي تتشكل من نسيجه.

وعلى الوتيرة نفسها، يندغم الاستفهام البلاغي في بنائية النصّ معلنا وظيفته البلاغية بعد سلسلة من الجمل الخبرية التي تتصدّرها الأفعال الماضية في سياق السرد الحكائي، ومثله:

" قطّب جنديّ،

ضحك الآخرُ

جُنّ الثالث،

هذا جيلُ الحقد..

فماذا غيرُ رصاص

يثقب قلبه؟!" [1]

تتراتب الجمل الفعلية الثلاث (قطّب، ضحك، جُنّ) دون روابط لغوية تجمعها، غير أنّ الحكم الذي شهدته الجملة الاسمية (المبتدأ "هذا"+ الخبر "جيل الحقد") جعله يتصل بالجمل السابقة له بعلاقة الإجمال بعد التفصيل، ويشهد على ذلك أداة الربط (هذا) التي تحيل على ما بعدها، لتكون مع لاحقتها تلخيصا لوصف عام بُني على توضيح السرد الفعلي للجمل الثلاث. وبعدها تأتي الجملة الإنشائية الاستفهامية لتشكل تعقيبا بلاغيا على مضمون الكلام السابق، بصيغة التعجب الإنكاري الذي يعدّ المحصّلة الطبيعية عن مجموع الأخبار التي سبقتها في هيكلية النصّ الشعري، وبدهي أن تناوب الصيغ النحوية التي

[1] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص68.

تؤدي معاني بلاغية منوعة هي حصيلة اختيار لغوي يجمع بين نمطين أو أكثر، ويقتضي هذا الجمع "ظهور آثار الصيغة المختارة بشكل بارز، وكأنها (ابتعاد) عن القاعدة الكلية المشتركة، ومن هنا اتصل مفهوم (الاختيار) بمفهوم (الابتعاد)"[1]، فاختيار الصيغ من المستوى النحويّ في لغة الكلام المعيارية يُعدّ غير واعٍ، ذلك لأن الصيغ والقوانين قد وضعت أصلا في قاعدة الكلام التركيبي، إلا أنّ إدماج هذه الصيغ وترتيبها بحيث تبدو متوائمة مع ما يسبقها ويلحقها بعلاقات ركنية متجاورة يُعدّ اختيارًا واعيا يرقى بالتراكيب إلى فوائد بلاغية وأسلوبية تتجاوز معيارة الصفر لتكتسب جمالية التذوق الشعري وخصوصية البناء الشعري بمجرّد دخولها في بنائية النصّ الشعريّ العامّ.

رابعا: المستوى البلاغي

يتحدد المستوى البلاغي من حقول الكلمات التي يتم اختيارها من المعجم الشعري، شريطة أن تكوّن مع الكلمات الأخرى التي تتجاور معها دلالة جديدة ما كانت لتظهر لو بقيت متفرّقة في اللغة العادية، وعليه، فإنّ هذا المستوى يتشكل ضمن الرابطة الاستبدالية التي تحيل على مجموعة مترادفة من الكلمات تقع على مستوى يسمّى محور الاختيار أو التبادل بحيث "يتحدّد الحاضر منها بالغائب (والعكس بالعكس)، ولأن المتكلم لا يوظف تلك الكلمات المترادفة دفعة واحدة، فإنه حين يختار كلمة تغيب الكلمات الأخرى، وتنسحب إلى مجال الوجود بالقوّة"[2].

وعلى أساس محوري الاختيار والاستبدال تتولد بنيتان في رحم القصيدة تتعاور من خلالهما الألفاظ : الأولى سطحية تتمظهر فيها اللفظة المنتقاة بعلاقات ركنية مع غيرها من الوحدات اللغوية ، والأخرى عميقة تستبطن دلالية اللفظة وتفصح عن وظيفتها التي تم إلصاقها بها. ولعل أفضل ما يمكن دراسته في هذه الجزئية من الدراسة بنى الاستعارة ، والتشبيه ، والكناية ، إذ تعتمد كل بنية –على حدة- استبدالا معجميا للفظة وتحميل اللفظة المختارة دلالة اللفظة الغائبة بما يطرأ عليها من معان جديدة ذي ترابطات سياقية تفصح عن مقصدية النص الشعري.

ومثل هذه البنى التي أخذت بحثا وتفصيلا في الدرس البلاغي القديم تفصح عن خاصية بنائية للنص الشعري تنشأ من العلاقات والروابط التي يحددها سياق النصّ الأدبي، فالاستعارة مثلا هي "نتاج مزج مفهومي خاصّ يمكن معالجته في شبكة تكاملية، ينشأ عنها بالضرورة فضاء ذهني يمثل خريطة العلاقات التي آلت إليها الاستعارة بعد عمل الفضاءات الداخلة في تكوينها"[3]، وفهم هذا المزج المفهومي الجديد التي تنشأ منها الاستعارة يتوقف على فهم الكيفيات والخطوات التي مرّت بها العبارة الشعرية لتتشكل على أرضية النصّ الأدبي بصورتها الحالية، وهذه التغيرات والتحويلات التي تمرّ بها العبارة تندرج في البنية العميقة للنصّ، وهي أساس الاستبدال الوظيفي الذي يحدث للكلمات الدلالية، الأمر الذي ينشأ عنه فهم بلاغي جديد وصورة شعرية خاصّة.

---

[1] محمد عزّام، التحليل الألسني للأدب، ص158.

[2] يوسف وغليسي(2008)، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف، ص200.

[3] سعد عبد العزيز مصلوح(2017)، في اللسانيات والنقد أوراق بينية، ط1، القاهرة: عالم الكتب، ص262.

وقبل أن نلج إلى خواص المستوى البلاغي في القصيدة موضوع الدراسة، لا بد أن نشير إلى أنّ تعامل البلاغيين القدامى مع دروس البيان العربي تختلف في حيثياتها عن أصحاب الاتجاه اللساني الغربي الذين تناولوا ذات البنى، فالاستعارة مثلا في تعريف عبد القاهر الجرجاني تعني " أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حيث وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية"[1]. وتشترط الاستعارة كذلك حذف أحد طرفي التشبيه: المشبه أو المشبه به، وقد تطورت القيمة التي تفصح عنها الاستعارة من الزركشة البلاغية والزخرفة الفنية ، لتصبح نشاطا فكريا" ينظم التجربة بواسطة خيال دؤوب يعمل على إعادة تشكيل جزئيات الواقع حيث تذوب عناصرها لتتخلق في ميلاد جديد تتضح من خلاله الرؤية الفنية الخاصة للأشياء والمعاناة الانفعالية لصاحبها"[2].

أما في المصنفات الغربية، فمدار التصنيف محصور في أداة التشبيه حضورا وغيابا؛ "وغياب الأداة موجب لعدّ المركب من باب الاستعارة، وإن استوفى طرفي التشبيه"[3]، وعلى ذلك ما كان معروفا عند البلاغيين العرب من التشبيه البليغ الذي يستلزم حذف الأداة ووجه الشبه، أصبح يُعدّ من باب الاستعارة عند الغربيين.

وبالنظر إلى قصيدة "ملحمة كنعان" يُلحظ هذه التكاثفات الدلالية لبنية الاستعارة التي شكلت ظاهرة جديرة بالاهتمام والدراسة، إذ لم يخلُ أيّ مقطع شعري من توظيف زاخر للألفاظ التي شكلت بأسلوب تركيبها النحويّ معجما شعريا خاصا اندغم في بنائية النصّ الشعري العامّ.

وقد جاء توظيف بنية الاستعارة بأسلوب خاصّ شغل به المحدثون كثيرا، وهو ما يسمى "الاستعارة التنافرية"، وهي اصطلاحا:" صورة بلاغية تقوم على الجمع بين شيئين متنافرين لا تجمع بينهما علاقة منطقية"[4]. وهذا التوظيف المكثف للاستعارة يعد تكنيكا فنيا يخلقه الشعراء المعاصرون ليعيدوا التوازن الداخلي الذي يفتقدونه في العالم المحيط بهم. وقد تواترت هذه الاستعارة في عدة قوالب لغوية أهمها التنافر الإضافي، والتنافر النعتي، والنموذج الآتي شاهد على تواتر هذه البنى الاستعارية:

"لبسوا ضحى الأكفان
نفروا كأجمل ما يكون الطلعُ
في فجر ربيعيّ
وراحوا ينشدون قصائد الغزل
المعتّق من زمان

---

[1] عبد القاهر الجرجاني(1991)، أسرار البلاغة ، شرح وتعليق وتحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي و د. عبد العزيز شرف، ط1، بيروت: دار الجيل، ص 44.

[2] رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، الإسكندرية: منشأة المعارف، ص 152.

[3] سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص256.

[4] بسام قطوس(2005)، الإبداع الشعري وكسر المعيار (رؤى نقدية)، ص 47.

ضمّي إليك أحبّة جنّوا
بعشقهم النبيل، أيا ديار
هذي ملامحهم على الآماد
فالتحفي بدفء دمائهم،
وتوسّدي أحلامهم" [1]

ينبني المقطع السابق على تكاثف دلالي للاستعارات التي جاءت على نمطين: الأول استعارات جزئية مثلتها تنافرات إضافية:(ضحى الأكفان)، (دفء دمائهم)، وتنافرات نعتية:(فجر ربيعي)، (قصائد الغزل المعتّق)، والثاني: مثلتها استعارات مركبة ونقصد بها تلك التي تعتمد على بناء بنية الاستعارة في المركبات الإسنادية للجملة النحوية، ومثلها:(لبسوا ضحى الأكفان)، (فالتحفي بدفء دمائهم)، (وتوسّدي أحلامهم)، (ضمّي إليك أحبة ..أيا ديار).

أما التنافرات الجزئية التي أشرنا إليها وإن بدت في ظاهر القول لا ترتبط برباط المنطق، إلا أنها تلازمت مع بعضها بإيحائية المعنى التي دلت عليها الكلمة المنطوقة، فلفظة (ضحى) المعنوية تجاورت في سياق النص الشعري مع لفظة (الأكفان) المادية، وهذا التجاور شحن الدلالة الشعرية بطاقة شعورية عالية، فكلا اللفظتين يشتركان معا في الإشراق والدلالة اللونية التي توحي بهما. والشيء نفسه نجده في تركيب الإضافة الاستعاري في دفء دمائهم، إذ تعاورت اللفظتان – على اختلاف دلالاتهم الحقيقية- ليشكلا معًا معنى متضاما يشي بالحنو والارتباط الأثير بالوطن، عدا عن كون الدم وسيلة من وسائل الانصهار الروحي بالأرض التي استمات من أجلها أبناؤها. ويجري الارتباط النصي بين ألفاظ التنافر النعتي في الغزل المعتق، إذ يوحي المضاف إليه بمعنى الخمرة التي وصفها العرب القدامى وعدّوها من أفضل الأنواع وألذها، وجاءت في البناء النصي بمعنى الحبّ الأزلي الذي رسخ في قلوب الثوار من خلال لفظة قصائد الغزل، وهذا الارتباط الوجداني بين اللفظتين أفرز تضاما معنويا وتجانسا دلاليا بين الكلمتين في المعنى المستبطن خلفهما، وكشف عنه الاندغام الدلالي في هيكلية البناء الشعري.

وإذا كانت بنية الاستعارة تستحضر عمليتين "إحداهما تتصل بالمستوى السطحي وهي حذف أحد الطرفين، والأخرى تتصل بالمستوى العميق وهي تحميل المذكور دلالة المحذوف"[2]، فقد دلّت الاستعارة المركبة على ذلك خير دليل، فعبارة (لبسوا ضحى الأكفان) قامت على بنية الاستعارة المكنية، حيث شبه المفعول به (ضحى الأكفان) بالثوب الذي يُلبس، فذكر المشبه وحذف المشبه به، وأبقى أحد لوازمه وهو الفعل (لبسوا)، وهذه الصورة الاستعارية كثفت الدلالة الإيحائية التي ينبض بها المقطع الشعري، فصفة النضال والشهادة متأصلة في الشعب الفلسطيني وملتصقة به لصوق الثوب بجسم الإنسان.

[1] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص66-67.
[2] محمد عبد المطلب(1997)، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، ص 169.

أما بنية التشبيه فكانت أقل تواترا من بنية الاستعارة في البناء النصيّ للقصيدة، وهذه البنية تعتمد على حضور الطرفين: المشبه والمشبه به في البنية السطحية للقصيدة، وإذا شئنا أن نعود أدراجنا لتقديم تعريف واف وبيّن للتشبيه نستطيع القول إنه:" الدلالة على مشاركة أمر لأمر، وإن شئت قل: هو إلحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما"[1]. وهذا يعني أنّ جدارية التشبيه تعتمد في تحققها على حضور الطرفين بينهما أداة التشبيه، والمظهر البلاغي هنا لا يتعلق بتعاور قطبي الحضور والغياب كما ألفناه في الاستعارة، وإنما يختص بتحوّل اللفظة من معناها المعجمي الذي وضعت له إلى معنى آخر قريب منه أو بعيد عنه بهدف التأثير في النفس وتركيز الصفة فيها.

ونلتقي ببنية بلاغية أخرى وهي التشبيه الذي هو أساس الاستعارة، فهو – أي التشبيه- موازنة بين المشبه والمشبه به بحيث يشتركان في صفات معينة وأحوال معينة، وهذه المشابهة قد تكون حسية أو معنوية مجرّدة، والمهم أن بنائية التشبيه تتمظهر في البناء النصيّ على وفق علاقات التجاور الركنية بين أركانه الأربعة، بعكس بنية الاستعارة التي تقتضي حضور طرف وغياب الآخر.

والملاحظ في القصيدة موضع الدراسة أن بنية التشبيه جاءت مندغمة في بنية الاستعارة، ممّا زاد من إيحائية العبارة الشعرية، وتكثيف علاقات التجاور والاستبدال الدلالي كما في المثال الآتي:

" قال العسكر:

هذا حزن يتدفّق كالطوفانْ

بلْ....

هذا حقدٌ يتفجّرُ كالبركانْ"[2]

تتضح بنية الاستعارة في مستهل الأسطر الشعرية بدلالات الألم والغضب التي كشفت عنها دلالتا الحزن، والغضب، ثمّ أكد تأصل الحزن على سبيل الاستعارة المكنية بالسيل المتدفق، ورشّح تعالي الصوت الذي توحي به لفظة الحقد بالبركان المتفجّر، ثمّ جاءت بنية التشبيه لتتجاور مع هذه البنى الاستعارية بعلاقات أفقية يفصل بينها أداة التشبيه التي أفضت إلى علاقة المشابهة بين الحزن والطوفان، وبين الحقد والبركان، وتنبني علاقة المشابهة بين قطبي التشبيه في التركيبين اللغويين على علاقة المجرّد المعنوي بالماديّ المحسوس، لزيادة تأصيل المعنى وتثبيته في بنية الصورة الشعرية، وهذا التأثيل الدلالي لا يعني المطابقة بل المجانسة والمشابهة، وهو الأساس الذي قام عليه التشبيه في أنه "يفيد الغيرية ولا يفيد العينية، بمعنى أن طرفي التشبيه لا تتداخل معالمهما ولا يتحد أيّ منهما أو يتفاعل مع الآخر، بل يظل هذا غير ذاك، ومتمايزا عنه"[3]، وفائدة المجانسة هو تعميق دلالة كل من الحزن والحقد بمعاني أشدّ مجسّمة تفصح عن تغلغل المعنى في جدارية النص الشعري، ولا سبيل إلى تغلغل هذا المعنى إلا باستحضار دلالات ماديّة محسوسة لها وقع أعمق وتأثير أبلغ.

[1] فضل حسن عباس(2007)، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع- ، ط11، عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ص 17.

[2] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص69.

[3] جابر عصفور(1992)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص174.

علاوة على ذلك، فقد تكاثفت إيحائية البنية التشبيهية من خلال أداة التشبيه (الكاف) التي تجاوزت كونها أداة الربط بين طرفي التشبيه، فلم تعد الأداة مجرد مشجب يعلق عليه الطرفان، وإنما أصبحت مظهرا من مظاهر التكثيف والاختزال الدلالي للمعنى المقصود ، فليس المطلوب إذن إظهار المبالغات النفسية التي تعتمدها الصورة التشبيهية ، وإنما أصبح المطلوب" أن تتعانق الصورة وأجزاؤها على السياق العام الذي يولد علاقة رمزية تشير إلى المتلقي تجاه نقاط تفجر كل واحدة منها طاقات فنية ذات إثارات نفسية خاصة"[1]، وهذه العلاقة الجديدة التي تفضي إليها الأداة هي أساس الترابط النصيّ بين تراكيب الجمل، بل هو الحاجز المنطقي أيضا الذي يحفظ لكل طرف صفاته الخاصة واستقلاليته الذاتية.

وفي موضع آخر، يستحضر الخطاب الشعري بنية الكناية البلاغية التي توزعت بنسب متواضعة على الأسطر الشعرية، والمعروف أن الكناية في الفكر البلاغي لبنية تعني" أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي"[2]. معنى هذا أن الكناية تتعاورها بنية ثنائية الإنتاج " حيث تكون في مواجهة إنتاج صياغي له إنتاج دلالي موازله تماما بحكم المواضعة ، ولكن يتم تجاوزه بالنظر في المستوى العميق لحركة الذهن التي تمتلك قدرة الربط بين اللوازم والملزومات ، فإذا لم يتحقق هذا التجاوز فإن المنتج الصياغي يظل في دائرة الحقيقة"[3]. من هذا المنطلق، تتمظهر بنية الكناية على علاقة ثنائية قوامها (الخفاء والظهور)، إذ يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، لكنه لا يورده بلفظه فيتجاوزه إلى غيره يكون دليلا عليه ويومئ إليه.

والملاحظ في التوزيع الدلالي لبنية الكناية أنها جاءت متوالدة من رحم بنية الاستعارة التي شكلت ظاهرة شائعة على مستوى النصّ الشعري بأكمله، فجاءت هذه البنية مختزلة في علاقات جزئية تومئ إلى الدلالة في المستوى السطحي للقصيدة، لكنّ تحولاتها الدلالية يمكن اكتناهها من المستوى العميق الذي هو بمثابة القاعدة التي انطلقت منها الدلالة الأولية، ومثال ذلك في القصيدة:

" فصخور أرضي منذ كان الكون
ما ولدت سوى حُرّ الحجارة"[4]

فالحقل الدلالي الذي شاع في السطرين السابقين هو المعنى المادي التي أطلقته الصخور ومدى التصاقها بالأرض الأم، ثمّ شخصت هذه اللفظة بصورة الأم التي تلد الأطفال، ولا غرو ما لمثل هذا التشخيص أثره في رفد النصّ الشعري بدلالات التواؤم والاندغام الروحي في محتويات المكان، وتأتي البنية الكنائية التي تفصح عنها عبارة (حُرّ الحجارة)، فأبقى على الصفة التي تمظهرت في البنية السطحية، لتخفي في البنية العميقة الموصوف وهم أبناء فلسطين، وبدهيّ أن هذه الدلالة لا يتم اكتشافها بغير مؤشرات دلالية يرشحها السطر الشعري وتكوّن مع ارتباطها بهذه البنية الجديدة معنى جديدًا.

---

[1] رجاء عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص 175.

[2] فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع-، ص 247.

[3] محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 187.

[4] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص64.

وتجدر الإشارة إلى أنّ البنية الكنائية تتخذ أحيانا سمت الرمز الدلالي الذي تشحنه اللفظة المتوالدة في النصّ الشعري، فيصبح الرمز هنا لازمة تفتح آفاقا دلالية جديدة وتكتسب دلالات أخرى من خلال تموضعها في هيكلية الأسطر الشعرية، من ذلك لفظة (التنين) التي ختمت بها القصيدة، وهي ترمز إلى الغاصب الحاقد:"

"فالتنين يهيّئ قرنا مسمومًا
في لحظة غدر
قرأوا الأسفار ..أعادوها
لم يبق إلا الغدر
انطلق التنينُ يدوس الأطفال
ويجأر في الحارات
وعمّ القهر"[1]

تأتي النبرة الشعرية الصاخبة لتكون مفتاح انغلاق النصّ الشعري على سيطرة المحتل وسيادة القهر والظلم في أنحاء البلاد، وقد دلّت على هذه الصورة القاتمة للوحة الشعرية لفظة التنين التي اتخذت أبعادًا أسطورية للحيوان الضخم المدمّر في حكايات الشعوب وأساطيرهم، وقد هيمنت هذه الصورة المتخيلة على المقطع السابق في بثّ فكرة القتل والتدمير، ووأد البراءة في أرضها، وهذه الدلالة المجازية انتقلت عبر مراحل تحولت فيها إلى الدلالة الأخيرة لتكتسب معنى النصّ الشعري، وهو يشبه في كينونته اللغوية ما أشار إليه الجرجاني حول المعنى ومعنى المعنى، فالأول يشير إلى مقصدية الكلمة المباشرة، أما الثاني فتتشكل بناء على تحولات الكلمة في النسق الشعري الذي يكتنفها، "بحيث يكون الدليل هو المعنى الظاهر الذي يوجبه اللفظ والمدلول هو المعنى الضمني الذي يلازمه، فحركة التأويل تنطلق من ظاهر إلى ضمنيّ على أساس ملاحظة تلازم ما بينها"[2]، فالتلازم الذي يربط بين لفظة التنين في معناها المتداول ومعناها المجازي في سياق النصّ هو الرغبة في القتل، والقدرة الخارقة على التخريب، غير أنّ كشف هذه القرائن المعنوية لا يتمّ إلا من خلال ترتيب الكلمة الدالة في جسد القصيدة، وبمدى ارتباطها بسياق المعنى العامّ الذي يحكمه البناء الشعري، لتتولد بذلك دلالة المحتل الغاصب في أرضية النصّ الشعري بعدما كانت تشير إلى المفهوم الشائع عن التنين من حيثُ هو حيوان أسطوريّ له خصائصه المميزة في أساطير الشعوب والدول.

الخاتمة

يكشف التحليل اللساني لقصيدة "ملحمة كنعان" عن تواتر مستويات أربعة شكلت بمجموعها لُبّ البناء النصيّ العام الذي سيطر على مدلول النصّ، كما أنها أسهمت مجتمعة على ربط العلاقات الداخلية التي تتكون منها الألفاظ والتراكيب، وقد اندغمت هذه الروابط في إطار علاقة ثنائية انبثقت منها القصيدة

---

[1] إبراهيم السعافين، أفق الخيول، ص71.

[2] شكري المبخوت(2006)، الاستدلال البلاغي، ط1، تونس: دار المعرفة للنشر، ص45.

وهي الظلم/ المقاومة، ولا غرو أنّ جميع ما تكوّن مظاهر بنائية لغوية ارتدّت إلى تلك الثنائية الضدية، وصدرت منها.

وقد جاء المستوى الصوتي ليفصح عن أصوات الحروف باعتبارها أصغر وحدة صوتية تشكل معجمية الكلمة، وما كان من تكرار أصوات معينة لحروف غلب عليها الجهر من صدى في زيادة النبرة الخطابية التي ميّزت بنائية النصّ الشعري.

واعتمدنا في تحليل المستوى المعجمي على تقسيم المفردات إلى حقول دلالية عامة، يتضمن كل حقل دلالي منها وحدات معجمية مترادفة توزعت في جسم القصيدة، وارتبطت مع الحقول الأخرى بروابط مخصوصة، وعلاقات ثنائية تقابلية وهذا ما فسّر كثافة الطباق في حقلي المقاومة والاستبداد.

أمّا المستوى التركيبي فكشف عن الصيغ النحوية التي تراتبت وفق قاعدة التجاور النصيّ، فكان لظاهرة تقديم شبه الجملة وظائف نصيّة اكتسبتها من تموضعها في جدارية الأسطر الشعرية، وما كان من تعاقب الجمل الخبرية والإنشائية من دور في شحن الدلالات بطاقات إيحائية تثري التجربة الشعرية وتغنيها.

ويبقى المستوى البلاغي الذي كشف عن تناوب قاعدتي الحضور والغياب للوحدات الدلالية الموظفة في النصّ الشعري، فتكاثفت بنى الاستعارة تكاثفا ملحوظا لتشكل عمدة الاستدلال البلاغي للدلالة المتوارية خلف اللفظة، فجاءت البنية العميقة لتشهد التحولات التركيبية التي أصابت اللفظة لتعرض في البنية السطحية بصورتها النهائية، أما بنيتا التشبيه والكناية فقد جاءتا مندغمتين مع بنية الاستعارة، وإن اختلفتا في تحديد الوظيفة النصية لكليهما، فبينما غلب على التشبيه حضور العلاقة التجاورية لطرفي التشبيه، ساد في البنية الكنائية المحور الاستبدالي الذي يعتمد على حضور المعنى بأسلوب المجاز الذي يفهم من سياق العبارة الشعرية.

المراجع

- إبراهيم أنيس(2010)، الأصوات اللغوية، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية.
- إبراهيم أنيس(2010)، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية.
- إبراهيم خليل(2016)، حاضر الشعر وتحوّلات القصيدة، نحو قراءة جديدة للشعر العربي الحديث، ط1، عمّان: الآن ناشرون وموزعون.
- إبراهيم خليل(2007)، في اللسانيات ونحو النص، ط1، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- إبراهيم السعافين(2005)، أفق الخيول، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري المصري(1998)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- بسام قطوس(2005)، الإبداع الشعري وكسر المعيار (رؤى نقدية).
- جابر عصفور(1992)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.

-رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، الإسكندرية: منشأة المعارف.

- سعد عبد العزيز مصلوح(2017)، في اللسانيات والنقد أوراق بينية، ط1، القاهرة: عالم الكتب.
- شكري المبخوت(2006)، الاستدلال البلاغي، ط1، تونس: دار المعرفة للنشر.
- عبد الحميد زاهيد(2010)، علم الأصوات وعلم الموسيقى، دراسة صوتية مقارنة، ط1، عمّان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.
- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، تونس: الدار العربية للكتاب.
- عبد السلام المسدي(1991)، قضية البنيوية: دراسة ونماذج، تونس: المطبعة العربية بن عروس.
- عبد العزيز حمودة(1998)، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عبد الغفار حامد هلال(2009)، الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، ط1، القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- عبد القاهر الجرجاني(1991)، أسرار البلاغة ، شرح وتعليق وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، ط1، بيروت: دار الجيل.
- عبد القاهر الجرجاني(2001)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، ط3، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
- فضل حسن عباس(2007)، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع- ، ط11 ، عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- فضل حسن عباس(2007)، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ط11، عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- كمال أبو ديب(1979)، جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.
- كمال أبو ديب(1987)، في الشعرية، ط1، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- محمد خطابي(1991)، لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- محمد عبد المطلب(1997)، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون.
- محمد عزام(1994)، التحليل الألسني للأدب، ط1، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- محمد علي الخولي(1982)، معجم علم الأصوات، ط1، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.
- محمد الفتحي(2015)، انتظام مستويات اللغة في اللسانيات البنيوية، تبيّن للدراسات الفكرية والثقافية، مج(3)، ع(11).

- محمد مفتاح(2005)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط4، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.

- منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، الإسكندرية: منشأة المعارف.

- نعمان بو قرة(2009)، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، الأردن: جدارا للكتاب العالمي.

- يوسف مسلم أبو العدوس(2016)، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط4، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

- يوسف وغليسي(2008)، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف.

حضور المصطلح في التراث اللغوي العربي القديم:

المصطلح الصوتي الفسيولوجي أنموذجا

بين الوضع والاستعمال

أ. محمد بولخطوط

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل

ملخص:

لقد اعتنى القدماء العرب بالمصطلح لكونه قضيّة أساسية في الموروث اللغوي العربي، فأنشأوا بذلك شبكة من المصطلحات تساعد على ضبط مفاهيم العلوم وتصنيف ظواهرها، ولعلّ من أبرز المصطلحات التي لقيت اهتماما وعناية كبيرتين في تراثنا العربي القديم: **المصطلح الصوتي**، هذا يعني أنّ الاهتمام بالمصطلح الصوتي لم يكن وليد العصر الحاضر، فتراثنا الفكري العربي يتوسّد على كوكبة اصطلاحية ممتدّة الجذور في العلوم المختلفة، ولعلّ ذلك نابع من الغزارة التوليدية التي تتمتّع بها لغتنا العربية في إنتاج المصطلح؛ إذ ليس هناك علم بدون قوالب لفظية تُعْرَف به، وهذه القوالب اللفظية هي التي تشكّل سجلّه الاصطلاحي.

بناء على هذا الكلام نحاول في هذه الورقة البحثية استعراض مجموعة من المصطلحات الصوتية المتعلقة بالمخارج الصوتية، أو بصفاتها المميّزة، مع تحديد أيّ العلماء العرب كانت له الأسبقية في وضع المصطلح، ثمّ توسّع دائرة استعماله فيما بعد من لدن علمائنا القدماء.

الكلمات المفتاحية: المصطلح، الصوت، المصطلح الصوتي الفسيولوجي، التراث العربي القديم، الوضع والاستعمال.

Abstract:

The Ancient Arabs were interested in "the term" since it is a linguistic heritage in the Arabic language; therefore, they created a web of terms to help set the definitions of sciences and categorize its phenomena. One term that has received tremendous interest is the term "sound". This indicates that it is not a merely modern topic, but rather more of a traditional one. Considering the richness of the Arabic language in creating and generating terms, all sciences have word templates that form their terminological record.

In this research paper, we are trying to present a range of phonological terms related to the production of sound and its distinct characteristics as well as trying to Define which of the scholars was the pioneer in defining the concept of "term" before other scholars and researchers started using it.

Key terms: the term, the physiological phonetic sound, the Arabic linguistic heritage, the position and usage.

مقدمة:

حظي المصطلح بعناية كبيرة من طرف علمائنا العرب القدماء، لكونه قضيّة أساسية في الموروث اللغوي العربي، حيث أنشأوا نظير ذلك شبكة من المصطلحات تساعد على ضبط مفاهيم العلوم وتصنيف

ظواهرها؛ ولهذا فتقديم المصطلح تقديما تكوينيا ونظريا يوقف الباحث والقارئ العربيين على تضاريس المصطلح، ويجعلهما يدركان استيعابه في حقله المعرفي؛ ذلك أنّ كثيرا من المصطلحات قد اكتسبت حمولتها الفكرية والمفهومية عبر تشكّلها في الزمان والمكان، كلّ هذا جعل البحث في المصطلح ضرورة ملحّة تستدعيها الحاجة إلى فهم العلوم والكشف عن مفاهيمها الذهنية، والدرس اللساني العربي ما هو إلاّ مجموع قواعد لغتنا الحاملة لميراثنا الفكري والحافظة للإبداع الحضاري، فلا أقلّ من أن نهتمّ بثروته الاصطلاحية، ولعلّ من أبرز المصطلحات التي لقيت اهتماما وعناية كبيرتين في تراثنا العربي القديم: **المصطلح الصوتي**، بيد أنّ ما هو ملاحظ أنّ المصطلحات الصوتية ما برحت تفتقر إلى بحث مستقلّ، يضمّ شتاتها ويجمع تسمياتها المختلفة؛ بمعنى أنّ الدراسات التي قامت على الاهتمام بالمصطلح التراثي لم تخصّص عنايتها بالمصطلح الصوتي مستقلاّ عن غيره، بل اهتمّت به باعتباره حقلا مكمّلا للحقول المعرفية الأخرى، على غرار: المصطلح الصرفي المورفولوجي، المصطلح النحوي، المصطلح الدلالي، المصطلح المعجمي، المصطلح البلاغي وغيرها.

وعلى هذا الأساس فإنّ الاهتمام بالمصطلح الصوتي أو بسواه لم يكن وليد العصر الحاضر، فتراثنا الفكري العربي يتوسّد على كوكبة اصطلاحية ممتدّة الجذور في العلوم المختلفة، ولعلّ ذلك نابع من الغزارة التوليدية التي تتمتّع بها اللغة العربية في إنتاج المصطلح؛ ذلك أنّ التراث الفكري العربي بشموليته الحضارية لا يعدو أن يكون في جوهره مخزونا معرفيا وثقافيا، يتبدّى لنا في مدى عناية علمائنا العرب القدماء بالقضية الاصطلاحية لإقامة العلوم اللغوية بخاصة، حيث أنّ الدرس اللغوي في التراث يتميّز بلغته الاصطلاحية التي يستند إليها ويوظّفها في مجالات نشاطه؛ إذ أنّ كلّ علم ينحت ويصطنع لنفسه من اللغة معجما خاصا من المصطلحات، ويحرص كلّ الحرص على إثراء معجمه بمصطلحات تكون قادرة على مواكبة كلّ جديد، بناء على هذا وذاك فإنّ الإلمام بالمصطلحات ومعرفة مفاهيمها، يعدّ شرطا جوهريا في إتقان العلم والدراية به؛ إذ ليس هناك علم بدون قوالب لفظية تُعْرَف به، وهذه القوالب اللفظية هي التي تشكّل سجلّه الاصطلاحي.

قياسا على ما قيل، ارتأيت في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على علم من علوم العربية، وهو علم الأصوات، وذلك من خلال الوقوف على بعض المصطلحات المتعلقة به، والتي يمكن تصنيفها ضمن إطارين كبيرين: الأوّل: **المصطلحات الصوتية الفسيولوجية؛** أي المصطلحات المتعلّقة بالأداء النطقي والتي بدورها يمكن تقسيمها إلى مجموعتين: الأولى: مصطلحات ذات علاقة بمخارج الأصوات، وأخرى ذات علاقة بصفات الأصوات، أمّا الإطار الثاني فهي تلك **المصطلحات الدالة على التنوّعات والتغيّرات والتشكّلات الصوتية**، والتي بدورها هي الأخرى يمكن تصنيفها على مجموعتين: المصطلحات ذات الصلة بالملامح التركيبية (القطعية) نحو: الوقف، الإدغام، الإمالة، الإبدال والإعلال، المماثلة والمخالفة، الهمز، المدّ، والقلب المكاني، ...الخ، ومصطلحات ذات صلة بالملامح غير التركيبية (فوق القطعية) على غرار: المقطع الصوتي، والنبر،التنغيم والمفصل، ...الخ. هذا وسيتمّ الاقتصار هاهنا على الإطار الأوّل فحسب؛ أي تلك المصطلحات التي لها علاقة بالأداء النطقي للأصوات فقط، دون الإطار الثاني، وذلك بسبب ضيق مساحة

هذه الورقة البحثية أولا، ونظرا لكثرة المصطلحات الصوتية المتعلقة بالتشكّلات الصوتية كمًّا وحُضُورًا من جهة أخرى ثانيا، هذا وقد كانت عيّنة هذا البحث مستقاة من التراث الذي خلّفه لنا كل من: **"الفراهيدي"**، **"سيبويه"**، **"المبرّد"**، **"ابن دريد"**، **"ابن جنّي"**، **"الباقلاني"**، **"ابن سينا"**، **"الدّاني"**، **"ابن خالويه"**، **"القرطبي"**، **"الخفاجي"**، **"الزمخشري"**، **"ابن يعيش"**، و**"ابن جزري"**، وسيكون هدفنا من خلال هذا البحث: التّتبّع الكرونولوجي للمصطلح الصوتي الفسيولوجي في الدرس اللغوي العربي القديم وضعا واستعمالا، ومنه إلى تأصيل المصطلح الصوتي في التراث العربي القديم، وبوادر الاعتناء به. **وإذا أقررنا بريادة الدرس اللغوي في مجال الصوتيات، فما هي الإضافة التي قدّمها المصطلح الصوتي لتراثنا العربي القديم؟ ثمّ كيف ساهم في إغناء وإثراء سجلّه اللغوي؟، وما المعايير والمقاييس المعتمدة في وضعه ونحته ليكون بذلك ثابتا من ثوابته القارّة في الحضارة العربية، ورافدا من روافدها قادرا على ركب الحضارة، والامتداد والانتشار الثقافي عبر العصور والأزمنة؟**

وللإجابة على هذه الإشكالية، ونظرا لما تقتضيه منهجية البحث العلمي، فقد رأيت من المناسب أولا البدء بضبط مختلف المفاهيم المفتاحية باعتبارها ضرورة ملحّة لتحديد عناصر الموضوع؛ ذلك أنّ البحث يفرض علينا بداية تطويق أهمّ التعريفات للمفردات المؤلفة لبنية العنوان، لنتمكّن بعدها من استجلاء حمولاتها الفكرية ومرجعياتها العلمية، والتي توصلنا بدورها إلى تحديد الغاية التي يحاول البحث إيضاحها.

أولا: مفاهيم أولية:

1 ـ المصطلح والعلم الذي يختصّ بدراسته:

لا يمكن للدارس أن يقع فهمه على علم من العلوم في ظلّ جهله لمصطلحاته، والتي تمثّل الركن المتين والقاعدة الأساسية التي يرتكز عليها البناء المعرفي، بل ليس من مسلك يتوسّل به الباحث إلى أيّ معرفة من المعارف غير سجلّه الاصطلاحي، لأجل ذلك أجمع أهل الاختصاص على القول: إنّ المصطلحات مفاتيح العلوم، والجهاز المصطلحي هو الكشف المفهومي الذي يحدّد الحصن المعرفي للعلوم المختلفة، إذ إنّ كلّ تخصّص، بل كلّ علم بحاجة إلى مصطلحات يشير بها إلى تصورات محدّدة، وهذه المصطلحات هي التي تكوّن معجمه المصطلحي، وهذا الأمر ينطبق على علم الأصوات كما ينطبق على غيره من العلوم والتخصصات الأخرى، غير أنّ السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو: **ما المقصود بالمصطلح؟، وما هو العلم الذي يعنى بدراسته؟**

أ/ تعريف المصطلح:

ـ لغة: يقول "الجوهري" في تفسير مادة "صَلُحَ" باب الحاء، فصل الصاد: «الصَلاحُ: ضدّ الفساد، تقول: صَلَحَ الشيء يَصْلُحُ صُلُوحًا، مثل دخل يدخل دُخولاً (...) والإصلاح: نقيض الإفساد، والمَصْلَحَةُ: واحدة المصالح، والاسْتِصْلَاحُ: نقيض الاستفساد».[1]

---

(1) ـ إسماعيل بن حمّاد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م، مادة "صَلُحَ".

إذن يدلّ المعنى اللغوي لمادة "صَلُحَ" على معنى التصالح والاتّفاق، يقال اصطلح القوم على أمر؛ أي اتّفقوا حوله وتعارفوا عليه، ممّا يعني حصول إجماع يفضي إلى تداول المصطلح المبتكر، والعمل على توسيع نطاق استعماله ودائرة تداوله، فالاصطلاح بهذا المفهوم يستوجب ويقتضي الاتّفاق، لأنّ التسمية المبتكرة لا يمكن أن تدخل حيّز الاستعمال اللغوي، إلاّ إذا كانت محلّ الاتّفاق بين أصحاب هذه اللغة التي تمّ ابتكار المصطلح فيها، وكلّما ظهرت مسمّيات جديدة بادر أصحاب اللغة على وضع مصطلحات لها مجمع عليها.

ـ اصطلاحا: يعرّف "الشريف الجرجاني" المصطلح، أو كما أطلق عليه تسمية اصطلاح بقوله: «عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين». (1)

ولا يبتعد "أبو البقاء الكفوي" هو الآخر عن المفهوم الذي جاء به "الجرجاني"، حيث لم يخرج مفهومه له عن معنى الاتفاق الجماعي، يقول معرفا إيّاه بكونه: «اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد». (2)

وعليه فقد اتّفقت جميع هذه التعريفات التي أتينا على ذكرها في أنّ المصطلح يعني الاتّفاق والتواضع والمُصالحة، وأمّا الاتّفاق المقصود هنا فهو اتّفاق جماعة من العلماء والمشتغلين بعلم من العلوم على إعطاء كلمة ما معنى جديدا، فتصبح عندئذ دالة على مدلول واحد وتدعى مصطلحا؛ أي كلمة تحمل دلالة جديدة مُتَّفَقًا عليها؛ دلالةً تُغَايِرُ تماما الدلالة الأصلية.

ومن خلال تتبّع هذا اللفظ نلمس أنّه يغلب على العلماء عدم التفريق بين كلمتي: مصطلح واصطلاح، فقد استخدم بعض العلماء اللفظين وكأنّهما شيئا واحدا، في المقابل هناك من اكتفى باستخدام لفظ اصطلاح فقط دون لفظ مصطلح أو العكس، بينما آثر فريق آخر التمييز بين اللفظين، ولا شأن لنا في هذا البحث بالخلاف القائم حول استخدام لفظ المصطلح، أو لفظ الاصطلاح، لأنّ كلاهما يختصّ بدراستهما علم واحد وهو علم المصطلح أو كما يسمى كذلك بعلم المصطلحات أو المصطلحية.

ب/ تعريف علم المصطلح: يقدّم الباحث "فاضل ثامر" تعريفا موجزا وبسيطا لهذا العلم فيقول: «علم المصطلح أو المصطلحية Terminology علم قديم جديد هدفه البحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبّر عنها». (3)

2 ـ الصوت والعلم الذي يختصّ بدراسته:

إنّ تأصيل الدرس اللغوي بدأ مع أولئك النّحاة القدامى، وعلى رأسهم "أبو الأسود الدؤلي" (ت/69ه) الذي تمكّن بعمله من وضع العلم الحافظ لقواعد التعبير، ثمّ جاء "الخليل بن أحمد الفراهيدي"

---

(1) ـ علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1983م، ص28.

(2) ـ أبو البقاء الكفوي: الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، دط، 1992م، ص129.

(3) ـ فاضل ثامر: اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص171.

(ت/175هـ) مع طبقته وتلاميذه ليخطو بالنحو إلى التطوّر وتأسيس مصطلحاته وقضاياه، حيث كانت لمصطلحات "الخليل" دور كبير في تأصيل الدرس اللساني، ليأتي بعده تلميذه "سيبويه" (ت/180هـ) مشكّلا مرحلة استكمال للعمل الذي شرع فيه أستاذه "الخليل"، وكأنّ العمل المصطلحي حُصِر بدائرتهما، فبلغ معهما من النضج والرّقيّ ما بلغه، وكما كان لهما بروزا في الدرس النحوي كان لهما حظّا أوفر في الدرس الصوتي كذلك، فإليهما تنسب الريادة في وضع المصطلحات الصوتية والاشتغال عليها، الأمر الذي مكّن العرب من احتلال الصدارة في الاهتمام بأصوات لغتهم، ولعلّ هذا ما دفع المستشرق الألماني "برجشتراسر" إلى الإقرار بذلك صراحة، إذ يقول: «ولم يسبق الغربيين في هذا العلم؛ أي علم الأصوات إلاّ قومان من أقوام الشرق وهما: أهل الهند يعني البراهمة، والعرب».[1]، كما اعترف من جهته "جورج مونان" بجودة الدرس الصوتي العربي قائلا: «منذ القرن الثامن الميلادي كان علماء اللغة في البصرة يسعون إلى وصف لغتهم وصفا صوتيا، وسواءً أوجدوا تلقائيا علما للأصوات جديرا بأن يذكّرنا بعلامة بانيني، أم أنّهم اقتبسوا هذا العلم عنه، فتلك مشكلة على حدة، ولكن لا بدّ ـ بادئ ذي بدء ـ أن نعترف بوجود هذا العلم في الأصوات، وأنّه علم فذ ممتاز».[2]، غير أنّ السؤال المطروح ها هنا هو: **ما الصوت؟، وأيّ علوم العربية يختصّ بدراسته؟.**

أ/ مفهوم الصوت:

ـ **لغــة:** جاء في "لسان العرب" في تفسير مادة "صَوَتَ" باب التاء فصل الصاد: «الصَّوْتُ: الجَرَسُ(...) والجمع أصوات، وقد صَاتَ يَصُوتُ ويُصَاتُ صَوْتًا، وأَصَاتَ وَصَوَّتَ به: كلّه نادَى (...)، ويقال: صَاتَ يَصُوتُ صوتًا فهو صَائِتٌ معناه: صائح (...)، وفي الحديث كان "العبّاس" رجلا صَيّتًا: أي شديد الصوت (...) وأَصَاتَ القوس: جعلها تصوتُ (...) والصَّيْتُ: الذَكَرُ...».[3]، فالصوت في اللغة يطلق على كلّ شيء له ذبذبة، أو يصدر حركة صوتية، سواء أكان متحرّكا أم جامدا حال تَحْرِيكِهِ.

ـ **اصطلاحا:** ومن اللغويين المحدثين الذين عرّفوا الصوت: "تمّام حسّان"، حيث نجده يقول: «...فالصوت عملية يقوم بها الجهاز النطقي، وتصحبها آثار سمعية معيّنة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت، وهو الجهاز النطقي، ومركز استقباله وهو الأذن...».[4]

ويتّفق "عبد القادر عبد الجليل" مع "تمّام حسّان" في تعريفه للصوت إلى حدّ ما، حيث نجده يقول: «الصوت هو الطاقة المنقولة عبر الوسط الهوائي إلى أسماعنا وأحاسيسنا، حاملة صورة الحرف إلى أذهاننا عبر ذبذباته الصوتية».[5]

---

(1) ـ برجشتراسر: التطوّر النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1414هـ/ 1994م، ص11.

(2) ـ جورج مونين: تاريخ علم اللغة من نشأتها حتى القرن العشرين، تر: بدر الدّين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سورية، دط، 1972م، ص107.

(3) ـ جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، مج1، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/ 2005م، مادة "صَوَتَ".

(4) ـ تمّام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1418هـ/ 1998م، ص66.

(5) ـ عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص 114.

فكلا التعريفين السابقين اشتملا على العناصر الضرورية، والتي بموجبها تتمّ العملية الصوتية، وهي: "مصدر الصوت" والمتمثّل في الجهاز النطقي، أو الطاقة المنقولة (علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي)، إضافة إلى "انتشار الصوت" والمتمثّل في الوسط الهوائي الناقل للصوت من مصدر الإنتاج والإرسال إلى مركز الاستقبال والتلقّي (علم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكي)، أمّا العنصر الثالث فهو: "إدراك الصوت" من خلال العملية السمعية (علم الأصوات السمعي أو الإدراكي).

وهناك تعريف آخر للصوت تجتمع فيه هذه العناصر الثلاثة، غير أنّه يعبّر عن الصوت بمفهومه العام، فيشمل بهذا المعنى: الصوت اللغوي والصوت غير اللغوي وفحواه: «الصوت هو الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرّة مطّردة حتى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيّا».[1]

فكلّ ما يمكن أن يصدر ذبذبة صوتية في الطبيعة يسمى "صوتا". غير أنّ السؤال المطروح هو: **متى يمكن أن نقول عن الصوت بأنه لغوي؟**

ب/ الصوت اللغوي: إذا أردنا أن نعرّف الصوت اللغوي فإنّنا نقول هو: «إدراك سمعي ناتج من تذبذب جزئيات الهواء الملامس للأذن بسبب حركات الجهاز النطقي».[2]، غير أنّ هذا التعريف يكون صحيحا عندما يصير المقصود بإصدار الصوت إرسال وتوجيه رسالة؛ أي أن يقف وراء الصوت وعي به، و قصدية فيه. فليس كلّ ما يصدر عن الإنسان من أصوات يصلح أن نطلق عليها بأنّها أصوات لغوية، إنّما الصوت اللغوي هو الذي يحمل معنى أو دلالة معيّنة، يعبّر بها الإنسان عمّا يختلجه من أفكار وأحاسيس، ممّا يعني أنّ الصوت اللغوي لا يتألف من عملية عضوية جسمية فقط، بل يتألّف أيضا من عملية نفسية إدراكية (عقلية)، وعلى هذا الأساس فإنّ عملية إصدار الصوت اللغوي في الحقيقة تتمّ بمراحل، بداية من المرسل مرورا بالوسط الهوائي، ووصولا إلى المتَلَقِّي المسْتَقْبِل لرسالة المرسِل، لتعود العملية عكسية من المستمع إلى المتكلّم. إذن فالصوت اللغوي ينطلق من الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلّم قبل الكلام أو أثنائه، تليها عملية إصدار الكلام والمتمثّل في أصوات ينتجها جهاز النطق، لتنتقل بعد ذلك الموجات والذبذبات الصوتية عبر الوسط الهوائي من فم المتكلّم إلى أذن المستمع، لتتشكّل الأحداث النفسية والعمليات الإدراكية في ذهن المستمع أثناء استقباله لتلك الموجات الصوتية. ويدعى العلم الذي يهتمّ بدراسة الأصوات بالصوتيات أو علم الأصوات.

ج/ مفهوم علم الأصوات: يعرّفه "محمّد علي الخولي" بقوله: «هو فرع من علم اللغة، يبحث في نطق الأصوات اللغوية وانتقالها وإدراكها، ويدعوه البعض الصوتيات، أو علم الصوتيات، وعلم الأصوات ذاته له فروع عديدة، مثل: علم الأصوات البحت وعلم الأصوات التجريبي وعلم الأصوات الوصفي وعلم الأصوات التاريخي وعلم الأصوات العام وعلم الأصوات الخاص، وعلم الأصوات المعياري وعلم الأصوات القطعية

([1]) ـ سميح أبو مغلي وآخرون: دروس في علوم العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ/ 2000م، ص19.

([2]) ـ خلدون أبو الهيجاء: فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ/ 2006م، ص14.

وعلم الأصوات الفَوْقْطْعِيَة وعلم الأصوات النطقي وعلم الأصوات الفيزيائي وعلم الأصوات السمعي، وعلم الأصوات المقارن وعلم
الأصوات الوظيفي».(1)

يُبيّن لنا "محمّد علي الخولي" من خلال هذا التعريف المراحل التي يمرّ بها إنتاج الصوت باعتباره موضوعا
لعلم الأصوات، كما يذكر لنا التسميات المختلفة لهذا العلم، وأهم فروعه العامة والخاصة.

وفي تعريف آخر لـ "علم الأصوات": «هو العلم الذي يهتمّ بدراسة حروف اللغة العربية على أنّها أصوات، فيبحث في مخارجها وصفاتها وقوانين تبدّلها وتطوّرها والتئامها مع غيرها من الحروف، واختلافها عن بعض الحروف الأخرى».(2)

يحدّد هذا التعريف موضوع العلم وكذا الوظيفة التي يؤديها، مع الإشارة إلى مسألة ائتلاف أو تنافر الأصوات أثناء مجاورتها لبعضها البعض.

ثانيا: المصطلح الصوتي فسيولوجيا (من خلال الأداء النطقي):

1 ـ المصطلحات ذات الصلة بمخارج الأصوات:

اختلف علماء اللغة القدماء في تحديد مخارج الحروف من حيث العدد هذا من جهة، كما اختلقوا من جهة أخرى في موقع بعض الحروف ضمن هذه المخارج، فقد حصرها "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في ثمانية مخارج، وجعلها "سيبويه" و"ابن جنّي" ستّ عشرة مخرجا، في المقابل حدّدها "المبرّد" في أربع عشرة مخرجا، في حين توسّع فيها "ابن جزري" في سبع عشرة مخرجا، ولا يهمّنا في هذا المقام الخلاف القائم بين هؤلاء بشأن عدد المخارج، وأيّ الحروف العربية تندرج ضمن كلّ مخرج، بقدر ما تعنينا البوادر الأولى للعناية بالمصطلح الصوتي في الحقل اللغوي العربي القديم، وفيما يلي كشف لبعض هذه المصطلحات الصوتية التي اعتنى بها علماؤنا القدماء، ودرجوا على استعمالها منذ القرن الأول والثاني هجري:

أ/ مصطلح المخرج:

ـ **مفهومه في اللغة:** جاء في تفسير مادة "خَرَجَ" باب الجيم فصل الخاء: «الخُرُوجُ: نقيض الدُخُول، خَرَجَ يَخْرُجُ خُروجًا ومَخْرَجًا فهو خَارِجٌ وخَرُوجٌ وخَرَّاجٌ، وقد أَخْرَجَهُ وخَرَجَ به. قال "الجوهري": قد يكون المَخْرَجُ: موضع الخروج، يقال: خَرَجَ مَخْرَجًا حَسَنًا، وهذا مَخْرَجُهُ...».(3)، فالمخرج: مكان الخروج وموضعه، فَمِنْ أين خرج الشيء ويخرج فذاك هو مخرجه وموضع صدوره أو حدوثه.

ـ **مفهومه في الاصطلاح:** يقول "صبري المتولّي" معرّفا إيّاه: «هو مكان خروج الصوت اللغوي، حيث يلتقي عضوان من أعضاء النطق، فتحدث درجة معيّنة من الاعتراض على هواء الزفير القادم من الرئتين، فإذا

(1) ـ محمّد علي الخولي: معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، دب، ط1، 1402ه/ 1982م، ص112.

(2) ـ منال عصام إبراهيم برهم: دراسة في اللغة العربية نماذج وأسئلة محلولة، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1430ه/ 2009م، ص 15.

(3) ـ ابن منظور: لسان العرب، مج2، مادة "خَرَجَ".

كان الاعتراض تامّا خرج الصوت الشديد (الانفجاري)، وإن كان الاعتراض ناقصا خرج الصوت الرخو (الاحتكاكي)، وإن كان الاعتراض متوسطا خرج الصوت المتوسّط (بين الشّديد والرخو)».[(1)]، ويعرّفه "محمّد البرازي" قائلا: «هو موضع النطق أين يكون فيه انحباس الهواء وحجزه عن المرور كلّيًا أو جزئيًا بأحد الحواجز الموجودة في الحلق أو الفم كاللهاة أو اللسان أو الشفتين».[(2)]

وكلا التعريفين يشيران إلى وجود اعتراض للهواء (النَفَسْ) الصاعد من الرئتين في طريقه إلى الفم، وكأنّ في ذلك إشارة ضمنية إلى أنّ الصوت الذي يحدث دون اعتراض لا مخرج له، ولا حيّز ينتمي إليه كما هو الحال مثلا مع الصوائت العربية، وهذا ما أكّده "الخليل" الذي أطلق عليها تسمية "الأصوات الهوائية" كما سيأتي ذكره لاحقا بإذنه تعالى، وبقدر اقتراب العضوين المسؤولين عن إصدار الصوت وحدوثه بقدر ما يكون الصوت قويّا والعكس بالعكس؛ بمعنى **كلّما** كان الاعتراض تاما أو كلّيا كان الصوت قويا كالانفجار والجهر، وكلّما كان ناقصا جزئيا اتّسم بالضعف والرخاوة كالهمس والاحتكاك ...

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّه قد يُفهم من خلال عبارة "موضع النطق": أنّ العضو المسؤول عن إصدار الصوت وإنتاجه هو عضو واحد، وهذا التصوّر يبدو قاصرا وغير دقيق؛ فقد يشترك في أغلب الأحيان عضوان أو أكثر في إحداث الصوت، وذلك بأن يكون موضع النطق هو نقطة الالتقاء بين الأعضاء المساهمة في صناعة وتشكيل هيئته البنائية.

ومصطلح "المخرج" هو من مصطلحات "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت/175ه) إذ يعدّ هو أوّل من استخدم هذا المصطلح، وفي هذا الشأن نجده يقول في إحدى المواضع: «...وأمّا مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عُكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم، وأمّا مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالحلق...».[(3)]

فقد استطاع "الخليل" بفضل سلامة ذوقه ورهافة حسّه وسمعه، أن يتوصّل إلى نتائج غير مسبوقة، فمن أهمّ ما استطاع الوصول إليه: وضع ترتيب جديد للأصوات العربية على أساس مخارجها، مخالفا به الترتيب الأبجدي المألوف الذي نقله العرب عن غيرهم من الساميين الذين ابتكروه، وعلى هذا الأساس بنى معجمه الرائد "العين"؛ حيث قسّم الأصوات حسب مخارجها مبتدئا بأصوات الحلق، ومنتهيا عند أصوات الشفتين. وقد ذكر لنا "الليث بن المظفّر" تلميذ "الخليل" في مقدّمة هذا المعجم، تلك الطريقة التي تَعَرَّفَ من خلالها أستاذه على مخارج الأصوات، فقال: «وإنّما كان ذواقة إيّاها أنّه كان يفتح فاه بالألف، ثمّ يُظهر الحرف نحو: أبْ، أتْ، أحْ، أعْ، أغْ، فوجد "العين" أدخل الحروف في الحلق فجعلها أوّل الكتاب، ثمّ ما قَرُبَ منها الأرفع فالأرفع حتّى أتى على آخرها وهو الميم»[(4)]، لأجل ذلك سمّى معجمه

([1]) ـ صبري المتولّي: دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، دط، 1429ه/ 2008م، ص43.

([2]) ـ مجد محمّد الباكير البرازي: فقه اللغة العربية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1407ه/ 1987م، ص44.

(1) ـ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، الرشيد للنشر، بغداد، العراق، دط، 1401ه/ 1981م، ص52.

([4]) ـ المصدر نفسه، ج1، ص47.

"العين" لأنّها أقصى الحروف مخرجا، وهي أوّل الحروف في المعجم، وبناء على هذا فقد جاء ترتيب "الخليل" لحروف الهجاء على النحو التالي: «ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، و ا ي ء».(1)

بعد ذلك استخدم مصطلح "المخرج" معظم العلماء والباحثين الذين جاؤوا من بعده، ومنهم تلميذه "سيبويه" (ت/180هـ) وفي هذا الصدد نجده يقول: «فللحلق منها ثلاثة؛ فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجا من الفم: الغين والخاء ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللّسان قليلا، وممّا يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، ومن بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُوَيْقَ الثنايا(*) مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، وممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء، وممّا بين طرف اللسان وفُوَيْقَ الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد، وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء، ومن باطن الشّفة السُّفلى وأطراف الثنايا العُلَى مخرج الفاء، وممّا بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو، ومن الخياشم مخرج النون الخفيفة».(2)

فـ"سيبويه" كان أكثر توسّعا ودقّة في تحديده لمخارج الأصوات من أستاذه "الخليل"، إذ جعل أصوات العربية ستّة عشر مخرجا خاصا تتضمّنها أربعة مخارج عامة، وهي: الحلق الذي قسّمه إلى ثلاثة أقسام هي: أقصاه فأوسطه ثمّ أدناه، أمّا اللسان فجعل له عشرة مخارج خاصة، سواء كان اللسان فيها بأقسامه المتعدّدة هو العضو الوحيد المسؤول عن إصدار وإنتاج الصوت، أم بمشاركة أعضاء أخرى معه من قبيل: الحنك بكلّ أقسامه، الثنايا العليا أو السفلى أو كلاهما معا، ... أمّا المخرج العام الثالث فهو: الشفتان سواء كان بانطباقهما أو بمشاركة الثنايا في إصدار الصوت، ليكون بهذا التجويف الأنفي أو كما يعرف أيضا بالخيشوم المخرج العام الرابع، والمسؤول عن إصدار النون الخفيفة؛ أي الساكنة.

وممّن استخدم كذلك مصطلح "المخرج" في تراثنا العربي "المبرّد" (ت/275هـ)، حيث نجده يقول: «اعلم أنّ الهمزة حرف يتباعد مخْرَجه عن مخارج الحروف، ولا يَشْركه في مخرجه شيء، ولا يُدَانيه إلاّ الهاء والألف...».(3)

ومن علماء القرن الرابع هجري الذين وظّفوا مصطلح "المخرج" "ابن جنّي" (ت/392هـ)، إذ اتّفق هذا الأخير مع "سيبويه" اتفاقا تامّا في تحديد الأصوات العربية، والتمييز بين ما هو أصل منها وما هو بالفرع

---

(1) ـ نفسه، ص48.

(*) ـ الأسنان (العليا أو السفلى).

(2) ـ أبو بشر بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ودار الرفاعي، الرياض، السعودية، ط2، 1402هـ/ 1982م، ص ص433- 434.

(3) ـ أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرد: المقتضب، ج1، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، مصر، دط، 1415هـ/ 1994م، ص292.

المستحسن أو المستهجن، كما اتّفق معه كذلك في تحديد مخارج الحروف عددا وموضعا، مع بعض الفروقات الطفيفة كتفصيل "ابن جنّي" مثلا في مخرج "الضاد" حيث يقول مستخدما مصطلح "المخرج": «ومن أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلّا أنّك إنْ شئت تَكَلَّفْتَهَا من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»[1]، وكذا تفصيله في مخرج "اللام" حين يقول: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، ممّا فويق الضاحك والناب والرباعية والثّنية مخرج اللام».[2]

هذا وقد استمرّ حضور مصطلح "المخرج" في قاموس علمائنا القدامى إلى مرحلة بعيدة، فـ "ابن سينا" (ت/428هـ) وهو من علماء القرن الرابع والخامس هجري نجده قد استعمل مصطلح "المخرج" في تحديد بعض الأصوات، ومن ذلك قوله في صوت "الهاء": «وأمّا الهاء فإنّها تحدثُ عن مثل ذلك الحفزِ في الكمّ والكيف، إلاّ أنّ الحبس لا يكون حبسا تاما بل تفعلُه حافات المخرج وتكون السبيل مفتوحة، والاندفاع يماسُّ حافاته بالسّواء غير مائل إلاّ في الوسط»[3]، وفي "نظم الجزرية" نجد للمصطلح حضورا فيها هو "ابن جزري" (ت/833) من علماء القرن الثامن والتاسع الهجري، نجده قد وظّف هو الآخر مصطلح "المخرج"، وذلك عند تحديده لمخارج الحروف والتي على أساسها يتمّ ضبط أحكام تلاوة القرآن الكريم، يقول في مطلع القصيدة التي جمع فيها مخارجه السبعة عشر:[4]

مَخَارِجُ الحُرُوفِ سَبْعَةَ عَشَرْ عَلَى الذِي يَخْتَارُهُ مَنِ اخْتَبَرْ

ب/ مصطلح المَدْرَج: إلى جانب مصطلح "المخرج"، فقد استعمل "الخليل" مصطلحا آخر مرادفا له، وهو مصطلح "المدْرَج"؛ إذ تفرّد وتميّز به، وفي هذا يقول: «في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صِحَاحًا لها أحيانًا ومدارج، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللّينة والهمزة، وسمّيت جوفا لأنّها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تُنسب إليه إلاّ الجوف».[5]

ج/ مصطلح الحيّز: ومن المصطلحات الصوتية الأخرى التي وضعها "الخليل"، وكانت له الأسبقية في استعمالها مصطلح "الحيّز"، بيد أنّنا نراه أحيانا يستخدمه مرادفا لمصطلح "المخرج"، وأحيانا يجعله جزءا منه، فمخرج الحلق مثلا عند "الخليل" يشمل حيّزين: الأوّل لثلاثة أحرف وهي "العين" و"الحاء" و"الهاء"، والثاني لحرفين هما: "الخاء" و"الغين"، وفي هذا الصدد يقول: «فأقصى الحروف كلّها العين ثمّ الحاء، ولولا

([1]) ـ أبو الفتح عثمان بن جنّي: سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ/ 1993م، ص47.

([2]) ـ المصدر نفسه، ج1، ص س.

(1) ـ أبو الحسن بن عبد الله بن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمّد حسّان الطّيان ويحيى مير، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية، دط، دس، ص72.

([4]) ـ محمّد بن محمّد بن محمّد بن على بن يوسف بن جزري: منظومة المقدّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، تح: أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، جدّة، السعودية، ط4، 1427هـ/ 2006م، ص ص1-2.

(3) ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص57.

بحّة في الحاء لأشْبَهَتْ العين لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيّز واحد بعضها أرفع من بعض، ثمّ الحاء والغين في حيّز واحد كلّهنّ حلقية، ثمّ القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع، ثمّ الجيم والشين والضاد في حيّز واحد، ثمّ الصاد والسين والزّاي في حيّز واحد، ثمّ الطاء والدّال والتّاء في حيّز واحد، ثمّ الظاء والذال والثاء في حيّز واحد، ثمّ الراء واللام والنون في حيّز واحد، ثمّ الفاء والباء والميم في حيّز واحد، ثمّ الألف والواو والياء في حيّز واحد، والهمزة
في الهواء لم يكن لها حيّز تُنسب إليه».(1)

د/ مصطلح المقطع: وهو من المصطلحات التي شاع استخدمها عند "ابن جنّي" يقول: «اعلم أنّ الصوت عرض
يخرج مع النفس مستطيلا متّصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين، مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها».(2)

فـ "ابن جنّي " في هذا التعريف يقدّم لنا مفهوما للصوت، وفي الوقت ذاته يفرّق بينه وبين الحرف، وفي الحقيقة إنّ هذا التعريف هو تعريف عام، يشترك فيه الإنسان الناطق والحيوان الأعجم؛ لأنّ الاثنين يملكان هذه الأعضاء التي ذكرها "ابن جنّي" في التعريف السابق.

إذن فالصوت عند "ابن جنّي" هو عبارة عن النفس الصاعد من الرئتين باتجاه الفم المتّصل والمرتبط، فأينما وجد عائقا انفصل عن بعضه وامتنعَ ـ حينها ـ امتداده واستطالته وسمّي بذلك حرفا، والنَفَس المرتبط يختلف جرسه باختلاف العائق الذي يعترض مسلكه؛ فإن كان الحاجز على مستوى الحلق سمّي حرفا حلقيا، وإن كان على مستوى الشفتين كان شفويا، وقس على ذلك مع بقية الأعضاء المتحكّمة في النطق.

يلاحظ كذلك من خلال التعريف السابق لـ "ابن جنّي" أنّه قد اعتبر المقطع مرادفا للحرف، وهذا بخلاف سابقيه الذين جعلوا المقطع هو مخرج الحرف لا الحرف ذاته، فأينما انقطع النفس فثمّة موضع النطق، فـ "الخليل" ـ مثلا ـ من الذين أطلقوا على المخرج مصطلح المقطع، فضلا عن تسميات أخرى على غرار: المخرج، المجرى، المحبس والمدرج، ...الخ، فتسمية "ابن جنّي" بهذا لا تستقيم إلاّ على ضرب من المجاز.

هـ/ مصطلح المبدأ: ويقصد بهذا المصطلح نقطة التقاء الأعضاء المسؤولة عن إحداث الصوت، بحيث يشكّل هذا الالتقاء حاجزا تاما أو جزئيا يعترض المرور الطبيعي للهواء الصاعد من الرئتين باتّجاه الفم، وتلك النقطة هي بداية صدور الصوت وتشكّله، وهو من مصطلحات "الخليل" ولم يستخدمها غيره، يقول محدّدا مخارج الأصوات عنده: «فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان لأنّ مبدأها من اللهاة، والجيم والشين والضاد شجرية لأنّ مبدأها من شجر الفم؛ أي مخرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية لأنّ مبدأها من أسلة اللسان؛ وهي مستدقّ طرف اللسان، والطاء والدال

---

(4) ـ المصدر نفسه، ج1، ص58.

(2) ـ ابن جنّي: سر صناعة الإعراب، ج1، ص6.

والتاء نطعية لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء والذّال والثاء لثوية لأنّ مبدأها من اللثّة، والراء واللام والنون ذلقية لأنّ مبدأها من ذلق اللسان؛ وهو تحديد طرفي ذلق اللسان، والفاء والباء والميم شفوية/ شفهية لأنّ مبدأها من الشفّة، والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيّز واحد، لأنّها هوائية في الهواء لا يتعلّق بها شيء، فَنُسِبَ كلّ حرف إلى مَدْرجته وموضعه الذي يبدأ منه».(1)

وعلى الرغم من كثرة المصطلحات التي استخدمها علماؤنا العرب الأوائل للدلالة على مخرج الحرف، على غرار: المخرج، الحيّز، المدرج، المقطع، المبدأ، المجرى، المحبس، وهلمّ جرّا، إلاّ أنّها تشير جميعها إلى مفهوم مصطلحي واحد، ألا وهو نقطة الانسداد أو التضييق الذي يحدث عندها حبس الهواء، بحيث ينتج الصوت الذي نسمعه، وبالتالي يكون مخرج الحرف ميزانا تُعرف به ماهيته.

يتّضح لنا من خلال القول السابق: إنّ "الخليل" كان هو الأوّل الذي اعتمد الترتيب المخرجي للأصوات، وأعطى لكلّ مخرج مصطلحا محدّدا على خلاف تلميذه "سيبويه" وكل من جاء من بعده، فبالعودة إلى القول السابق لـ "سيبويه" والذي حدّد من خلاله مخارج الحروف عنده وحصرها في ستّة عشر مخرجا، نجده يكتفي فقط بشرح مخرج الأصوات من خلال تحديده لنقطة التقاء العضوين المسؤولين عن إنتاج الصوت، دون ذكر المصطلح الذي يصدق على مجموع الأصوات المنتمية إلى مخرج أو حيّز صوتي واحد. ليكون "الخليل" بذلك قد تميّز بمصطلحات يرجع له الفضل في ابتكارها واستخدامها، فقد جعل الحروف الحلقية نسبة للحلق والذي هو: «الجزء الذي بين الحنجرة والفم، ويستعمل كفراغ رنّان يضخّم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة»(2) لخمسه حروف وهي: (ع، ح، هـ، خ، غ) دون تعريفه للحلق، وجعل الحروف اللهوية، واللهاة هي من مصطلحات "الخليل" والتي هي: «زائدة لحمية صغيرة متحركة تتدلّى على الحلق من الطرف الخلفي للحنك اللين، وهي ترجع إلى الخلف لتسدّ الحلق عند النطق بالأصوات الفميّة، كما تهبط إلى أسفل عند النطق بالأصوات الغنّاء، ولتسمح للهواء بالتسرّب خلال الحلق الأنفي إلى الفراغ الأنفي»(3) لحرفين هما (ق، ك) وجعل الحروف الشجرية نسبة إلى شجر الفمّ، أي مفرج الفم، ويسمّى كذلك الحنك الصلب وهو مصطلح ابتكره "الخليل" وتميّز باستعماله دون أن يقدّم له تعريفا جعله لثلاثة أحرف هي (ج، ش، ض)، أمّا الحروف الأسلية، نسبة إلى الأسلة وهي: «طرف اللسان إذا كان في وضع صلب كعند النطق بالحروف الصفيرية»(4)، وهو من مصطلحات "الخليل" أيضا، وقد استعاره عنه فيما بعد "ابن جزري"، وهو مخرج خصّه "الخليل" لثلاثة أصوات هي (ص، س، ز)، والحروف النطعية، نسبة إلى النطع وهو مصطلح خليلي بامتياز، جاء به وذلك دون تحديده، والنطع هو الغار وهو الجزء الصلب من سقف الفمّ، يقول "إبراهيم أنيس" محدّدا المقصود بالنطع، ومستحسنا في ذات الوقت مناسبة المصطلح لنقطة خروج الأصوات النطعية (ط، د، ت) قائلا: «أمّا تسميتهم "الدال والطاء والتاء" بالأصوات النطعية فيبدو أنّ

(1) ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص58.

(2) ـ سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ط1، 1415هـ/ 1995م، ص92.

(3) ـ أحمد زرقة: أسرار الحروف، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1993م، ص79.

(4) ـ مصطفى حركات: الصوتيات والفونولوجيا، دار الأفاق، الجزائر العاصمة، دط، دس، ص 82.

هذا المصطلح قد جانبه التوفيق، لأنّ النطع ـ كما شرحته المعاجم وكما يفهم من هؤلاء العلماء ـ هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا»(1)، في حين أنّ الحروف اللثوية جعلها لأصوات (ظ، ذ، ث)، وهي نسبة إلى اللثّة؛ مصطلح وظّفه "الخليل" في تحديده لمخارج الأصوات دون أن يشرح المقصود به، إذ هي: «الجزء الواقع خلف أصول الأسنان العليا مباشرة، وهو محدّد ومحزّز»(2)، أمّا المخرج السابع فجعله خاصا بالحروف الذولقية وهي: (ر، ل، ن)، وذولق أو ذلق اللسان مصطلح خليلي المقصود به: «طرف اللسان إذا كان في وضع ليّن عند النطق باللاّم مثلا»(3)، أمّا آخر المخارج التي حدّدها الخليل فهو الحروف الشفوية المتمثلة في: (ف، ب، م)، والشفتان هما عبارة عن: «عضلتان مرنتان ينتهي بهما الفم، وللشفتين وظيفة ملحوظة مع بعض الأصوات، فهما تنفرجان مع بعض الأصوات كما في نطق الفتح، أو تستديران كما في نطق الضمّ، أو تنطبقان كما في نطق الباء والميم».(4)

إذن فقد رتّب "الخليل" الأصوات العربية وفق الصورة السابقة طبقا لقانون صوتي، وهو أنّ هذه الحروف حسبه بعضها أدخل من بعض، أو ما يعرف بحيّز أسبق من حيّز، ولعلّ هذا ما نلمسه من خلال قوله "ثمّ ما قَرُبَ منها الأرفع فالأرفع"، مع الإشارة ها هنا إلى أنّ كلّ مخرج من المخارج الثمانية أو التسعة التي وضعها "الخليل" تمثّل حيّزا صوتيا، وأنّ الحيّز التاسع والذي تضمّن حروف الجوف والهمزة، إنّما وصف أصواته بالهوائية لأنّ لا حاجز يعترض النفس أثناء النطق بها، باستثناء الهمزة التي تراجع عنها ـ فيما بعد ـ واعترف بأنّها تخرج من أقصى الحلق، قائلا: «وأمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق».(5)

2 ـ المصطلحات ذات الصلة بصفات الأصوات:

إنّ الأصوات إذا كان يجمعها حيّز صوتي واحد؛ أي أنّها تشترك في مخرج واحد، فإنّها في هذه الحالة تضلّ بحاجة إلى أساس آخر يفرّق بين كلّ واحد منها، وبين الآخر في نطاق المخرج الواحد، وهنا يأتي دور الصفات التي تتّصف بها الأصوات، والتي تعدّ الأساس السمعي للتفريق بينها، فالصفة بهذا المعنى هي التي تميّز الحروف المشتركة في المخرج، ولولاها لكانت الحروف المشتركة حرفا واحدا، فعلى سبيل المثال: الأصوات [ز، س، ص] هي مجموعة الصفير، ولكن تتميّز [ز] بالجهر و[س] بالهمس و[ص] بالإطباق، والطاء مثلا لولا الاستعلاء والإطباق لكانت دالا لاتفاقهما في المخرج، والذال المعجمة لولا الاستفال والانفتاح اللذان فيها لكانت ظاءً معجمة، لاتفاقها في المخرج أيضا، والميم لولا الغنّة لكانت باءً لاتفاقهما في المخرج الشفوي، ولولا الإطباق أيضا لصارت الظاء ذالا والصاد سينا، والحاء المهملة والهاء والتاء لولا اختلافهنّ في المخرج

---

(1) ـ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، دط، دس، ص 107.

(5) ـ شرف الدّين علي الراجحي: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، دط، 2012م، ص30.

(3) ـ مصطفى حركات: المرجع السابق، ص س.

(4) ـ سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص94.

(5) ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص52.

لَكُنَّ حرفا واحدا لاتفاقهنّ في الصفات. **فما هو المقصود بالصفة ؟، وما هي المصطلحات الصوتية المتعلقة بها، والتي كان لها حضورا ودورانا في تراثنا اللغوي العربي القديم؟**

*** الصفة الصوتية:**

ـ **مفهومها في اللغة:** جاء في تفسير مادة "وَصَفَ": «وَصَفَ المهر والناقة ونحوهما، يَصِفُ وَصْفًا وَوُصُوفًا: أَجَادَ السّير وجَدَّ فيه والصغير المشيَ وَصْفًا: أَطَاقَهُ، والشيء وَصْفًا وَصِفَةً: نعته بما فيه، والطّبيبَ الدَّوَاء: عَيَّنَهُ باسمه ومقداره، والخبر: حكاه (...)، والصّفة: الحالة التي يكون عليها الشيء من حِلْيَةٍ ونَعْتِهِ: كالسّواد والبياض والعلم والجهل...».[(1)]

فالصّفة في اللغة تطلق على معان كثيرة منها: الشيء الجيّد المتقن، النعت الحقيقي الذي لا زيف فيه، التعين والتقدير، الحكي، والتعيير بسبب عيب خَلْقِي أو خُلُقِي،...الخ.

ـ **مفهومها في الاصطلاح:** يقدّم "مصطفى رجب" تفريقا بسيطا بين النَفَسْ والصوت والحرف وصولا إلى الصفة،

مبيّنا بذلك المراحل التي يمكننا من خلالها الوصول إلى صفة الحرف، فيقول: «يراد بالصّفة كيفية تولّد الحرف وخروجه من مخرجه، وذلك لأنّهم يسمّون الهواء الخارج من الرئة إن خرج بطبعه دون أن يحتكّ بأوتار الصوت (نَفَسًا)، فإن وجّه الإنسان بإرادته هذا الهواء إلى أوتار الصوت الموجودة في الحنجرة فاحتكّ بها وحدث له تموّج وتذبذب مسموع فإنّهم يسمّونه حينئذ (صوتا)، ثمّ هذا الهواء المصحوب بهذه التموّجات الصوتية يتوجّه إلى مقطع من مقاطع الفم أو الحلق؛ أي إلى حيّز محدّد منها، فإذا قرّبه وانحصر فيه تولّد الحرف، ثمّ الكيفية التي يكون عليها مرور هذه التموّجات الصوتية الممزوجة في النفس بذلك المقطع هي ما تسمّيه بـ (صفة الحرف)، فبالمخرج إذا تُعرف ماهية الحرف ويتولّد شكله ويتحدّد، وبالصفات يحصل التمييز بين الحروف، وخاصة تلك التي تتّحد مخارجها أو تتقارب».[(2)]

إذن يتبيّن لنا من خلال هذا الكلام أنّ الصفة الصوتية هي الكيفية أو الكيفيات التي تظهر في الحرف أثناء حدوثه في مخرجه، فتميّزه عن غيره من الحروف عمّا اشترك منها معه في موضع النطق، وتتمثّل تلك الكيفيات في أمرين أساسين هما: «تحديد طريقة مرور النّفس في المخرج عند النطق بالصّوت، وتحديد حالة الوترين الصوتيين في أثناء ذلك».[(3)]

يمكن أن نقسّم الصفات الصوتية باعتبار اللّزوم والعروض إلى قسمين: القسم الأول: الصفات الذاتية اللازمة للحرف: بحيث لا تنفكّ عنه مطلقا، سواء أكان ساكنا أم متحركا بأيّة حركة. والقسم الثاني: الصفات العَرَضِية: وهي التي تعرض للحرف حينا وتفارقه حينا آخر. هذا وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في عدد الصفات الذاتية، وذهبوا في ذلك مذاهب شتّى، فالصّحيح المختار عند "ابن جزري" أنّها سبعة عشر

([1]) ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 1426هـ/ 2005م، مادة "وَصَفَ".

([2]) ـ مصطفى رجب: دراسات لغوية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دب، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص254.

([3]) ـ غانم قدّوري الحمد: ظواهر لغوية في القراءات القرآنية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ/ 2006م، ص9.

صفة، وقد اقتفى أثره جمهور من أتى بعده من العلماء، فعدّوها سبعة عشر أيضا. وتنقسم الصفات الذاتية بحسب التقابل وعدمه إلى قسمين: قسم له ضّد وهو خمس صفات وضدّه كذلك، وقسم لا ضدّ له وهو سبع صفات.

أ/ الصفات الصوتية اللازمة: وهي على صنفين: صفات لها ضدّ وهي عشرة، وصفات لا ضدّ لها وهي سبعة:

*** الصفات المتضادّة في العربية:**

ـ مصطلحا الجهر والهمس: ويعود الأصل في وضع المصطلحين لـ "سيبويه"، حيث نجده يقول في باب الإدغام: «فأمّا المجهورة فالهمزة، والألف والعين والغين، والقاف والجيم والياء، والضاد واللام والنون، والراء والطاء، والدال والزاي والظاء والذال، والباء والميم والواو، فذلك تسعة عشر حرفا، وأمّا المهموسة فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء والفاء، فذلك عشر أحرف، فالمجهورة: حرف أُشْبِعَ الاعتماد في موضعه، ومنع النَّفَسَ أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد (عليه)، ويجري الصوت، وأمّا المهموس فحرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه، حتّى جرى النّفس معه...».[1]، وقد صار هذا التعريف الذي جاء به "سيبويه" أساسا وقانونا سار عليه معظم من جاء بعده من العلماء، فردّدوا ألفاظه بنصّها وكأنّهم قد تخيّلوا فيها قدسية تحول دون تغييرها، فها هو "ابن جنّي" نجده في تعريفه للجهر والهمس قد تقيّد بألفاظ "سيبويه" قائلا: «الصوت المجهور حرف أُشْبِعَ الاعتماد في موضعه، ومُنِعَ النفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، والمهموس حرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه حتّى جرى معه النّفس».[2]

يتّضح من خلال هذا التعريف الذي أتى به "ابن جنّي" أنّ الأساس المعتمد في التمييز بين الجهر والهمس هو: وضع الوترين الصوتين؛ ففي حالة تقاربهما أو التقائهما، فإنّ الهواء الصاعد من الرئتين عبرهما يساهم في تذبذبهما ممّا يُصدر ذلك صوتا مسموعا، وهذا هو المقصود بكلمة: "الاعتماد"، والذي لا يجري معه النفس إلّا إذا انقضى (انفراج الوترين)، أمّا إذا مرّ الهواء دون أن يحدث ذبذبة على مستوى الوترين الصوتيين نتيجة تباعدهما سُمع حينها صوت مهموس، وهذا هو المقصود بـ "ضعف الاعتماد"، والذي يسمح بجريان النفس دون عائق يكون هنالك.

وهو المعنى ذاته الذي نجده عند "أبو بكر الباقلاني" حيث يقول في سياق شرحه للمصطلحين محافظا على عبارات "سيبويه"، يقول: «والمهموس كلّ حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النَفَس»[3]، ويقول في موضع آخر: «والمجهور معناه: أنّه حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع أن يجري معه [النفس] حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت».[4]

([1]) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص434.

([2]) ـ ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص60.

([3]) ـ أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: أحمد السيد أحمد صقر، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، ط5، دس، ص44.

([4]) ـ المصدر نفسه، ص46.

هذا ولم يخالف "سيبويه" في هذا التعريف سوى "المبرّد" في "المقتضب"، والذي تخلّى في تعريفه للجهر والهمس عن ألفاظ "سيبويه"، يقول: «ومنها حروف إذا ردّدتها في اللسان جرى معها الصوت وهي المهموسة، ومنها حروف إذا ردّدتها ارتدع الصوت فيها وهي المجهورة».[1]

ـ مصطلحا الشدّة والرخاوة: تُصنّف أصوات العربية في التراث الصوتي العربي القديم، وذلك بالنظر إلى درجة اعتراض الهواء (النفس الصاعد من الرئتين) إلى ثلاثة أنواع مختلفة نطقيا وهي: الشّديدة، ويسمّيها كثير من المحدثين: الانفجارية، ولها تسميات أخرى على غرار: الأصوات المؤقّتة أو الآنية أو اللحظية أو الوقفية...الخ، والرّخوة، ويسمّيها كثير من المحدثين: الاحتكاكية، و صنف آخر بين الشديدة والرخوة؛ أي المتوسطة، ويسمونها كذلك بالبينية أو المائعة أو السائلة، وكلّ هذه المصطلحات يرجع الفضل في وضعها لإمام النحاة "سيبويه" يقول: «ومن الحروف (الشديدُ) وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء، وذلك أنّك لو قلت أَلْحَجَ ثمّ مَدَدْتَ صوتك لم يجر ذلك، ومنها (الرَّخْوَةُ) وهي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء، وذلك إذا قلت الطَّسْ وانْقَضْ وأشباه ذلك أجريتَ فيه الصوت إن شئت، وأمّا العين فبين الرّخوة والشديدة، تصل إلى التردّد فيها لشَبَهِهَا بالحاء».[2]

وقد اقتفى أثر "سيبويه" معظم العلماء الذين جاءوا من بعده أمثال "المبرد" الذي يقول: «ومن الحروف حروف تجري على النفس وهي التي تسمى الرّخوة، ومنها حروف تمنع النفس وهي التي تسمى الشديدة»[3]، وكذا "ابن جنّي" إذ يقول: «ومعنى الشديد أنّه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه (...)، والرخو: هو الذي يجري فيه الصوت ...».[4]، ونجد المعنى عينه عند "ابن سنان الخفاجي" (ت/466هـ) إذ يقول متحدّثا عن مصطلح الشدّة: «فالشديد الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهي ثمانية أحرف: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء، ويجمعها في اللفظ أجدك قطبت».[5]

يُفهم ممّا سبق أنّ اعتراض الهواء عند النطق بالأصوات الشديدة (الانفجارية) يكون اعتراضا تامّا، بحيث لا يُسمح للهواء الصاعد من الرئتين بالمرور بسبب انطباق العضوين المسؤولين عن إصدار ذلك الصوت فترة من الزمن، ثمّ بعد ذلك يحدث انفراج مفاجئ للعضوين، فيندفع الهواء المحبوس فيما دونهما بقوّة محدثا صوتا انفجاريا. كما يُفهم من خلال التعريفات السابقة أيضا أنّ الصوت الذي يوصف بالرخاوة، أو كما يسمّى كذلك بالاحتكاك، أنّ النفس فيه يكون مستمرا دون انقطاع لعدم وجود اعتراض تام له (أي اعتراضه جزئي) في موضع النطق، ممّا يُسمح بالقول: إنّ الأصوات الاحتكاكية إنّما تتشكّل بأن

([1]) ـ المبرد: المقتضب، ج1، ص330.

(1) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص ص434- 435.

([3]) ـ المبرد: المقتضب، ج1، ص330.

([4]) ـ ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص61.

([5]) ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي: سر الفصاحة، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر، مصر، دط، 1389هـ/ 1969م، ص20.

يُضَيَّقَ مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، ويمرّ من خلال منفذ ضيّق نسبيا، محدثا في خروجه احتكاكا جانبيا مسموعا.

ونختم سلسلة هذه التعريفات بقول "ابن جزري"، الذي يجمع فيه بين المصطلحات الثلاثة، فيقول: «والمتوسطة بين الشدّة والرخاوة خمسة يجمعها قولك: "لن عمر"، وأضاف بعضهم إليها "الياء" و"الواو"، والمهموسة كلّها غير التاء والكاف رخوة، والمجهورة الرخوة خمسة: الغين والضاد والظاء والذال المعجمات والراء، والمجهورة الشديدة يجمعها قولك: "طبق أجد"».[1]

ـ **مصطلحا: الإطباق والانفتاح:** وهي من مصطلحات "سيبويه" والمقصود بمصطلح الإطباق :«ارتفاع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك وتقعّر وسط اللسان»[2]، أو هو: «ظاهرة يرتفع فيها مؤخّر اللسان إلى الحنك الأعلى، آخذا شكلا مقعّرا ممّا يزيد من حجم تجويف الفم، ويضيّق من حجم تجويف الحلق أثناء إخراج الصوت فيسمع الصوت مفخّما، والأصوات المطبقة أربعة هي: الصاد والضاد والطاء والظاء».[3]، أمّا الانفتاح فيحدث حينما يتجافى اللسان عن الحنك ويتحاشاه، فلا ينطبق عليه تاركا المجال للهواء الصاعد ـ من الرئتين ـ منفتحا دون اعتراض تام، وعليه فإنّ الانفتاح هو: «عدم انحصار الصوت بين وسط اللسان والحنك عند النطق بالحرف لانفتاح ما بينهما، سواء انطبق الحنك على أقصى اللسان أم لا، وحروفه كلّ ما عدا الأربعة المطبقة، وكلّ حروف الاستفالة منفتحة».[4]. يقول "سيبويه" موظفا هذين المصطلحين: «ومنها (المُطْبَقَةُ والمُنْفَتِحَةُ)، فأمّا المُطْبَقَةُ فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والمُنْفَتِحَةُ: ما سِوَى ذلك من الحروف؛ لأنّك لا تُطْبِقُ لشيءٍ منهُنَّ لسانك ترْفعه إلى الحنك الأعلى»[5]، وممّن وظّف المصطلحين في تراثنا العربي القديم "ابن جنّي" يقول: «وللحروف انقسام آخر إلى الإطباق والانفتاح، فالمطبقة أربعة وهي: الضاد، والطاء، والصاد والظاء، وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق، والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطْبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنّه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه».[6]

إذن فالإطباق صفة من الصفات المميّزة بين الأصوات التي تشترك في أكثر من صفة، فلولا الإطباق مثلا لكانت "الطاء" "دالا" لاشتراكهما في الجهر والشدّة والإصمات والقلقلة، وقس على ذلك مع باقي أصوات الإطباق.

(1) ـ محمّد بن محمّد بن محمّد بن على بن يوسف بن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس، ص202.

(2) ـ محمود فهمي حجازي: المدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، دس، ص58.

(3) ـ وفاء كامل فايد: الباب الصرفي وصفات الأصوات دراسة في الفعل الثلاثي المضعّف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ/ 2001م ص ص 18- 19.

(4) ـ محمّد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياه، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص111.

(5) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص436 .

(6) ـ ابن جنّي: سر صناعة الإعراب، ج1، ص61.

ويقول "ابن جزري" في صدر البيت الرابع في "المنظومة الجزرية" التي وضعها وجمع فيها مخارج وصفات الحروف، متحدّثا عن هذه الصفة: «وَصَادُ ضَادُ طَاءُ ظَاءُ: مُطْبَقَهْ».[1]

وتجدر الإشارة هاهنا إلى نقطة مهمّة، وهي أنّ المقصود بالإطباق غير الطبق، فمصطلح الإطباق يختلف في معناه عن مصطلح الطبق؛ إذ أنّ: «الأوّل يشير إلى الصفة التي تحدثنا عنها، والثاني يشير إلى المخرج وهو الجزء الليّن من الحنك الأعلى، حيث مخرج الكاف والغين والخاء، فهذه الأصوات هي أصوات طبقية، ولكنّها ليست مطبقة».[2]، فـ "الغين" مثلا في الفصحى صوت طبقي؛ بمعنى أنّ مخرجها من منطقة الطبق ولكنّه ليس صوت مطبق، على عكس "الطاء" مثلا الذي هو صوت مطبق، ولكنّه ليس صوتا طبقيا.

ـ **مصطلحا: الاستعلاء والاستفال:** ويرجع الفضل في استخدام مصطلحي الاستعلاء والاستفال أو التسفّل لـ "سيبويه" وذلك في باب حديثه عن ظاهرة الإمالة والحروف التي تحول دون وقوعها يقول: «فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء، إذا كان حرف منها قبل الألف والألف تليه (...)، وإنّما منعت هذه الحروف الإمالة لأنّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى...».[3]، ويقول في موضع آخر في ذات السياق: «...فالانحدار أخفّ عليهم من الإصعاد (...) فلمّا كان يثقل عليهم [أن يكونوا] في حال تسفّلٍ ثمّ يصعّدون ألسنتهم أرادوا أن تقع ألسنتهم موقعا واحدا، فلم يحوّلوا السين لأنّهم انحدروا فكان الانحدار أحقّ عليهم من الاستعلاء من أن يصّعّدوا من حال التسفّل».[4]

ولقد سجّل مصطلحي الاستعلاء والاستفال كغيرهما من المصطلحات الصوتية المتعلّقة بصفات الأصوات حضورهما في التراث العربي، فـ "ابن جنّي" وهو من علماء القرن الرابع هجري نجده قد وظّف كلا المصطلحين، بيد أنّه استخدم مصطلح الانخفاض بدل عن مصطلح الاستفال ليدلّ بذلك على الأصوات التي ينخفض فيها اللسان عند خروج الحرف عن الحنك إلى قاع الفم، وهذه الوضعية تصدق على جميع حروف الهجاء عدا حروف الاستعلاء السبعة السابق ذكرها، وفي هذا الصدد نجده يقول: «أن تتصعّد في الحنك الأعلى فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وأمّا الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها، والحروف المستعلية على هذا سبعة وهي: الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض».[5]

([1]) ـ ابن جزري: منظومة المقدّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص3.

([2]) ـ غانم قدّوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م، ص ص116- 117.

([3]) ـ سيبويه: المصدر السابق، ج4، ص ص128- 129.

(1) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص130.

([5]) ـ ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص62.

ومن علماء القرن السادس والسابع هجري "ابن يعيش"(ت/643ه) إذ يورد في "شرح المفصّل" كلاما يوحي باستعماله لمصطلح الاستعلاء وذلك في سياق حديثه عن موانع الإمالة، يقول: «وتمنع الإمالة سبعة أحرف وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف، إذا وليت الألف قبلها أو بعدها،...».(1)

ـ **مصطلحا: الإذلاق والإصمات:** يُعَرّفُ "الإذْلاق" بأنّه: «سرعة النطق بالحرف بسهولة ويسر لخروجه من طرف اللسان والشفاة، أو هو الاعتماد على ذلق اللسان والشفة، أو هو خروج الحرف بسهولة ويسر».(2)، إذن فالإذلاق: هو الخفّة في الكلام، والنطق به بسهولة ويسر، من غير تكلفة أو ثقل يكون هنالك، ومصطلح الإذلاق أو كما يسمى أحيانا بحروف الذُلْقِ أو الذلاقة ليس من ابتكار "سيبويه" وإنّما يرجع الأصل في هذه التسمية لأستاذه "الخليل بن أحمد الفراهدي"، يقول هذا الأخير: «اعلم أنّ الحروف الذُلْقَ والشَّفَوِيَةَ ستّة وهي: ر ل ن، ف ب م، وإنّما سمّيت هذه الحروف ذُلْقًا لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللّسان والشفتين وهما مَدْرَجَتَا هذه الأحرف الستّة، منها ثلاثة ذليقة ر ل ن، تخرج من ذَلْقِ اللّسان من (طرف غار الفم) وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشّفتين خاصة...».(3)، وإذا كان كتاب "سيبويه" قد خلا من هذا المصطلح إلاّ أنّه تردّد في كتب اللغويين الذين جاؤوا من بعده أمثال "ابن جنّي"، يقول في معرض حديثه عن الإذلاق محدّدا حروفه الستّة التي جمعها العلماء في قولهم: "فر من لب"، يقول: «...ومنها حروف الذلاقة وهي ستة: اللام والراء والنون والفاء والباء والميم، لأنّه يُعْتَمَدُ عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه».(4)، ويقول بدوره "ابن جزري" في عجز البيت الرابع من
"المنظومة الجزرية" موظفا هذا المصطلح: «وَفَرَّ مِنْ لُبَّ: الحُرُوفُ المُذْلَقَهْ».(5)

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّه لا يجوز الخلط بين الأحرف الذلقية مخرجا، والمذلقة صفة؛ وإن كان كلاهما من وضع "الخليل"، إلاّ أنّ الأولى: لا تخرج إلّا من ذلق اللّسان، أمّا الأخرى: فمنها ما يخرج من ذلق اللسان، ومنها ما يخرج من ذلق الشفّة كما ذكرنا، ففي «صفة الذلاقة شمول وعموم، وفي مخرج الذلاقة تضيق وتحديد، والاتفاق في الاسم لا يوقع في اللبس عند التفرقة بين الصفة والمخرج».(6)

أمّا مصطلح الإصمات فهو الآخر من وضع "الخليل"، حيث أشار إليه مستخدما عبارة "الحروف الصُّتْمُ"، أمّا "ابن دريد" (ت/321ه) فلم ينسب المصطلح إلى "الخليل"، وإنّما ذكر رواية منقولة عن "الأخفش" في تفسير مصطلحي [مذلقة/ مصمتة] فقال: «وسمعت الأشْنانْداني يقول: سمعت الأخفش يقول: سَمَّيْتُ هذه الحروف مُذْلَقَةً لأنّ عملها في طرف اللّسان، وطرف كلّ شيء ذَلْقُهُ، وهي أخفّ الحروف وأحسنها

(1) ـ موفّق الدين بن علي بن يعيش النحوي: شرح المفصل، ج9، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دس، ص59.

(2) ـ السيّد أحمد عبد الغفّار: الكلمة العربية كتابتها ونطقها، ج2، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، ط2، 1426ه/2006م، ص24.

(5) ـ الفراهيدي: العين، ج1، ص51.

(4) ـ ابن جنّي: المصدر السابق، ج1، ص64.

(1) ـ ابن جزري: منظومة المقدّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص3.

(6) ـ صبحي الصّالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1430ه/ 2009م، ص ص283- 284.

امتزاجا بغيرها، وسمّيت الأُخَرَ مصمتة لأنّها أصمتت أن تختصّ بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان».[1]

والإصمات كما هو متداول عند اللغويين هو: «ثقل الحرف عند النطق به لخروجه بعيدا عن طرف اللسان والشفتين، أو هو امتناع الحروف المصمتة عن أن تختصّ ببناء كلمة في لغة العرب، وحروفه اثنان وعشرون حرفا، وهي الحروف المتبقّية من حروف الهجاء بعد استبعاد حروف الإذلاق».[2]

يفهم من خلال هذا التعريف أنّه لا توجد في العربية كلمات مكوّنة من أربعة أو خمسة أحرف أصلية جميع حروفها مصمتة، بل لابدّ أن يكون فيها حرف أو أكثر من حروف الذلاقة، وإلّا فذلك دليل قاطع على عجمتها في الغالب، وأنّها كلمة دخيلة على العربية وليست منها، يقول "ابن جنّي": «...فمتى وَجَدْتَ كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من بعض هذه الأحرف الستّة ـ أي المذلقة ـ فاقض بأنّه دخيل في كلام العرب، وليس منه (...) مثل: العَسْجَدْ...».[3]، ويضيف "مصطفى رجب" سببا مقنعا يمنع تركيب كلمة عربية من الأصوات المصمتة فقط دون المذلقة، فيقول: «وعلّة ذلك أنّ حروف الإصمات صعبة على اللسان، وحروف الإذلاق سهلة عليه، فمنعوا انفراد حروف الإصمات واشترطوا أن يكون معها حرف أو أكثر من حروف الإذلاق لتعادل خفّة المذلق ثقل الصمت».[4]

*** الصفات التي لا ضدّ لها في العربية**

ـ **مصطلح الصفير**: الصفير هو: «صوت زائد يخرج من بين الشفتين عند النطق بالصاد والسين والزاي، وهو صوت شبيه بصوت الطائر».[5]؛ وإنّما سمّيت حروف الصّفير كذلك لأنّك «تسمع لها عند النطق بها صوتا يشبه صوت بعض الطيور، فالصاد مثلا تشبه صوت الإوز، والزاي مثلا تشبه صوت النحل، والسين مثلا تشبه صوت
الجراد، وأقوى هذه الأحرف الثلاثة حرف الصاد لما فيه من استعلاء وإطباق».[6]

وأوّل من استعمل هذا المصطلح الصوتي من علمائنا العرب القدامى "سيبويه" وذلك في باب حديثه عن الإدغام، يقول: «وأمّا الصاد والسّين والزاي فلا تدعمهنّ في هذه الحروف التي أدغمت فيهنّ، لأنّهنّ حروف الصفير، وهنّ أنْدَى في السمع، وهؤلاء الحروف إنّما هي شديدٌ ورخْوٌ لسنٌ في السمع كهذه الحروف لخفائها».[7]

([1]) ـ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: جمهرة اللغة، ج1، تعليق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص22.

([2]) ـ السيّد أحمد عبد الغفّار: الكلمة العربية كتابتها ونطقها، ج2، ص24.

([3]) ـ ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص ص64- 65.

([4]) ـ مصطفى رجب: دراسات لغوية، ص259.

([5]) ـ صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، المكتبة الإسلامية، عمّان، الأردن، ط1، 1408هـ/ 1987م، ص71.

([6]) ـ شرف الدّين على الراجحي: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، ص48.

([7]) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص ص464- 465.

ومن العلماء العرب الأوائل أيضا الذين كان لمصطلح الصفير حضورا في مؤلفاتهم "أبو عمرو الدّاني" (ت/444ه) يقول: «وحروف الصفير ثلاثة: الصاد والزاي والسين، سمّيت بذلك لأنّك تسمع فيها شبيها بالصفير عند إخراجها من مواضعها»[1]، ومن علماء القرن الخامس الهجري الذين استعملوا المصطلح "القرطبي" (ت/461ه)، إذ نجده يقول: «سمّيت بذلك لشبه أجراسها بالصفير»[2]، أمّا "ابن يعيش"، فيقول في "شرح المفصّل" مستحضرا هذا المصطلح: «لأنّ صوتها كالصّفير، لأنّها تخرج من بين الثنايا وطرف اللّسان فينحصر الصوت هناك فيصفّر به».[3]

أمّا "الخليل بن أحمد الفراهيدي" فقد آثر استخدام مصطلح "أسلية" نسبة إلى أسلة اللسان، وهو مستدقّه كما سبقت الإشارة للدلالة على حروف الصفير الثلاثة، يقول: «والصاد والسين والزاي أسلية لأنّ مبدأها من أسلة اللسان»[4]، بيد أنّ هذا المصطلح الخليلي لم يكتب له الذيوع والانتشار قياسا بمصطلح "سيبويه" الذي شاع استعماله في المؤلفات والتصانيف اللغوية، كما كثر استعماله أيضا عند علماء التجويد والقراءات، يقول "ابن جزري" في "منظومة الجزرية" في صدر إحدى الأبيات مستعملا مصطلح الصفير: «صفيرها: صَادٌ وَزَايٌ سِينٌ».[5]

ـ مصطلح القلقلة: كان لـ "سيبويه" الفضل الأكبر في وضع هذا المصطلح وتحديد معالمه والمقصود به، يقول: «واعلم أنّ من الحروف حروفا مُشْرَبَّةً[*] ضُغِطَتْ من مواضعها، فإذا وَقَفْتَ خرج معها من الفم صُوَيتٌ، ونَبَا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلة».[6]

فالقلقلة بهذا المعنى: «اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكنا حتّى يُسْمع له نبرة قويّة، وحروفها خمسة مجموعة في قوله (قطب جد)، والسبب في هذا الاضطراب والتحريك شدّة حروفها لما فيها من جهر وشدّة، فالجهر يمنع جريان النفس، والشدّة تمنع جريان الصوت، فاحتاجت إلى كلفة في بيانها، ومراتب القلقلة ثلاثة، أعلاها الطاء وأوسطها الجيم وأدناها الباقي».[7]

كما أشار التعريف السابق كذلك إلى أنّ حروف القلقلة خمسة، غير أنّنا نجد "المبرد" مثلا في "المقتضب"، وهو واحد من علماء العرب القدماء الذين استخدموا هذا المصطلح يضيف إلى الخمسة حرف "الكاف" قائلا: «واعلم أنّ من الحروف حروفا محصورة في مواضعها، فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة، وإن تفقّدت ذلك وجدته فمنها: "القاف" و"الكاف" إلّا أنّها دون "القاف"، لأنّ

([1]) ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسي: التحديد في الاتقان والتجويد، تح: غانم قدّوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1421ه/ 2000م، ص107.

([2]) ـ عبد الوهاب بن محمد القرطبي: الموضح في التجويد، تح: جمال محمد شرف، دار الصحابة للتراث، مصر، ط1، 1416ه/ 2005م، ص55.

(5) ـ ابن يعيش: شرح المفصّل، ج10، ص130.

(6) ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص58.

(7) ـ ابن جزري: منظومة المقدّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص 3.

([*]) ـ الحروف المشربّة هي الحروف التي يخالطها التحريك الخفيف.

([6]) ـ سيبويه: المصدر السابق، ج4، ص174.

([7]) ـ فهمي علي سليمان: المنير الجديد في أحكام التجويد، دار النصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1410ه/ 1990م، ص56.

حصر القاف أشدّ، وإنّما تظهر هذه النبرة في الوقف، فإنّ وصلت لم يكن لأنّك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر، فحلّت بينه وبين الاستقرار، وهذه المقلقلة بعضها أشدّ حصرا من بعض».[1]، فالقلقلة حسب "المبرّد" تكون في الوقف أشدّ وأبين منها حين الوصل.

وقد كان لهذا المصطلح حضورا في تصانيف علماء القرن الخامس والسادس للهجرة، فها هو "الزمخشري" (ت/538ه) يعرّف القلقلة قائلا: «والقلقلة ما تحسّ إذا وقفت عليها من شدّة الصوت المتصعّد من الصدر مع الحفز والضغط»[2]، ويقصد "الزمخشري" بعبارة [المتصعّد من الصدر] إشارة إلى صفة الجهر الملازمة للنطق بالحرف المقلقل.

ـ **مصطلح اللين:** اللين هو: «إخراج الحرف بعد كلفة على اللسان، وحروف اللين: الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما نحو: خَوْفْ وبَيْتْ».[3]

بناء على هذا يمكن القول: إنّ حرف اللين هو حرف المدّ الساكن، المتحرك ما قبله بحركة لا تناسبه (من غير جنسه)، ويسقط من هذا الاعتبار الألف لمجانسة حركة الفتح لها؛ فهي حرف مدٍ لا لين.

ولعلّ مصطلح اللين من أكثر المصطلحات تداولا وحضورا في ترثنا اللغوي فها هو "سيبويه" نجده يقول: «ومنها (اللّينة) وهي الواو والياء، لأنّ مُخْرَجَهَا يتّسع بهواء الصّوت أشدّ من اتّساع غيرهما كقولك: وأيّ، والواو، وإن شئت أجريت الصوت ومددت»[4]، وفي ذات السياق يقول "المبرّد": «فمن حروف البدل حروف المدّ واللين المُصوّتة، وهي الألف والواو والياء، فالألف تكون بدلا من كلّ واحدة منهما؛ كما وصفت لك»[5]، ومن الذين استحضروا هذا المصطلح في كتاباتهم "ابن حنّي" يقول: « والحروف التي اتّسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثمّ الياء، ثمّ الواو، وأوسعها وألينها الألف ...».[6]، كما استعمل "ابن جزري" بدوره هذا المصطلح قائلا: «وحرفا اللين: الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما».[7]، وقبل هؤلاء تردّد هذا المصطلح عند "الخليل" وذلك في سياق حديثه عن أحرف الجوف، يقول: «في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صِحَاحًا لها أحيانًا ومدارج، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللّينة والهمزة، وسمّيت جوفا لأنّها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة، إنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تُنسب إليه إلاّ الجوف».[8]

([1]) ـ المبرّد: المقتضب،ج1، ص332.

(3) ـ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزّمخشري: المفصّل في علم العربية، تح: سعيد محمود عقيّل، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه/ 2003م، ص395.

([3]) ـ صبحي الصّالح: دراسات في فقه اللغة، ص283.

([4]) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص435.

(6) ـ المبرّد: المصدر السابق، ج1، ص199.

([6]) ـ ابن جنّي: سر صناعة الإعراب، ج1، ص8.

(1) ـ ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص204.

(2) ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص57.

ـ **مصطلح الانحراف:** تعود الأسبقية في استعمال هذا المصطلح لـ "سيبويه"، لأنّه هو واضع المصطلح والموضّح لحدوده، يقول: «ومنها (المنْحَرِفُ) وهو حرف شديد جرى فيه الصّوت لانحراف اللسان مع الصّوت، ولم يعترض على الصّوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو "اللام"، وإن شئت مددت فيها الصّوت، وليس كالرّخوة؛ لأنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع "اللام"، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان وفُوَيْقَ ذلك».[1]، ويقول "ابن جنّي" مستعملا هذا المصطلح: «ومن الحروف حرف منحرف؛ لأنّ اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدقّ اللسان عن اعتراضهما على الصوت، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين وممّا فويقهما وهو اللام».[2]

ـ **مصطلح التكرير:** يعرّفه "داود عبده" فيقول: «ويسمّى أيضا التردّد، وهو سمة يتّصف بها صوت واحد وهو الراء، وسمّيت الراء صوتا تكراريا؛ لأنّ طرف اللّسان يضرب أصول الأسنان العليا أو اللثة ضربات متكرّرة عند نطقها».[3]

والتكرير أو الحرف المكرّر هو من مصطلحات "سيبويه" أيضا، يقول: «ومنها (المكرّر) وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتَجَافَى للصّوت كالرّخوة، ولو لم يكرّر لم يجر الصوت فيه وهو الراء».[4]

وممّن وظّفوا المصطلح في كتبهم "المبرّد" يقول: «ومنها الراء، وهي شديدة، ولكنّها حرف ترجيع، فإنّما يجري فيها الصوت بما فيها من التكرير»[5]، ومن هؤلاء أيضا "ابن جنّي" الذي يقول: «ومنها المكرّر، وهو الرّاء وذلك أنّك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللّسان يتعثّر بما فيه من التكرير، ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين».[6]

ـ **مصطلح التفشّي:** يعرّفه "محمّد بن إبراهيم الحمد" مبيّنا حروفه واختلاف العلماء في ذلك بقوله: «وهو كثرة انتشار خروج الهواء بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بالحرف، وحرف التفشّي هو الشين فقط على المشهور، وبعضهم يجعله في الضاد والثاء والفاء، وبعضهم يقول: إنّ في الصاد والسين تفشّيا أيضا،
وكلّ ذلك غير مجمع عليه»[7].

واضع هذا المصطلح هو أبو النحو "سيبويه" يقول أثناء حديثه عن الإدغام: «والشين لا تدغم في الجيم، لأنّ

---

(1) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص435.
(2) ـ ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص63.
(3) ـ داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية، ج2، دار جرير للنشر والتوزيع، دب، دط، 1431هـ/ 2010م، ص43.
(4) ـ سيبويه: المصدر السابق، ص س.
(5) ـ المبرد: المقتضب، ج1، ص332.
(6) ـ ابن جنّي: المصدر السابق، ص س.
(7) ـ محمّد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياه، ص112.

الشين استطال مُخْرَجُها لرخاوتها حتّى اتّصل بمخْرج الطاء، فصارت منزلتها منها نحوًا من منزلة الفاء مع الباء، فاجتمع هذا فيها والتفشّي، فكرهوا أن يُدغموها في الجيم...».[1]

وممّن وظّف مصطلح التفشّي من علمائنا الأوائل "الدّاني" إذ يقول: «والمتفشّي حرف واحد وهو الشين، تفشّت في الفم لرخاوتها حتّى اتّصلت بمخرج الظاء، وكذلك الفاء تفشّت حتى اتّصلت بمخرج التاء، ولذلك تبدل منها، فيقال: جَدَفٌ وجَدَثٌ»[2]، وكذا "ابن جزري" الذي يقول: «وحروف التفشّي هو الشين اتفاقا، لأنّه تفشى في مخرجه حتّى اتّصل بمخرج الطاء...».[3]

ـ **مصطلح الاستطالة:** الاستطالة هي من مصطلحات "سيبويه"، جاء في "الكتاب" في باب الإدغام: «...ولا تُدغم في الصاد والسين والزاي لاستطالتها، يعني الضاد...»[4]، وجاء في "النشر" لـ"ابن جزري": «الحرف المستطيل هو الضاد؛ لأنّه استطال عن الفهم عند النطق به حتّى اتّصل بمخرج اللام، وذلك لما فيه من القوّة بالجهر والإطباق والاستعلاء».[5]

هذه إذن هي الصفات التي تحدّث عنها علماء الأصوات القدامى، وعددها سبعة عشر ـ كما ذكرنا ـ ؛ عشرة منها متضادة (خمسة ضدّ خمس)، وسبعة أخرى لا ضدّ لها، هذا وسنضيف إليها فيما سيأتي بعض الصفات الأخرى غير هذه المذكورة، تحدّث عنها بعض اللغويين وعلماء الأصوات ومنها:

ـ **مصطلح الغنّة (الأنفية):** "النون" و"الميم" صوتان أنفيان لا يخرجان من الفم، وإنّما مخرجهما هو الأنف، والدليل على ذلك أنّك لو أمسكت بأنفك عند النطق بهما لما ظهر الصوت، ولهذا تسمع مع صوت "النون" و"الميم" غنّة تتبعهما عند النطق بهما؛ فهما بهذا صوتان أنفيان يخرجان من الخيشوم، وهذا المصطلح من ابتكار "سيبويه" يقول: «ومنها حرفٌ شديد يجري معه الصّوت لأنّ ذلك الصوت غُنَّةٌ من الأنف، فإنّما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنّك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت، وهو النون وكذلك الميم»[6]، وهناك من اللغويين من يجعل هذا المصطلح لصوت واحد وهو النون الساكنة ومنهم "ابن جنّي" إذ يقول: «ومن الخياشم مخرج النون الخفيفة، ويقال الخفيفة أي الساكنة»[7]، ويقول في موضع آخر: «وَيَدُلُّكَ على أنّ النون الساكنة إنّما هي من الأنف والخياشم، أنّك لو أمسكت بأنفك، ثمّ نطقت بها لوجدتها مختلفة، وأمّا النون المتحرّكة فمن
حروف الفم، إلاّ أنّ فيها بعض الغنّة من الأنف».[8]

([1]) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص448.

([2]) ـ الدّاني: التحديد في الإتقان والتجويد، ص ص107- 108.

([3]) ـ ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص205.

([4]) ـ سيبويه: المصدر السابق، ج4، ص466.

([5]) ـ ابن جزري: المصدر السابق، ص س.

([6]) ـ سيبويه: المصدر السابق، ج4، ص435.

([7]) ـ ابن جنّي: سر صناعة الإعراب، ج1، ص48.

(1) ـ ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص 48.

ـ **مصطلح الهت/ المهتوتة:** اختلف علماء العربية القدماء في هذا المصطلح، وعلى وجه التحديد أيُّ الأصوات تطلق عليها هذه التسمية، حيث أطلقوها على أصوات ثلاثة؛ جعلها "الخليل" لصوت "الهمزة" «لأنّ الهَتَّ عنده هو الصوت الشديد، فسمّاها كذلك لخروجها من الصدر كالتهوّع فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد»[1]. وأطلقها كلّ من "سيبويه" و"ابن جنّي" على صوت "الهاء"، يقول: "ابن جنّي": «ومن الحروف المهتوت وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء»[2]، في حين جعلها آخرون أمثال "ابن الحاجب" صفة لصوت "الياء"، غير أنّ «الأكثر تحقيقا أنّ هذه الصفة جديرة بالهمزة لشدّتها أكثر من صوتي الهاء والياء».[3]

ـ **مصطلح الخفـاء:** وقد استخدم "سيبويه" هذا المصطلح وخصّه لثلاثة أحرف، يقول: «وهذه الثلاثة أخْفَى الحروف لاتّساع مُخْرَجِها، وأخفاهنّ وأوسعُهُنَّ مُخْرجًا: الألف، ثمّ الياء، ثمّ الواو».[4]

كما استخدمه "ابن جزري" وخصّه لأربعة أحرف. يقول: «والحروف الخفية أربعة: الهاء، وحروف المدّ، سُمّيت خفيّة لأنّها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها، ولخفاء الهاء قويت بالصلة وقويت حروف المدّ بالمدّ عند الهمزة».[5]

وأشدّ درجات "الخفاء" «حروف المدّ واللين، وورودها بعد "الهمزة" وكذلك قبلها والثانية أشدّ خفاءً، وعلى هذا فإذا جاور حرف مدّ ولين "الهمزة" خُفِيَ معها لضعفه وبُعد مخرجها»[6]، وأمّا الحرف الرابع وهو: "الهاء": «فتتقوّى بالصّلة وبالإشباع والحركة المصاحبة لها».[7]

ـ **مصطلح الهاوي:** لعلّ أوّل من استخدم هذا المصطلح هو "الخليل بن أحمد الفراهيدي" للتعبير عن مخرج الجوف، وفي هذا الصدد نجده يقول: «... والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيّز واحد، لأنّها هوائية في الهواء لا يتعلّق بها شيء، فَنُسِبَ كلّ حرف إلى مَدْرجته وموضعه الذي يبدأ منه».[8]

وممّن وظّفوا هذا المصطلح أيضا "سيبويه" يقول: «ومنها (الهاوي) وهو حرفٌ اتّسع الصوت مُخْرَجَهُ أشدّ من اتّساع مُخْرج الياء والواو، لأنّك قد تضمّ شَفَتَيْكَ في الواو، وترفع في الياء لسانك قِبَل الحَنَك، وهي الألف»[9]

([1]) ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص52.

([2]) ـ ابن جنّي: المصدر نفسه، ج1، ص64.

([3]) ـ عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص281.

([4]) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص436.

([5]) ـ حاتم صالح الضّامن: فقه اللغة، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007م، ص180.

([6]) ـ أبو العباس أحمد بن عمّار المهدويّ: في توجيه القراءات شرح الهداية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م ص224.

([7]) ـ أحمد بن أحمد بن محمّد عبد الله الطويل: فنّ الترتيل وعلومه، ج2، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ومكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1420هـ/1999م، ص593.

([8]) ـ الفراهيدي: المصدر السابق، ج1، ص58.

([9]) ـ سيبويه: المصدر السابق، ص س.

وفي ذات السياق يقول "المبرّد": «فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة، وهي أبعد الحروف، ويليها في البعد مخرج الهاء، والألف هاوية هناك»[1]، كما استعمل المصطلح "ابن جزري" أيضا قائلا: «وحروف المدّ هي الحروف الجوفية وهي الهوائية...».[2]

ب/ الصفات الصوتية العرضية:

يحيل هذا المصطلح إلى تلك الصفات التي قد يكتسبها الحرف في سياق كلامي ما ويفقدها في سياق آخر؛ بمعنى أنّ هذه الصفات غير ثابتة في الحرف، وهو إنّما يكتسبها حينما يكون بمحاذاة حرف معيّن أو حركة معيّنة أو كلاهما معا، ما إن يحدث تغيّر في هذا الحرف أو تلك الحركة أو كلاهما حتّى تسقط منه صفته العرضية، ويمكن أن نستدلّ على هذا النوع: بأحكام النون الساكنة والتنوين المختلفة ، وكذا أحكام الميم الساكنة، إضافة إلى هذه الصفات هناك صفة أخرى لا تقلّ أهمّية عن هذه الصفات المذكورة، ألا وهي صفتي "التفخيم والترقيق"، فكثير من العلماء واللغويين يدرجون مبحث "التفخيم والترقيق" ضمن الصفات الصوتية المتضادة وآخرون يدرجونه ضمن الظواهر الصوتية الوظيفية، وفي الحقيقة إنّ: "التفخيم والترقيق" صفتان صوتيتان متضادتان، وهما في الوقت ذاته ظاهرتان فونولوجيتان، وبسبب ضيق مساحة البحث سنقتصر هاهنا على مصطلحي: التفخيم والترقيق، وذلك من خلال الوقوف على مسألة حضور المصطلحين في تراثنا اللغوي العربي.

ـ **مصطلحي التفخيم والترقيق:** التفخيم هو: «سِمن يعتري الحرف فيمتلئ الفم بصداه»[3]، أمّا الترقيق فهو: «نحافة الصوت عند النطق بالحرف، فلا يمتلئ الفم بصداه، فيكون الحرف نحيفا في المخرج، رقيقا في الصفة»[4]، وهذا هو المعنى الذي نجده عند "ابن جزري" إذ يقول معرفا المصطلحين: «الترقيق من الرّقّة وهو ضدّ السمن، فهو عبارة عن إنحاف ذات الحروف ونحوله، والتفخيم من الفخامة، وهي العظمة والكثرة؛ فهي عبارة عن ربو الحرف وتسمينه، فهو التغليظ واحد، إلاّ أنّ المستعمل في الراء في ضدّ الترقيق هو التفخيم، وفي اللام التغليظ...»[5]، هذا ويمكن تقسيم حروف اللغة العربية بالنظر إلى تفخيمها أو ترقيقها إلى ثلاثة أقسام مجمع عليها وهي:[6]

1 ـ حروف مفخّمة دائما: وهي حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ)، وهذا القسم الصفتان ثابتتان فيها، لا تنفكّ عنها.

2 ـ حروف تفخّم تارة، وترقق تارة أخرى وهي: الألف المدّية، اللام، الراء، وأضيفت إليها غنّة الإخفاء. وهذا

(1) ـ المبرد: المقتضب، ج1، ص328.

(2) ـ ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص204.

(3) ـ مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1434هـ/ 2013م، ص 66.

(4) ـ أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل: فن الترتيل وعلومه، ج2، ص 611.

(5) ـ ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص90.

(6) ـ عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي: ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الجريسي للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص 76.

القسم الصفتان عرضيتان فيها، تعتريها أحيانا، وتنفكّ عنها أحيانا أخرى، وهو القسم المقصود في هذا البحث.

3 ـ **حروف مرققة دائما**، وهي الحروف الباقية. وهذا القسم الصفتان ثابتتان فيها، لا تنفكّ عنها أبدا.

وهذان المصطلحان كان لهما حضور بارز في التراث العربي، وتحديدا في الدرس اللغوي العربي القديم، بيد

أنّ استخدام هذين المصطلحين لم يكن بالمعنى الحقيقي السابق ذكره، فها هو "سيبويه" مثلا يستعمل مصطلح التفخيم ضمن تحديده للحروف التي تمثّل فروعا مستحسنة وأصلها من التسعة والعشرين، يقول: «وهي: النون الخفيفة، والهمز التي بين بين، والألف التي تُمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم يُعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم الصّلاة والزّكاة والحياة».[1]

وهناك من العلماء من استخدم مصطلح التفخيم للدلالة على مصطلح الاستعلاء حينا، وعلى مصطلح الإطباق حينا آخر، ومن هؤلاء "ابن جزري" يقول محدّدا أقوى الحروف استعلاء وأضعفها استفالا، وموظّفا هذا المصطلح: «ومنها الحروف المستفلة وضدّها المستعلية، والاستعلاء من صفات القوّة وهي سبعة يجمعها قولك: قظ خص ضغط وهي حروف التفخيم على الصواب، وأعلاها الطاء، كما أنّ أسفل المستفلة الياء، وقيل حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولا شكّ أنّها أقواها تفخيما...»[2]، في المقابل نجد "ابن جزري" من جهة أخرى يستخدم مصطلح التفخيم في غير محلّه، وذلك للتدليل على ظاهرة الفتح المقابلة لظاهرة الإمالة، يقول معرفا الفتح وموظّفا مصطلح التفخيم: «هو فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعد ألف أظهر، ويقال له التفخيم، وربّما قيل له النصب».[3]

يلاحظ من خلال هذا التعريف أنّ "ابن جزري" يجعل الفتح فيه مرادفا للتفخيم والنصب، فالتفخيم عند علماء الأصوات حينما يقترن بالترقيق يختلف عنه حينما يقترن بالإمالة؛ فالأول يقصد به صفة التفخيم المعروفة، والآخر يقصد به الفتح.

ويحذو حذو "ابن جزري" اللغوي "ابن يعيش" الذي يستخدم بدوره مصطلح التفخيم بدلا عن مصطلح الفتح، وذلك في سياق تبيان أيهما الأصل: الفتح أم الإمالة، يقول: «والتفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة، والذي يدلّ أنّ التفخيم هو الأصل أنّه يجوز تفخيم كلّ ممال ولا يجوز إمالة كلّ مفخم، وأيضا فإنّ التفخيم لا يحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب، والإمالة لغة بني تميم، والفتح لغة أهل الحجاز»[4]، وإلى نفس الاتجاه يذهب "ابن خالويه" في الحجّة، حيث نجده هو الآخر يوظّف مصطلح التفخيم عوضا عن

([1]) ـ سيبويه: الكتاب، ج4، ص432.

([2]) ـ ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص ص202- 203.

([3]) ـ المصدر نفسه، ج2، ص29.

([4]) ـ ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص54.

مصطلح الفتح، يقول: «والحجة لمن فخّم: أنّه أتى بالكلام على أصله ووجهه الذي كان له، لأنّ الأصل التفخيم، والإمالة فرع عليه».[1]

خاتمة:

نصل في نهاية هذه الورقة البحثية إلى استخلاص جملة من النتائج، يمكن رصدها في النقاط التالية:

ـ إنّ علم الأصوات علم عربي صرف، وضعه العرب القدماء واستنبطوا قواعده وأسسه وأحكامه ومصطلحاته، خدمة للقرآن الكريم وأدائه السليم.

ـ تعدّ قضيّة المصطلح من القضايا البارزة التي اعتنى بها علماؤنا العرب قديما وحديثا، وذلك لما للمصطلحات من أهمّية كبيرة في تيسير العلوم وتوضيح أفكارها، وإيجاد التقارب بين العلماء وتوفير الجهد على الباحثين.

ـ يمثّل الدرس اللغوي العربي القديم خطوة رائدة في العمل المصطلحي، الذي يشكّل قمّة حضارية من شأنها أن تعبّر عن إنتاجية اللغة العربية، وتميّزها بالإخصاب والتوليد والإبداع المتجدّد عبر محوري المكان والزمان.

ـ كان لمصطلحات "الخليل" ولعبقرية تلميذه "سيبويه" دور كبير في تجسيد المصطلح اللغوي عموما، والمصطلح الصوتي على وجه الخصوص، حيث يشكّلان نواة لوضع المصطلحات اللغوية لم يعرف لها تاريخ البشرية مثيلا من ذي قبل، إذ ليس من المبالغة أن نقول: إنّ المصطلحات المتعدّدة التي جاء بها "الخليل" و"سيبويه" سواء في علم الأصوات أو في غيره من العلوم العربية، هي المصطلحات التي شاع استعمالها ودورانها اليوم في الدرس اللغوي الحديث، ليشكّل ـ بهذا المعنى ـ القرن الثاني للهجرة المرحلة الحقيقية لنضج الدرس اللغوي العربي، والذي جسّد فعلا المنظومة الاصطلاحية العربية.

ـ تنحصر أغلب المصطلحات الصوتية التي وضعها علماؤنا الأوائل ضمن مجموعتين اثنتين، وذلك بالاعتماد في نحتها على معيارين أساسيين، هما الأداء والسياق، فالأداء يتمثّل في العمليات النطقية وما ينتج عنها من مصطلحات ذات علاقة إمّا بالمخرج الصوتي أو بصفته التمييزية، وأمّا السياق فيتجسّد أساسا من خلال التنوعات الصوتية للظواهر والملامح التركيبية أو فوق القطعية، وما ينجرّ عنها من دلالات ومعاني مختلفة باختلاف تأدياتها المتنوّعة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب (دس)، إعجاز القرآن، تح: أحمد السيّد أحمد صقر، (ط5)، القاهرة، مصر، دار المعارف.

([1]) ـ الحسين بن أحمد بن خالويه: الحجّة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص66.

2. ابن جزري، محمّد بن محمّد بن محمّد بن على بن يوسف (1427ه/ 2006م)، منظومة المقدّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، تح: أيمن رشدي سويد، (ط4)، جدّة، السعودية، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع.

3. ابن جزري، محمّد بن محمّد بن محمّد بن على بن يوسف (دس)، النشر في القراءات العشر، (دط)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

4. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (1413ه/ 1993م)، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، (ط2)، دمشق، سوريا، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

5. ابن خالويه، الحسين بن أحمد (1428ه/ 2007م)، الحجّة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، (ط1)، القاهرة، مصر ،عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة.

6. الدّاني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي (1421ه/ 2000م) التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، (ط1)، عمان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع.

7. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (2005م)، جمهرة اللغة، تعليق: إبراهيم شمس الدّين، (ط1)، ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

8. الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (1424ه/ 2003م)، المفصّل في علم العربية، تح: سعيد محمود عقيّل، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع.

9. ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي (1389ه/ 1969م)، سر الفصاحة، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، (دط)، مصر، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر.

10. سيبويه، أبو بشر بن عثمان بن قنبر (1402ه/ 1982م)، الكتاب، تح: عبد السلام محمّد هارون، (ط2)، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، الرياض، السعودية، دار الرفاعي.

11. ابن سينا، أبو الحسن بن عبد الله (دس)، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمّد حسّان الطّيان ويحي مير، (دط)، سورية، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

12. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (1401ه/ 1981م)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، (دط)، بغداد، العراق، الرشيد للنشر.

13. القرطبي، عبد الوهاب بن محمد (1416ه/ 2005م)، الموضح في التجويد، تح: جمال محمد شرف، (ط1)، ، مصر، دار الصحابة للتراث .

14. المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (1415ه/ 1994م)، المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، (دط)، القاهرة، مصر، دون ذكر دار النشر.

15. ابن يعيش، موفّق الدين بن علي النحوي (دس)، شرح المفصل، (دط)، مصر، إدارة الطباعة المنيرية.

ثانيا: المراجع:

16. أكرور مصطفى (1434هـ/ 2013م)، مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، (ط1)، الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع.
17. أنيس إبراهيم (دس)، الأصوات اللغوية، (دط)، مصر، مكتبة نهضة مصر.
18. البرازي مجد محمّد الباكير (1407هـ/ 1987م)، فقه اللغة العربية، (ط1)، عمان، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
19. برجشتراسر (1414هـ/ 1994م)، التطوّر النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، (ط2)، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي.
20. البركاوي عبد الفتّاح عبد العليم (1425هـ/2004م)، ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، (ط1)، القاهرة، مصر، الجريسي للطباعة والتصوير.
21. برهم منال عصام إبراهيم (1430هـ/ 2009م)، دراسة في اللغة العربية نماذج وأسئلة محلولة، (ط1)، عمان، الأردن، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
22. ثامر فاضل (1994م)، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، (ط1)، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي.
23. الجرجاني، علي بن محمد الشريف (1983م)، التعريفات، (دط)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
24. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (1990م)، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، (ط4)، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين .
25. حجازي محمود فهمي (دس)، المدخل إلى علم اللغة، (دط)، القاهرة، مصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
26. حركات مصطفى (دس)، الصوتيات والفونولوجيا، (دط)، الجزائر العاصمة، دار الأفاق.
27. حسّان تمّام (1418هـ/ 1998م)، اللغة العربية معناها ومبناها، (ط3)، القاهرة، مصر، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
28. الحمد غانم قدّوري (1427هـ/ 2006م)، ظواهر لغوية في القراءات القرآنية، (ط1)، عمان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع.
29. الحمد غانم قدّوري (1425هـ/2004م)، المدخل إلى علم أصوات العربية، (ط1)، عمان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع.
30. الحمد محمّد بن إبراهيم (1426هـ/ 2005م)، فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياه، (ط1)، الرياض، السعودية، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع.
31. الخولي محمّد علي (1402هـ/ 1982م)، معجم علم الأصوات، (ط1)، دب، مطابع الفرزدق التجارية.
32. الراجحي شرف الدّين علي (2012م)، في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، (دط)، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع.

33. رجب مصطفى (1429هـ/ 2008م)، دراسات لغوية، (ط1)، دب، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.
34. زرقة أحمد (1993م)، أسرار الحروف، (ط1)، دمشق، سورية، دار الحصاد للنشر والتوزيع.
35. السحيمي سلمان بن سالم بن رجاء (1415هـ/ 1995م)، إبدال الحروف في اللهجات العربية، (ط1)، السعودية، مكتبة الغرباء الأثرية.
36. سليمان فهمي علي (1410هـ/ 1990م)، المنير الجديد في أحكام التجويد، (دط)، القاهرة، مصر، دار النصر للطباعة والنشر.
37. سيف صلاح صالح (1408هـ/ 1987م)، العقد المفيد في علم التجويد، (ط1)، عمان، الأردن، المكتبة الإسلامية.
38. الصّالح صبحي (1430هـ/ 2009م)، دراسات في فقه اللغة، (ط3)، بيروت، لبنان، دار العلم للملاين.
39. الضّامن حاتم صالح (1428هـ/2007م)، فقه اللغة، (ط1)، القاهرة، مصر، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة.
40. عبد الجليل عبد القادر (1418هـ/ 1998م)، الأصوات اللغوية، (ط1)، عمان، الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع.
41. عبد الغفّار السيّد أحمد (1426هـ/2006م)، الكلمة العربية كتابتها ونطقها، (ط2)، الأزاريطة، مصر، دار المعرفة الجامعية.
42. عبد الله الطويل أحمد بن أحمد بن محمّد (1420هـ/1999م)، فنّ الترتيل وعلومه، (ط1)، الرياض، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ومكتبة الملك فهد الوطنية للنشر.
43. عبده داود (1431هـ/ 2010م)، دراسات في علم أصوات العربية، (دط)، دب، دار جرير للنشر والتوزيع.
44. فايد وفاء كامل (1422هـ/ 2001م)، الباب الصرفي وصفات الأصوات دراسة في الفعل الثلاثي المضعّف، (ط1)، القاهرة، مصر، عالم الكتب .
45. الكفوي، أبو البقاء (1992م)،الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، (دط)، دمشق، سوريا، مؤسسة الرسالة.
46. المتولّي صبري (1429هـ/ 2008م)، دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، (دط)، القاهرة، مصر، زهراء الشرق.
47. مجمع اللغة العربية (1426هـ/ 2005م)، المعجم الوسيط، (ط4)، القاهرة، مصر، مكتبة الشروق الدولية.
48. أبو مغلي سميح وآخرون (1420هـ/ 2000م)، دروس في علوم العربية، (ط1)، عمان، الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
49. ابن منظور، جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري (1426هـ/ 2005م)، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

50. المهدويّ، أبو العباس أحمد بن عمّار (1427هـ/2006م)، في توجيه القراءات شرح الهداية، (ط1)، عمان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع.

51. مونين جورج (1972م)، تاريخ علم اللغة من نشأتها حتى القرن العشرين، تر: بدر الدّين القاسم، (دط)، سورية، مطبعة جامعة دمشق.

52. أبو الهيجاء خلدون (1426هـ/ 2006م)، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، (ط1)، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث ، عمان، الأردن، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع.

جريمة ترك العاجز المعاق أوتعريضه للخطر في قانون العقوبات الجزائري

أ. بوبكر صبرينة
جامعة محمد الشريف مساعدية/ سوق أهراس

ملخــص

يرتبط تعرض الاشخاص ذوو الاعاقة للاعتداء بجميع أشكاله ارتباطا مباشرا بالعوامل التي تزيد من اعتمادهم على الآخرين نتيجة العجز البدني أو العقلي الذي يفقدهم القدرة على حماية أنفسهم، فقد يكونون هدفا لأشخاص أجانب عنهم، كما قد يعتدي عليهم اشخاص مقربون اليهم ممن عهد إليهم رعايتهم، لذلك تعمد المشرع الجزائري تجريم أي فعل قد يؤدي إلى المساس بحقهم في الحياة وسلامتهم، من خلال التنصيص على جريمة ترك العاجز أو تعريضه للخطر.

الكلمات المفتاحية: العاجز- المعاق- قانون العقوبات الجزائري- جريمة الترك أو التعريض للخطر.

Summary

The vulnerability of persons with disabilities to all forms of abuse is directly related to factors that increase their dependence on others as a result of physical or mental disability, which deprives them of the ability to protect themselves. They may be targeted by persons who are foreign to them and may be attacked by persons close to them who are cared for. The Algerian legislator criminalizes any act that may prejudice their right to life and safety, by referring to the crime of leaving the helpless or endangering it.

مقدمــة

تجمع التشريعات الجزائية على تجريم الأفعال التي تمس بحياة المعاق جسديا أو عقليا وتمس بسلامة جسده، وذلك على غرار غيره ممن لا يعانون الاعاقة، إلا أن الشخص المعاق قد يكون أكثر عرضة من غيره من الأسوياء لبعض صور السلوك الاجرامي التي قد تشكل تهديدا على حياته أو سلامة جسده، وأهم صور السلوك الجرمي المقصود في ذلك هو ترك العاجزين (المعاقون جسديا أو عقليا) أو تعريضهم للخطر. فالعجز مرتبط بحالة الاعاقة التي يعاني منها الشخص سواء كانت هذه الاعاقة عقلية أو حسية أو حركية، فتجعله في حاجة دائمة ومستمرة إلى رعاية الآخرين ومساعدتهم، الأمر الذي جذب المشرع الجزائري ليحيط هذه الفئة الضعيفة بحماية جنائية خاصة بجعلها محلا لجريمة ترك العاجز أو تعريضه للخطر، والتشديد في العقوبة إذا ما ارتكب الجرم من المقربين من العاجز المعاق، تنبيها لهم على ضرورة الالتزام بالرعاية والحفاظ على سلامة من هم تحت سلطتهم أو رعايتهم من المعاقين، باعتبارهم قيمة اجتماعية هامة والمساس بهم يعتبر مساس بأمن وسلامة المجتمع بأسره. وعليه، ونظرا لأهمية الموضوع، وقلة الدراسات التي تناولت هذه الجريمة التي محلها العاجز بالدراسة، ارتأينا أن نقسمه إلى مبحثين، حيث خصصنا المبحث الأول لدراسة الطبيعة القانونية لهذه الجريمة والتي تساعد على كشف الظروف المحيطة بالعاجز المعاق

والتي شدت انتباه المشرع وقرر على إثرها احاطته بحماية جزائية خاصة، أما المبحث الثاني فخصصناه لدراسة اركان الجريمة والعقوبات المقررة لها، وعليه تأتي خطة البحث كالتالي:

المبحث الأول: الطبيعة القانونية لجريمة ترك العاجز المعاق أو تعريضه للخطر.

المبحث الثاني: أركان جريمة ترك العاجز المعاق أو تعريضه للخطر.

المبحث الأول: الطبيعة القانونية لجريمة ترك العاجز المعاق أو تعريضه للخطر

نص المشرع الجزائري في المادة 314 من قانون العقوبات على جريمة ترك الاطفال والعاجزين وتعريضهم للخطر، إلا أنه وبحكم أن موضوع الدراسة متعلق بالأشخاص المعاقين، فسوف نركز في تحليلنا لهذه الجريمة على الضحية المعاقة.

ويأخذ الفعل في هذه الجريمة صورة ترك العاجز أو تعريضه للخطر[1]، فمن خلال هذه الجريمة يسعى المشرع إلى معاقبة الشخص المكلف برعاية شخص غير قادر على حماية نفسه بسبب حالته البدنية أو العقلية، ويتطلب – نتيجة لذلك-، العلاج والعناية، فلا يؤمن له هذه الحماية[2]، وهي جريمة شكلية ونموذج الركن المادي فيها هو سلوك مجرد لا يترتب عليه وفقا لنموذج التجريم والعقاب المنصوص عليه بالمادة 314 عقوبات جزائري حدوث تغيير مادي في المحيط الخارجي، فهي جرائم السلوك المحض[3]، فالمشرع يعاقب على السلوك قبل حتى أن يعتدي هذا السلوك على القيمة المحمية قانونا[4].

فالمشرع هدفه معاقبة الفاعل قبل حتى ما يتحقق هذا الخطر، وقد أكدت ذلك محكمة الجنايات لمحكمة النقض الفرنسية، على أن الواقع على الضحية من طبيعة ستسبب له ضررا خطيرا، فليس مشترط أن يكون هذا الفعل قد حصل فعلا، ولا أن تكون الخسارة أيضا قد حصلت بالفعل، فجرائم تعريض شخص للخطر جوهرها تعريض السلامة الجسدية أو النفسية للضحية إلى الخطر[5].

وفي الحقيقة قد ثار خلاف في الفقه الجزائي حول ما يسمى بالجرائم الايجابية بطريق الترك " الامتناع"، وهي الجرائم التي يفترض وقوعها بفعل ايجابي، في حين يتخذ الجاني من السلوك السلبي وسيلة لارتكابها[6].

وقد كان موقف الفقه والقضاء الفرنسي سلبيا من جرائم الامتناع أو الترك، ففي قضية شهيرة تعرف بقضية "مونييه"، والتي لم يجادل الفقه والقضاء على عدم قيام الجريمة لانتفاء القصد، انما لان الامتناع لا يصلح أساسا للنشاط المادي للجريمة. وتتلخص وقائع القضية في أن شخصا ترك أخته البالغة والمصابة بعاهة عقلية لسنوات طويلة حبيسة في حجرتها لا يدخلها الضوء ولا الهواء، ترتدي ملابس رثة، وعلى حال من القذارة والبؤس لا توصفان، حتى أصبحت حياتها مهددة بالخطر، واعتبرت محكمة أول درجة في " بواتيه" هذا الموقف السلبي من جانب الاخ مكون لجريمة الضرب والايذاء، التي تنص عليها المادة 311 من

---

[1]- أحسن بوسقيعة، شرح قانون العقوبات القسم الخاص، دار هومة، الجزائر، الجزء الأول، سنة 2002، ص 179.

Nelly Jousserand , la protection pénale des personnes handicapées, DEA de droit pénal et sciences criminelles, université de Bordeaux, France, 2003/2004, p. 4.

[3]- بشير سعد زغلول، المسؤولية الجنائية عن القتل العمد بالامتناع – بين النظرية و التطبيق عود على بدء بمناسبة حكم محكمة الجنايات في قضية القرن- دار النهضة العربية، القاهرة –مصر-، سنة 2016، ص1.

[4] -Nelly Jousserand, DEA.p.cit.p.39.

[5] -Ibid.p.39.

[6]- أمجد محمد فالح الأحمد، المرجع السابق، ص 27.

قانون العقوبات الفرنسي، وقررت أن هذه الجريمة كما ترتكب بفعل، فقد ترتكب بالامتناع، بيد أن محكمة الاستئناف لم تأخذ بوجهة النظر هذه، بل قضت بأن الجريمة التي تقرها المادة 311 عقوبات فرنسي لا تقوم الا مستندة إلى فعل ايجابي، فإن مسلك المتهم وإن كان مسلكا معيبا يستوجب أشد أنواع المآخذة، إلا أنه مع هذا لا يقع تحت طائلة قانون العقوبات، ومن ثم وجدت المحكمة نفسها مضطرة إلى الحكم بالبراءة. وقد أيد الفقه والقضاء الفرنسي هذا الحكم، فاضطر المشرع الفرنسي الى التدخل لأول مرة واصدر في 25 جوان 1945 المرسوم رقم 45-1391[1] ، فوضع نصا اعتبر من خلاله الامتناع عن بذل المعونة للأشخاص الواقعين في خطر، جريمة قائمة بذاتها، ثم تدخل المشرع الفرنسي مرة أخرى وقرر بموجب نص المادة 63[2] عقوبات فرنسي، أن من يستطيع بفعله المباشر وبدون أن يعرض نفسه أو غيره للخطر منع جناية أو جنحة ضد سلامة الشخص البدنية ويمتنع عمدا عن اتيانها، يعرض للحبس من شهر (1) إلى خمس (5) سنوات[3].

وفي قانون العقوبات الفرنسي الحالي نص في الفصل الثالث منه بعنوان: تعريض الشخص للخطر وفي القسم الثاني منه بعنوان: ترك الاشخاص غير القادر على الحماية، اين نص على الترك في أي مكان لشخص غير قادر على حماية نفسه بسبب سنه أو حالته البدنية أو العقلية، يعاقب بالحبس خمس (5) سنوات وبغرامة 7500 أورو[4] ونص في القسم الثالث من ذات الفصل على منع المساعدة وإغفال تقديم الاغاثة ، فنص على حالة الامتناع عن منع قيام جريمة أو جنحة[5]، وايضا نص على حالة الامتناع عن تقديم المساعدة لشخص في حالة خطر[6] في الفصل السادس من قانون العقوبات الذي جاء بعنوان: جمعيات الاشرار ومساعدة المجرمين، بينما نص على جريمة ترك الاطفال والعاجزين وتعريضهم للخطر في القسم الثاني من قانون العقوبات، ضمن الفصل الثاني من الجنايات والجنح ضد الاسرة والآداب العامة، من الباب الثاني المتعلق بالجنايات والجنح ضد الافراد.

نلاحظ أن الترتيب بالنسبة للمشرع الفرنسي، الذي أدرج جرائم الامتناع والترك ضمن الجرائم ضد الاشخاص، وهو ترتيب منطقي، لأنها تهدف جميعها إلى حماية الحق في الحياة للأشخاص، بينما نجد المشرع الجزائري نص على جرائم الامتناع ضمن جرائم الأمن العمومي، وجرائم الترك ضمن الجرائم ضد الافراد، وقد يفهم من ذلك عدم أخذ المشرع الجزائري بفكرة أن الجرائم السلبية لا تقوم إلا اذا كان هناك التزام تعاقدي أو قانوني من جهة الممتنع تجاه الضحية ويرى أن جرائم الامتناع يقرر المسؤولية الجزائية في حق من أخل بإلزام قانوني يتمثل في الحفاظ على الامن العمومي، كما لاحظنا أن المشرع الفرنسي والجزائري

[1] -Ordonnance N45-1391 du 25 Juin 1945, concernant le concours des citoyens à la justice sur le cite web : http://www.legifrance.gov.fr le 11/10/2017 à 13 :45 et la sécurité

[2] - عدلت المادة من قانون العقوبات الفرنسي سنة 1945 وحلت محلها المادة 223-6 الفقرة 2 من قانون العقوبات الفرنسي الحالي.

[3] – الجريمة بالامتناع أو الترك، متوفر على الموقع التالي:
www.mohamah.net بتاريخ 2016/03/13 على الساعة 23:53

[4] –المادة 223–3 من قانون العقوبات الفرنسي.

[5] – المادة 223–6 الفقرة 1 من قانون العقوبات الفرنسي.

[6] – المادة 223–6 الفقرة 2 من قانون العقوبات الفرنسي.

يفصل بين جرائم الترك وجرائم الامتناع، حيث نص المشرع الفرنسي على جرائم الترك في قسم خاص وضمن ومواد خاصة[1] ونص على جرائم الامتناع في قسم خاص ايضا ضمن مواد خاصة[2]، نفس الشيء بالنسبة للمشرع الجزائري، نص على جريمة الامتناع بموجب المادة 182 عقوبات جزائري، وجريمة الترك بنص المادة 314 عقوبات جزائري.

وتشترك جرائم الامتناع مع جرائم الترك في كونها جرائم شكلية أين يعاقب عليها المشرع لطبيعة واهمية السلوك مقارنة بأهمية المصلحة المحمية، وعليه ليس على قاضي الموضوع اثبات وجود الخطر، إذ أن المشرع لم يصرح بذلك في فرض التجريم، بينما جرائم الترك هي من جرائم الخطر الفعلي، والتي رأى فيها المشرع أن اتيان السلوك من شأنه أن يهدد المصلحة القانونية بالخطر، وهذه الفروض ما ورد بنص المادة 314 عقوبات جزائري، التي تعاقب من ترك وعرض للخطر عاجزا غير قادر على حماية نفسه بسبب حالته البدنية أو العقلية، ففي هذه الحالات تطلب المشرع ضرورة وجود خطر فعلي أين يكون على قاضي الموضوع في هذه الحالة أن يتأكد منه، وعند عدم الاثبات لا يصار لاعتبار الفعل جريمة[3] ، والشخص غير القادر على حماية نفسه هو بالضرورة شخص ضعيف يحتاج إلى حماية جنائية خاصة وللضعف علاقة بالإعاقة، إذ هو أحد المراحل السابقة لها، فينتج عنه اعاقة جسدية أو عقلية أو الاعاقتين معا، والتعريض للخطر، هو نبذ، ابعاد، أو ترك أي شخص غير قادر على حماية نفسه في وضع أو مكان لا يوجد فيه من يتولى معونته أو رعايته قانونا[4]، وقد أخذ المشرع بحالة ضعف الضحية الجسدي والعقلي كعنصر مكون لهذه الجريمة، وشدد العقوبة بحسب جسامة النتيجة المترتبة عليها، وايضا شدد هذه العقوبة بالنظر الى العلاقة الخاصة التي تربط الجاني بالضحية، كأن يكون أحد أصوله أو من المتولين رعايته أو لهم سلطة عليه[5]، وتشديد العقوبة في الحالة الاخيرة يرجع إلى العلاقة الخاصة التي تربطهم بالضحية سواء تمثلت في السلطة، أو في التربية والتوجيه والملاحظة، أو القيام بواجبات خدمتها، ومن ناحية أخرى، أن هذه العلاقة الخاصة تخلق نوعا ما الالفة بين الجاني والضحية، وتولد لديها ثقة فيهم، تباعد بينها وبين فكرة اتخاذ واجبات الحيطة والحذر منهم، وبارتكاب هذه الجريمة، يكون الجاني قد أساء استعمال سلطته أو خان الثقة الموضوعة فيه، وأخل بواجبه في المحافظة على الضحية، مما يكشف عن خطورة اجرامية تستوجب تشديد العقاب فيه[6].

أما الفقه الجنائي فيحدد ثلاث خصائص للبحث في عجز الشخص لتكون سببا لحماية خاصة وهي:

1- يجب أن تكون حالة الضعف ظاهرة ومعروفة لمرتكب الجرم وهذا شرط محدد ومنصوص عليه لتشديد العقوبة.

---

[1]– المواد223 –3 و 223–4 من قانون العقوبات الفرنسي.

[2]– المواد 223–5 و 223–7–1 من قانون العقوبات الفرنسي.

[3]– محروس نصار الهيتي، النظرية العامة للجرائم الاجتماعية، مكتبة السنهوري ومنشورات زين الحقوقية، بغداد– ،الطبعة الاولى سنة 2011، ص 53

[4] – ممدوح خليل البحر، الجرائم الماسة بحق الطفل في الحياة و السلامة البدنية، مجلة الحقوق، كلية الحقوق، جامعة الاسكندرية –، العدد الثالث، السنة السابعة و العشرون، سنة 2003، ص 227.

[5]– أنظر المادة 315 من قانون العقوبات الجزائري.

[6] – سعد أحمد سلامة: أثر العلاقة بين الجاني و المجني عليه في المسؤولية الجنائية للجاني، مجلة كلية الدراسات العليا، اكاديمية شرطة دبي، ص 15.

2- هي حالة محددة في وضعية معينة، كون الشخص ضعيفا بطريقة مؤكدة ونهائية في كل الحالات، على وجه التحديد عندما ينص القانون على أن الشخص الضعيف هو الشخص غير القادر على حماية نفسه اذا فالشخص المعاق لا يعتبر شخصا ضعيفا، إلا إذا لم تكن لديه الوسائل ليؤمن بها لنفسه الحماية.

3- حالة الضعف ممكن أن تختلف من تجريم لآخر، كما أن مصطلح " عدم القدرة الجسدية والعقلية" المستعملة في بعض النصوص القانونية هي اكثر تقييدا من مصطلح " الحالة الجسدية أو العقلية".

وأورد المشرع لفظ " عاجزا غير قادر على حماية نفسه بسبب حالته البدنية أو العقلية" في إشارة واضحة للأشخاص المعاقين جسديا أو عقليا ومن في حكمهم كالمسنين مثلا، ولم ينص على أن تكون حالته ظاهرة ومعلومة للفاعل ورغم ذلك فهناك إلزام بالبحث عن العلم بحالة الاعاقة من طرف الفاعل فهو أمر ضروري ولا مجال للحديث عن "يفترض انه مذنب"، فلابد من اثبات أن الفاعل لم يكن يجهل حالة إعاقة الضحية، وهذا ما أيدته المحكمة الجنائية الفرنسية في قرار لها في قضية تتعلق بتعريض القصر لحالة الخطر، أين تم المطالبة بتطبيق " افتراض إذناب الفاعل" فرفضت المحكمة الطلب وألزمت الدفاع بضرورة ثبوت علم الفاعل بسن الضحية على أنه قاصر غير قادر على حماية نفسه، وهذا يرجعنا إلى الضرورة علم الفاعل بحالة الضحية، حتى في حالة " الضحايا غير القادرين على حماية أنفسهم" بسبب الاعاقة أو العجز البدني أو العقلي ويتضح ذلك عندما شدد المشرع الجزائري العقوبة على الفاعل الذي يكون من أصول العاجز أو ممن لهم سلطة عليه أو ممن يتولون رعايته، لعدة أسباب وأهمها كونهم المسؤولون عن حفظ سلامته –كما أشرنا سابقا-، والسبب الثاني كونهم يعلمون بحالة العاجز وانه غير قادر على حماية نفسه.

المبحث الثاني: أركان جريمة ترك العاجز المعاق أوتعريضه للخطر

حرص المشرع الجزائري على توفير حماية جنائية خاصة لمجرد تعريض حياة العاجز للخطر، وذلك بموجب المواد من 314 إلى 319 من قانون العقوبات الجزائري، فباستطلاع هذه المواد يمكن القول أن المشرع الجزائري فرق في هذه الجريمة بين ترك العاجز في مكان خال ومكان غير خال، وشدد العقوبة عن ما ينتج عن ذلك من أضرار للمعاق العاجز، كما شدد أيضا في العقوبة اذا كان مرتكب الفعل أحد أصول المعاق العاجز أو من لهم سلطة عليه، أو ممن يتولون رعايته.

ويمكن التخلي عن المعاق العاجز جسديا أو عقليا من خلال تركه دون مأوى، ودون رعاية، أو الامتناع عن مساعدته رغم تواجده في حالة خطر، والتخلي هذا من شأنه تعريض حياة المعاق للخطر، لما ينتج عن ذلك من تهديد لحياته بالموت، أما التعريض للخطر، فهو نبذ، إبعاد، أو ترك أي شخص معاق عاجز عن حماية نفسه في وضع أو في مكان لا يوجد فيه من يتولى اعانته أو رعايته قانونا[1].

أولا- الركن المادي

[1]– محمود خليل البحر: المرجع السابق، ص 227.

قرر المشرع الجزائري حماية الاشخاص العاجزين بسبب الحالة البدنية والعقلية، حماية جنائية خاصة لمجرد تعريض حياتهم للخطر وهو العمل الشكلي للتخلي عن هذا العاجز المعاق، الذي يعد عملا منافيا لواجب الرعاية والحضانة بالنسبة للأطفال المعاقين، كما يعاقب على الفعل الذي يعرض صحة العاجز المعاق للخطر[1]، والتوفيق بين هذين الاعتبارين يتم من خلال التمييز في العقوبة بحسب المكان الذي يترك فيه العاجز المعاق، فالركن المادي لهذه الجريمة يتمثل في الترك أو التعريض للخطر، حيث يكفي ترك العاجز المعاق أو تعريضه للخطر في مكان ما ولو تم ذلك على مرأى الناس، ويمكن وصف هذه الجريمة بأنها تهرب من الالتزامات المترتبة على الحضانة والرعاية، أما حمل الغير على ترك العاجز المعاق أو تعريضه للخطر، فهو وجه من أوجه التحريض ويشكل جريمة يعاقب عليها القانون، كما عاقب على هذا الفعل في حد ذاته[2]، وعليه لا يتصور بحث العلاقة السببية في هذه الجريمة، لان ذلك يكون في الجرائم ذات النتيجة التي يمكن أن تنفصل عن سلوك الجاني، وهذا غير متصور في جرائم الخطر المفترض على غرار جريمة ترك العاجز أوتعريضه للخطر، لعدم وجود دلالة مادية لنتيجتها يمكن اسنادها الى سلوك الفاعل، فالجريمة الايجابية بالامتناع اذا، لا يمكن تصورها إلا بالنسبة للجرائم ذات النتيجة بمعنى الضرر لا يكفي لمساءلة شخص عن جريمة تامة أن يكون قد أقر سلوكا، بل لابد أن يكون سلوكه سببا في إحداث النتيجة.

ثانيا- الركن المعنوي

استخدام المشرع عبارة "...يعاقب لمجرد هذا الفعل..." أين جرم ترك هذه الفئة الضعيفة فحصر الخطورة الاجرامية في العنصر المادي، وعليه يبني القاضي الجزائي اقتناعه بضرورة وضع الفعل على حساب فرد معين قام بالسلوك دون اشتراط توافر نية العدوان ولا نتيجة معينة، يستهدف الجاني تحقيقها من خلال عمل الترك او التعريض للخطر[3]، إلا أن المشرع قرر تشديد العقوبة إذا ما توفر القصد الجنائي في الفاعل من خلال علمه بان ما يقدم عليه مجرما قانونا، ومع ذلك تتجه إرادته إلى إحداث نتيجة معينة وهي القتل، فاعتبرها المشرع جريمة قتل للأصول إذا كانت الضحية من أصول الجاني، وايضا اعتبرها جريمة قتل عمد اذا اقترن الفعل بسبق الاصرار والترصد[4].

ثالثا- العقوبات

تختلف العقوبة في جريمة ترك العاج المعاق أو تعريضه للخطر حسب الظروف المكانية لارتكاب الجريمة، وما ترتب عنها من نتائج، وأيضا صلة الجاني بالضحية[5].

*** ترك العاجز المعاق في مكان خال من الناس[6]**

1– أحسن بوسقيعة: المرجع السابق، ص 180.

2– أحسن بوسقيعة: المرجع نفسه، ص 180.

3– أنظر المادة 318 من قانون العقوبات الجزائري.

4– أنظر المادة 318 من قانون العقوبات الجزائري.

5– أنظر المواد من 314 إلى 317 من قانون العقوبات الجزائري.

6– أنظر المادتان 314 و 315 من قانون العقوبات الجزائري.

تتحكم في تحديد المكان الخالي عدة عوامل، يأتي العامل الجغرافي على رأسها، وتليه الظروف، وأخيرا حظوظ إنقاذ العاجز المعاق، حيث أن كلا من المشرع الجزائري والفرنسي لم يحددا المقصود بالتعريض للخطر، ولا الحالات التي تعد تعريضا للخطر[1]، وتعاقب المادة 314 في فقرتها الاولى على هذه النتيجة بالحبس من سنة الى ثلاث سنوات، وتشدد من هذه العقوبة لتوافر الظروف التالية:

-إذا نشأ عن الترك أو التعريض للخطر مرض أو عجز كلي لمدة تتجاوز20 يوما بالحبس من سنتين غلى خمس سنوات، والملاحظ أن المشرع في هذا الظرف أخذ بهذه المدة كمعيار للتمييز بين درجات خطورة الجريمة خلافا لما اخذ به في جرائم العنف، والتي تحدد المدة فيها ب 15 يوما[2].

-إذا حدث للعاجز المعاق بتر أو عجز في أحد الاعضاء أو أصيب بعاهة مستديمة، تشدد الجنحة لتصبح جناية وتقرر لها عقوبة السجن من خمس سنوات إلى عشر سنوات.

-إذا تسبب الترك أو التعريض للخطر في الموت، تكون الجريمة جناية وعقوبتها السجن من عشر سنوات الى عشرون سنة.

كما تشدد العقوبة بالنظر الى صفة الجاني، اذا كانوا من الاصول او ممن لهم سلطة على العاجز المعاق، أو ممن يتولون رعايته، ترفع القوبة المقررة قانونا درجة واحدة، فتكون كالتالي[3]:

-الحبس من سنتين الى خمس سنوات، اذا نشأ عن الترك أو التعريض للخطر عجز كلي لمدة تتجاوز 20 يوما.

-السجن من خمس سنوات الى عشر سنوات اذا ما نشأ عن الترك أو التعريض للخطر مرض أو عجز كلي لمدة تتجاوز 20 يوما.

-السجن من عشر سنوات الى عشرون سنة اذا ما حدث للعاجز المعاق مرض او عجز في احد الاعضاء او اصيب بعاهة مستديمة.

-السجن المؤبد اذا تسبب الترك او التعريض للخطر في موت العاجز المعاق.

***ترك العاجز المعاق في مكان غير خال من الناس[4]**

يعاقب على هذا الفعل مبدئيا بالحبس لمدة ثلاث أشهر إلى سنة، وتغلظ العقوبة بتوافر الظروف التالية[5]:

-اذا نتج عن الترك او التعريض للخطر عجز كلي للعاجز المعاق لمدة تتجاوز 20 يوما، فتكون العقوبة الحبس من ستة اشهر الى سنتين.

-اذا حدث للعاجز المعاق مرض أو عجز في احد الاعضاء، او اصيب بعاهة مستديمة، فالعقوبة هي الحبس من سنتين إلى خمس سنوات.

-اذا ادى الترك والتعريض للخطر إلى الوفاة، فالعقوبة هي السجن من خمس سنوات الى عشر سنوات.

---

[1]– محمود خليل البحر: المرجع السابق، ص 229.

[2]– نظر المادة 264 الفقرة 1 من قانون العقوبات الجزائري.

[3]– أحسن بوسقيعة: المرجع السابق، ص 181 وما يليها.

[4]– أنظر المادتان 316 و 317 من قانون العقوبات الجزائري.

[5]– أحسن بوسقيعة، المرجع السابق، ص 182.

وتغلظ العقوبة بالنظر الى صفة الجاني، اذا كانوا من الاصول او ممن لهم سلطة على العاجز المعاق، أو ممن يتولون رعايته، فترفع العقوبة المقررة قانونا درجة واحدة، فتكون كالتالي[1]:

-الحبس من ستة اشهر الى سنتين، إذا لم ينشأ عن الترك أو التعريض للخطر مرض أو عجز كلي لمدة تتجاوز 20 يوما.

- السجن من خمس سنوات الى عشر سنوات في حالة ما اذا حدث للعاجز المعاق مرض أو عجز في أحد الاعضاء أو اصيب بعاهة مستديمة.

-السجن من عشر سنوات الى عشرون سنة اذا تسبب الترك والتعريض للخطر في موت العاجز المعاق.

وكما سبق وأن أشرنا، أنه وفي كل الاحوال اذا تسبب الترك أو التعريض للخطر في وفاة العاجز المعاق وتوافرت نية احداث هذه النتيجة، تكون العقوبة السجن المؤبد أو الاعدام حسب الحالة[2].

الخاتمـــة

اهتم المشرع الجزائري بالفئة الضعيفة داخل المجتمع وهي فئة المعاقين، لكونها الفئة الاكثر عرضة للاعتداء سواء من طرف اشخاص غرباء عنهم، وحتى من طرف المقربون منهم ممن يتولون رعايتهم أو لهم سلطة عليهم، وذلك تهربا من تحمل تبعات المسؤولية التي تقرر لهم قانونا، فالمعاق –عموما- وأولئك الذين يعانون من الاعاقة الجسدية الشديدة وكذا الاعاقة العقلية، أو من تجتمع فيهم عاهتين مزدوجتين، في حاجة إلى رعاية وعناية خاصة سواء كانت رعاية طبية أو يومية، وملاحظتهم المستمرة، لانهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، وهذه هي العلة من تشديد العقوبة على متولي الرعاية والرقابة من كان العاجز المعاق موضوعا تحت رعايتهم، ليصبحوا هم الجناة وهم المعتدون على العاجز المعاق، سواء كان ذلك متعمدا، او غير متعمد بسبب الاهمال في القيام بواجبهم تجاه هذه الفئة الضعيفة، فحسنا فعل المشرع لما احاطها بحماية جزائية خاصة حماية لهم من كل من تسول له استغلال حالة ضعف المعاق لتسهيل ارتكابه للجريمة، وعليه خلصنا الى النتائج التالية:

1- يهدف المشرع من خلال التنصيص على جريمة ترك العاجز أو تعريضه للخطر، حماية هذه الفئة من الاعتداء عليها من خلال تركها دون رعاية أو تعريضها للخطر، فقرر عقوبات أشد إذا كان الترك في مكان خال من الناس، ما يدل على خطورة الجاني، وتشدد العقوبة أكثر إذا كان الترك في مكان خال من طرف اقرباء الضحية عقوبة لهم على الاخلال بواجب الرعاية، والاهم من ذلك لما في الفعل من مساس خطير باستقرار الاسرة.

2- جعل المشرع من العاجز المعاق محلا للجريمة، وهي من الجرائم التي لا تقع إلا على هذه الفئة ومن في حكمهم، لذلك قرر العقوبة على مجرد الفعل، سواء تحققت النتيجة أم لم تتحقق، ثم قرر تشديد

---

[1]– أنظر المادة 317 من قانون العقوبات الجزائري.

• [2]– أحسن بوسقيعة، المرجع السابقن ص 183.

العقوبة في حال تحقق النتيجة تماشيا مع ما تحدثه من أضرار على العاجز المعاق الضحية، وصولا إلى عقوبة السجن المؤبد أو الاعدام إذا أدى الفعل إلى وفاة الضحية.

قائمة المراجع باللغة العربية

1-أحسن بوسقيعة (2002) شرح قانون العقوبات-القسم الخاص-(الجزء الأول)، الجزائر، دار هومة.

2-أمجد محمد فالح الأحمد(2009/2008) الحماية الجزائية لذوي الاحتياجات الخاصة-دراسة مقارنة-، مذكرة ماجستير في القانون، الاردن.

4- بشير سعد زغلول (2016)، المسؤولية الجنائية عن القتل العمد بالامتناع – بين النظرية والتطبيق عود على بدء بمناسبة حكم محكمة الجنايات في قضية القرن-، مصر، دار النهضة العربية.

5- محروس نصار الهيتي (2011)، النظرية العامة للجرائم الاجتماعية (الطبعة الأولى)، العراق، مكتبة السنهوري ومنشورات زين الحقوقية.

6- ممدوح خليل البحر(2003)، الجرائم الماسة بحق الطفل في الحياة والسلامة البدنية (العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون) ،مصر، مجلة الحقوق، كلية الحقوق، جامعة الاسكندرية.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

1-Cécille Keller-Rousselet (2015), la vulnérabilité des victimes en droit pénal (Master de droit pénal et sciences pénales), France, université Panthéon _Assas, Paris.

2- Nelly Jousserand (2003/2004), la protection pénale des personnes handicapées, (DEA de droit pénal et sciences criminelles), France, université de Bordeaux.

3-Hart and Tony Honor (1985), causation in the law, Oxford, Al the clarendon Press.

4-Jean-Marc Juilhardet Paul Blanc (2003), Maltraitance envers les personnes handicapées : brisé la loi du silence(tom 1), rapport de commission d'enquête sur la Maltraitance envers les personnes handicapées accueillies en établissements et service sociaux et médico-sociaux et les moyens de la prévention créé en vertu d'une résolution adopté par le sénat le 12 décembre, France



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT

Revue internationale

N° 70
Septembre 2018

ISSN 1112-4652